جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السابع

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٥) سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ للذين صدّقوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام، ﴿اليَهُودَ والَّذِينَ أشْرَكُوا﴾ يعني عبدة الأوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً للَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: ولتجدنّ أقرب الناس مودّة ومحبة. والمودّة: المفعلة، من قول الرجل: وَدِدْتُ كذا أوَدُّه وُدّاً ووِدّاً ووَدّاً ومودّة: إذا أحببته. ﴿للذين آمنوا﴾، يقول: للذين صدّقوا الله ورسوله محمداً ﷺ. ﴿الَّذِينَ قالوا إنَّا نَصارَى ذَلكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحقّ واتباعه والإذعان به. وقيل: إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر قدِموا على رسول الله ﷺ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله ﷺ. وقيل: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خَصِيف، عن سعيد بن جبير، قال: بعث النجاشيّ وفداً إلى النبيّ ﷺ، فقرأ عليهم النبيّ ﷺ فأسلموا. قال: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أشْرَكُوا﴾... إلى آخر الآية. قال: فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه، فأسلم النجاشيّ، فلم يزل مسلماً حتى مات. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخاكُمُ النَّجاشِي قَدْ ماتَ، فَصلُّوا عَلَيْهِ» فصلى عليه رسول الله ﷺ بالمدينة والنجاشيّ بالحبشة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح،

عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ قال: هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ قال: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشيّ ملك الحبشة فلما بلغ ذلك المشركين، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبيّ ﷺ إلى النجاشيّ، فقالوا: إنه خرج فينا رجل سفَّه عقول قريش وأحلامها زعم أنه نبيّ، وإنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم. قال: إن جاءوني نظرت فيما يقولون. فقدم أصحاب رسول الله ﷺ، فأقاموا بباب النجاشي، فقالوا: أتأذن لأولياء الله؟ فقال: ائذن لهم، فمرحباً بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا، فقال له الرهط من المشركين: ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك، لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها؟ فقال لهم: ما منعكم أن تحيُّوني بتحيتي؟ فقالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة. قال لهم: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ قال: يقول: هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم وروح منه، ويقول في مريم: إنها العذراء البتول. قال: فأخذ عوداً من الأرض، فقال: ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود فكره المشركون قوله، وتغيرت وجوههم. قال لهم: هل تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم. قال: اقرءوا فقرءوا، وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى، فعرفت كلّ ما قرءوا، وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحقّ. قال الله تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾... الآية.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾... الآية. قال: بعث النجاشيّ إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً من الحبشة، سبعة قسيسين وخمسة رهباناً، ينظرون إليه ويسألونه. فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا، فأنزل الله عليه فيهم: ﴿وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ فآمنوا ثم رجعوا إلى النجاشيّ. فهاجر النجاشيّ معهم، فمات في الطريق، فصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون واستغفروا له.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء

في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾. . . الآية، هم ناس من الحبشة آمنوا، إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين.

وقال آخرون: بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ مما جاء به عيسى، ويؤمنون به وينتهون إليه فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ صدّقوا به وآمنوا، وعرفوا الذي جاء به أنه الحقّ، فأثنى عليهم ما تسمعون.

والصواب في ذلك من القول عندي أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: إنا نصارى، أن نبيّ الله ﷺ يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمّ لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشيّ، ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحقّ، ولم يستكبروا عنه.

وأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ فإنه يقول: قربت مودّة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين من أجل أن منهم قسيسين ورهباناً. والقسيسون: جمع قسيس، وقد يجمع القسيس: «قُسوس»، لأن القسّ والقسيس بمعنى واحد. وكان ابن زيد يقول في القسيس بما:

حدثنا يونس، قال: حدثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: القسيسين: عُبَّادهم.

وأما الرُّهبان، فإنه يكون واحداً وجمعاً فأما إذا كان جمعاً، فإن واحدهم يكون راهباً، ويكون الراهب حينئذ فاعلاً من قول القائل: رَهب الله فلان، بمعنى: خافه، يَرْهَبُه رَهَباً ورَهْباً، ثم يجمع الراهب رهبان، مثل راكب وركبان، وفارس وفرسان. ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول الشاعر:

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رأوْكِ تَنَزَّلُوا والعُصْمُ منْ شَعَفِ العُقولِ الفادِرِ[1]

---

(١) البيت لجرير «اللسان»: رهب وهو شاهد على أن الرهبان جمع لراهب. قال: ووعل عاقل: صعد الجبل. والفادر: المسن من الوعول. وشعف الجبال: جمع شعفة، وهي رأس الجبل، ويجمع أيضاً على شعاف وشعوف. وانظره أيضاً في ديوان جرير (ص ـ ٣٠٥)، وقبله.

يَا أُمَّ طَلْحَةَ مَا لَقِينَا مِثْلَكُمْ فِي المُنْجِدِينَ ولاَ بِغَورِ الغَائِرِ

وقد يكون الرهبان واحداً، وإذا كان واحداً كان جمعه رهابين، مثل قربان وقرابين، وجُردان وجرادين. ويجوز جمعه أيضاً رهابنة إذا كان كذلك. ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحداً قول الشاعر:

لَوْ عايَنَتْ رُهْبانَ دَيْرٍ فِي القُلَلْ لانحَدَرَ الرُّهْبانُ يَمْشِي وَنَزَلْ[1]

واختلف أهل التأويل في المعنيِّ بقوله: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾ فقال بعضهم: عني بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى ابن مريم حين دعاهم، واتبعوه على شريعته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن حصين عمن حدّثه، عن ابن عباس في قوله: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾ قال: كانوا نَوَاتِيَّ في البحر يعني مَلاَّحين قال: فمرّ بهم عيسى ابن مريم، فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه. قال: فذلك قوله: ﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾.

وقال آخرون: بل عني بذلك القوم الذين كان النجاشيّ بعثهم إلى رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عنبسة عمن حدثه، عن أبي صالح في قوله: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾ قال: ستة وستون، أو سبعة وستون، أو اثنان وستون من الحبشة، كلهم صاحب صومعة، عليهم ثياب الصوف.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، عن سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾ قال: بعث النجاشيّ إلى النبيّ ﷺ خمسين أو سبعين من خيارهم، فجعلوا يبكون، فقال: هم هؤلاء.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا قيس، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً﴾ قال: هم رسل النجاشيّ الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً اختارهم الخير فالخير. فدخلوا على رسول الله ﷺ، فقرأ

---

(١) البيت في «اللسان» رهب أنشده ابن الأعرابي شاهداً على أن الرهبان قد يكون واحداً، قال: ووجه الكلام أن يكون جمعاً بالنون. قال: وإن جمعت الرهبان الواحد رهابين وهابنة جاز. والقلل: جمع قلة، وهي رأس الجبل. ورواية البيت في تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٨).

لو كلمت...... الرهبان يسعى ويصل

عليهم: يسَ والقُرْآنِ الحَكِيمِ فبكوا وعرفوا الحقّ، فأنزل الله فيهم: ﴿ذَلِكَ بأَنَّ مِنهُمْ قِسّيسِينَ وَرُهْباناً، وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وأنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾... إلى قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَينِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أن ذلك إنما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة وترهيب في الديارات والصوامع، وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحقّ إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد دَرِبُوا بقتل الأنبياء والرسل ومعاندة الله في أمره ونهيه وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودّة للذين آمنوا، ما أنزل إليك من الكتاب يتلى، ﴿تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدّة امتلائه ومنه قول الأعشى:

فَفاضَتْ دُمُوعِي فَطَلُّ الشُّؤُو ... نِ إمَّا وَكِيفاً وإمَّا انْحِدَارَا[1]

وقوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقّ﴾ يقول: فيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله حقّ. كما:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السديّ، قال: بعث النجاشيّ إلى النبيّ ﷺ اثنى عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا. وكان منهم سبعة رهبان وخمسة

(١) البيت للأعشى من قصيدة له في مدح قيس بن معديكرب ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٤٥) وقد جاء محرفاً في نسخ التفسير. وفي الديوان: الغروب، بموضوع الشؤون والطل في رواية المؤلف قطرات المطر والشؤون جمع شأن وهو مجرى الدمع إلى العين والغروب كما في رواية الديوان. والوكيف: مصدر وكف الدمع يكف وكفاً ووكيفاً ووكوفاً ووكفاناً: سال، والدلو: قطرات. وانحدار الدمع وتحدره: نزوله قطرات. يريد أن دموعه كانت تنهمر وتسيل حيناً، وتقطر قطرات حيناً آخر.

قسيسون، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسون، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. . . إلى آخر الآية.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عمر بن عليّ بن مقدّم، قال: سمعت هشام بن عروة يحدّث عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: نزلت في النجاشيّ وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبدة بن سليم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله: ﴿تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقّ﴾ قال: ذلك في النجاشيّ.

حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: ثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت في النجاشيّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: قال ابن إسحاق، سألت الزهري عن الآيات: ﴿ذَلِكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. . . الآية. وقوله: ﴿وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ قال: ما زلت أسمع علماءنا يقولون: نزلت في النجاشيّ وأصحابه.

وأما قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ فإنه لو كان بلفظ اسم كان نصباً على الحال، لأنّ معنى الكلام: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ، قائلين ربنا آمنا. ويعني بقوله تعالى ذكره: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنا﴾ أنهم يقولون: يا ربنا صدّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد ﷺ من كتابك، وأقررنا به أنه من عندك وأنه الحقّ لا شكّ فيه.

وأما قوله: ﴿فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ فإنه رُوي عن ابن عباس وغيره في تأويله، ما:

حدثنا به هناد قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي وابن نمير جميعاً، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿اكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ﴿فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعنون بالشاهدين: محمداً ﷺ وأمته.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال محمد ﷺ وأمته، أنهم شهدوا أنه قد بلَّغ، وشهدوا أن الرسل قد بلَّغت.

حدثنا الربيع، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا يحيى بن زكريا، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثل حديث الحرث بن عبد العزيز، غير أنه قال: وشهدوا للرسل أنهم قد بلَّغوا.

فكأنّ متأوّل هذا التأويل قصد بتأويله هذا إلى معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْناكم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ فذهب ابن عباس إلى أن الشاهدين هم الشهداء في قوله: ﴿لِتَكُونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ﴾ وهم أمة محمد ﷺ.

وإذا كان التأويل ذلك، كان معنى الكلام: يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة أنهم قد بلَّغوا أممهم رسالاتك.

ولو قال قائل: معنى ذلك: فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون أن ما أنزلته إلى رسولك من الكتاب حقّ، كان صواباً لأن ذلك خاتمة قوله: ﴿وَإذَا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بإيمانهم لما سمعوا من كتاب الله، فتكون مسألتهم أيضاً الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك، ويُلحقهم في الثواب والجزاء منازلهم. ومعنى الكتاب في هذا الموضع: الجَعْل، يقول: فاجْعَلْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وأثبتنا معهم في عدادهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد ﷺ من كتابه، آمنوا به وصدّقوا كتاب الله، وقالوا: ما لنا لا نؤمن بالله؟ يقول: لا نقرّ بوحدانية الله ﴿وما جاءَنا مِنَ الحَقّ﴾ يقول: وما جاءنا من عند الله من كتابه وآي تنزيله، ونحن نطمع بإيماننا بذلك ﴿أنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ يعني بالقوم الصالحين: المؤمنين بالله المطيعين له، الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم إياه. وإنما معنى ذلك: ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة، ويلحق منازلنا بمنازلهم ودرجاتنا بدرجاتهم في جناته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَما لَنا لا نُؤْمِنُ باللَّهِ وَما جاءَنا مِنَ الحَقّ وَنَطْمَعُ أنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾** قال: «القَوْم الصالحون»: رسول الله ﷺ وأصحابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فجزاهم الله بقولهم: ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين **﴿جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ﴾** يعني: بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار **﴿خَالِدِينَ فِيها﴾** يقول: دائماً فيها مكثهم، لا يخرجون منها ولا يحولون عنها. **﴿وذَلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ﴾** يقول: وهذا الذي جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا من الجنات التي هم فيها خالدون، جزاء كلّ محسن في قيله وفعله. وإحسان المحسن في ذلك أن يوحد الله توحيداً خالصاً محضاً لا شرك فيه، ويقرّ بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب، ويؤدّي فرائضه، ويجتنب معاصيه، فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى: **﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فيها﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وأنكروا نبوّة محمد ﷺ، وكذّبوا بآيات كتابه، فإن أولئك أصحاب الجحيم، يقول: هم سكانها واللابثون فيها. والجحيم: ما اشتدّ من النار، وهو الجاحم والجحيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حقّ من عند الله ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ لَكُمْ﴾ يعني بالطيبات: اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إياها، كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرّموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم، وساح في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك، ولا تعتدوا حَدَّ الله الذي حدّ لكم فيما أحلّ لكم وفيما حرّم عليكم فتجاوزوا حَدَّهُ الذي حَدَّه، فتخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحبّ من اعتدى حدّه الذي حدّه لخلقه فيما أحلّ لهم وحرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر أبو زبيد، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾... الآية، قال: عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين حرّموا عليهم النساء، وامتنعوا من الطعام الطيّب، وأراد بعضهم أن يقطع ذَكَره، فنزلت هذه الآية.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، قال: كان أناس من أصحاب النبيّ ﷺ هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء، فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾.

حدثني يعقوب قال: ثنا ابن علية، عن خالد، عن عكرمة: أن رجالاً أرادوا كذا وكذا، وأرادوا كذا وكذا، وأن يختصوا، فنزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: كانوا حرّموا الطيب واللحم، فأنزل الله تعالى هذا فيهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: ثنا خالد، عن عكرمة: أن أناساً قالوا: لا نتزوّج، ولا نأكل، ولا نفعل كذا وكذا. فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة قال: أراد أناس من أصحاب النبيّ ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا، فقام رسول الله ﷺ فغلظ فيهم المقالة، ثم قال: «إنما هَلَكَ مَنْ كَان قَبْلَكُمْ بالتَّشْدِيدِ، شَدَّدُوا على

أنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ الله عَلَيْهِمْ، فأولئك بَقَايَاهُمْ في الدِّيار والصَّوَامِع، اعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا به شيئاً، وحجُّوا واعْتَمِرُوا، واسْتَقِيمُوا يَسْتَقِمْ لَكُمْ». قال: ونزلت فيهم: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾**... الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾** قال: نزلت في أناس من أصحاب النبيّ ﷺ، أرادوا أن يتخلوا من اللباس ويتركوا النساء ويتزهدوا، منهم عليّ بن أبي طالب وعثمان بن مظعون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن زياد بن فياض، عن أبي عبد الرحمن، قال: قال النبيّ ﷺ: «لا آمُرُكُمْ أنْ تَكُونُوا قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً».

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾**... الآية ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبيّ ﷺ رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا الصوامع فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، قال: «ليس في ديني تَرْكُ النِّساءِ واللَّحْم، ولا اتِّخاذُ الصَّوَامِع». وخُبِّرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول الله ﷺ اتفقوا، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل لا أنام، وقال أحدهم: أما أنا فأصوم النهار فلا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلا آتي النساء. فبعث رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «ألَمْ أُنَبَّأْ أنَّكُمُ اتَّفَقْتُمْ على كَذَا؟» قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير. قال: «لَكِنِّي أقُومُ وأنامُ وأصُومُ وأُفْطِرُ وآتِي النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». وكان في بعض القراءة: «من رغب عن سنتك فليس من أمتك وقد ضلّ عن سواء السبيل». وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال لأناس من أصحابه: «إنّ مَن قبلكم شدّدوا على أنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ الله عَلَيْهِمْ، فَهَؤُلاء إخْوَانُهُم في الدُّور والصَّوَامِع، اعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا به شَيْئاً، وأقِيمُوا الصَّلاةَ، وآتُوا الزَّكاة، وصُومُوا رَمَضَانَ، وحُجُّوا واعْتَمِرُوا، واسْتَقِيمُوا يُسْتَقَم لكم».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾** وذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فذكّر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التخويف، فقال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا عشرة، منهم عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون: ما حقنا إن لم نحدث عملاً فإن النصارى قد حرّموا على أنفسهم، فنحن نحرّم. فحرّم بعضهم أكل اللحم والوَدَك وأن يأكل بالنهار، وحرّم بعضهم النوم، وحرّم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون ممن حرّم النساء، وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه، فأتت امرأته عائشة

وكان يقال لها: الحولاء، فقالت لها عائشة ومَن عندها من نساء النبيّ ﷺ: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون، لا تمتشطين ولا تطيبين؟ فقالت: وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع عليّ زوجي ولا رفع عني ثوباً منذ كذا وكذا فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن، فقال: «ما يُضْحِكُكُنّ؟» قالت: يا رسول الله، الحولاء سألتها عن أمرها، فقالت: ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا وكذا. فأرسل إليه فدعاه، فقال: «ما بَالُكَ يا عُثْمانُ؟» قال: إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة. وقصّ عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يَجُبّ نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «أقْسَمْتُ عَلَيْكَ إلاَّ رَجَعْتَ فَوَاقَعْتَ أهْلَكَ» فقال: يا رسول الله إني صائم. قال: «أفْطِرْ» فأفْطَر وأتى أهله. فرجعت الحَوْلاء إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت، فضحكت عائشة فقالت: ما بالك يا حولاء؟ فقالت: إنه أتاها أمس. فقال رسول الله ﷺ: «ما بالُ أقْوَامٍ حَرَّمُوا النِّساءَ وَالطَّعامَ والنَّوْمَ؟ ألا إنّي أنامُ وأقُومُ وأفْطِرُ وأُصُومُ وأنْكِحُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». فنزلت: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا**﴾ يقول لعثمان: لا تجبّ نفسك، فإن هذا هو الاعتداء. وأمرهم أن يكفِّروا أيمانهم، فقال: ﴿**لا يؤاخذكمُ اللَّهُ باللَّغوِ فِي أيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيمَانَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ قال: هم رهط من أصحاب النبيّ ﷺ قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فأرسل إليهم، فذكر ذلك لهم، فقالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «لَكِنِّي أصُومُ وأفْطِرُ وأُصَلِّي وأنامُ وأنْكِحُ النِّساءَ، فَمَنْ أخَذَ بِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ وذلك أن رجالاً من أصحاب محمد ﷺ منهم عثمان بن مظعون حرّموا النِّساءَ وَاللَّحْمَ على أنْفُسِهِمْ، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة ويتفرّغوا لعبادة ربهم. فأُخبر بذلك النبيّ ﷺ، فقال: «ما أرَدْتُمْ؟» فقالوا: أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرّغ لعبادة ربنا ونلهو عن النساء. فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنِّي أُمِرْتُ فِي دِينِي أنْ أتَزَوَّجَ النِّساءَ». فقالوا: نطيع رسول الله ﷺ. فأنزل الله: ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**﴾... إلى قوله: ﴿**الَّذِي أنْتمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،

قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويخْصوا أنفسهم، ويلبسوا المسوح، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿واتَّقُوا الله الَّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾. قال ابن جريج عن عكرمة: إن عثمان بن مظعون، وعليّ بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالماً مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتّلوا، فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرّموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما أكل ولبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهمّوا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ يقول: لا تستَنُّوا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من صيام النهار وقيام الليل، وما همّوا له من الإخصاء. فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّ لأنْفُسِكُمْ حَقًّا، وَإنَّ لِأَعْيُنِكُمْ حَقًّا، صُومُوا وأفْطِرُوا وَصَلُّوا وَنامُوا فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنا». فقالوا: اللهمّ أسلَمْنا واتبعنا ما أنزلت.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: قال أبيّ: ضاف عبدَ الله بن رواحة ضيفٌ، فانقلب ابن رواحة ولم يتعشّ، فقال لأهله: ما عشيته؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرت أن تأتي. قال: فحبستِ ضيفي من أجلي؟ فطعامك عليّ حرام إن ذقته فقالت: هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه وقال الضيف: هو عليّ حرام إن لم تذوقوه فلما رأى ذلك، قال ابن رواحة: قرّبي طعامك، كلوا بسم الله وغدا إلى النبيّ ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ أحْسَنْتَ» فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾... وقرأ حتى بلغ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيمَانَ﴾ إذا قلت: والله لا أذوقه، فذلك العقد.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي، فحرّمت اللحم. فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا خالد الحذّاء، عن عكرمة، قال: همَّ أناس من أصحاب رسول الله ﷺ بترك النساء والخصاء، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾... الآية.

واختلفوا في معنى الإعتداء الذي قال تعالى ذكره: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾

فقال بعضهم: الإعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع هو ما كان عثمان بن مظعون همّ به من جبّ نفسه، فنهي عن ذلك، وقيل له: هذا هو الإعتداء. وممن قال ذلك السديّ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عنه به.

وقال آخرون: بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ همّوا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم، فنُهوا أن يفعلوا ذلك وأن يستَنُّوا بغير سنة نبيهم محمد ﷺ. وممن قال ذلك عكرمة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عنه به.

وقال بعضهم: بل ذلك نهي من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال إلى الحرام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن عاصم، عن الحسن: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا**﴾ قال: لا تعتدوا إلى ما حرّم عليكم.

وقد بيَّنا أن معنى الإعتداء: تجاوز المرء ماله إلى ما ليس له في كلّ شيء، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بقوله: ﴿**لا تَعْتَدُوا**﴾ النهي عن العدوان كله، كان الواجب أن يكون محكوماً لما عمه بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم له. وليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله تعالى في شي من الأشياء مما أحلّ أو حرّم، فمن تعدّاه فهو داخل في جملة من قال تعالى ذكره: ﴿**إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**﴾. وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون والرهط الذين همّوا من أصحاب رسول الله ﷺ بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم، ويكون مراداً بحكمها كلّ من كان في مثل معناهم ممن حرّم على نفسه ما أحلّ الله له أو أحلّ ما حرّم الله عليه أو تجاوز حدّاً حدّه الله له، وذلك أن الذين همّوا بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم إنما عوتبوا على ما همّوا به من تجاوزهم ما سنّ لهم وحدّ إلى غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرّموا طيبات ما أحلَ الله لهم: كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم وأحله لكم حلالاً طيباً. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة:

﴿وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً﴾ يعني: ما أحلّ الله لهم من الطعام.

وأما قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فإنه يقول: وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا في حدوده، فتحلوا ما حرّم عليكم وتحرّموا ما أحلّ لكم، واحذروه في ذلك أن تخالفوه فينزل بكم سخطه، أو تستوجبوا به عقوبته. ﴿الَّذِي أَنْتُمْ به مُؤْمِنُونَ﴾ يقول: الذي أنتم بوحدانيته مقرّون وبربوبيته مصدّقون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾.

يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرّموا على أنفسهم الطيبات من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا حرّموا ذلك بأيمان حلفوا بها، فنهاهم عن تحريمها، وقال لهم: لا يؤاخذكم ربكم باللغو في أيمانكم. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في القوم الذين كانوا حرّموا النساء واللحم على أنفسهم، قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فِي أيمَانِكُمْ﴾... الآية.

فهذا يدلّ على ما قلنا من أن القوم كانوا حرَّموا ما حرَّموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها، فنزلت هذه الآية بسببهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز وبعض البصريين: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ بتشديد القاف، بمعنى: وكدتم الأيمان وردّدتموها وقرّاء الكوفيين: «بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ» بتخفيف القاف، بمعنى: أوجبتموها على أنفسكم، وعزمت عليها قلوبكم.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف، وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام، إلا فيما يكون فيه تردّد مرّة بعد مرّة، مثل قولهم: شدّدت على فلان في كذا إذا كرّر عليه الشدّ مرّة بعد أخرى، فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة قيل:

شَدَّدت عليه بالتخفيف. وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرّة واحدة وإن لم يكرّرها الحالف مرّات، وكان معلوماً بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرّره ولم يردّده وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقَّدتم وجه مفهوم. فتأويل الكلام إذن: لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه، ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم. وقد بينا اليمين التي هي لغو والتي الله مؤاخذ العبد بها، والتي فيها الحنث والتي لا حنث فيها، فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع.

وأما قوله: ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ﴾ فإن هناداً:

حدثنا قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمانَ﴾ قال: بما تعمدتم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمانَ﴾ يقول: ما تعمدتَ فيه المأثم، فعليك فيه الكفارة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾.

اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ على ما هي عائدة، ومن ذكر ما؟ فقال بعضهم: هي عائدة على «ما» التي في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيمَانَ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عديٍّ، عن الحسن في هذه الآية: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فِي إِيمَانِكُمْ﴾ قال: هو أن تحلف على الشيء وأنت يخيل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك، فلا يؤاخذكم الله، فلا كفارة، ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه على علم.

حدثنا ابن حميد، وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: اللغو ليس فيه كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمانَ﴾ قال: ما عقد فيه يمينه فعليه الكفارة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك، قال: الأيمان

ثلاث: يمين تكفَّر، ويمين لا تكفَّر، ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها. فأما اليمين التي تكفر، فالرجل يحلف على الأمر لا يفعله ثم يفعله، فعليه الكفارة. وأما اليمين التي لا تكفر: فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه الكذب، فليس فيه كفارة. وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها: فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما حلف عليه فلا يكون كذلك، فليس عليه فيه كفارة، وهو اللغو.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا ابن أبي ليلى، عن عطاء، قال: قالت عائشة: لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا هشام، قال: ثنا حماد، عن إبراهيم، قال: ليس في لغو اليمين كفارة.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أن عروة حدثه أن عائشة قالت: أيمان الكفارة كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدّ من الأمور في غضب أو غيره ليفعلنّ ليتركنّ، فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة، وقال تعالى ذكره: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن يحيى بن سعيد، وعن عليّ بن أبي طلحة، قالا: ليس في لغو اليمين كفارة.

حدثنا بشر، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ﴾ يقول: ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة. قال: وقال قتادة: أما اللغو فلا كفارة فيه.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبدة، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: لا كفارة في لغو اليمين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو العنقزي، عن أسباط، عن السديّ: ليس في لغو اليمين كفارة.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان، فكفارة ما عقدتم منها: إطعام عشرة مساكين.

وقال آخرون: الهاء في قوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ عائدة على اللغو، وهي كناية عنه. قالوا: وإنما معنى الكلام: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إذا كفرتموه، ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم

الأيمان فأقمتم على المضيّ عليه بترك الحنث والكفارة فيه، والإقامة على المضيّ عليه غير جائزة لكم، فكفّارة اللغو منها إذا حنثتم فيه: إطعام عشرة مساكين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ**﴾ قال: هو الرجل يحلف على أمر ضرار أن يفعله فلا يفعله فيرى الذي هو خير منه، فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير. وقال مرّة أخرى قوله: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ**﴾... إلى قوله: ﴿**بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ**﴾ قال: واللغو من اليمين هي التي تكفر لا يؤاخذ الله بها، ولكن من أقام على تحريم ما أحلّ الله له ولم يتحوّل عنه ولم يكفّر عن يمينه، فتلك التي يؤاخذ بها.

حدثنا هناد، قال: ثنا حفص بن غياث، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ**﴾ قال: هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي، فيكفّر.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن سعيد بن جبير: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ**﴾ قال: هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله تعالى، يكفّر عن يمينه ويأتي الذي هو خير ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بما عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ**﴾ الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها، فكفارته إطعام عشرة مساكين.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: أخبرنا داود، عن سعيد بن جبير، قال في لغو اليمين: هي اليمين في المعصية، فقال: أو لا تقرأ فتفهم؟ قال: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ**﴾ قال: فلا يؤاخذه بالإلغاء، ولكن يؤاخذه بالمقام عليها. قال: وقال: وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيمَانِكُمْ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ**﴾ قال: هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها. قلت: وكيف يصنع؟ قال: يكفّر يمينه، ويترك المعصية.

حدثني يحيى بن جعفر، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمانِكُمْ**﴾ قال: اليمين المكفرة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: اللغو: يمين لا يؤاخذ بها صاحبها، وفيها كفارة.

والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك، أن تكون الهاء في قوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ عائدة على «ما» التي في قوله: ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيمَانَ﴾ لما قدّمنا فيما مضى قبل أن من لزمته في يمينه كفارة وأوخذ بها، غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ: لا يؤاخذه الله باللغو وفي قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أيمانِكُمْ﴾ دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذ بوجه من الوجوه من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذ.

فإن ظنّ ظانّ أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أيمانِكُمْ﴾ بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتم وكفّرتم، لا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه في كتابه على الظاهر العامّ عندنا بما قد دللنا على صحة القول به في غير هذا الموضع فأغنى عن إعادته، دون الباطن العامّ الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر، أنه عنى تعالى ذكره بقوله: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أيمانِكُمْ﴾ بعض معاني المؤاخذة دون جميعها. وإذ كان ذلك كذلك، وكان من لزمته كفارة في يمين حنث فيها مؤاخذاً بها بعقوبة في ماله عاجلة، كان معلوماً أنه غير الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها. وإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا بالذي عليه دللنا، فمعنى الكلام إذن: لا يؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والأيمان إذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ولا خلاف أمره ولم تقصدوا بها إثماً، ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الإثم وأوجبتموه على أنفسكم وعزمت عليه قلوبكم، ويكفر ذلك عنكم، فيغطى على سيء ما كان منكم من كذب وزُور قول ويمحوه عنكم، فلا يتبعكم به ربكم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مِنْ أوسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾: أعدله. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: سمعت عطاء يقول في هذه الآية: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ أوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال عطاء: أوسطه: أعدله، واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه: من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: أخبرنا شريك، عن عبد الله بن حنَشَ، عن الأسود، قال: سألته عن: ﴿أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ قال: الخبز والتمر والزيت والسمن، وأفضله اللحم.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عبد

الله بن حنَش، قال: سألت الأسود بن يزيد، عن ذلك، فقال: الخبز والتمر. زاد هناد في حديثه: والزيت، قال: وأحسبه الخلّ.

حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: ثنا أبو الأحوص، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين، عن ابن عمر في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر، والخبز والسمن والخبز والزيت، ومن أفضل ما يطعمهم: الخبز واللحم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن ليث، عن ابن سيرين، عن ابن عمر: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الخبز واللحم، والخبز والسمن، والخبز والجبن، والخبز والخلّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن حنش، قال: سألت الأسود بن يزيد عن أوسط ما تطعمون أهليكم؟ قال: الخبز والتمر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا عبد الله بن حنش، قال: سألت الأسود بن يزيد، فذكر مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سعيد بن عبد الرحمن، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: الخبز والسمن.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سعيد بن عبد الرحمن، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة عن ذلك، فذكر مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أزهر، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الخبز والسمن.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن يزيد بن إبراهيم، عن ابن سيرين، قال: كانوا يقولون: أفضله الخبز واللحم، وأوسطه: الخبز والسمن، وأخسه: الخبز والتمر.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن، قال: خبز ولحم، أو خبز وسمن، أو خبز ولبن.

حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: ثنا عمر بن هارون، عن أبي مصلح، عن الضحاك في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: الخبز واللحم والمرقة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زائدة، عن يحيى بن حبان الطائي،

قال: كنت عند شريح، فأتاه رجل، فقال: إني حلفت على يمين فأثمت قال شريح: ما حملك على ذلك؟ قال: قدّر عليّ، فما أوسط ما أطعم أهلي؟ قال له شريح: الخبز والزيت والخلّ طيب. قال: فأعاد عليه، فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لا يزيده شريح على ذلك. فقال له: أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم؟ قال: ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، قال في كفارة اليمين: يغديهم ويعشّيهم خبزاً وزيتاً، أو خبزاً وسمناً، أو خلاً وزيتاً.

حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: ثنا أبو أسامة، عن زبرقان، عن أبي رزين: ﴿**مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ خبز وزيت وخلّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن هشام بن محمد، قال: أكلة واحدة خبز ولحم. قال: وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم، وإنكم لتأكلون الخبيص والفاكهة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، وحدثنا هناد، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن قال في كفارة اليمين: يجزيك أن تطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزاً ولحماً، فإن لم تجد فخبزاً وسمناً ولبناً، فإن لم تجد فخبزاً وخلاً وزيتاً حتى يشبعوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن زبرقان، قال: سألت أبا رزين، عن كفارة اليمين ما يطعم؟ قال: خبزاً وخلاً وزيتاً من أوسط ما تطعمون أهليكم، وذلك قدر قوتهم يوماً واحداً.

ثم اختلف قائلو ذلك في مَبْلَغِه. فقال بعضهم: مبلغ ذلك نصف صاع من حنطة، أو صاع من سائر الحبوب غيرها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عبد الله بن عمرو بن مرّة، عن أبيه، عن إبراهيم، عن عمر، قال: إني أحلف على اليمين ثم يبدو لي، فإذا رأيتني قد فعلت ذلك فأطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدّان من حِنطة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، ويعلى عن الأعمش، عن شقيق، عن يسار بن نُمير، قال: قال عمر: إني أحلف أن لا أعطي أقواماً ثم يبدو لي أن أعطيهم، فإذا رأيتني فعلت ذلك، فأطعم عني عشرة مساكين بين كلّ مسكينين صاعاً من برّ أو صاعاً من تمر.

حدثنا هناد ومحمد بن العلاء قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي، عن ابن

أبي ليلى، عن عمرو بن مُرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن عليّ، قال: كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، لكلّ مسكين نصف صاع من حنطة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿**مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ نصف صاع برّ كلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا حفص عن عبد الكريم الجزري، قال: قلت لسعيد بن جبير: أجمعهم؟ قال: لا، أعطهم مدّينِ من حنطة، مدًّا لطعامه ومدًّا لإدامه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عبد الكريم الجزري، قال: قلت لسعيد، فذكر نحوه.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو زيد، عن حصين، قال: سألت الشعبي، عن كفارة اليمين، فقال: مكوكين: مكوكاً لطعامه، ومكوكاً لإدامه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا هشام، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لكلّ مسكين مدّين.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لكلّ مسكين مدّين من برّ في كفارة اليمين.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: مدّان من طعام لكلّ مسكين.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا سعد بن يزيد أبو سَلَمة، قال: سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين في كفارة اليمين، فقال: أكلة. قلت: فإن الحسن يقول: مكوك برّ، ومكوك تمر، فما ترى في مكوك برّ؟ فقال: إن مكوك برّ لا، أو مكوك تمر لا. قال يعقوب: قال ابن علية وقال[1] أبو سلمة بيده، كأنه يراه حسناً، وقلب أبو سلمة يده.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن: أنه كان يقول في كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام: مكوك تمر، ومكوك برّ لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن قال، قال: إن جمعهم أشبعهم إشباعة واحدة، وإن أعطاهم أعطاهم مكوكاً مكوكاً.

---

(١) قال بيده: أشار بها أو حركها.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، قال: كان الحسن يقول: فإن أعطاهم في أيديهم فمكوك برّ ومكوك تمر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السديّ، عن أبي مالك في كفّارة اليمين: نصف صاع لكلّ مسكين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن علية، عن أبيه، عن الحكم، في قوله: **﴿إطعامُ عَشَرَةِ مَساكِين مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾** قال: إطعام نصف صاع لكلّ مسكين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زائدة، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: **﴿أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾** نصف صاع.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: **﴿فَكَفَّارَتُهُ إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ﴾** قال: الطعام لكلّ مسكين: نصف صاع من تمر أو برّ.

وقال آخرون: بل مبلغ ذلك من كلّ شيء من الحبوب مدّ واحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن هشام الدَّستَوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن زيد بن ثابت، أنه قال في كفارة اليمين: مدّ من حنطة لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال في كفّارة اليمين: مدّ من حنطة لكلّ مسكين رُبْعه إدامُه.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر: إطعام عشرة مساكين لكلّ مسكين مدّ.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، قال: ثنا العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: مدّ من حنطة لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر: أنه

كان يكفِّر اليمين بعشرة أمداد بالمدّ الأصغر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عبيد الله، عن القاسم وسالم في كفَّارة اليمين: ما يطعم؟ قالا: مدّ لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار، قال: كان الناس إذا كفَّر أحدهم، كفَّر بعشرة أمداد بالمدّ الأصغر.

حدثنا هناد، قال: ثنا عمر بن هارون، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله: **﴿إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ﴾** قال: عشرة أمداد لعشَرة مساكين.

حدثنا بشر، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: **﴿إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾** قال: كان يقال: البرّ والتمر، لكلّ مسكين مدّ من تمر ومدّ من برّ.

حدثنا أبو كريب وهناد، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مالك بن مِغْول، عن عطاء، قال: مدّ لكلّ مسكين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾** قال: من أوسط ما تعولونهم. قال: وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك مدًّا بمدّ رسول الله ﷺ من حنطة. قال أبو زيد: هو الوسط مما يقوت به أهله، ليس بأدناه ولا بأرفعه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: **﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾** قال: مدّ.

وقال آخرون: بل ذلك غَداء وعَشاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، قال في كفَّارة اليمين: يغدّيهم ويعشيهم.

حدثنا هناد، قال: ثنا عمر بن هارون، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي في كفَّارة اليمين قال: غداء وعشاء.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، قال: يغدّيهم ويعشيهم.

وقال آخرون: إنما عنى بقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: من أوسط ما يطعم المكفِّر أهله. قال: إن كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة، وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: إن كنت تشبع أهلك فأشبع المساكين، وإلاَّ فعلى ما تطعم أهلك بقدره.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ وهو أن تطعم كلّ مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع، أو نصف صاع من برّ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، عن ابن عباس، قال: من عسرهم ويسرهم.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: من عسرهم ويسرهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: قوتهم.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن سليمان العبسي، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: قوتهم.

حدثنا أبو حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عنبسة، عن سليمان بن عبيد العبسي، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: كانوا يفضلون الحرّ على العبد والكبير على الصغير، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير، ويطعمون الحرّ ما لا يطعمون العبد، فقال: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿مِنْ

أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ قال: إن كنت تشبع أهلك فأشبعهم، وإن كنت لا تشبعهم، فكل قدر ذلك.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا شيبان النحويّ[١]، عن جابر، عن عامر، عن ابن عباس: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ قال: من عسرهم ويسرهم.

حدثنا يونس، قال: ثنا سفيان عن سليمان، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: كان الرجل يقوت بعض أهله قوتاً دوناً وبعضهم قوتاً فيه سعة، فقال الله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ الخبز والزيت.

وأولى الأقوال في تأويل قوله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ عندنا قول من قال: من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة. وذلك أن أحكام رسول الله ﷺ في الكفّارات كلها بذلك وردت، وذلك كحكمه ﷺ في كفارة الحلق من الأذى بفرق[٢] من طعام بين ستة مساكين لكلّ مسكين نصف صاع كحكمه ﷺ في كفّارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعاً بين ستين مسكيناً لكلّ مسكين ربع صاع. ولا يعرف له ﷺ شيء من الكفارات أمر بإطعام خبز وإدام ولا بغَداء وعَشاء. فإذ كان ذلك كذلك، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته، كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه ﷺ من أن الواجب على مكفّرها من الطعام مقدار للمساكين العشرة، محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم، إذ كانت سنته ﷺ في سائر الكفارات كذلك. فإذ كان صحيحاً ما قلنا مما به استشهدنا، فبيّن أن تأويل الكلام: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أعدل إطعامكم أهليكم، وأن «ما» التي في قوله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ بمعنى المصدر، لا بمعنى الأسماء. وإذا كان ذلك كذلك، فأعدل أقوات الموسع على أهله مدّان، وذلك نصف صاع في ربعه إدامه، وذلك أعلى ما حكم به النبيّ ﷺ في كفارة في إطعام مساكين، وأعدل أقوات المقتر على أهله مدّ وذلك ربع صاع، وهو أدنى ما حكم به في كفارة في إطعام مساكين. وأما الذين رأوا إطعام المساكين في كفارة اليمين الخبر واللحم وما ذكرنا عنهم قبل، والذين رأوا أن يغدّوا أو يعشوا، والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا، فإنهم ذهبوا إلى تأويل قوله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾: من أوسط الطعام الذي تطعمونه أهليكم، فجعلوا «ما» التي في قوله: ﴿مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾ اسماً لا مصدراً، فأوجبوا على المكفّر إطعام المساكين من أعدل ما

---

(١) هو شيبان بن عبد الرحمٰن التميمي أبو معاوية النحوي، البصري ثم الكوفي، ثم البغدادي. مات سنة ١٦٤ هـ. عن «الخلاصة».

(٢) الفرق بالتحريك: مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وهي اثنا عشر مداً، وثلاثة آصع عند أهل الحجاز.

يطعم أهله من الأغذية. وذلك مذهب لولا ما ذكرنا من سنن رسول الله ﷺ في الكفارات غيرها التي يجب إلحاق أشكالها بها، وإن كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة يجب إلحاقها بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: فكفَّارة ما عقدتم من الأيمان إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. يقول إما أن تطعموهم أو تكسوهم، والخيار في ذلك إلى المكفِّر.

واختلف أهل التأويل في الكسوة التي عنى الله بقوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك كسوة ثوب واحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في كسوة المساكين في كفَّارة اليمين: أدناه ثوب.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أدناه ثوب، وأعلاه ما شئت.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، عن الربيع، عن الحسن، قال في كفَّارة اليمين في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ ثوب لكلّ مسكين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهديّ، عن وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبيدة، وحدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير جميعاً، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب ثوب. قال منصور: القميص، أو الرداء، أو الإزار.

حدثنا أبو كريب وهناد، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب.

حدثنا هناد، قال: قال ثنا عمر بن هارون، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب ثوب لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبدة بن سلمان، عن سعيد بن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن

إبراهيم، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: إذا كساهم ثوباً ثوباً أجزأ عنه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن ابن سنان، عن حماد، قال: ثوب أو ثوبان، وثوب لا بدّ منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخُراساني، عن ابن عباس قال: ثوب ثوب لكلّ إنسان، وقد كانت العباءة تقضي يومئذ من الكسوة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: الكسوة: عباءة لكلّ مسكين أو شَمْلَة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن السديّ، عن أبي مالك، قال: ثوب، أو قميص، أو رداء، أو إزار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إن اختار صاحب اليمين الكسوة، كسا عشرة أناسيّ كلّ إنسان عباءة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: سمعت عطاء يقول في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ الكسوة: ثوب ثوب.

وقال بعضهم: عنى بذلك: الكسوة ثوبين ثوبين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا عبيدة، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية جميعاً، عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: عباءة وعمامة.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن داود ابن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، قال: عمامة يلُفّ بها رأسه، وعباءة يلتحف بها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، عن أشعث، عن الحسن وابن سيرين، قالا: ثوبين ثوبين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن يونس، عن الحسن، قال: ثوبين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، مثله.

حدثنا أبو كريب وهناد، قالا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: ثوبان ثوبان لكلّ مسكين.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين، عن أبي موسى: أنه حلف على يمين، فكسا ثوبين من مُعَقَّدة[1] البحرين.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن ابن سيرين: أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن محمد بن عبد الأعلى: أن أبا موسى الأشعري حلف على يمين، فرأى أن يكفِّر ففعل، وكسا عشرةً ثوبين ثوبين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن هشام، عن محمد: أن أبا موسى حلف على يمين فكفَّر، فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، قال: عباءة وعمامة لكل مسكين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا داود بن أبي هند، قال: قال رجل عند سعيد بن المسيب: «أو كأُسْوَتهم» فقال سعيد: لا إنما هي: «أو كسوتهم». قال: فقلت: يا أبا محمد ما كسوتهم؟ قال: لكلّ مسكين عباءة وعمامة، عباءة يلتحف بها، وعمامة يشدّ بها رأسه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: الكسوة لكلّ مسكين: رداء وإزار، كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك: كسوتهم: ثوب جامع، كالملحفة والكساء والشيء الذي يصلح للبس والنوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن مغيرة، عن حماد، عن إبراهيم،

---

(١) في «النهاية» لابن الأثير: المعقد: ضرب من برود هجر (في البحرين).

قال: الكسوة: ثوب جامع.

حدثنا هناد وابن وكيع قالا: ثنا ابن فضيل، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب جامع. قال: وقال مغيرة: والثوب الجامع المِلحفة أو الكساء أو نحوه، ولا نرى الدرع والقميص والخِمار ونحوه جامعاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: ثوب جامع.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: ثوب جامع.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب جامع لكلّ مسكين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان وشعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب جامع.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن المغيرة، مثله.

وقال آخرون: عنى بذلك كسوة إزار ورداء أو قميص.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن بردة، عن نافع، عن ابن عمر، قال في الكسوة في الكفَّارة: إزار، ورداء، وقميص.

وقال آخرون: كل ما كسا فيجزي، والآية على عمومها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن ليث، عن مجاهد، قال: يجزي في كفَّارة اليمين كلّ شيء إلاَّ التُّبَّان[1].

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أشعث، عن الحسن، قال: يجزىء عمامة في كفَّارة اليمين.

---

(١) التبان: سراويل قصيرة بلا رجلين يلبسه الملاحون.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أويس الصيرفي، عن أبي الهيثم، قال: قال سلمان: نعم الثوب التُّبَّان.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن الشيباني، عن الحكم، قال: عمامة يلف بها رأسه.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال: عنى بقوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: ما وقع عليه إسم كسوة مما يكون ثوباً فصاعداً، لأن ما دون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية، فكان ما دون قدر ذلك خارجاً من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض، والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية، إذ لم يأت من الله تعالى وحي ولا من رسوله ﷺ خبر ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها، وغير جائز إخراج ما كان ظاهر الآية محتمله من حكم الآية إلاَّ بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلها. وأصل التحرير: الفكّ من الأسر، ومنه قول الفرزدق بن غالب:

أَبَنِي غُدَانَةَ إنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بنِ جِعالِ[1]

يعني بقوله: «حررتكم»: فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار. وقيل: تحرير رقبة، والمحرّر صاحب الرقبة، لأن العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيراً أن تجمع يديه إلى عنقه بقيد أو حبل أو غير ذلك، وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلتهما مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة. فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير، بالخبر عن فكّ يديه عن رقبته، وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره، كما يقال: قبض فلان يده عن فلان: إذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه: إذا قال فيه سوءاً، فيضاف الفعل إلى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله، لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أضيف التحرير إلى الرقبة وإن لم يكن هناك غلّ في رقبته ولا شدّ يد إليها، وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جَرّى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه.

فإن قال قائل: أفكل الرقاب معنيّ بذلك أو بعضها؟ قيل: بل معنيّ بذلك كلّ رقبة كانت

(١) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي (ص ـ ٧٢٦) من قصيدة عنوانها: وقال لجرير: وحررتكم: أي أعتقتكم، يريد: من هجائي، وعطية بن جعال كان صديقاً له، ولعله من بني غدانة، وهم حي من بني يربوع. وقد شرح المؤلف البيت.

سليمة من الإقعاد والعمى والخرس وقطع اليدين أو شللهما والجنون المطبق، ونظائر ذلك، فإن من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب، فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزي في كفّارة اليمين. فكان معلوماً بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية. فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر، فإنهم معنيون به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا مغيرة، عن إبراهيم، أنه كان يقول: من كانت عليه رقبة واجبة، فاشترى نَسَمة، قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته، ولا يجوز عتق من لا يعمل فأما الذي يعمل، كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزي كالأعمى والمقعد.

حدثنا هناد، قال: ثنا هشيم، عن يونس، عن الحسن، قال: كان يكره عتق المخبَّل[(١)] في شيء من الكفارات.

حدثنا هناد، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله يجزىء في شيء من الكفارات.

وقال بعضهم: لا يجزىء في الكفّارة من الرقاب إلاَّ صحيح، ويجزىء الصغير فيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: لا يجزىء في الرقبة إلاَّ صحيح.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: يجزىء المولود في الإسلام من رقبة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة. فلا يجزىء إلاَّ ما صام وصلَّى، وما كان ليس بمؤمنة فالصبيّ يجزىء.

وقال بعضهم: لا يقال للمولود رقبة إلاَّ بعد مدّة تأتي عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، قال: ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن

---

(١) المخبل: الذي به خبل، بسكون الباء، وهو قطع الرجل أو اليد. ورجل مخبل: كأنه قطعت أطرافه.

شعيب بن شابور، عن النعمان بن المنذر، عن سليمان، قال: إذا وُلد الصبيّ فهو نسمة، وإذا انقلب ظهراً لبطن فهو رقبة، وإذا صلّى فهو مؤمنة.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى عمّ بذكر الرقبة كلّ رقبة، فأيّ رقبة حرّرها المكفر يمينه في كفّارته فقد أدّى ما كلف، إلاّ ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير، فذلك خارج من حكم الآية، وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفارة بظاهر التنزيل. والمكفِّر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها بإحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه، وذلك: إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، بإجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك. فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا من أن ذلك إجماع من الجميع ليس كما قلنا لِمَا:

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيباني، قال: ثنا أبو الضحى، عن مسروق، قال: جاء نعمان بن مقرّن إلى عبد الله، فقال: إني آليت من النساء والفراش فقرأ عبد الله هذه الآية: لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ قال: فقال نعمان: إنما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية. فقال عبد الله: ائت النساء ونم وأعتق رقبة، فإنك موسر.

حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم أن سليمان الأعمش حدثه عن إبراهيم بن يزيد النخعي، عن همام بن الحرث: أن نعمان بن مقرّن سأل عبد الله بن مسعود، فقال: إني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة فقال ابن مسعود: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ﴾** كفِّر عن يمينك ونم على فراشك قال: بمَ أكفر عن يميني؟ قال: أعتق رقبة فإنك موسر.

ونحو هذا من الأخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما، فإن ذلك منهم كان على وجه الإستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه بالتكفير به من الرقاب، لا على أنه كان لا يجزى عندهم التكفير للموسر إلاّ بالرقبة، لأنه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال: لا يجزى الموسرَ التكفيرُ إلاّ بالرقبة. والجميع من علماء الأمصار قديمهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر، ففي ذلك مكتفىً عن الإستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد ﷺ

﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ يقول: فعليه صيام ثلاثة أيام.

ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ ومتى يستحقّ الحانث في يمينه الذي قد لزمته الكفارة إسم غير واجد حتى يكون ممن له الصيام في ذلك؟ فقال بعضهم: إذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه إلاَّ قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته فإن له أن يكفِّر بالصيام، فإن كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم، لزمه التكفير بالإطعام أو الكسوة ولم يجزه الصيام حينئذٍ وممن قال ذلك الشافعي. حدثنا بذلك عنه الربيع.

وهذا القول قَصَدَ إن شاء الله ممن أوجب الطعام على من كان عنده درهمان وممن أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم. وبنحو ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن المبارك، عن حماد بن سلمة، عن عبد الكريم، عن سعيد ابن جبير، قال: إذا لم يكن له إلاَّ ثلاثة دراهم أطعم. قال: يعني في الكفارة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني معتمر بن سليمان، قال: قلت لعمر بن راشد: الرجل يحلف، ولا يكون عنده من الطعام إلاَّ بقدر ما يكفِّر؟ قال: كان قتادة يقول: يصوم ثلاثة أيام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا يونس بن عبيد، عن الحسن قال: إذا كان عنده درهمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر، عن حماد، عن عبد الكريم بن أبي أمية، عن سعيد بن جبير، قال: ثلاثة دراهم.

وقال آخرون: جائز لمن لم يكن عنده مِئتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد.

وقال آخرون: جائز لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرّف به لمعاشه ما يكفِّر به بالإطعام أن يصوم، إلاَّ أن يكون له كفاية من المال ما يتصرّف به لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفِّر به عن يمينه. وهذا قول كان يقوله بعض متأخري المتفقهة.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه إلاَّ قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك، يصوم ثلاثة أيام، وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق. وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يُعتق رقبة، فلا يجزيه حينئذٍ الصوم لأن

إحدى الحالات الثلاث حينئذٍ من إطعام أو كسوة أو عتق حقّ قد أوجبه الله تعالى في ماله وجوب الدين، وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرقّ ماله بين غرمائه أنه لا يترك ذلك اليوم إلاّ ما لا بدّ له من قوته وقوت عياله يومه وليلته، فكذلك حكم المعدم بالدين الذي أوجبه الله تعالى في ماله بسبب الكفّارة التي لزمت ماله.

واختلف أهل العلم في صفة الصوم الذي أوجبه الله في كفارة اليمين، فقال بعضهم: صفته أن يكون مواصلاً بين الأيام الثلاثة غير مفرّقها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن العلاء، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: كلّ صوم في القرآن فهو متتابع إلاّ قضاء رمضان، فإنه عدّة من أيام أخر.

حدثنا أبو كريب وهناد، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: كان أبيّ بن كعب يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع ابن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب، أنه كان يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن قزعة بن سويد، عن سيف بن سليمان، عن مجاهد، قال: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن عون، عن إبراهيم، قال: في قراءتنا: «فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مُتَتَابِعاتٍ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: في قراءة أصحاب عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا هناد وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن عامر، قال: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن حميد، عن معمر، عن ابن إسحاق: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن حميد، عن معمر، عن الأعمش، قال: كان

أصحاب عبد الله يقرءون: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: سمعت سفيان، يقول: إذا فرّق صيام ثلاثة أيام لم يجزه. قال: وسمعته يقول في رجل صام في كفارة يمين ثم أفطر، قال: يستقبل الصوم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ﴾ قال: إذا لم يجد طعاماً وكان في بعض القراءة: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». وبه كان يأخذ قتادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة الأوّل فالأوّل، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فصيام ثلاثة أيام متتابعات.

وقال آخرون: جائز لمن صامهنّ أن يصومهنّ كيف شاء مجتمعات ومفترقات.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا أشهب، قال: قال مالك: كلّ ما ذكر الله في القرآن من الصيام، فأن يصام تباعاً أعجب، فإن فرّقها رجوت أن تجزي عنه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلاً، أن يكفّرها بصيام ثلاثة أيام، ولم يشرط في ذلك متتابعة، فكيفما صامهنّ المكفّر مفرّقة ومتتابعة أجزأه لأن الله تعالى إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام، فكيفما أتى بصومهنّ أجزأ. فأما ما رُوي عن أبيّ وابن مسعود من قراءتهما «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» فذلك خلاف ما في مصاحفنا، وغير جائز لنا أن نشهد بشيء ليس في مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله. غير أني أختار للصائم في كفّارة اليمين أن يتابع بين الأيام الثلاثة ولا يفرّق، لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفّارته. وهم في غير ذلك مختلفون، ففعل ما لا يختلف في جوازه أحبّ إليّ وإن كان الآخر جائزاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أيمَانِكُمْ إذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أيمَانَكُمْ كذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ هذا الذي ذكرت لكم أنه ﴿كَفَّارَةُ أيمانِكُمْ﴾ من إطعام

العشرة المساكين أو كسوتهم أو تحرير الرقبة، وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئاً هو كفارة أيمانكم التي عقدتموها ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا﴾ أيها الذين آمنوا ﴿أَيمَانَكُمْ﴾ أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ كما بين لكم كفارة أيمانكم، كذلك يبين الله لكم جميع آياته، يعني: أعلام دينه، فيوضحها لكم، لئلا يقول المضيع المفرِّط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾.

وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرّموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من أصحاب النبيّ ﷺ تشبهاً منهم بالقسيسين والرهبان، فأنزل الله فيهم على نبيه ﷺ كتابه ينهاهم عن ذلك، فقال: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ فنهاهم بذلك عن تحريم ما أحلّ الله لهم من الطيبات. ثم قال: ولا تعتدوا أيضاً في حدودي، فتحلوا ما حرّمت عليكم، فإن ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت، وإني لا أحبّ المعتدين. ثم أخبرهم عن الذي حرّم عليهم مما إذا استحلوه، وتقدّموا عليه كانوا من المعتدين في حدوده، فقال لهم: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن الخمر التي تشربونها والميسر الذي تتياسرونه والأنصاب التي تذبحون عندها والأزلام التي تستقسمون بها ﴿رِجْسٌ﴾ يقول: إثم ونَتْن، سخِطه الله وكرهه لكم ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يقول: شربكم الخمر، وقماركم على الجُزُر، وذبحكم للأنصاب، واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم، ودعائه إياكم إليه، وتحسينه لكم، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربكم، ولا مما يرضاه لكم، بل هو مما يسخطه لكم. ﴿فاجْتَنِبُوهُ﴾ يقول: فاتركوه وارفضوه، ولا تعملوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول: لكي تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم، بترككم ذلك. وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى فكرهنا إعادته. وأما الأنصاب، فإنها جمع نصب، وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما مضى.

ورُوِي عن ابن عباس في معنى الرجس في هذا الموضع، ما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ﴾ يقول: سخط.

وقال ابن زيد في ذلك، ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿رِجْسٌ مِنَ عَمَلِ الشَّيطانِ﴾ قال: الرجس: الشرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح ويحسن ذلك لكم إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح، ليعادي بعضكم بعضاً، ويبغِّضَ بعضكم إلى بعض، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان وجمعه بينكم بأخوة الإسلام. ﴿ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ يقول: ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم، وعن الصلاة التي فرضها عليكم ربكم. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؟ يقول: فهل أنتم منتهون عن شرب هذه، والمياسرة بهذا، وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها، ولزوم ذكره الذي به نجح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب، وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله ﷺ، وسأل الله تحريمها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: قال عمر: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافياً قال: فنزلت الآية التي في البقرة: يَسألُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ للنَّاسِ قال: فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية في النساء: لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنْتُمْ سُكارَى حتى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ. قال: وكان منادي النبيّ ﷺ ينادي إذا حضرت الصلاة: لا يقربنّ الصلاة السكران قال: فدُعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافياً قال: فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فلما انتهى إلى قوله: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا انتهينا

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا أبي، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة،

قال: قال عمر: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فإنها تذهب بالعقل والمال ثم ذكر نحو حديث وكيع.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: قال عمر بن الخطاب: اللهمّ بين لنا فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمر بن الخطاب، مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمر بن الخطاب، مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثني أبو معشر المدني، عن محمد بن قيس، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه الناس، وقد كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوه عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ للناسِ وإثْمُهُماأكبرُ مِنْ نَفْعِهِما فقالوا: هذا شيء قد جاء فيه رخصة، نأكل الميسر ونشرب الخمر، ونستغفر من ذلك. حتى أتى رجل صلاة المغرب، فجعل يقرأ: قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد. فجعل لا يجوّد ذلك ولا يدري ما يقرأ، فأنزل الله: يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنْتُمْ سُكارَى فكان الناس يشربون الخمر حتى يجيء وقت الصلاة فيدعون شربها، فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون. فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ. . .﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فقالوا: انتهينا يا رب

وقال آخرون: نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه كان لاَحَى رجلاً على شراب لهما، فضربه صاحبه بلَحْيِ جمل، ففزر أنفه، فنزلت فيهما. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد، أنه قال: صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا، قال: فشربنا الخمر حتى انتشينا، فتفاخرت الأنصار وقريش، فقالت الأنصار: نحن أفضل منكم. قال: فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره، فكان سعد أفزر الأنف. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ. . .﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن مصعب بن سعد، قال: قال

سعد: شربت مع قوم من الأنصار، فضربت رجلاً منهم أظنّ بفكّ جمل فكسرته، فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته، فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ...﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: شربت الخمر مع قوم من الأنصار، فذكر نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالم بن عبد الله حدثه: أن أوّل ما حرّمت الخمر، أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا، فاقتتلوا، فكسروا أنف سعد، فأنزل الله: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ...﴾ الآية.

وقال آخرون: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، عن جبير، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته، فيقول: فعل بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رءوفاً رحيماً ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، فأنزل الله: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. فقال ناس من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وقتل فلان يوم أحد، فأنزل الله: لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا... الآية.

حدثنا محمد بن خلف، قال: ثنا سعيد بن محمد الجرمي، عن أبي تميلة، عن سلام مولى حفص بن أبي قيس، عن أبي بريدة، عن أبيه، قال: بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلاًّ، إذ قمت حتى آتيَ رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ...﴾ إلى آخر الآيتين: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ،﴾ فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم، إلى قوله: ﴿فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ.﴾ قال: وبعض القوم شرْبته في يده قد شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام، ثم صبوا ما في باطيتهم، فقالوا: انتهينا ربنا، انتهينا ربَّنا

وقال آخرون: إنما كانت العداوة والبغضاء كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه

الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذي يحدث لهم من شرب الخمر، فلذلك نهاهم الله عن الميسر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع قال بشر: وقد سمعته من يزيد وحدثنيه قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزيناً سليباً ينظر إلى ماله في يدي غيره، فكانت تورث بينهم عداوةً وبغضاء، فنهى الله عن ذلك وقدّم فيه والله أعلم بالذي يُصْلح خلقه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى قد سمى هذه الأشياء التي سماها في هذه الآية رجساً وأمر باجتنابها.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر، وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعداً من الأنصاريّ عند انتشائهما من الشراب، وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يَسَرَه وبغضه. وليس عندنا بأيّ ذلك كان خبر قاطع للعذر، غير أنه أي ذلك كان، فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف، وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية، فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فرض على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الإنزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها، وخالفوا الشيطان في أمره إياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره، فإنه إنما يبغي لكم العداوة والبغضاء بينكم بالخمر والميسر. ﴿واحْذَرُوا﴾ يقول: واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عندما نهاكم عنه من هذه الأمور التي حرّمها عليكم في هذه الآية وغيرها، أو يفقدكم عندما أمركم به فتوبقوا أنفسكم وتهلكوها. ﴿فإنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ يقول: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ما جاءكم به نبيكم

﴿فاعْلَمُوا أنَّمَا على رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ﴾ يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنذارة غير إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم، مبينة لكم بياناً يوضح لكم سبيل الحقّ والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه وأما العقاب على التولية والإنتقام بالمعصية، فعلى المرسَل إليه دون الرسل. وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه، يقول لهم تعالى ذكره: **﴿فإن توليتم عن أمري ونهي، فتوقعوا عقابي واحذروا سخطي﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: **﴿إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِر والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فاجْتَنِبُوهُ﴾**: كيف بمن هلك من إخواننا وهُمْ يشربونها وبنا وقد كنا نشربها: **﴿لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾** منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم، **﴿إذَا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾** يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرّم عليهم منه وصدّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهاهم، فأطاعوهما في ذلك كله. **﴿وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم. **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا﴾** يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدّلوا. **﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وأحْسَنُوا﴾** يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان. وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم مِن الأعمال، ولكنه نوافل تقرّبوا بها إلى ربهم طلب رضاه وهرباً من عقابه. **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾** يقول: والله يحبّ المتقرّبين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها. فالإتقاء الأوّل: هو الإتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والإتقاء الثاني: الإتقاء بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير والإتقاء الثالث: هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال.

فإن قال قائل: ما الدليل على أن الإتقاء الثالث هو الإتقاء بالنوافل دون أن يكون ذلك بالفرائض؟ قيل: إنه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربي الخمر التي شربوها قبل تحريمه إياها إذا هم اتقوا الله في شربها بعد تحريمها وصدّقوا الله ورسوله في تحريمها وعملوا الصالحات من الفرائض. ولا وجه لتكرير ذلك، وقد مضى ذكره في آية واحدة.

وبنحو الذي قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه، جاءت الأخبار عن الصحابة والتابعين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السري وأبو كريب، قالا: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله، فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ...**﴾ الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله، عن إسرائيل بإسناده، نحوه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثني عبد الكبير بن عبد المجيد، قال: أخبرنا عباد بن راشد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجانة، حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر، فسمعنا منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرّمت قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال. وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا فأصبنا من طيب أمّ سليم ثم خرجنا إلى المسجد، وإذا رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...**﴾ إلى قوله: ﴿**فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ.**﴾ فقال رجل: يا رسول الله، فما منزلة من مات منا وهو يشربها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا...**﴾ الآية. فقال رجل لقتادة: سمعته من أنس بن مالك؟ قال: نعم، وقال رجل لأنس بن مالك: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وحدثني من لم يكذب، والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما حرّمت الخمر قالوا: كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا...**﴾ الآية.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: قال البراء: مات ناس من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها، قال أناس من أصحاب النبيّ ﷺ: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ...**﴾ الآية.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا داود، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: نزلت: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ فيمن قُتل ببدر وأُحد مع محمد ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا عليّ بن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ قال رسول الله ﷺ: «**قِيلَ لي أَنْتَ مِنْهُمْ**».

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في سورة المائدة بعد سورة الأحزاب، قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله ﷺ: أصيب فلان يوم بدر وفلان يوم أُحد وهم يشربونها، فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا إذَا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وأحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ يقول: شربها القوم على تقوى من الله وإحسان وهي لهم يومئذٍ حلال، ثم حرّمت بعدهم، فلا جناح عليهم في ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ قالوا: يا رسول الله، ما نقول لإخواننا الذين مضوا، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ يعني قبل التحريم إذا كانوا محسنين متقين. وقال مرّة أخرى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرّم عليهم إذا ما اتقوا وأحسنوا بعد ما حرّم وهو قوله: ﴿**فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ يعني بذلك رجالاً من أصحاب النبيّ ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرّم الخمر، فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرّم، فلما حرّمت قالوا: كيف تكون علينا حراماً وقد مات إخواننا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالى ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُواإذا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول: ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرّمها إذا كانوا محسنين متقين، والله يحب المحسنين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ لمن كان يشرب الخمر ممن قتل مع محمد ﷺ ببدر وأُحد.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿**لَيسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ. . .**﴾ الآية: هذا في شأن الخمر حين حُرّمت، سألوا نبيّ الله ﷺ، فقالوا: إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله هذه الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)**﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿**لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ**﴾ يقول: ليختبرنكم الله بشيء من الصيد، يعني: ببعض الصيد. وإنما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشيء، لأنه لم يبلهم بصيد البحر وإنما ابتلاهم بصيد البرّ، فالإبتلاء ببعض لم يمتنع. وقوله: ﴿**تَنالُه أيْدِيكُمْ**﴾ فإنه يعني: إما باليد، كالبيض والفراخ وإما بإصابة النبل والرماح، وذلك كالحمر والبقر والظباء، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجكم.

وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ**﴾ قال: ﴿**أيديكم**﴾ صغار الصيد، أخذ الفراخ والبيض. و «الرماح»، قال: كبار الصيد.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن داود، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ**﴾ قال: النبل، ورماحكم تنال كبير الصيد، وأيديكم تنال صغير الصيد، أخذ الفراخ والبيض.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد في قوله: ﴿**لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ**﴾ قال: ما لا يستطيع أن يفرّ من الصيد.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ﴾ قال: هو الضعيف من الصيد وصغيره، يبتلي الله تعالى به عباده في إحرامهم حتى لو شاءوا نالوه بأيديهم، فنهاهم الله أن يقربوه.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان الثوري، عن حميد الأعرج، وليث عن مجاهد في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ﴾ قال: الفراخ والبيض، وما لا يستطيع أن يفرّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بالغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره: ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال إحرامكم، كي يعلم أهل طاعة الله والإيمان به والمنتهون إلى حدوده وأمره ونهيه، من الذي يخاف الله، فيتقي ما نهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه بالغيب، بمعنى: في الدنيا بحيث لا يراه. وقد بينا أن الغيب إنما هو مصدر قول القائل: غاب عني هذا الأمر فهو يغيب غيباً وغيبة، وأن ما لم يعاين فإن العرب تسميه غيباً.

فتأويل الكلام إذن: ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرّمها عليه من الصيد وغيره، بحيث لا يراه ولا يعاينه.

وأما قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فإنه يعني: فمن تجاوز حدّ الله الذي حدّه له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام، فاستحلّ ما حرم الله عليه منه بأخذه وقتله ﴿فَلَهُ عَذَابٌ﴾ من الله ﴿أَلِيمٌ﴾ يعني: مؤلم موجع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ الذي بينت لكم، وهو صيد البرّ دون صيد البحر ﴿وأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ يقول: وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة والحُرُم: جمع حرام، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد، تقول: هذا رجل حَرَام وهذه امرأة حَرَام، فإذا قيل

مُحْرِم، قيل للمرأة محرمة. والإحرام: هو الدخول فيه، يقال: أحرم القوم: إذا دخلوا في الشهر الحرام، أو في الحرم. فتأويل الكلام: لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة. وقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ فإن هذا إعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القاتل من المحرمين الصيد الذي نهاه عن قتله متعمداً.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة العمد الذي أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء في قتله الصيد. فقال بعضهم: هو العمد لقتل الصيد مع نسيان قاتله إحرامه في حال قتله، وقال: إن قتله وهو ذاكر إحرامه متعمداً قتله فلا حكم عليه وأمره إلى الله. قالوا: وهذا أجلّ أمراً من أن يحكم عليه أو يكون له كفَّارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ من قتله منكم ناسياً لإحرامه متعمداً لقتله، فذلك الذي يُحكم عليه. فإن قتله ذاكراً لحُرْمه متعمداً لقتله، لم يحكم عليه.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد في الذي يقتل الصيد متعمداً، وهو يعلم أنه محرم ومتعمد قتله، قال: لا يحكم عليه، ولا حجّ له. وقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾ قال: هو العمد المكفر، وفيه الكفارة والخطأ أن يصيبه، وهو ناس إحرامه، متعمداً لقتله، أو يصيبه وهو يريد غيره، فذلك يحكم عليه مرّة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيدَ وأنْتُم حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ غير ناس لحرمه ولا مريد غيره، فقد حلّ وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفر.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾ قال: متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد، قال: العمد هو الخطأ المكفَّر.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا ليث قال: قال مجاهد: قوله الله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ

النَّعَم﴾ قال: فالعمد الذي ذكر الله تعالى أن يصيب الصيد وهو يريد غيره فيصيبه، فهذا العمد المكَفَّر فأما الذي يصيبه غيرَ ناس ولا مريد لغيره، فهذا لا يحكم عليه، [هذا من أجل٣ أن يحكم عليه].

حدثنا ابن وكيع، ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** قال: يقتله متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: قال ابن جريج: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** غير ناس لحُرمه ولا مريد غيره، فقد حلّ وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً لحرمه أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفَّر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** للصيد ناسياً لإحرامه، **﴿فمن اعْتَدَى بَعْدَ ذلك﴾** متعمداً للصيد يذكر إحرامه.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن أبي عديّ، قال: ثنا إسماعيل بن مسلم، قال: كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمداً ذاكراً لإحرامه: لم يحكم عليه. قال إسماعيل، وقال حماد عن إبراهيم، مثل ذلك.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أمرني جعفر بن أبي وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ. . .﴾** الآية، فسألته، فقال: كان عطاء يقول: هو بالخيار أيّ ذلك شاء فعل، إن شاء أهدى وإن شاء أطعم وإن شاء صام. فأخبرت به جعفراً، وقلت: ما سمعتَ فيه؟ فتلكأ ساعة ثم جعل يضحك، ولا يخبرني، ثم قال: كان سعيد بن جبير يقول: يحكم عليه من النعم هدياً بالغ الكعبة، فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه، فقوّم طعاماً فتصدّق به، فإن لم يجد عليه حكم الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال أخبرني ابن جريج، قال: قال مجاهد: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** غير ناس لحُرمه ولا مريد غيره فقد حلّ وليست له رخصة، ومن قتله ناسياً أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفَّر.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أما الذي يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرّم، فهؤلاء الذين يحكم عليهم. فأما من قتله متعمداً بعد نهي الله وهو يعرف أنه محروم وأنه حرام، فذلك يوكل إلى نقمة الله، وذلك الذي جعل الله عليه النقمة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** قال: متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه.

وقال آخرون: بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكراً لحُرمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: يحكم عليه في العمد والخطإ والنسيان.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا ابن جريج، وحدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: قال طاوس: والله ما قال الله إلاَّ: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾**.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرني بعض أصحابنا عن الزهري أنه قال: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطإ. يعني في المحرم يصيب الصيد.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ﴾** قال: إن قتله متعمداً أو ناسياً حكم عليه، وإن عاد متعمداً عجلت له العقوبة، إلاَّ أن يعفو الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، قال: إنما جعلت الكفَّارة في العمد، ولكن غلِّظ عليهم في الخطأ كي يتقوا.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو معاوية ووكيع، قالا: ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، نحوه.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: كان طاوس يقول: والله ما قال الله إلاَّ: **﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً﴾**.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله تعالى حرّم قتل صيد البرّ على كل محرم في حال إحرامه ما دام حراماً، بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾** ثم بين حكم

من قتل ما قتل من ذلك في حال إحرامه متعمداً لقتله، ولم يخصص به المتعمد قتله في حال نسيانه إحرامه، ولا المخطىء في قتله في حال ذكره إحرامه، بل عمّ في التنزيل بإيجاب الجزاء كلّ قاتل صيد في حال إحرامه متعمداً. وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب ولا خبر لرسول الله ﷺ ولا إجماع من الأمة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه. فإذ كان ذلك كذلك، فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامداً قتله ذاكراً لإحرامه، أو عامداً قتله ناسياً لإحرامه، أو قاصداً غيره فقتله ذاكراً لإحرامه، في أنَّ على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو: ﴿**مثل ما قتل من النَّعَم يحكم بِهِ ذوا عدل**﴾ من المسلمين ﴿**أو كفَّارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً**﴾ وهذا قول عطاء والزهري الذي ذكرناه عنهما، دون القول الذي قاله مجاهد.

وأما ما يلزم بالخطأ قاتله، فقد بينا القول فيه في كتابنا «كتاب لطيف القول في أحكام الشرائع» بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع. وليس هذا الموضع موضع ذكره، لأن قصدنا في هذا الكتاب الإبانة عن تأويل التنزيل، وليس في التنزيل للخطإ ذكر فنذكر أحكامه.

وأما قوله: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم**﴾ فإنه يقول: وعليه كفارة وبدل، يعني بذلك: جزاء الصيد المقتول يقول تعالى ذكره: فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول مثل ما قتل من النعم. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم».

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين: «فَجَزَاءُ مِثْلِ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم» بإضافة الجزاء إلى المثل وخفض المثل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ**﴾ بتنوين «الجزاء» ورفع «المثل» بتأويل: فعليه جزاء مثل ما قتل.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ**﴾ بتنوين «الجزاء» ورفع «المثل»، لأن الجزاء هو المثل، فلا وجه لإضافة الشيء إلى نفسه. وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بالإضافة، رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس كذلك كالذي ذهبوا إليه، بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره من النعم. وإذ كان ذلك كذلك، فالمثل هو الجزاء الذي أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد، ولن يضاف الشيء إلى نفسه، ولذلك لم يقرأ ذلك قارىء علمناه بالتنوين ونصب المثل. ولو كان المثل غير الجزاء لجاز في المثل النصب إذا نون الجزاء، كما نصب اليتيم إذ كان غير الإطعام في قوله: ﴿**أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾ وكما نصب الأموات والأحياء ونون الكفات في قوله: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وأَمْوَاتاً**﴾ إذ كان الكفات غير الأحياء والأموات. وكذلك الجزاء، لو كان غير المثل لاتسعت القراءة في المثل بالنصب إذا نوّن الجزاء، ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل، إذ كان المثل هو الجزاء، وكان معنى الكلام: ومن

قتله منكم متعمداً، فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم.

ثم اختلف أهل العلم في صفة الجزاء، وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم. فقال بعضهم: ينظر إلى أشبه الأشياء به شبهاً من النعم، فيجزيه به ويُهديه إلى الكعبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم﴾ قال: أما جزاء مثل ما قتل من النعم، فإن قتل نعامة أو حماراً فعليه بدنة، وإن قتل بقرة أو أيِّلاً أو أَرْوَى فعليه بقرة، أو قتل غزالاً أو أرنباً فعليه شاة. وإن قتل ضبًّا أو حرباء أو يربوعاً، فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن أبي مجاهد، قال: سئل عطاء: أيغرم في صغير الصيد كما يغرم في كبيره؟ قال: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾؟

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قال: عليه من النعم مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم﴾ قال: إذا أصاب المحرم الصيد وجب عليه جزاؤه من النعم، فإن وجد جزاءه ذبحه فتصدّق به، فإن لم يجد جزاءه قوّم الجزاء دراهم ثم قوّم الدراهم حنطة ثم صام مكان كلّ نصف صاع يوماً. قال: وإنما أريد بالطعام الصوم، فإذا وجد طعاماً وجد جزاء.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِياماً﴾ قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم، فإن لم يجد نظركم ثمنه قال ابن حميد: نظركم قيمته فقوّم عليه ثمنه طعاماً، فصام مكان كل نصف صاع يوماً، أو كفَّارة طعام مساكين، أو عدل ذلك صياماً. قال: إنما أريد بالطعام: الصيام، فإذا وجد الطعام وجد جزاءه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن

مقسم، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ فإن لم يجد هدياً، قوّم الهدى عليه طعاماً وصام عن كلّ صاع يومين.

حدثنا هناد. قال: عبد بن حميد، عن منصور، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ﴾ قال: إذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه، فإن لم يكن عنده قوّم عليه ثمنه طعام ثم صام لكّل نصف صاع يوماً.

حدثنا أبو كريب ويعقوب، قالا: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: ابتدرت وصاحب لي ظبياً في العقبة، فأصبته. فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له، فأقبل عليّ رجل إلى جنبه، فنظرا في ذلك، فقال: اذبح كبشاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن الشعبي، قال: أخبرني قبيصة بن جابر نحواً مما حدّث به عبد الملك.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن المسعودي، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: قتل صاحب لي ظبياً وهو محرم، فأمره عمر أن يذبح شاة، فيتصدّق بلحمها ويُسْقِي إهابها[1].

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبياً، فسأل عمر، فقال له عمر: أهد شاة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، وحدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا حصين، عن الشعبيّ، قال: قال قبيصة بن جابر: أصبت ظبياً وأنا محرم، فأتيت عمر فسألته عن ذلك، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف، فقلت: يا أمير المؤمنين إن أمره أهون من ذلك قال: فضربني بالدرّة حتى سابقته عدواً. قال: ثم قال: قتلت الصيد وأنت محرم ثم تُغمص الفتيا؟ قال: فجاء عبد الرحمن، فحكما شاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قال: إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه، فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة، فإن لم يجد

(١) يستقى إهابها: أي يعطيه لمن يجعله سقاء، والسقاء: هو ظرف الماء من الجلد.

فإطعام ستة مساكين، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، فإن قتل أيّلاً أو نحوه فعليه بقرة وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أرأيت إن قتلت صيداً فإذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله؟ قال: نعم، إن شئت. قلت: أُوفي[١] أحبّ إليك؟ قال: نعم. وقال عطاء: وإن قتلت ولد الظبي ففيه ولد شاة، وإن قتلت ولد بقرة وحشية ففيه ولد بقرة إنسية مثله، فكل ذلك على ذلك.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ**﴾: ما كان من صيد البرّ مما ليس له قرن الحمار والنعامة فعليه مثله من الإبل، وما كان ذا قرن من صيد البرّ من وعل أو أيل فجزاؤه من البقر، وما كان من ظبي فمن الغنم مثله، وما كان من أرنب ففيها ثنية، وما كان من يربوع وشبهه ففيه حمل صغير، وما كان من جرادة أو نحوها ففيه قبضة من طعام، وما كان من طير البرّ ففيه أن يقوّم ويتصدّق بثمنه، وإن شاء صام لكلّ نصف صاع يوماً. وإن أصاب فرخ طير برية أو بيضها فالقيمة فيها طعام أو صوم على الذي يكون في الطير. غير أنه قد ذكر في بيض النعام إذا إصابها المحرم أن يحمل الفحل[٢] على عدّة من أصاب من البيض على بِكارة الإبل، فما لقح منها أهداه إلى البيت، وما فسد منها فلا شيء فيه.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع، قال: أخبرني ابن جريج، قال: قال مجاهد: من قتله يعني الصيد ناسياً، أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفَّر، فعليه مثله هدياً بالغ الكعبة، فإن لم يجد ابتاع بثمنه طعاماً، فإن لم يجد صام عن كلّ مدّ يوماً. وقال عطاء: فإن أصاب إنسان نعامة، كان له إن كان ذا يسار ما شاء، إن شاء يهدي جزوراً أو عَدلها طعاماً أو عدلها صياماً، أيهنّ شاء من أجل قوله: ﴿**فَجَزَاءٌ**﴾ أو كذا قال: فكلّ شيء في القرآن أوأو، فليختر منه صاحبه ما شاء.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع، قال: أخبرني ابن جريج، قال: أخبرني الحسن بن مسلم، قال: من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعداً، فذلك الذي قال الله تعالى: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ**.﴾ وأما ﴿**كفَّارَة طَعَام**

---

(١) يريد: إن قولك أوفى أحب إليك من قولك: أغرم.

(٢) أي يحمل فحل الإبل على بكرات من الإبل، بقدر عدد البيض المصاب، فما لقح... الخ.

مَسَاكِين﴾ فذلك الذي لا يبلغ أن يكون فيه هدي، العصفور يقتل فلا يكون فيه. قال: أو عدل ذلك صياماً، عدل النعامة، أو عدل العصفور، أو عدل ذلك كله.

وقال آخرون: بل يقوَّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم، ثم يشتري القاتل بقيمته نِدًّا من النعم، ثم يهديه إلى الكعبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبدة، عن إبراهيم، قال: ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن حماد، قال: سمعت إبراهيم يقول: في كلّ شيء من الصيد ثمنه.

وأولى القولين في تأويل الآية، ما قال عمر وابن عباس ومن قال بقولهما: إن المقتول من الصيد يجزى بمثله من النعم، كما قال الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم﴾ وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ لأن الدراهم ليست من النعم في شيء.

فإن قال قائل: فإن الدراهم وإن لم تكن مثلاً للمقتول من الصيد، فإنه يشتري بها المثل من النعم، فيهديه القاتل، فيكون بفعله ذلك كذلك جازياً بما قتل من الصيد مثلاً من النعم؟ قيل له: أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً أو كبيراً أو سليماً، أو كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً بقيمته من النعم[1] إلاَّ صغيراً أو معيباً، أيجوز له أن يشتري بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه، أم لا يجوز ذلك له، وهو لا يجد إلاَّ خلافه؟ فإن زعم أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته إلاَّ مثله، تُركَ قوله في ذلك لأن أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته ذلك فيهديه إلاَّ ما يجوز في الضحايا، وإذا أجازوا شِرَى مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها وقد يكون المقتول صغيراً معيباً، أجازوا في الهدي ما لا يجوز في الأضاحي، وإن زعم أنه لا يجوز أن يشتري بقيمته فيهديه إلاَّ ما يجوز في الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلافَ لظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمداً المثل من النعم إذا وجدوه وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم وهو إلى ذلك واجد سبيلاً.

---

(١) في العبارة تكرار من الناسخ، وأصلها: أفرأيت إن كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً ولا يصيب بقيمته: الخ.

ويقال لقائل: ذلك: أرأيت إن قال قائل آخر: ما على قاتل ما لا يبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ما يجوز في الأضاحي من إطعام ولا صيام، لأن الله تعالى إنما خير قاتل الصيد من المحرمين في أحد الثلاثة الأشياء التي سماها في كتابه، فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين، لأن الخيار إنما كان له وله إلى الثلاثة سبيل فإذا لم يكن له إلى بعض ذلك سبيل بطل فرض الجزاء عنه، لأنه ليس ممن عُني بالآية نظير الذي قلت أنت إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز في الضحايا، فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه، وإنما عليه الجزاء بالإطعام أو الصيام هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير؟ فلن يقول في أحدهما قولاً إلاّ ألزم في الآخر مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ﴾.

يقول تعالى ذكره: يحكم بذلك الجزاء الذي هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم، يعني: فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل. ﴿هَدْياً﴾ يقول: يقضي بالجزاء ذوا عدل أن يُهدي فيبلغ الكعبة. والهاء في قوله «يحكم به» عائدة على الجزاء، ووجه حكم العدلين إذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه، فإن ذكر أنه أصاب ظبياً صغيراً حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذي قتله في السنّ والجسم، فإن كان الذي أصاب من ذلك كبيراً حكما عليه من الضأن بكبير، وإن كان الذي أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة إن كان الذي أصاب كبيراً من البقر، وإن كان صغيراً فصغيراً، وإن كان المقتول ذكراً فمثله من ذكور البقر، وإن كان أنثى فمثله من البقر أنثى، ثم كذلك ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد شبهاً من النعم فيحكمان عليه به كما قال تعالى.

وبمثل الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف في ذلك بينهم.

ذكر من قال ذلك بنحو الذي قلنا فيه:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: كان رجلان من الأعراب محرمَين، فأجاش أحدهما ظبياً فقتله الآخر، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف، فقال له عمر: وما ترى؟ قال: شاة. قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة فلما مضيا، قال أحدهما لصاحبه: ما درى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه. فسمعها عمر، فردّهما فقال: هل تقرآن سورة المائدة؟ فقالا: لا. فقرأها عليهما: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكمْ.﴾ ثم قال: استعنت بصاحبي هذا.

حدثنا أبو كريب ويعقوب، قالا: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك بن عمَير، عن

قبيصة بن جابر، قال: ابتدرت أنا وصاحب لي ظبياً في العقبة، فأصبته. فأتيت عمر بن الخطاب، فذكرت ذلك له، فأقبل على رجل إلى جنبه، فنظرا في ذلك. قال: فقال: اذبح كبشاً قال يعقوب في حديثه: فقال لي اذبح شاة. فانصرفت فأتيت صاحبي، فقلت: إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول فقال صاحبي: انحر ناقتك فسمعها عمر بن الخطاب، فأقبل عليّ ضرباً بالدرّة، وقال: تقتل الصيد وأنت محرم وتَغْمِصُ الفتيا إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ هذا ابن عوف وأنا عمر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن الشعبي، قال: أخبرني قبيصة بن جابر، بنحو ما حدّث به عبد الملك.

حدثنا هناد وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، عن المسعودي، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: خرجنا [حجاجاً] فكنا إذا صلينا الغداة، اقتدرنا رواحلنا نتماشى نتحدّث. قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبيٌ أو برَح، فرماه رجل منا بحجر، فما أخطأ خُشَشاءه[١]، فركب وودعه ميتاً. قال: فعظُمنا عليه فلما قدمنا مكة، خرجت معه حتى أتينا عمر، فقصّ عليه القصة، قال: وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قُلْبُ[٢] فضة يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت إلى صاحبه فكلمه قال: ثم أقبل عليَّ الرجل، قال: أعمداً قتلته أم خطأ؟ قال الرجل: لقد تعمدت رميه، وما أردت قتله. فقال عمر: ما أراك إلاَّ قد أشركت بين العمد والخطأ، اعمد إلى شاة فاذبحها، وتصدّق بلحمها، وأسق[٣] إهابها قال: فقمنا من عنده، فقلت: أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه، اعمد إلى ناقتك فانحرها ففعل ذاك. قال قبيصة: ولا أذكر الآية من سورة المائدة: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ.﴾ قال: فبلغ عمر مقالتي، فلم يفجأنا إلاَّ ومعه الدرّة، قال: فعلا صاحبي ضرباً بالدرّة، وجعل يقول: أقتلت في الحرم وسفّهت الحكم قال: ثم أقبل عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين، لا أحلّ لك اليوم شيئاً يحرم عليك مني. قال: يا قبيصة بن جابر، إني أراك شاب السنّ فسيح الصدر بَيِّن اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيّء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة، فإياك وعثرات الشباب

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن مخارق، عن طارق، قال: أوطأ أربد ضبًّا

(١) الخششاء: العظم الناتيء خلف الأذن.
(٢) القلب بضم القاف: السوار.
(٣) أي أعطه لمن يجعله سقاء للماء.

فقتله وهو محرم، فأتى عمر ليحكم عليه، فقال له عمر: احكم معي فحكما فيه جدياً قد جمع الماء والشجر، ثم قال عمر: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أصاب صيداً، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك وعنده عبد الله بن صفوان، فقال ابن عمر لابن صفوان: إما إن أقول فتصدّقني، وإما أن تقول فأصدّقك فقال ابن صفوان: بل أنت فقل فقال ابن عمر، ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا هشام، عن ابن سيرين، عن شريح، أنه قال: لو وجدت حكماً عدلاً لحكمت في الثعلب جدياً، وجديٌ أحبّ إليّ من الثعلب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن بكير، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي مجلز: أن رجلاً سأل ابن عمر عن رجل أصاب صيداً وهو محرم، وعنده ابن صفوان، فقال له ابن عمر: إما أن تقول فأصدّقك، أو أقول فتصدّقني قال: قل وأصدّقك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، قال: أخبرني ابن جرير البجلي، قال: أصبت ظبياً وأنا محرم، فذكرت ذلك لعمر، فقال: ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك فأتيت عبد الرحمن وسعيداً، فحكما عليّ تيساً أعفر. قال أبو جعفر: الأعفر: الأبيض.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بإسناده عن عمر، مثله.

حدثنا عبد الحميد، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، قال: كان رجل على ناقة وهو محرم، فأبصر ظبياً يأوي إلى أكمة، فقال: لأنظرْ أنا أسبق إلى هذه الأكمة أم هذا الظبي؟ فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها. فأتى عمر، فذكر ذلك له، فحكم عليه هو وابن عوف عنزاً عفراء. قال: وهي البيضاء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد: أن رجلاً أوطأ ظبياً وهو محرم. فأتى عمر فذكر ذلك له وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف، فأقبل على عبد الرحمن فكلمه، ثم أقبل على الرجل، فقال: أهد عنزاً عفراء

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم أنه كان يقول: ما أصاب المحرم من شيء لم يمض فيه حكومة، استقبل به، فيحكم فيه ذوا عدل.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن يعلي، عن عمرو بن حبشي قال: سمعت رجلاً يسأل عبد الله بن عمر عن رجل أصاب ولد أرنب فقال: فيه ولد ماعز فيما أرى أنا. ثم قال لي: أكذاك؟ فقلت: أنت أعلم مني. فقال: قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، وسهل بن يوسف، عن حميد، عن بكر: أن رجلين أبصرا ظبياً وهما محرمان، فتراهنا، وجعل كل واحد منهما لمن سبق إليه. فسبق إليه أحدهما، فرماه بعصاه فقتله. فلما قدما مكة، أتيا عمر يختصمان إليه وعنده عبد الرحمن بن عوف. فذكرا ذلك له، فقال عمر: هذا قمار، ولا أجيزه ثم نظر إلى عبد الرحمن، فقال: ما ترى؟ قال: شاة. فقال عمر: وأنا أرى ذلك. فلما قفَّى الرجلان من عند عمر، قال أحدهما لصاحبه: ما درى عمر ما يقول حتى سأل الرجل فردّهما عمر فقال: إن الله تعالى لم يرض بعمر وحده فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وأنا عمر، وهذا عبد الرحمن بن عوف.

وقال آخرون: بل ينظر العدلان إلى الصيد المقتول فيقوّمانه قيمته دراهم، ثم يأمران القاتل أن يشتري بذلك من النعم هدياً. فالحاكمان يحكمان في قول هؤلاء بالقيمة، وإنما يحتاج إليهما لتقويم الصيد قيمته في الموضع الذي أصابه فيه. وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي فيما مضى قبل أنه كان يقول: ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته، وهو قول جماعة من متفقهة الكوفيين.

وأما قوله: ﴿هَدْياً﴾ فإنه مصدر على الحال من الهاء التي في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾، وقوله: ﴿بالِغَ الكَعْبَةِ﴾ من نعت الهدي وصفته. وإنما جاز أن ينعت وهو مضاف إلى معرفة، لأنه في معنى النكرة، وذلك أن معنى قوله: ﴿بالِغَ الكَعْبَةِ﴾ يبلغ الكعبة، فهو وإن كان مضافاً فمعناه التنوين، لأنه بمعنى الإستقبال، وهو نظير قوله: هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا فوصف بقوله: «ممطرنا» عارضاً، لأن في «ممطرنا» معنى التنوين، لأن تأويله الإستقبال، فمعناه: هذا عارض يمطرنا، فكذلك ذلك في قوله: ﴿هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أوْ كَفَّارَةُ طَعَامُ مَساكِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: أو عليه كفارة طعام مساكين. والكفَّارة معطوفة على «الجزاء» في قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: ﴿أوْ كفَّارةُ طعَامِ مسَاكِينَ﴾ بالإضافة. وأما قرّاء أهل العراق، فإن عامتهم قرءوا ذلك بتنوين الكفَّارة ورفع الطَعام: ﴿أوْ

كَفَّارةُ طعَامُ مساكِينَ﴾.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام، للعلة التي ذكرناها في قوله: ﴿فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿أوْ كَفَّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك أن القاتل وهو محرم صيداً عمداً، لا يخلو من وجوب بعض هذه الأشياء الثلاثة التي ذكر الله تعالى من مثل المقتول هدياً بالغ الكعبة، أو طعام مساكين كفَّارة لما فعل، أو عدل ذلك صياماً، لأنه مخير في أيّ ذلك شاء فعل، وأنه بأيها كان كفر فقد أدّى الواجب عليه وإنما ذلك إعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف لن يخرج حكمه من إحدى الخلال الثلاثة. قالوا: فحكمه إن كان على المثل قادراً أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم، لا يجزيه غير ذلك ما دام للمثل واجداً. قالوا: فإن لم يكن له واجداً، أو لم يكن للمقتول مثل من النعم، فكفَّارته حينئذٍ إطعام مساكين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ أو كَفَّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ﴾ قال: إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه، فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة. فإن لم يجدها، فإطعام ستة مساكين. فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وإن قتل أيلاً أو نحوه، فعليه بقرة. فإن لم يجد، أطعم عشرين مسكيناً، فإن لم يجد صام عشرين يوماً. وإن قتل نعامة أو حمار أو وحش أو نحوه، فعليه بدنة من الإبل. فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً. والطعام مدّ مدّ يشبعهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ﴾... إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فالكفَّارة من قتل ما دون الأرنب إطعام.

حدثنا هناد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم، فإن وجد جزاء ذبحه فتصدّق به، وإن لم يجد جزاءه قوّم الجزاء دراهم، ثم قوّمت الدراهم حنطة، ثم صام مكان كلّ صاع يوماً. قال: إنما أريد بالطعام: الصوم، فإذا وجد طعاماً وجد جزاء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن زهير، عن جابر، عن عطاء ومجاهد وعامر: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ﴾ قال: إنما الطعام لمن لم يجد الهدي.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم أنه كان يقول: إذا أصاب المحرم شيئاً من الصيد عليه جزاؤه من النعم، فإن لم يجد قُوِّم الجزاء دراهم، ثم قوّمت الدراهم طعاماً، ثم صام لكلّ نصف صاع يوماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن حماد، قال: إذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه، فإن فضل منه ما لا يتمّ نصف صاع صام له يوماً، ولا يكون الصوم إلا على من لم يجد ثمن هدي فيحكم عليه الطعام. فإن لم يكن عنده طعام يتصدّق به، حكم عليه الصوم، فصام مكان كلّ نصف صاع يوماً. ﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ قال: فيما لا يبلغ ثمن هدي. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ من الجزاء إذا لم يجد ما يشتري به هدياً، أو ما يتصدّق به، مما لا يبلغ ثمن هدي، حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوماً.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قال: عليه من النعم مثله هدياً بالغ الكعبة، ومن لم يجد ابتاع بقيمته طعاماً، فيطعم كلّ مسكين مدّين، فإن لم يجد صام عن كلّ مدّين يوماً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً﴾... إلى قوله: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ قال: إذا قتل صيداً فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم، فإن لم يجد ما حكم عليه قوِّم الفداء كم هو درهماً، وقدّر ثمن ذلك بالطعام على المسكين، فصام عن كلّ مسكين يوماً، ولا يحلّ طعام المسكين، لأن من وجد طعام المسكين فهو يجد الفداء.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: قال لي الحسن بن مسلم: من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة، فذلك الذي قال الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وما كان من كفّارة طعام مساكين مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدي ﴿أو عدلُ ذلك صِيَاماً لِيَذُوقَ﴾ قال عدل النعامة أو العصفور، أو عدل ذلك كله. فذكرت ذلك لعطاء، فقال: كلّ شيء في القرآن «أو أو»، فلصاحبه أن يختار ما شاء.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، في قوله ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً

﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ فإن لم يجد جزاء، قوّم عليه الجزاء طعاماً ثم صام لكلّ صاع يومين،

وقال آخرون: معنى ذلك: أن للقاتل صيداً عمداً وهو محرم، الخيار بين إحدى الكفّارات الثلاث وهي الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم. قالوا: وإنما تأويل قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ أوْ كَفَّارَةٌ طعَامُ مَساكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾ فعليه أن يجزي بمثله من النعم، أو يكفّر بإطعام مساكين أو بعدل الطعام من الصيام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، في قول الله تعالى: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الكَعْبَة أوْ كَفَّارَةٌ طعَامُ مَساكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾** قال: إن أصاب إنسان محرم نعامة، فإن له إن كان ذا يسار أن يهدي ما شاء جزوراً أو عدلها طعاماً أو عدلها صياماً. قال: كلّ شيء في القرآن «أو أو»، فليختر منه صاحبه ما شاء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، في قوله: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾** قال: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا»، فصاحبه فيه بالخيار، أيّ ذلك شاء فعل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أسباط وعبد الأعلى، عن داود، عن عكرمة، قال: ما كان في القرآن «أو أو»، فهو فيه بالخيار، وما كان «فمن لم يجد» فالأوّل، ثم الذي يليه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن عمرو، عن الحسن، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا ليث، عن عطاء ومجاهد، أنهما قالا في قوله: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾** قالا: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا»، فصاحبه فيه بالخيار أي ذلك شاء فعل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا»، فصاحبه فيه بالخيار، أيّ ذلك شاء فعل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو حمزة، عن الحسن. قال: وأخبرنا عبيدة، عن إبراهيم قالا: كلّ شيء في القرآن «أو أو»، فهو بالخيار، أيّ ذلك شاء فعل.

حدثنا هناد، قال: ثنا حفص، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كل شيء في القرآن «أو أو» فصاحبه مخير فيه، وكلّ شيء فمن لم يجد فالأول، ثم الذي يليه.

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة في صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصوم إذا اختار الكفَّارة بأحدهما دون الهدي، فقال بعضهم: إذا اختار التكفير بذلك، فإن الواجب عليه أن يقوّم المثل من النعم طعاماً، ثم يصوم مكان كلّ مدّ يوماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: أخبرنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾؟ قال: إن أصاب ما عدله شاة أقيمت الشاة طعاماً، ثم جعل مكان كلّ مدّ يوماً يصومه.

وقال آخرون: بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم، أن يقوِّم الصيد المقتول طعاماً، ثم يتصدق بالطعام إن اختار الصدقة، وإن اختار الصوم صام.

ثم اختلفوا أيضاً في الصوم، فقال بعضهم: يصوم لكلّ مدّ يوماً. وقال آخرون: يصوم مكان كلّ نصف صاع يوماً. وقال آخرون: يصوم مكان كلّ صاع يوماً.

ذكر من قال: المتقوّم للإطعام هو الصيد المقتول:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا شعبة، عن قتادة: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾... الآية، قال: كان قتادة يقول: يحكمان في النعم، فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك، نظروا ثمنه فقوّموه طعاماً، ثم صام مكان كلّ صاع يومين.

وقال آخرون: لا معنى للتكفير بالإطعام، لأن من وجد سبيلاً إلى التكفير بالإطعام، فهو واجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً، ومن وجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً لم يجزه التكفير بغيره. قالوا: وإنما ذكر الله تعالى ذكرهِ الكفَّارة بالإطعام في هذا الموضع ليدلّ على صفة التكفير بالصوم لا أنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفَّارات التي يكفر بها قتل الصيد، وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في قوله الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أن يكون مراداً به: فعلى قاتله متعمداً مثل الذي قتل من النعم، لا القيمة إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم وذلك أن القيمة إنما هي من الدنانير أو الدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل، والله

تعالى إنما أوجب الجزاء مثلاً من النعم.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في قوله: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾: أن يكون تخييراً، وأن يكون للقاتل الخيار في تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأيّ هذه الكفارات الثلاث شاء، لأن الله تعالى جعل ما أوجب في قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله، وتكفيراً لذنبه في إتلافه ما أتلف من الصيد الذي كان حراماً عليه إتلافه في حال إحرامه، وقد كان حلالاً له قبل حال إحرامه، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك في حلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال إحرامه، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه، ثم منع من حلقه في حال إحرامه نظير الصيد، ثم جعل عليه إن حلقه جزاء من حلقه إياه، فأجمع الجميع على أنه في حلقه إياه إذا حلقه من إيذائه مخير في تكفيره، فعليه ذلك بأيّ الكفارات الثلاث شاء، فمثله إن شاء الله قاتل الصيد من المحرمين، وأنه مخير في تكفيره قتله الصيد بأيّ الكفارات الثلاث شاء، لا فرق بين ذلك. ومن أبى ما قلنا فيه، قيل له: حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم، أو كفَّارة طعام مساكين، أو عدله صياماً، كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك، فزعمت أن أحدهما مخير في تكفير ما جعل منه، عوض بأيّ الثلاث شاء، وأنكرت أن يكون ذلك للآخر، فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر في ذلك فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير؟ فلن يقول في أحدهما قولاً، إلا ألزم في الآخر مثله.

ثم اختلفوا في صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام، فقال بعضهم: يقوّم الصيد قيمته بالموضع الذي أصابه فيه، وهو قول إبراهيم النخعي، وحماد، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى بما يدلّ على ذلك، وهو نصّ قول أبي حنيفة وأصحابه.

وقال آخرون: بل يقوّم ذلك بسعر الأرض التي يكفِّر بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال في محرم أصاب صيداً بخراسان، قال: يكفِّر بمكة أو بمنى، وقال: يقوّم الطعام بسعر الأرض التي يكفِّر بها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن الشعبي، في رجل أصاب صيداً بخراسان، قال: يحكم عليه بمكة.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النعم، فإنما يجزيه بنظيره في خلق وقدره في جسمه من أقرب الأشياء به شبهاً من الأنعام، فإنْ جزاه بالإطعام قوّمه قيمته بموضعه الذي أصابه فيه، لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام، ثم إن شاء أطعم بالموضع الذي أصابه فيه وإن شاء بمكة وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء لأن الله تعالى إنما شرط بلوغ الكعبة بالهدي في قتل الصيد دون غيره من جزائه، فللجازي بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا ابن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: ما كان من دم فبمكة، وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء.

وقد خالف ذلك مخالفون، فقالوا: لا يجزىء الهدى والإطعام إلا بمكة، فأما الصوم فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن حماد بن سلمة، عن قيس بن سعد، عن عطاء، قال: الدم والطعام بمكة، والصيام حيث شاء.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مالك بن مغول، عن عطاء، قال: كفَّارة الحجّ بمكة.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: قلت: لعطاء: أين يتصدّق بالطعام إن بدا له؟ قال: بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدي، قال: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ﴾** من أجل أنه أصابه في حرم يريد البيت فجزاؤه عند البيت.

فأما الهدي، فإنه من جرّاء ما قتل من الصيد، فلن يجزئه من كفَّارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة طيباً، وينحره أو يذبحه، ويتصدّق به على مساكين الحرم. ويعني بالكعبة في هذا الموضع: الحرم كله، ولمن قدم بهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره في كلّ وقت شاء قبل يوم النحر وبعده، ويطعمه وكذلك إن كفَّر بالطعام فله أن يكفِّر به متى أحبّ وحيث أحبّ، وإن كفَّر بالصوم فكذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، خلا ما ذكرنا من اختلافهم في التكفير بالإطعام على ما قد بينا فيما مضى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿**أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً**﴾ هل لصيامه وقت؟ قال: لا، إذا شاء وحيث شاء، وتعجيله أحبّ إليّ.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: رجل أصاب صيداً في الحجّ أو العمرة، فأرسل بجزائه إلى الحرم في المحرّم أو غيره من الشهور، أيجزىء عنه؟ قال: نعم ثم قرأ: ﴿**هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ**﴾ قال هناد: قال يحيى: وبه نأخذ.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج وابن أبي سليم، عن عطاء، قال: إذا قدمت مكة بجزاء صيد فانحره، فإن الله تعالى يقول: ﴿**هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ**﴾ إلا أن يقدّم في العشر، فيؤخر إلى يوم النحر.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثنا ابن جريج، عن عطاء، قال: يتصدّق الذي يصيب الصيد بمكة، فإن الله تعالى يقول: ﴿**هدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: أو على قاتل الصيد محرماً عدل الصيد المقتول من الصيام، وذلك أن يقوّم الصيد حيّاً غير مقتول من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كلّ مدّ يوماً وذلك أن النبيّ ﷺ عدل المدّ من الطعام بصوم يوم في كفّارة المواقع في شهر رمضان.

فإن قال قائل: فهلاً جعلت مكان كلّ صاع في جزاء الصيد صوم يوم قياساً على حكم النبي ﷺ في نظيره، وذلك حكمه على كعب بن عجرة، إذ أمره أن يطعم إن كفر بالإطعام فَرْقاً من طعام وذلك ثلاثة آصع بين ستة مساكين، فإن كفَّر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام، فجعل الأيام الثلاثة في الصوم عدلاً من إطعام ثلاثة آصع، فإن ذلك بالكفارة في جزاء الصيد أشبه من الكفارة في قتل الصيد بكفارة المواقع[1] امرأته في شهر رمضان؟ قيل: إن القياس إنما هو ردّ الفروع المختلف فيها إلى نظائرها من الأصول المجمع عليها، ولا خلاف بين الجميع من الحجة، أنه لا يجزىء مكفرًا كفَّر في قتل الصيد بالصوم، أن يعدل صوم يوم بصاع طعام. فإن كان ذلك كذلك، وكان غير جائز خلافها فيما حدّث به من الدين مجمعة عليه صحّ بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام في قتل الصيد مخالف حكم معادلته إياه في كفَّارة الحلق، إذا كان غير جائز، وداخل على آخر قياساً وإنما يجوز أن يقاس الفرع على الأصل، وسواء قال قائل:

(١) في التركيب تشويش، ومراده أن إلحاق كفارة الصيد بكفارة الحلق أشبه من إلحاقها بكفارة المواقع.

هلا رددت حكم الصوم في كفّارة قتل الصيد على حكمه في حلق الأذى فيما يعدل به من الطعام وآخر قال: هلا رددت حكم الصوم في الحلق على حكمه في كفّارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام، فتوجب عليه مكان كل مدّ، أو مكان كل نصف صاع صوم يوم.

وقد بينا فيما مضى قبل أن العَدْل في كلام العرب بالفتح، وهو قدر الشيء من غير جنسه، وأن العِدْل هو قدره من جنسه. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: العَدْل مصدر من قول القائل: عَدَلْت بهذا عَدْلاً حسناً. قال: والعَدْل أيضاً بالفتح: المثل، ولكنهم فرّقوا بين العدل في هذا وبين عِدْل المتاع، بأن كسروا العين من عِدْل المتاع، وفتحوها من قولهم: وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾ كما قالوا: امرأة رزان، وحَجَر رزين.

وقال بعضهم: العَدْل: هو القسط في الحقّ، والعِدْل بالكسر: المثل، وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى. وأما نصب «الصيام» فإنه على التفسير كما يقال عندي ملء زقّ سمناً، وقدر رطل عسلاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما عَدل ذلك صياماً؟ قال: عَدْل الطعام من الصيام. قال: لكلّ مدّ يوماً يؤخذ زعم بصيام رمضان وبالظهار. وزعم أن ذلك رأى يراه ولم يسمعه من أحد، ولم تمض به سنة. قال: ثم عاودته بعد ذلك بحين، قلت: ما عدل ذلك صياماً؟ قال: إن أصاب ما عدله شاة، قوّمت طعاماً ثم صام مكان كلّ مدّ يوماً. قال: ولم أسأله: هذا رأي أو سنة مسنونة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾ قال: يصوم ثلاثة أيام، إلى عشرة أيام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن حماد: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾ من الجزاء إذا لم يجد ما يشتري به هدياً أو ما يتصدّق به مما لا يبلغ ثمن هدي، حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوماً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾ قال: إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه، فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين، فإن لم

يجد فصيام ثلاثة أيام. وإن قتل أيّلاً أو نحوه فعليه بقرة، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً، فإن لم يجد صام عشرين يوماً وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه، فعليه بدنة من الإبل، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً، والطعام مدّ مدّ يشبعهم.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية شاة، أو البقرة أو البدنة، فإن لم يجد فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة؟ قال: ثمن ذلك فإن لم يجد ثمنه قوّم ثمنه طعاماً يتصدّق به لكلّ مسكين مدّ، ثم يصوم لكلّ مدّ يوماً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: أوجبت على قاتل الصيد محرماً ما أوجبت من الحقّ أو الكفّارة الذي ذكرت في هذه الآية، كي يذوق وبال أمره وعذابه، يعني «بأمره»: ذنبه وفعله الذي فعله من قتله ما نهاه الله عزّ وجلّ عن قتله في حال إحرامه يقول: فألزمته الكفّارة التي ألزمته إياها، لأذيقه عقوبة ذنبه بإلزامه الغرامة، والعمل ببدنه مما يتعبه ويشقّ عليه. وأصل الوبال: الشدّة في المكروه. ومنه قول الله: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

وقد بين تعالى ذكره بقوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أن الكفّارات اللازمة الأموال والأبدان عقوبات منه لخلقه، وإن كانت تمحيصاً لهم، وكفّارة لذنوبهم التي كفّروها بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما وَبال أمره، فعقوبة أمره.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

يقول جلّ ثناؤه لعباده المؤمنين به ورسوله ﷺ: عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم من إصابتكم الصيد وأنتم حرم وقتلكموه، فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم، ولا يلزمكم له كفّارة في مال ولا نفس، ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره وقبل تحريمه عليه من استحلاله قتله، فينتقم الله منه.

وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه: من عاد لقتله بعد تحريمه في الإسلام فينتقم الله منه في الآخرة، فأما في الدنيا فإن عليه من الجزاء والكفّارة فيها ما بينت.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما **﴿عَفَا اللَّهُ عمَّا سَلَفَ﴾**؟ قال: عما كان في الجاهلية، قال: قلت: وما **﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾**؟ قال: من عاد في الإسلام، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفَّارة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء، فذكر نحوه، وزاد فيه، وقال: وإن عاد فقتل عليه الكفَّارة. قلت: هل في العود من حدّ بعلم؟ قال: لا، قلت: فترى حقاً على الإمام أن يعاقبه؟ قال: هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله، ولكن يفتدي.

حدثنا سفيان، قال: ثنا محمد بن بكر، وأبو خالد، عن ابن جريج، عن عطاء: **﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾** قال: في الإسلام، وعليه مع ذلك الكفَّارة، قلت: عليه من الإمام عقوبة؟ قال: لا.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء: **﴿عَفا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾** عما كان في الجاهلية، **﴿وَمَنْ عادَ﴾** قال: في الإسلام، **﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾** وعليه الكفَّارة. قال: قلت لعطاء: فعليه من الإمام عقوبة؟ قال: لا.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: يحكم عليه في الخطإ والعمد والنسيان وكلما أصاب قال الله عزّ وجلّ: **﴿عَفا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾** قال: ما كان في الجاهلية، **﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾** مع الكفَّارة. قال سفيان: قال ابن جريج: فقلت: أيعاقبه السلطان؟ قال: لا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر وأبو خالد، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: **﴿عَفا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾**؟ قال: عما كان في الجاهلية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن عطاء بن أبي رباح، أنه قال: يحكم عليه كلما عاد.

حدثنا هناد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: كلما أصاب المحرم الصيد ناسياً حكم عليه.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كلما أصاب الصيد المحرم حكم عليه.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، قال: من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه.

حدثنا عمرو، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير، قال: يحكم عليه فيخلع، أو يترك.

حدثنا عمرو، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير: الذي يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود؟ قال: يحكم عليه.

حدثنا عمرو، قال: ثنا كثير بن هشام، قال: ثنا الفرات بن سليم، عن عبد الكريم، عن عطاء، قال: يحكم عليه كلما عاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية، ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه بإلزامه الكفَّارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو، عن زهير، عن سعيد بن جبير وعطاء، في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ قالا: ينتقم الله، يعني بالجزاء. ﴿عفا الله عَمَّا سَلَفَ﴾ في الجاهلية.

وقال آخرون: في ذلك: عفا الله عما سلف مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلَ منكم الصيد حراماً في أوّل مرّة، ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراماً، فالله وليّ الإنتقام منه دون كفَّارة تلزمه لقتله إياه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم، حكم عليه فيه مرّة واحدة، فإن عاد يقال له: ينتقم الله منك، كما قال الله عزّ وجلّ.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه، فإن عاد لم يحكم عليه، وكان ذلك إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقام﴾.

حدثنا هناد، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: جاء رجل إلى شريح، فقال: إني أصبت صيداً وأنا محرم. فقال: هل أصبت قبل ذلك شيئاً؟ قال: لا. قال: لو قلت نعم وكلتك إلى الله، يكون هو ينتقم منك، إنه عزيز ذو انتقام قال داود: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: بل يحكم عليه، أو يخلع.

حدثني أبو السائب وعمرو بن عليّ، قالا: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: إذا أصاب الرجل الصيد وهو محرم، وقيل له أصبت صيداً مثل هذا؟ قال: فإن قال: نعم، قيل له: اذهب، فينتقم الله منك وإن قال لا، حكم عليه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم في الذي يقتل الصيد، ثم يعود، قال: كانوا يقولون: من عاد لا يحكم عليه، أمره إلى الله عزّ وجلّ.

حدثنا عمرو، قال: ثنا ابن عيينة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: أن رجلاً أتى شريحاً، فقال: أصبت صيداً. قال: أصبت قبله صيداً؟ قال: لا، قال: أما إنك لو قلت نعم، لم أحكم عليك.

حدثنا عمرو، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا داود، عن الشعبيّ، عن شريح، مثله.

حدثنا عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن الأشعث، عن محمد، عن شريح في الذي يصيب الصيد، قال: يحكم عليه، فإن عاد انتقم الله منه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عنبسة، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾قال: يحكم عليه في العمد مرّة واحدة، فإن عاد لم يحكم عليه وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، ويحكم عليه في الخطأ أبداً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، قال: رخص في قتل الصيد مرّة، فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عديّ جميعاً، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، فيمن أصاب صيداً، فحكم عليه، ثم عاد، قال: لا يحكم، ينتقم الله منه.

حدثنا عمرو، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً﴾ يقول: متعمداً لقتله ناسياً لإحرامه، فذلك الذي يحكم عليه، فإن عاد لا يحكم عليه، وقيل له: ينتقم الله منك.

حدثنا عمرو، قال: ثنا كثير بن هشام، قال: ثنا الفرات بن سليم، عن عبد الكريم، عن مجاهد: إن عاد لم يحكم عليه، وقيل له: ينتقم الله منك.

حدثنا عمرو، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا الأشعث، عن الحسن في الذي يصيب الصيد، فيحكم عليه ثم يعود، قال: لا يحكم عليه.

وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم، ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه عالماً بتحريمه ذلك عليه، عامداً لقتله، ذاكراً لإحرامه، فإن الله هو المنتقم منه، ولا كفّارة لذنبه ذلك، ولا جزاء يلزمه له في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ قال: من عاد بعد نهي الله بعد أن يعرف أنه محرّم وأنه ذاكر لحرمِه لمْ ينبغ لأحد أن يحكم عليه، ووكلوه إلى نقمة الله عزّ وجلّ. فأما الذي يتعمد قتل الصيد وهو ناس لحرمه، أو جاهل أن قتله محرّم، فهؤلاء الذين يحكم عليهم. فأما من قتله متعمداً بعد نهي الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام، فذلك يوكل إلى نقمة الله، فذلك الذي جعل الله عليه النقمة. وهذا شبيه بقول مجاهد الذي ذكرناه قبل.

وقال آخرون: عُني بذلك شخص بعينه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: ثنا زيد أبو المعلى: أن رجلاً أصاب صيداً وهو محرم، فتجوّز له عنه. ثم عاد، فأرسل عليه ناراً فأحرقته، فذلك قوله: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ قال: في الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قول من قال: معناه: ومن عاد في الإسلام لقتله بعد نهي الله تعالى عنه، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفّارة، لأن الله عز وجل إذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا، وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمداً ما أوجب من الجزاء أو الكفّارة بقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أنه قد أزال عنه الكفّارة في المرّة الثانية والثالثة، بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمداً، ثم

أخبر أنه منتقم ممن عاد، ولم يقل: ولا كفَّارة عليه في الدنيا.

فإن ظنّ ظانّ أن الكفَّارة مزيلة للعقاب، ولو كانت الكفَّارة لازمة له في الدنيا لبطل العقاب في الآخرة، فقد ظنّ خطأ. وذلك أن الله عزّ وجلّ أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء، وأحبّ فيزيد في عقوبته على بعض معاصيه مما ينقص من بعض، وينقص من بعض مما يزيد في بعض، كالذي فعل من ذلك في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر والزاني الثيب المحصن، وبين سارق ربع دينار وبين سارق أقلّ من ذلك فكذلك خالف بين عقوبته قاتل الصيد من المحرمين عمداً ابتداء وبين عقوبته عوداً بعد بدء، فأوجب على البادىء المثل من النعم، أو الكفَّارة بالإطعام، أو العدل من الصيام، وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله: ﴿لِيذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ﴾ وجعل على العائد بعد البدء، وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل من الإنتقام تغليظاً منه للعود بعد البدء. ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة، لوجب أن لا يكون حدّ في شيء مخالفاً حدّاً في غيره، ولا عقاب في الآخرة أغلظ من عقاب، وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان.
وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك: ومن عاد في الإسلام بعد نهي الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم، فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم، وذلك قتله على استحلال قتله. قال: فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه، وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الإستحلال، فعليه الجزاء والكفَّارة كلما عاد. وهذا قول لا نعلم قائلاً قاله من أهل التأويل، وكفي خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو لم يكن على خطئه دلالة سواه، فكيف وظاهر التنزيل ينبىء عن فساده؟ وذلك أن الله عمّ بقوله: ﴿وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنهُ﴾ كل عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أوّل الآية، ولم يخصّ به عائداً منهم دون عائد، فمن ادّعي في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له.

وأما من زعم أن معنى ذلك: ومن عاد في قتله متعمداً بعد بدء لقتل تقدّم منه في حال إحرامه فينتقم الله منه، فإن معنى قوله: ﴿عَفا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ إنما هو: عفا عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءاً، فإن في قول الله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ﴾ دليلاً واضحاً على أن القول في ذلك غير ما قال لأن العفو عن الجرم ترك المؤاخذة به، ومن أذيق وبال جرمه فقد عوقب به، وغير جائز أن يقال لمن عوقب قد عفي عنه، وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أوّل مرّة قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفَّارة، وعفى له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عزّ وجلّ أن يعاقبه به؟ قيل له: فإن كان ذلك جائزاً أن يكون تأويل الآية عندك وإن كان مخالفاً لقول أهل التأويل، فما ينكر أن يكون الإنتقام الذي أوعده الله على العود بعد البدء، هو تلك الزيادة التي

عفاها عنه في أوّل مرّة مما كان له فعله به مع الذي أذاقه من وبال أمره، فيذيقه في عوده بعد البدء وبال أمره الذي أذاقه المرّة الأولى، ويترك عفوه عما عفا عنه في البدء، فيؤاخذه به؟ فلم يقل في ذلك شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ﴾.

يقول عزّ وجلّ: والله منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يمنعه من الإنتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزّة والمنعة. وأما قوله: ﴿ذُو انْتِقامٍ﴾ فإنه يعني به: معاقبته لمن عصاه على معصيته إياه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿صَيْدُ البَحْرِ﴾ وهو ما صيد طريا. كما:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال عمر بن الخطاب في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ قال: صَيْدُه: ما صِيدَ منه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، قال: حُدثت، عن ابن عباس، قال: خطب أبو بكر الناس، فقال: أحلّ لكم صيد البحر. قال: فَصْيدُه: ما أخذ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ قال: صيده: ما صيد منه.

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي، قال: ثنا محمد بن سلمة الحراني، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ قال: صَيْدُهُ الطريّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الهذيل بن هلال، قال: ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ قال: صَيْدُه: ما صِيدَ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ قال: الطريّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا الحسن بن عليّ الجعفي أو الحسين، شكّ أبو جعفر عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، قال: كان ابن عباس يقول: صيد البحر: ما اصطاده.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال: الطري.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن الحجاج، عن العلاء بن بدر، عن أبي سلمة، قال: صيد البحر: ما صيد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال: الطريّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال: السمك الطريّ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أما صيد البحر: فهو السمك الطريّ، هي الحيتان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: صيده: ما اصطدته طريًّا. قال معمر: وقال قتادة: صيده: ما اصطدته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال: حيتانه.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمر بن أبي سلمة، قال: سئل سعيد عن صيد البحر، فقال: قال مكحول: قال زيد بن ثابت: صَيْدُه: ما اصطدتَ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: يصطاد المحرم والمحلّ من البحر، ويأكل من صيده.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، قال: قال أبو بكر: طعام البحر: كلّ ما فيه. وقال جابر بن عبد الله: ما حصر عنه فكُلْ. وقال: كل ما فيه يعني: جميع ما صيد.

حدثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، سمع عكرمة يقول: قال أبو بكر: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: هو كل ما فيه.

وعنى بالبحر في هذا الموضع: الأنهار كلها والعرب تسمي الأنهار بحاراً، كما قال تعالى ذكره: ﴿ظَهَرَ الفَسادُ في البَرّ والبَحْرِ﴾.

فتأويل الكلام: أحلّ لكم أيها المؤمنون طريّ سمك الأنهار الذي صدتموه في حال حلكم وحرمكم، وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رمي به إلى ساحله.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَطَعامُهُ﴾ فقال بعضهم: عُني بذلك: ما قذف به إلى ساحله ميتاً، نحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، قال: حدثت، عن ابن عباس، قال: خطب أبو بكر الناس، فقال: أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم، وطعامُه: ما قذف.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: كنت بالبحرين، فسألوني عما قذف البحر، قال: فأفتيتهم أن يأكلوا. فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكرت ذلك له، فقال لي: بم أفتيتهم؟ قال: قلت: أفتيتهم أن يأكلوا، قال: لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرّة. قال: ثم قال: إن الله تعالى قال في كتابه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ فصيده: ما صيد منه، وطعامه: ما قذف.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ﴾ قال: طعامه: ما قذف.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ﴾ قال: طعامه: ما قذف.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين بن عليّ، عن زائدة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: طعامه: كلّ ما ألقاه البحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا الحسن بن عليّ أو الحسين بن عليّ الجعفي، شكّ أبو جعفر عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: طعامه: ما لفظ من ميتته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الهذيل بن هلال، قال: ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير، عن ابن عباس: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ**﴾ قال: طعامه: ما وجد على الساحل ميتاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، قال: طعامه: ما قذف به.

حدثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، سمع عكرمة يقول: قال أبو بكر رضي الله عنه: ﴿**وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ**﴾ قال: طعامه: هو كلّ ما فيه.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو بكر: ﴿**وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ**﴾ قال: طعامه: ميتته. قال عمرو: وسمع أبا الشعثاء يقول: ما كنت أحسب طعامه إلا مالحه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ**﴾ قال: طعامه: ميتته.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عثمان، عن عكرمة: ﴿**وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ**﴾ قال: طعامه: ما قذف.

حدثنا بن عبد الأعلى، قال: ثنا معمر بن سليمان، قال: سمعت عبيد الله، عن نافع، قال: جاء عبد الرحمن إلى عبد الله، فقال: البحر قد ألقى حيتاناً كثيرة، قال: فنهاه عن أكلها، ثم قال: يا نافع هات المصحف فأتيته به، فقرأ هذه الآية: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ**﴾ قال: قلت: طعامه: هو الذي ألقاه. قال: فالحقه، فمره بأكله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر، فقال: إن البحر قذف حيتاناً كثيرة ميتة أفنأكلها؟ قال: لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى أهله، أخذ المصحف، فقرأ سورة المائدة، فأتى على هذه الآية: ﴿**وَطَعامُهُ**

﴿مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: اذهب، فقل له: فليأكله، فإنه طعامه

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، بنحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن عكرمة، مولى ابن عباس، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: ميتته، قال عمرو: سمعت أبا الشعثاء يقول: ما كنت أحسب طعامه: إلا مالحه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج، قال: أخبرنا نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر، أميتة هي؟ قال: نعم فنهاه عنها. ثم دخل البيت، فدعا بالمصحف، فقرأ تلك الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: طعامه: كل شيء أخرج منه فكُلْه فليس به بأس، وكل شيء فيه يؤكل ميتاً أو بساحله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، قال قتادة: طعامه: ما قذف منه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد، عن ليث، عن شهر، عن أبي أيوب، قال: ما لفظ البحر فهو طعامه، وإن كان ميتاً.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن ليث، عن شهر، قال: سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً﴾ قال: هو ما لفظ البحر.

وقال آخرون: عني بقوله: ﴿وَطَعامُهُ﴾: المليح من السمك. فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم: أحلّ لكم سمك البحر ومليحه في كلّ حال، إحلالكم وإحرامكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقي، قال: ثنا محمد بن سلمة، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَطَعامُهُ﴾ قال: طعامه المالح منه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ يعني بطعامه: مالحه، وما قذف البحر من مالحه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،

عن ابن عباس: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ وهو المالح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن مجمع التيمي، عن عكرمة، في قوله: ﴿مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: المليح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن سالم الأفطس وأبي حصين، عن سعيد بن جبير، قال: المليح.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: المليح وما لفظ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سالم، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: يأتي الرجل أهل البحر فيقول: «أطعموني»، فإن قال: «غريضاً»، ألقوا شبكتهم فصادوا له، وإن قال: «أطعموني من طعامكم»، أطعموه من سمكهم المالح.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل: عن عطاء، عن سعيد: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ﴾ قال: المنبوذ، السمك المالح.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ قال: المالح.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وطَعَامُهُ﴾ قال: هو مالحه. ثم قال: ما قذف.

حدثنا ابن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَطَعامُهُ﴾ قال: مملوح السمك.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرني الثوري، عن منصور، قال: كان إبراهيم يقول: طعامه: السمك المليح. ثم قال بعدُ: ما قذف به.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، قال: ﴿طَعَامُهُ﴾: المليح.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا إسرائيل، عن عبد الكريم، عن

مجاهد، قال: ﴿طَعَامُهُ﴾: السمك المليح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: الصير. قال شعبة: فقلت لأبي بشر: ما الصِّير؟ قال: المالح.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا هشام بن الوليد، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: الصِّير. قال: قلت: ما الصير؟ قال: المالح.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: أما طعامه فهو المالح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: طعامه: ما تزوّدت مملوحاً في سفرك.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي، قالا: ثنا سفيان بن عمر، قال: قال جابر بن زيد: كنا نتحدّث أن طعامه مليحه، ونكره الطافي منه.

وقال آخرون: ﴿طَعَامُهُ﴾: ما فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، قال: طعام البحر: ما فيه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن حريث، عن عكرمة: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: ما جاء به البحر بوجه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن حسن بن صالح، عن ليث، عن مجاهد، قال: طعامه: كلّ ما صيد منه.

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، قول من قال: طعامه: ما قذفه البحر أو حسر عنه فوجد ميتاً على ساحله. وذلك أن الله تعالى ذكر قبله صيد الذي يصاد، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يصد منه، فقال: أحلّ لكم صيدُ ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه. وأما المليح، فإنه ما كان منه ملّح بعد الاصطياد، فقد دخل في جملة قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ فلا وجه لتكريره، إذ لا فائدة فيه. وقد أعلم

عباده تعالى إحلاله ما صيد من البحر بقوله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك: ومليحه الذي صيد حلال لكم، لأن ما صيد منه فقد بين تحليله طرياً كان أو مليحاً بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ﴾ والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة.

وقد رُوِي عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا خبر، وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة، وذلك ما:

حدثنا به هناد بن السريّ، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: «طَعَامُهُ: ما لَفَظَهُ مَيْتاً فَهُوَ طَعَامُهُ».

وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ قال: طعامه: ما لفظه ميتاً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مَتاعاً لَكُمْ﴾ منفعة لمن كان منكم مقيماً أو حاضراً في بلده يستمتع بأكله وينتفع به. ﴿وللسَّيَّارة﴾ يقول: ومنفعة أيضاً ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض، ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحاً. والسيَّارة: جمع سيَّار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرني أبو إسحاق، عن عكرمة، أنه قال في قوله: ﴿مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: لمن كان بحضرة البحر، ﴿وللسَّيَّارَةِ﴾ السفر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسيَّارَةِ﴾ ما قذف البحر، وما يتزوّدون في أسفارهم من هذا المالح. يتأوّلها على هذا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾: مملوح السمك ما يتزوّدون في أسفارهم.

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقي، قال: ثنا مسكين بن بكير، قال: ثنا عبد السلام بن حبيب النجاري، عن الحسن في قوله: ﴿وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: هم المحرمون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ أما طعامه: فهو المالح منه، بلاغ يأكل منه السيَّارة في الأسفار.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: طعامه: مالحه وما قذف البحر منه يتزوّده المسافر. وقال مرّة أخرى: مالحه وما قذفه البحر، فمالحه يتزوّده المسافر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ يعني المالح فيتزوّده.

وكان مجاهد يقول في ذلك بما:

حدثني محمد بن عمر، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال: أهل القرى، ﴿وللسيَّارة﴾: أهل الأمصار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿مَتاعاً لَكُمْ﴾ قال لأهل القرى، ﴿وللسَّيَّارَةِ﴾: قال: أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم.

وهذا الذي قاله مجاهد من أن السيارة هم أهل الأمصار لا وجه له مفهوم، إلا أن يكون أراد بقوله هم أهل الأمصار: هم المسافرون من أهل الأمصار، فيجب أن يدخل في ذلك كلّ سيارة من أهل الأمصار كانوا أو من أهل القُرى، فأما السيَّارة فلا يشمل المقيمين في أمصارهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾.

يعني تعالى ذكره: وحرّم عليكم أيها المؤمنون صيد البرّ ما دمتم حرماً، يقول: ما كنتم محرمين لم تحلوا من إحرامكم.

ثم اختلف أهل العلم في المعنى الذي عني الله تعالى ذكره بقوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك: أنه حرّم علينا كلّ معاني صيد البرّ من اصطياد وأكل وقتل وبيع وشراء وإمساك وتملك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحرث، عن

نوفل، عن أبيه، قال: حجّ عثمان بن عفان، فحجّ عليّ معه. قال: فأُتِي عثمان بلحم صيد صاده حلال، فأكل منه ولم يأكل عليّ، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال عليّ: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن سماك، عن صبيح بن عبيد الله العبسي، قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العَرُوض، فنزل قديداً، فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر، فاستعاره منه، فاصطاد به من اليعاقيب، فجعلهنّ في حظيرة. فلما مرّ به عثمان طبخهنّ، ثم قدمهنّ إليه، فقال عثمان: كلوا فقال بعضهم: حتى يجيء عليّ بن أبي طالب. فلما جاء فرأى ما بين أيديهم، قال عليّ: إنا لن نأكل منه فقال عثمان: مالك لا تأكل؟ فقال: هو صيد، ولا يحلّ أكله وأنا محرم. فقال عثمان: بيّن لنا فقال عليّ: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ﴾ فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾.

حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد، قالا: أخبرنا أبو إسحاق الأزرق، عن شريك، عن سماك بن حرب، عن صبيح بن عبيد الله العبسي، قال: استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العَرُوض. ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: قال: فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث، ثم أتى فقيل له بمكة: هل لك في ابن أبي طالب أهدي له صفيف حمار فهو يأكل منه فأرسل إليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف، فقال: أما أنت فتأكل، وأما نحن فتنهانا؟ فقال: إنه صيد عام أوّل، وأنا حلال، فليس عليّ بأكله بأس، وصِيدَ ذلك يعني اليعاقيب وأنا محرم، وذُبحن وأنا حرام.

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا يونس، عن الحسن: أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأساً بلحم الصيد للمحرم، وكرهه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: أن عليًّا كره لحم الصيد للمحرم على كلّ حال.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحرث: أنه شهد عثمان وعليًّا أُتيا بلحم، فأكل عثمان ولم يأكل عليّ،

فقال عثمان: أنحن صدنا أو صيد لنا؟ فقرأ عليّ هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ ولِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: حجّ عثمان بن عفان، فحجّ معه عليّ، فأُتي بلحم صيد صاده حلال، فأكل منه وهو محرم، ولم يأكل منه علي، فقال عثمان: إنه صيد قبل أن نحرم. فقال له عليّ: ونحن قد بدا لنا وأهالينا لنا حلال، أفيحللن لنا اليوم؟

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عمرو، عن عبد الكريم، عن مجاهد، عن عبد الله بن الحرث بن نوفل: أن عليًّا أُتي بشقّ عَجُز حمار وهو محرم، فقال: إني محرم.

حدثنا ابن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سعيد، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يكرهه على كلّ حال ما كان محرماً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا ابن جريج، قال: أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شيء من الصيد وهو حرام، أُخذ له أو لم يؤخذ له، وشيقة وغيرها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبد الله، قال: أخبرني نافع: أن ابن عمر كان لا يأكل الصيد وهو محرم وإن صاده الحلال.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق: أن طاوساً كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له.

حدثنا عبد الأعلى، قال: ثنا خالد بن الحرث، قال: ثنا الأشعث، قال: قال الحسن: إذا صاد الصيد ثم أحرم لم يأكل من لحمه حتى يحلّ. فإن أكل منه وهو محرم لم ير الحسن عليه شيئاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام وهارون عن عنبسة، عن سالم، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الصيد يصيده الحلال، أيأكل منه المحرم؟ فقال: سأذكر لك من ذلك، إن الله تعالى قال: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ﴾ فنهى عن قتله، ثم قال: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ قال: يأتي الرجل أهل البحر فيقول: أطعموني فإن قال: «غريضاً»، ألقوا شبكتهم

فصادوا له، وإن قال: أطعموني من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح. ثم قال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ وهو عليك حرام، صدته أو صاده حلال.

وقال آخرون: إنما عنى الله تعالى بقوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ ما استحدث المحرم صيده في حال إحرامه أو ذبحه، أو أستحدث له ذلك في تلك الحال. فأما ما ذبحه حلال وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم، وكذلك ما كان في ملكه قبل حال إحرامه فغير محرّم عليه إمساكه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سعيد، قال: ثنا قتادة، أن سعيد بن المسيب حدثه، عن أبي هريرة، أنه سئل عن صيد صاده حلال أيأكله المحرم؟ قال: فأفتاه هو بأكله، ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره، فقال: لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك

حدثنا أحمد بن عبدة الضبيّ، قال: ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: نزل عثمان بن عفان العَرْج وهو محرم، فأهدى صاحب العَرْج له قَطاً، قال: فقال لأصحابه: كلوا فإنه إنما اصطيد على اسمي قال: فأكلوا ولم يأكل.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة كان بالربذة، فسألوه عن لحم صيد صاده حلال. ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن عمر، نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الشعثاء، قال: سألت ابن عمر عن لحم صيد يُهديه الحلال إلى الحرام، فقال: أكله عمر، وكان لا يرى به بأساً. قال: قلت: تأكله؟ قال: عمر خير مني.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثنا أبو إسحاق، عن أبي الشعثاء، قال: سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام؟ قال: كان عمر يأكله. قال: قلت: فأنت؟ قال: كان عمر خيراً مني.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن هشام، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن

أبي هريرة، قال: استفتاني رجل من أهل الشام في لحم صيد أصابه وهو محرم، فأمرته أن يأكله. فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له: إن رجلاً من أهل الشام استفتاني في لحم صيد أصابه وهو محرم. قال: فما أفتيته؟ قال: قلت أفتيته أن يأكله. قال: فوالذي نفسي بيده لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرّة وقال عمر: إنما نهيت أن تصطاده.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا خارجة عن زيد بن أسلم، عن عطاء، عن كعب، قال: أقبلت في أناس محرمين، فأصبنا لحم حمار وحش، فسألني الناس عن أكله، فأفتيتهم بأكله وهم محرمون. فقدمنا على عمر، فأخبروه أني أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون، فقال عمر: قد أمَّرته عليكم حتى ترجعوا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: مررت بالربذة، فسألني أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال، فأفتيتهم أن يأكلوه. فلقيت عمر بن الخطاب، فذكرت ذلك له، قال: فبم أفتيتهم؟ قال: أفتيتهم أن يأكلوا. قال: لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن يونس، عن أبي الشعثاء الكندي، قال: قلت لابن عمر: كيف ترى في قوم حرام لقوا قوماً حلالاً ومعهم لحم صيد، فإما باعوهم وإما أطعموهم؟ فقال: حلال.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا محمد بن سعيد، قال: ثنا هشام، يعني ابن عروة، قال: ثنا عروة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عبد الرحمن حدثه: أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى نزلوا بالروحاء، فقُرّب إليهم طير وهم محرمون، فقال لهم عثمان: كلوا فإني غير آكله فقال عمرو بن العاص: أتأمرنا بما لست آكلاً؟ فقال عثمان: إني لولا أظنّ أنه صيد من أجلي لأكلت. فأكل القوم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن الزبير كان يتزوّد لحوم الوحش وهو محرم.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال، وما صيد أو ذبح وأنت حرام فهو عليك حرام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عمرو، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن

عباس، قال: ما صيد من شيء وأنت حرام فهو عليك حرام، وما صيد من شيء وأنت حلال فهو لك حلال.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ فجعل الصيد حراماً على المحرم صيده وأكله ما دام حراماً، وإن كان الصيد صيد قبل أن يحرم الرجل فهو حلال، وإن صاده حرام لحلال فلا يحلّ له أكله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال، قال: كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان: ما صيد قبل أن يحرم أكل منه، وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا ابن جريج، قال: كان عطاء يقول إذا سئل في العلانية أيأكل الحرام الوشيقة والشيء اليابس؟ يقول بيني وبينه: لا أستطيع أن أبين لك في مجلس، إن ذبح قبل أن يحرم فكل، وإلاَّ فلا تبع لحمه ولا تبتع.

وقال آخرون: إنما عنى الله تعالى بقوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ وحرّمَ عليكم اصطياده. قالوا: فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن يكون ملكه إياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز. قالوا: والنهي من الله تعالى عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا يحيى بن أيوب، قال: أخبرني يحيى، أن أبا سلمة اشترى قَطاً وهو بالعرج وهو محرم ومعه محمد بن المنكدر، فأكله. فعاب عليه ذلك الناس.

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى عمّ تحريم كلّ معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه من غير أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء، فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراماً بيعه وشراؤه واصطياده وقتله وغير ذلك من معانيه، إلاَّ أن يجده مذبوحاً قد ذبحه حلال لحلال، فيحلّ له حينئذٍ أكله، للثابت من الخبر عن رسول الله ﷺ، الذي:

حدثناه يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج. وحدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا مكي بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الملك بن جريج، قال: أخبرني

محمد بن المنكدر، عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان، قال: كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم، فأهدي لنا طائر، فمنا من أكل ومنا من تورّع فلم يأكل. فلما استيقظ طلحة وافق من أكل، وقال: أكلناه مع رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن الصعب بن جثامة: أنه أَهْدَى إلى رسول الله ﷺ رِجْلَ حمار وحش يقطر دماً، فردّه فقال: «إنَّا حُرُمٌ». ﴾ وفيما رُوِي عن عائشة: «أن وشيقة ظبي أهديت إلى رسول الله ﷺ وهو محرم، فردّها»، وما أشبه ذلك من الأخبار؟ قيل: إنه ليس في واحد من هذه الأخبار التي جاءت بهذا المعنى بيان أن رسول الله ﷺ ردّ من ذلك ما ردّ وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه، وهو حلال لحلال، ثم أهداه إلى رسول الله ﷺ وهو حرام فردّه وقال: إنه لا يحلّ لنا لأنا حرم وإنما ذكر فيه أنه أهدي لرسول الله ﷺ لحم صيد فردّه، وقد يجوز أن يكون ردّه ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله ﷺ وهو محرم، وقد بين خبر جابر عن النبيّ ﷺ بقوله: «لَحْمُ صَيْدٍ للمُحْرِمِ حَلالٌ، إلاَّ ما صَادَهُ أوْ صِيدَ لَهُ». معنى ذلك كله. فإذا كان كلا الخبرين صحيحاً مخرجهما، فواجب التصديق بهما وتوجيه كل واحد منهما إلى الصحيح من وجه، وأن يقال ردّه ما ردّ من ذلك من أجل أنه كان صيد من أجله، وإذنه في كل ما أذن في أكله منه من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم، فيصحّ معنى الخبرين كليهما.

واختلفوا في صفة الصيد الذي عنى الله تعالى بالتحريم في قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ فقال بعضهم: صيد البرّ: كلّ ما كان يعيش في البرّ والبحر وإنما صيد البحر ما كان يعيش في الماء دون البرّ ويأوي إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عمران بن حُدَير، عن أبي مجلز: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ قال: ما كان يعيش في البرّ والبحر لا يصيده، وما كان حياته في الماء فذاك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الحجاج، عن عطاء، قال: ما كان يعيش في البرّ فأصابه المحرم فعليه جزاؤه، نحو السلحفاة والسرطان والضفادع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن عطاء، قال: كلّ شيء عاش في البرّ والبحر، فأصابه المحرم فعليه الكفّارة.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن

عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: خرجنا حجاجاً معنا رجل من أهل السواد معه شصوص طير ماء، فقال له أبي حين أحرمنا: اعزل هذا عنا

وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت يزيد بن أبي زياد، قال: ثنا حجاج، عن عطاء: أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجي، لأن له أصلاً في البرّ.

وقال بعضهم: صيد البرّ ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال ابن جريج: أخبرناه، قال: سألت عطاء عن ابن الماء، أصيد برّ، أم بحر؟ وعن أشباهه، فقال: حيث يكون أكثر فهو صيده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني وكيع، عن سفيان، عن رجل، عن عطاء بن أبي رباح، قال: أكثر ما يكون حيث يُفرِخ، فهو منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وهذا تقدّم من الله تعالى ذكره إلى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه، يقول تعالى: واخشوا الله أيها الناس، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم ﷺ من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وعن إصابة صيد البرّ وقتله في حال إحرامكم، وفي غيرها، فإن الله مصيركم ومرجعكم فيعاقبكم بمعصيتكم إياه، ومجازيكم فمثيبكم على طاعتكم له.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: صير الله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لا قوام لهم، من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم **﴿والشَّهرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقلائِدَ﴾** فحجز بكلّ واحد من ذلك بعضهم عن بعض، إذ لم يكن لهم قيام غيره، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم.

والكعبة سميت فيما قيل كعبة لتربيعها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: إنما سميت الكعبة لأنها مربعة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هاشم بن القاسم، عن أبي سعيد المؤدّب، عن النضر بن عربي، عن عكرمة، قال: إنما سميت الكعبة لتربيعها.

وقيل ﴿قِياماً للنَّاسِ﴾ بالياء، وهو من ذوات الواو، لكسرة القاف وهي فاء الفعل، فجعلت العين منه بالكسرة ياء، كما قيل في مصدر: «قمت» قياماً، و «صمت» صياماً، فحوّلت العين من الفعل وهي واء ياء لكسرة فائه، وإنما هو في الأصل: قمت قواماً، وصمت صواماً. وكذلك قوله: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ﴾ فحوّلت واوها ياء، إذ هي «قوام». وقد جاء ذلك من كلامهم مقولاً على أصله الذي هو أصله، قال الراجز:

قِـــوَامُ دُنْـــيَـــا وَقِـــوَامُ دِيـــن(١)

فجاء به بالواو على أصله. وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قواماً لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه، بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تباعه.

وأما الكعبة فالحرم كله، وسماها الله تعالى حراماً لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يختلى خلاها أو يعضد شجرها. وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿وَالشَّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ وَالقَلائِدَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد أيضاً قياماً للناس، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياماً. والناس الذين جعل ذلك لهم قياماً مختلف فيهم، فقال بعضهم: جعل الله ذلك في الجاهلية قياماً للناس كلهم. وقال بعضهم: بل عَنَى به العربَ خاصة. وبمثل الذي قلنا في تأويل القوام قال أهل التأويل. ذكر من قال: عنى الله تعالى بقوله: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ﴾ القوام على نحو ما قلنا:

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا من سمع خَصيفاً يحدّث عن مجاهد في: ﴿جعلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ قال: قواماً للناس.

---

(١) في «اللسان» قوم: قوام الأمر، بالكسر: نظامه وعماده. ويقال: هذا قوام الأمر وملاكه: الذي يقوم به. وقال الفراء في معنى الآية: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ يعني التي تقومون قياماً وقواماً........ وقوام كل شيء: ما استقام به. ولم نقف على قائل البيت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن خصيف، عن سعيد بن جبير: ﴿قِياماً للنَّاسِ﴾ قال: صلاحاً لدينهم.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا داود، عن ابن جريج، عن مجاهد في: ﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرامَ قيَاماً للنَّاسِ﴾ قال: حين لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، فشدّد الله ذلك بالإسلام.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ﴾ قال: شدّة لدينهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ﴾ قال: قيامها أن يأمن من توجه إليها.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ والشَّهرَ الحَرَامَ وَالهَدْيَ وَالقَلائِدَ﴾ يعني قياماً لدينهم، ومعالم لحجهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ والشَّهرَ الحَرَامَ والهَدْيَ وَالقَلائِدَ﴾ جعل الله هذه الأربعة قياماً للناس، هو قوام أمرهم.

وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائلها ألفاظها، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا في ذلك من أن القوام للشيء هو الذي به صلاحه، كالملك الأعظم قوام رعيته ومن في سلطانه، لأنه مدبر أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتمّ فرضهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ والشَّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقَلائدَ**﴾ حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جرّ كلّ جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس، وكان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من لحاء السَّمُر، فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ والشَّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ**﴾ قال: كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض. قال: ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياماً يدفع بعضهم عن بعض به، والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم والقلائد. قال: ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له. وهذا كله قد نسخ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَالقَلائِدَ**﴾ كان ناس يتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحجّ، فيعرفون بذلك.

وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدي والقلائد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ وأنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**ذَلكَ**﴾ تصييره الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. يقول تعالى ذكره: صَيَّرت لكم أيها الناس ذلك قياماً كي تعلموا أن من أحدِث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم، علماً منه بمنافعكم ومضارّكم أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكلّ شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم حتى يجازي المحسن منكم بإحسانه والمسيء منكم بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها، شديد عقابه من عصاه وتمرّد عليه على معصيته إياه، وهو غفور الذنوب من أطاعه وأناب إليه فساترٌ عليه وتاركٌ فضيحته بها، رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد، يقول تعالى ذكره: ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم أيها الناس بإنذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم، إلاَّ أن يؤدي إليكم رسالتنا، ثم إلينا الثواب على الطاعة، وعلينا العقاب على المعصية. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ﴾ يقول: وغير خفيّ علينا المطيع منكم القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به لسانه. ﴿وَما تَكْتُمُونَ﴾ يعني: ما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر أو يقين وشكّ ونفاق. يقول تعالى ذكره: فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس، مما في السموات وما في الأرض، وبيده الثواب والعقاب، فحقيق أن يُتقَى وأن يطاع فلا يعصَى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ﴾ يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلّوا دون أهل معصيته، وإنّ أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا تعجبنّ من كثرة من يعصى الله فيمهله ولا

يعاجله بالعقوبة فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ**﴾ قال: الخبيث: هم المشركون والطيِّب: هم المؤمنون.

وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ، فالمراد به بعض أتباعه، يدلّ على ذلك قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللّهَ يا أُولي الألْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا اللّهَ يا أُولي الألْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث، فتصيروا منهم. ﴿**يا أُولي الألْبابِ**﴾ يعني بذلك: أهل العقول والحجا، الذين عقلوا عن الله آياته، وعرفوا مواقع حججه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ يقول: اتقوا الله لتفلحوا: أي كي تنجحوا في طلبتكم ما عنده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام، امتحاناً له أحياناً، واستهزاء أحياناً، فيقول له بعضهم: من أبي؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته: أين ناقتي؟ فقال لهم تعالى ذكره: لا تسألوا عن أشياء من ذلك، كمسألة عبد الله بن حذافة إياه من أبوه، ﴿**إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ يقول: إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم إبداؤها وإظهارها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله ﷺ. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا بعض بني نفيل، قال: ثنا زهير بن معاوية، قال: ثنا أبو الجويرية، قال: قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم: هل تدري فيما أنزلت هذه الآية ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسألُوا عَنْ أشياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ حتى فرغ من الآية، فقال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ والرجل تضلّ ناقته فيقول: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو عامر وأبو داود، قالا: ثنا هشام، عن قتادة، عن أنس، قال: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فصعد المنبر ذات يوم، فقال: «لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ.» قال أنس: فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فأرى كلّ إنسان لافًّا ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان ذا لاحى يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: «أبُوكَ حُذَافَةُ». قال: فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، وأعوذ بالله من سوء الفتن فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أرَ فِي الشَّرّ والخَيْرِ كاليَوْم قَطُّ، إنَّهُ صُوِّرَتْ لِيَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ حتى رأيْتُهُما وَرَاءَ الحائِطِ». وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية: ﴿لا تسألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

حدثني محمد بن معمر البحراني، قال: ثنا روح بن عبادة، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني موسى بن أنس، قال: سمعت أنساً يقول: قال رجل: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ فُلانٌ». قال: فنزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: فحُدِّثنا أن أنس بن مالك حدثهم: أن رسول الله ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر، فقال: «لا تَسْألُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ» فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يديه أمر قد حضر، فجعلت لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلاَّ وجدت كلاًّ لافاً رأسه في ثوبه يبكي. فأنشأ رجل كان يُلاحَى فيدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبيّ الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافة». قال: ثم قال عمر أو قال: فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً عائذاً بالله أو قال: أعوذ بالله من سوء الفتن. قال: وقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أرَ فِي الخَيْرِ والشَّرّ كاليَوْمِ قَطُّ، صُوِّرَتْ ليَ الجَنَّةُ والنَّارُ حتى رأيْتُهُما دُونَ الحائِطِ».

حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع، قالا: ثنا معاذ بن معاذ، قال: ثنا ابن عون، قال: سألت كرمة مولى ابن عباس عن قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: ذاك يوم قام فيهم النبي ﷺ، فقال: «لا تَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أخْبَرْتُكُمْ بِهِ» قال: فقام رجل، فكره المسلمون مقامه يومئذ، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَة» قال: فنزلت هذه الآية.

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: نزلت: ﴿لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ في رجل قال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوك فلان».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: سألوا النبي ﷺ حتى أكثروا عليه، فقام مغضباً خطيباً، فقال: سَلُوني فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ما دُمْتُ في مَقامي إلاَّ حَدَّثْتُكُمْ» فقام رجل فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَة» واشتدّ غضبه وقال: «سَلُوني» فلما رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم، فجثا عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربًّا، قال معمر: قال الزهري: قال أنس مثل ذلك: فجثا عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ صُوِّرَتْ لِيَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفاً فِي عَرْضِ هَذَا الحائِطِ، فَلَمْ أرَ كاليَوْمِ فِي الخَيْرِ والشَّرّ». قال الزهريّ: فقالت أمّ عبد الله بن حُذافة: ما رأيت ولداً أعقّ منك قطّ، أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية، فتفضحها على رؤوس الناس فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: غضب رسول الله ﷺ يوماً من الأيام فقام خطيباً، فقال: «سَلُونِي فإنَّكُمْ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أنْبَأْتُكُمْ بِهِ» فقام إليه رجل من قريش من بني سَهْم يقال له عبد الله بن حُذَافة، وكان يُطعنَ فيه، قال: فقال يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ فُلانٌ» فدعاه لأبيه فقام إليه عمر، فقبَّل رجله وقال: يا رسول الله، رضينا بالله رباً، وبك نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي، فيومئذ قال: «الوَلَدُ للفِرَاش وللعاهِرِ الحَجَرُ».

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا قيس، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمارّ وجهُهُ، حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل، فقال أين أبي؟ قال: «في النَّارِ» فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَةُ». فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، والله يعلم من آباؤنا. قال: فسكن غضبه، ونزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ من أجل مسألة سائل سأله عن شيء في أمر الحجّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا منصور بن وردان الأسديّ، قال: ثنا عليّ بن عبد الأعلى، قال: لما نزلت هذه الآية: وَللَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً قالوا: يا رسول الله أفي كلّ عام؟ فسكت، ثم قالوا: أفي كلّ عام؟ فسكت، ثم قال: «لا، ولَوْ قُلْتُ نَعَمْ

لَوَجَبَتْ» فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَن أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن سليمان، عن إبراهيم بن مسلم الهَجَريّ، عن ابن عياض، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ» فقال رجل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، حتى عاد مرّتين أو ثلاثاً، فقال: «مَنِ السَّائِلُ؟» فقال فلان، فقال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ عَلَيْكُمْ ما أطَقْتُموه، وَلَوْ تَرَكْتُمُوهُ لَكَفَرْتمْ». فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حتى ختم الآية.

حدثني محمد بن عليّ بن الحسين بن شقيق، قال سمعت أبي، قال: أخبرنا الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيُّهَا النَّاسُ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الحَجَّ». فقام محصن الأسديّ، فقال: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فقال: «أمَا إنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، ولَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ. اسْكُتُوا عَنِّي ما سَكَتُّ عَنْكُمْ، فإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ واخْتِلافِهِمْ على أنْبِيائِهِمْ» فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر مثله، إلا أنه قال: فقام عُكاشة بنِ مِحْصَن الأسديُّ.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العمر، قال: ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى، عن صفوان بن عمرو، قال: ثني سليم بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قام رسول الله ﷺ في الناس فقال: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ» فقام رجل من الأعراب، فقال: أفي كل عام؟ قال: فعلا كلام رسول الله ﷺ وأسكت وأغضب واستغضب. فمكث طويلاً ثم تكلم فقال: «مَنِ السَّائِلُ؟» فقال الأعرابيّ: أنا ذا، فقال: «وَيْحَكَ ماذَا يُؤْمِنُكَ أنْ أقُولَ نَعَمْ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُمْ؟ ألا إنَّهُ إنَّمَا أهْلَكَ الَّذِينَ قبْلَكُمْ أئِمَّةُ الحَرَجِ، وَاللَّهُ لَوْ أنِّي أحْلَلْتُ لَكُمْ جَمِيعَ ما فِي الأرْضِ وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْها مَوْضِعَ خُفّ لَوَقَعْتُمْ فِيهِ» قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ﴾... إلى آخر الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَن أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ وذلك أن

رسول الله ﷺ أذّن في الناس، فقال: «يا قَوْمِ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ» فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله، أفي كلّ عام؟ فأُغْضِبَ رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُمْ، وإذَنْ لَكَفَرْتُمْ فاتْرُكُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، فإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فافْعَلُوا، وإذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فانْتَهُوا عَنْهُ». فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة، فأصبحوا بها كافرين فنهى الله تعالى عن ذلك، وقال: لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنَّكُمْ لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه.

حدثني أبو عاصم، قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، قال: ثنا عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وإنْ تَسْألُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ قال: لما أنزلت آية الحجّ، نادى النبي ﷺ في الناس، فقال «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الحَجّ فَحُجُّوا» فقالوا: يا رسول الله، أعاماً واحداً أم كل عام؟ فقال «لا بَلْ عاماً وَاحِداً، وَلَوْ قُلْتُ كلَّ عام لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُمْ» ثم قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: سألوا النبي ﷺ عن أشياء فوعظهم، فانتهوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: ذكر رسول الله ﷺ الحجّ، فقيل: أواجب هو يا رسول الله كلّ عام؟ قال: «لا، لَوْ قُلْتُها لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ما أطَقْتُمْ، وَلَوْ لَمْ تُطِيقُوا لَكَفَرْتُمْ» ثم قال: «سَلُونِي فَلا يَسْألُنِي رَجُلٌ في مَجْلِسِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أخْبَرْتُهُ، وإنْ سَألَنِي عَنْ أبِيهِ» فقام إليه رجل، فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَةُ بْنُ قَيْسٍ» فقام عمر، فقال: يا رسول الله ﷺ رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: ثنا عتاب بن بشير، عن

خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ﴾ قال: هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. ألا ترى أنه يقول بعد ذلك: ما جعل الله من كذا ولا كذا قال: وأما عكرمة فإنه قال: إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك. ثم قال: قَدْ سَأَلها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بها كَافِرِينَ قال: فقلت: قد حدثني مجاهد بخلاف هذا ابن عباس، فما لك تقول هذا؟ فقال هَيْهْ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن ابن عون، عن عكرمة عن الأعمش، قال: هو الذي سأل رسول الله ﷺ: من أبي؟. وقال سعيد بن جبير: هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله ﷺ المسائل، كمسئلة ابن حذافة إياه من أبوه، ومسئلة سائله إذ قال: «إنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الحَجَّ»: أفي كلّ عام؟ وما أشبه ذلك من المسائل، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل، وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس، فقول غير بعيد من الصواب، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه، وكرهنا القول به من أجل ذلك. على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبي ﷺ عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها، كما كره الله لهم المسئلة عن الحجّ، أكلّ عام هو أم عاماً واحداً؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن أبيه، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلّها، فأخبر كلّ مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله أو أجل غيره. وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذُكرت صحاح، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أوْلى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفا اللَّهُ عَنْها وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله ﷺ، عن مسألة رسول الله ﷺ، عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه، من فرائض لم يفرضها الله عليهم، وتحليل أمور لهم يحللها لهم، وتحريم أشياء لم يحرّمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك: أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولي مما لم أنزل به كتاباً ولا وحياً، لا تسألوا عنه، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيان بوحي وتنزيل ساءكم لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم، إما بإيجاب عمل عليكم، ولزوم فرض لكم، وفي ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤنة وكلفة وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحي كنتم من التقدّم عليه في فسحة وسعة وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه، وفي ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقاً إلى ما كنتم ترونه باطلاً، ولكنكم إن

سألتم عنها بعد نزول القرآن بها وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم، بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي وتأويل تنزيلي ووحي وذلك نظير الخبر الذي رُويَ عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، الذي:

حدثنا به هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، قال: كان عبيد بن عمير يقول: إن الله تعالى أحلّ وحرّم، فما أحلّ فاستحلوه وما حرّم فاجتنبوه، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرّمها فذلك عفو من الله عفاه ثم يتلو: ﴿**يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الضحاك، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، عن عبيد ابن عمير، أنه كان يقول: إن الله حرّم وأحلّ، ثم ذكر نحوه.

وأما قوله: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنها**﴾ فإنه يعني به: عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله ﷺ الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم بها، أو يعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ**﴾ يقول: والله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة ﴿**حَلِيمٌ**﴾ أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوي الخبر عن ابن عباس الذي ذكرناه آنفاً. وذلك ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لا تسألُوا عَنْ أشياءَ**﴾ إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قد سأل الآيات قوم من قبلكم: فلما آتاهموها الله، أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتجّ بها عليهم، وبرهاناً على صحة ما جعلت برهاناً على تصحيحه، كقوم صالح الذين سألوا الآية فلما جاءتهم الناقة آية عقروها، وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء: فلما أُعْطُوها كفروا بها وما أشبه ذلك، فحذّر الله

تعالى المؤمنين بنبيه ﷺ أن يسلكوا سبيل مَن قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عندما سألتهموها، فقال لهم: لا تسألوا الآيات، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، فقد سأل الآيات من قبلكم قوم فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين. كالذي:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة، فأصبحوا بها كافرين، فنهى الله عن ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿قَدْ سأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قد سأل الآيات قوم من قبلكم، وذلك حين قيل له: غيِّر لنا الصفا ذهباً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾.

يقول تعالى ذكره: ما بحر الله بحيرة، ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرّمتموه افتراء على ربكم. كالذي:

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثني أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن ابن الهاد: وحدثني يونس، قال: ثنا عبد الله بن يوسف، قال: ثني الليث، قال: ثني ابن الهاد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيْتُ عَمْرَو بْنَ عامِرِ الخزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ[1] فِي النَّارِ، وكانَ أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ».

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن إبراهيم بن الحرث، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺيقول لأكثم بن الجون: «يا أكْثَمُ، رأيْتُ عَمْرَو بنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدَفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رأيْتُ رَجُلاً أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلا بِهِ مِنْكَ» فقال أكثم: أخشى أن يضرّني شبهه يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا، إنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ، إنَّهُ أوَّلُ مَنْ غير دين إسماعيل وبحّر البحيرة، وسيب السائبة، وحمى الحامي».

---

(١) القصب، بوزن قفل: اسم للأمعاء كلها.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس، قال: ثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ عَرَفْتُ أَوَّلَ مَنْ بَحَّرَ البَحائِرِ رَجُلٌ مِنْ مُدْلِجٍ، كانَتْ لَهُ ناقَتانِ، فَجَدَعَ آذَانَهُما وَحَرَّمَ أَلْبانَهُما وظُهُورَهُما وقال: هاتانِ لِلَّهِ، ثُمَّ احْتاجَ إلَيْهِما فَشَرِبَ أَلْبانَهُما وَرَكِبَ ظُهُورَهُما» قالَ: «فَلَقَدْ رأيْتُهُ فِي النَّارِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ قُصْبِهِ».

حدثنا هناد، قال: ثنا عبيدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ فَرأيْتُ فِيها عَمْرَو ابْنَ فُلان ابْنِ فُلان ابْنِ خِنْدَفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إبْرَاهِيمَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وأشْبَهُ مَنْ رأيْتُ بِهِ أَكْثَمُ بْنُ الجَوْنِ». فقال أكثم: يا رسول الله، أيضرّني شبهه؟ قال: «لا، لأنَّكَ مُسْلِمٌ، وَإنَّهُ كافِرٌ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرّ قصبه في النار، وهو أوّل من سيب السوائب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأعْرِفُ أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائبَ وأوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إبْرَاهِيمَ» قالُوا: مَنْ هُوَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «عَمْرُو بْنُ لُحَيَ أخُو بَنِي كَعْبٍ، لَقَدْ رأيْتُهُ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، يُؤْذِي رِيحُهُ أهْلَ النَّارِ. وإنّي لأعْرِفُ أوَّلَ مَنْ بَحَّرَ البَحائِرَ». قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ كانَتْ لَهُ ناقَتانِ، فَجَدَعَ آذَانَهُما وَحَرَّمَ أَلْبانَهُما، ثُمَّ شَرِبَ أَلْبانَهُما بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَقَدْ رأيْتُهُ فِي النَّارِ هُوَ وهُمَا يَعَضَّانِهِ بأفْوَاهِهِما، ويَخْبِطانِهِ بأخفافِهِما».

والبحيرة: الفَعيلة، من قول القائل: بَحرتُ أذنَ هذه الناقة: إذا شقها، أبْحَرُها بحراً، والناقة مبحورة، ثم تصرف المفعولة إلى فعَيلة، فيقال: هي بحيرة. وأما البَحِرُ من الإبل: فهو الذي قد أصابه داء من كثرة شرب الماء، يقال منه: بَحِرَ البعير يبحرُ بَحَراً، ومنه قول الشاعر:

لأَعْلِطَنَّكَ وَسْماً لا تُفارِقُهُ ... كما يُحَزُّ بحُمَّى المِيسَمِ البَحِرُ[(١)]

وبنحو الذي قلنا في معنى البحيرة، جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

---

(١) البيت في «اللسان» (علط، وبحر) وروايته فيه: لأعلطنه... «لا يفارقه». وهو من شواهد الفراء، قال الفراء: البحر: أن يلغي البعير بالماء، فيكثر منه، حتى يصيبه منه داء. يقال: بحر يبحر بحراً، فهو بحر، وأنشد.... البيت. قال: إذا أصابه الداء كوى في مواضع فيبرأ. قال الأزهري: الداء الذي يصيب البعير فلا يروى من الماء: هو النجر، بالنون والجيم، والبجر، بالباء والجيم. وأما البحر فهو داء يورث السل، وأبحر الرجل: إذا أخذه السل. ورجل بحير وبحر مسلول: ذاهب اللحم، عن ابن الأعرابي. والبحير والبحر: الذي به السل. عن أبي عمرو. والعلط: الوسم بالعلاط وهو الميسم الذي يكوى به وعلطه بالقول أو بالشر وسمه، على المجاز، وهو أن يرميه بعلامة يعرف بها.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن أبيه، قال: دخلت على النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «أرأيْتَ إبِلَكَ ألَسْتَ تُنْتِجُها مُسَلَّمَةً آذانُها، فَتأْخُذُ المُوسَى فَتَجْدَعُها تَقُولُ هَذِهِ بَحِيرَةٌ، وَتَشُقُّ آذانَها تَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ؟» قال: نعم، قال: «فإنَّ ساعِدَ اللَّهِ أشَدُّ، وَمُوسَى اللَّهِ أحَدُّ، كُلُّ مالِكَ لَكَ حَلالٌ لا يُحَرَّمُ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت أبا الأحوص، عن أبيه، قال أتيت رسول الله ﷺ فقال: «هَلْ تُنْتِجُ إبِلُ قَوْمِكَ صِحاحاً آذَانُها فَتَعمِدُ إلى المُوسَى فَتَقْطَعُ آذَانَها فَتَقُولُ هَذِهِ بُحْرٌ، وَتَشُقُّها أوْ تَشُقُّ جُلُودَها فَتَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ، فَتُحَرِّمُها عَلَيْكَ وَعلى أهْلِكَ؟» قال: نعم. قال: «فإنَّ ما آتاكَ اللَّهُ لَكَ حِلٌّ، وَساعِدُ اللَّهُ أشَدُّ، ومُوسَى اللَّهِ أحَدُّ» وربما قال: «سَاعِدُ الله أشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، ومُوسَى الله أحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ».

وأما السائبة: فإنها المسيبة المخلاة، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه، فيحرم الإنتفاع به على نفسه، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه. وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة، كما قيل: «عِيشَة رَاضِيَة»، بمعنى: مرضية.

وأما الوصيلة، فإن الأنثى من نعمهم في الجاهلية كانت إذا أتأمت بطناً بذكر وأنثى، قيل: قد وصلت الأنثى أخاها، بدفعها عنه الذبح، فسموها وصيلة.

وأما الحامي: فإنه الفحل من النعم يحمى ظهره من الركوب، والإنتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فِحْلَته.

وقد اختلف أهل التأويل في صفات المسميات بهذه الأسماء وما السبب الذي من أجله كانت تفعل ذلك. ذكر الرواية بما قيل في ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، عن أبي إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي أن أبا صالح السمان، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: «يا أكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدَفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رأيْتُ مِنْ رَجُلٍ أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلا بِهِ مِنْكَ» فقال أكثم: أيضرّني شبهه يا نبيّ الله؟ قال: «لا، لأنك مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ، وإنَّهُ كانَ أوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إسْماعِيلَ وَنَصَبَ الأوْثانَ، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ فِيهِمْ».

وذلك أن الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة إناثاً ليس فيها ذكر سيبت، فلم يركب ظهرها ولم

يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّ أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل، فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فُعِل بأمها فهي البحيرة ابنة السائبة. والوصيلة: أن الشاة إذا نتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهنّ ذكر جعلت وصيلة، قالوا: وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم. والحامي: أن الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذكر حُمِي ظهره، ولم يركب، ولم يجزّ وبره، ويخلى في إبله يضرب فيها، لا ينتفع به بغير ذلك. يقول الله تعالى ذكره: **﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾**. . . . إلى قوله: **﴿وَلاَ يهْتَدُونَ﴾**.

حدثنا ابن بشار قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق في هذه الآية: **﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾** قال أبو جعفر: سقط عليّ فيما أظنّ كلام منه قال: فأتيت علقمة فسألته، فقال: ما تريد إلى شيء كانت تصنعه أهل الجاهلية؟

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مسلم، قال: أتيت علقمة، فسألته عن قول الله تعالى: **﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾** فقال: وما تصنع بهذا؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية قال: فأتيت مسروقاً، فسألته، فقال: البحيرة: كانت الناقة إذا ولدت بطناً خمساً أو سبعاً، شقوا أذنها وقالوا: هذه بحيرة. قال: **﴿وَلا سائِبَةٍ﴾** قال: كان الرجل يأخذ بعض ماله، فيقول: هذه سائبة. قال: **﴿وَلا وَصِيلَةٍ﴾** قال: كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث، وإذا ولدت ذكراً وأنثى في بطن قالوا: وصلت أخاها، فلا يأكلونهما قال: فإذا مات الذكر، أكله الذكور دون الإناث. قال: ولا حام، قال: كان البعير إذا ولد وولد ولده، قالوا: قد قضى هذا الذي عليه، فلم ينتفعوا بظهره، قالوا: هذا حام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، قال: سألت علقمة، عن قوله: **﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ﴾** قال: ما تصنع بهذا؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان ويحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص: **﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾** قال: البحيرة: التي قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن الشعبي: **﴿ما جَعَلَ**

اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ قال: البحيرة: المخضرمة. ﴿وَلا سائِبَةٍ﴾ والسائبة: ما سيب للهدي. والوصيلة: إذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ثم ولدت الخامس ذكراً وأنثى وصلت أخاها. والحام: الذي قد ضرب أولاد أولاده في الإبل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبيّ بنحوه، إلا أنه قال: والوصيلة: التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها. وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق الأزرق، عن زكريا، عن الشعبي، أنه سئل عن البحيرة، فقال: هي التي تجدع آذانها. وسئل عن السائبة، فقال: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم لتذبح، فتخلط بغنم الناس، فلا يشرب ألبانها إلا الرجال، فإذا مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ وما معها: البحيرة من الإبل، يحرّم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلا على الرجال، فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها، وإن ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها، فإذا ضَرَب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامي والسائبة من الغنم على نحو ذلك إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كان على هيئتها، فإذا ولدت في السابع ذكراً أو أنثى أو ذكرين، ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وإن توأمت أنثى وذكراً فهي وصيلة، ترك ذبح الذكر بالأنثى، وإن كانتا أنثيين تركتا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ﴾ فالبحيرة: الناقة، كان الرجل إذا ولدت خمسة أبطن، فيعمد إلى الخامسة، فما لم يكن سَقْباً، فيبتك آذانها، ولا يجزّ لها وبرا، ولا يذوق لها لبناً، فتلك البحيرة. ﴿وَلا سائِبَةٍ﴾ كان الرجل يسيب من ماله ما شاء. ﴿وَلا وَصِيلَةٍ﴾ فهي الشاة إذا ولدت سبعاً، عمد إلى السابع، فإن كان ذكراً ذبح، وإن كانت أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما، قالوا: وصلت أخاها، فيتركان جميعاً لا يذبحان، فتلك الوصيلة. وقوله: ﴿وَلا حامٍ﴾ كان الرجل يكون له الفحل فإذا لقح عشراً قيل: حام، فاتركوه

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن

أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ﴾ ليسيبوها لأصنامهم. ﴿وَلا وَصِيلَةٍ﴾ يقول: الشاة. ﴿وَلا حامٍ﴾ يقول: الفحل من الإبل.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾ تشديد شدّده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم، وتغليظ عليهم، فكانت البحيرة مثل الإبل إذا نتج الرجل خمساً من إبله نظر البطن الخامس، فإن كانت سقباً ذبح فأكله الرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم، وإن كانت حائلاً وهي الأنثى تركت فبتكت أذنها، فلم يجزّ لها وبر ولم يشرب لها لبن ولم يركب لها ظهر ولم يذكر لله عليها إسم. وكانت السائبة: يسيبون ما بدا لهم من أموالهم، فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ولا من حمى أن ترتع فيه. وكانت الوصيلة من الشاة: من البطن السابع، إذا كان جدياً ذبح فأكله الرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم، وإن جاءت بذكر وأنثى قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح. والحام: كان الفحل إذا ركب من بني بنيه عشرة أو ولد ولده، قيل حام، حمى ظهره، فلم يزم ولم يخطم ولم يركب.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾ فالبحيرة من الإبل: كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، إن كان الخامس سقباً ذبحوه فأهدوه إلى آلهتهم وكانت أمه من عرض الإبل، وإن كانت رُبَعة استحيوها، وشقوا أذن أمها، وجزّوا وبرها، وخلوها في البطحاء، فلم تَجُزْ لهم في دية، ولم يجلبوا لها لبناً، ولم يجزّوا لها وبراً، ولم يحملوا على ظهرها، وهي من الأنعام التي حرّمت ظهورها. وأما السائبة: فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكر إن كثر ماله، أو برأ من وجع، أو ركب ناقة فأنجح، فإنه يسمي السائبة يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصابته عقوبة في الدنيا. وأما الوصيلة، فمن الغنم، هي الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة، فكان آخر ذلك جدياً ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة، وإن كانت عَناقاً استحيوها، وإن كانت جدياً وعناقاً استحيوا الجدي من أجل العناق، فإنها وصيلة وصلت أخاها. وأما الحام: فالفحل يضرب في الإبل عشر سنين، ويقال: إذا ضرب ولد ولده قيل: قد حمي ظهره، فيتركونه لا يمسّ، ولا ينحر أبداً، ولا يمنع من كلإ يريده، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، في قوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ﴾ قال:

البحيرة من الإبل التي يمنع درّها للطواغيت. والسائبة من الإبل: كانوا يسيبونها لطواغيتهم. والوصيلة من الإبل كانت الناقة تبكر بأنثى، ثم تثني بأنثى، فيسمونها الوصيلة، يقولون: وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم، أو يذبحونها، الشكّ من أبي جعفر. والحام: الفحل من الإبل، كان يضرب الضراب المعدود، فإذا بلغ ذلك، قالوا: هذا حام، قد حمى ظهره فترك، فسموه الحام. قال معمر، قال قتادة: إذا ضرب عشرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: البحيرة من الإبل: كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى بتكوا آذانها، ثم أرسلوها، فلم ينحروا لها ولداً، ولم يشربوا لها لبناً، ولم يركبوا لها ظهراً. وأما السائبة، فإنهم كانوا يسيبون بعض إبلهم، فلا تمنع حوضاً أن تشرع فيه، ولا مرعى أن ترتع فيه. والوصيلة: الشاة: كانت إذا ولدت سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سلمان، عن الضحاك: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ**﴾ أما البحيرة: فكانت الناقة إذا نتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس إن كان سقباً، وإن كان رُبَعة شقوا أذنها واستحيوها، وهي بحيرة. وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه، وهو خالص لرجالهم، فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتاً فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه. وأما السائبة: فكان يسيب الرجل من ماله من الأنعام، فيهمل في الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده، ولا بلبنه، ولا بشعره، ولا بصوفه. وأما الوصيلة، فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع إذا كان جدياً، وإن كان عناقاً استحيوه، وإن كان جدياً وعناقاً استحيوهما كليهما، وقالوا: إن الجدي وصلته أخته، فحرمته علينا. وأما الحامي: فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده، قالوا: قد حمى هذا ظهره، وأحرز أولاد ولده، فلا يركبونه، ولا يمنعونه من حمى شجر، ولا حوض مًا شرع فيه، وإن لم يكن الحوض لصاحبه، وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء من شأنهم، لا إن ركبوا، ولا إن حملوا، ولا إن حلبوا، ولا إن نتجوا، ولا إن باعوا، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ**﴾... إلى قوله: ﴿**وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ**﴾ قال: هذا شيء كانت تعمل به أهل الجاهلية، وقد ذهب. قال: البحيرة: كان الرجل يجدع أذني ناقته ثم يعتقها، كما يعتق جاريته وغلامه، لا تحلب، ولا

تركب. والسائبة: يسيبها بغير تجديع. والحام: إذا نتج له سبع إناث متواليات قد حمى ظهره، ولا يركب ولا يعمل عليه. والوصيلة من الغنم: إذا ولدت سبع إناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا عبد الله بن يوسف، قال: ثنا الليث بن سعد، قال: ثني ابن الهاد، عن ابن شهاب، قال: قال سعيد بن المسيب: السائبة: التي كانت تسيب فلا يحمل عليها شيء. والبحيرة: التي يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد. والوصيلة: الناقة البكر تبكر أوّل نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسمونها للطواغيت، يدعونها الوصيلة، إن وصلت إحداهما بالأخرى. والحامي: فحل الإبل يضرب العشر من الإبل، فإذا نقص ضرابه يدعونه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلم يحملوا عليه شيئاً، وسموه الحامي.

وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام، فلا نعرف قوماً يعملون بها اليوم. فإذا كان ذلك كذلك، وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا توصل إلى عمله إذ لم يكن له في الإسلام اليوم أثر، ولا في الشرك نعرفه إلا بخبر، وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذي ذكرنا فالصواب من القول في ذلك أن يقال: أما معاني هذه الأسماء، فما بينا في ابتداء القول في تأويل هذه الآية. وأما كيفية عمل القوم في ذلك، فما لا علم لنا به. وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا، وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه، موصلاً إلى حقيقته، وهو أن القوم كانوا محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعاً منهم خطوات الشيطان، فوبخهم الله تعالى بذلك، وأخبرهم أن كلّ ذلك حلال، فالحرام من كلّ شيء عندنا، ما حرّم الله تعالى ورسوله ﷺ، بنصّ أو دليل. والحلال منه: ما أحلَّه الله ورسوله كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالذين كفروا في هذا الموضع والمراد بقوله: **﴿وأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾**. فقال بعضهم: المعنيّ بالذين كفروا: اليهود، وبالذين لا يعقلون: أهل الأوثان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن دواد بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: **﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ﴾** قال: أهل الكتاب. **﴿وأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** قال: أهل الأوثان.

وقال آخرون: بل هم أهل ملة واحدة، ولكن «المفترين» المتبوعون، و«الذين لا يعقلون»: الأتباع.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا خارجة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبيّ في قوله: **﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** هم الأتباع. وأما «الذين افتروا»، يعقلون أنهم افتروا.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن المعنيين بقوله: **﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ﴾** الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل، وحموا الحوامي مثل عمرو بن لحي وأشكاله، ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحقّ وأضافوا إلى الله تعالى أنه هو الذي حرّم ما حرّموا وأحلّ ما أحلوا، افتراء على الله الكذب وهم يعلمون، واختلافاً عليه الإفك وهم يعمهون. فكذّبهم الله تعالى في قيلهم ذلك، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا، فقال تعالى ذكره: ما جعلت من بحيرة ولا سائبة، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب. وأن يقال: إن المعنيين بقوله **﴿وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين، فهم لا شكّ أنهم أكثر من الذين لهم سنوا ذلك فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن، وأخبروهم أنها من عند الله كذبة في إخبارهم أفكة، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون في إخبارهم صادقون. وإنما معنى الكلام: وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء المشركون وأضافوه إلى الله تعالى كذب وباطل. وهذا القول الذي قلنا في ذلك نظير قول الشعبيّ الذي ذكرناه، ولا معنى لقول من قال: عني بالذين كفروا: أهل الكتاب، وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب، فالختم بهم أولى من غيرهم، إذ لم يكن عرض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم إلى غيرهم. وبنحو ذلك كان يقول قتادة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** يقول: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرّم عليهم، إنما كان من الشيطان ولا يعقلون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

يقول تعالىّ ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيبون السوائب الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى يفترون على الله الكذب: تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله، ليتبين لكم كذب قيلكم فيم تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرّمون من هذه الأشياء، أجابوا من دعاهم إلى ذلك، بأن يقولوا: حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به، ويقولون: نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل. قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئاً، يقول: لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة لأنهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدءوا تحريم ذلك افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب، بل كانوا على ضلالة وخطأ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنوا عَلَيكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فأصلحوها، واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى، وانظروا لها فيما يقرّبها من ربها، فإنه ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ يقول: لا يضرّكم من كفر وسلك غير سبيل الحقّ إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فحرّمتم حرامه وحللتم حلاله. ونصب قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالإغراء، والعرب تغري من الصفات بـ«عليك»، و«عندك» و«دونك» و«إليك».

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوّار بن عبد الله، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن: أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنوا عَلَيكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال ابن مسعود: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي الأشهب، عن الحسن، قال: ذكر عن ابن مسعود ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنوا﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن، قال: قال رجل لابن مسعود: ألم يقل الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؟ قال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قُبلت منكم فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا شبابة بن سوّار، قال: ثنا الربيع بن صبيح، عن سفيان بن عقال، قال: قيل لابن عمر: لو جلستَ في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه، فإن الله تعالى يقول: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول الله ﷺ قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغَيَب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم.

حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي، قال: ثنا قتادة، عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة، فإذا قوم من المسلمين جلوس، فقرأ أحدهم هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾ فقال أكثرهم: لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن أبي مازن، بنحوه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم، قالا: ثنا عوف، عن سوّار بن شبيب، قال: كنت عند ابن عمر، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين، شديد اللسان، فقال: يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرءوا القرآن فأسرع فيه، وكلهم مجتهد لا يألو، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك. فقال رجل من القوم: وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهر بعضهم على بعض بالشرك؟ قال: فقال الرجل: إني لست إياك أسأل، أنا أسأل الشيخ. فأعاد على عبد الله الحديث، فقال عبد الله بن عمر: لعلك ترى لا أبا لك إني سآمرك أن تذهب فتقتلهم؟ عظهم وانههم، فإن عصوك فعليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن: أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: إن هذا ليس بزمانها، إنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال: فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم، لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن رجل قال: كنت في خلافة عثمان بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبيّ ﷺ، فإذا فيهم شيخ يُسْنِدُون إليه، فقرأ رجل: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال الشيخ: إنما تأويلها آخر الزمان.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا أبو مازن رجل من صالحي الأزد من بني الحدّان، قال: انطلقت في حياة عثمان إلى المدينة، فقعدت إلى حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ رجل من القوم هذه الآية ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: فقال رجل من أسنّ القوم: دع هذه الآية، فإنما تأويلها في آخر الزمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ابن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن جبير بن نفير، قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ، وإني لأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؟ فأقبلوا عليّ بلسان واحد، وقالوا: تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت. ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم، قالوا: إنك غلام حدث السنّ، وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحًّا مطاعاً، وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك لا يضرّك من ضلّ إذا اهتديت

حدثنا هناد، قال: ثنا ليث بن هارون، قال: ثنا إسحاق الرازي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس، حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه، فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: فسمعها ابن مسعود، فقال: مَهْ لم يجىء تأويل هذه بعدُ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهنّ قبل أن ينزلن، ومنه ما وقع تأويلهنّ على عهد النبيّ ﷺ، ومنه آي قد وقع تأويلهنّ بعد النبيّ ﷺ بيسير، ومنه آي يقع تأويلهنّ بعد اليوم، ومنه آي يقع تأويلهنّ عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة، ومنه آي يقع تأويلهنّ يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً

ولم يذق بعضكم بأس بعض، فامروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن ابن مسعود: أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس، حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم ذكر نحوه.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا حرمي، قال: سمعت الحسن يقول: تأوّل أصحاب النبيّ ﷺ هذه الآية: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ فقال بعض أصحابه: دعوا هذه الآية فليست لكم

حدثني إسماعيل بن إسرائيل اللآل الرملي، قال: ثنا أيوب بن سويد، قال: ثنا عتبة بن أبي حكيم، عن عمرو بن خالد اللخميّ، عن أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ فقال: لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: «أبا ثَعْلَبَةَ ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ، وَتَناهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، فإذَا رأيْتَ دُنْيا مُؤْثَرَةً وشُحًّا مُطاعاً وإعْجابَ كُلّ ذِي رأيٍ بِرأيِهِ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ أرَى مِنْ بَعْدِ كُمْ أيَّامَ الصَّبرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ الَّذِي أنْتُمْ عَلَيْهِ كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً». قالوا: يا رسول الله، كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: «لا، كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً مِنْكُمْ».

حدثنا عليّ بن سهل، قال: أخبرنا الوليد بن مسلم، عن ابن المبارك وغيره، عن عتبة بن أبي حكيم، عن أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني: كيف نصنع بهذه الآية: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾؟ فقال أبو ثعلبة: سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: «ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ، وَتَناهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حتى إذَا رأيْتَ شُحّاً مُطاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وإعْجابَ كُلِّ ذِي رأيٍ بِرأيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ، وَذَرْ عَوَامَّهُمْ فإنَّ وَرَاءَكُمْ أيَّاماً أجْرُ العامِلِ فِيها كأجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

وقال آخرون: معنى ذلك: أن العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضرّه من ضلّ بعده وهلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ**﴾ يقول: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام، فلا يضرّه من ضلّ بعدُ إذا عمل بما أمرته به.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن

أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: أطيعوا أمري، واحفظوا وصيتي.

حدثنا هناد، قال: ثنا ليث بن هارون، قال: ثنا إسحاق الرازي، عن أبي جعفر الرازي، عن صفوان بن الجون، قال: دخل عليه شاب من أصحاب الأهواء، فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان: ألا أدلك على خاصة الله التي خصّ بها أولياءه ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ . . . الآية.

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا أبو المطرف المخزوميّ، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ما لم يكن سيف أو سوط.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا مرّة بن ربيعة، قال: تلا الحسن هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال الحسن: الحمد لله بها والحمد لله عليها، ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فاعملوا بطاعة الله ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فأمَرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عنبسة، عن سعد البقال، عن سعيد بن المسيب: ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: إذا أمرتَ بالمعروف ونهيت عن المنكر، لا يضرّك من ضلّ إذا اهتديت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن أبي العميس، عن أبي البختري، عن حذيفة: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: إذا أمرتم ونهيتم.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: قال أبو بكر: تقرءون هذه الآية: ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإن الناس إذا رأوا الظالم قال ابن وكيع: فلم يأخذوا على يديه، أوشكَ أن يعمّهم الله بعقابه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن فضيل، عن بيان، عن قيس، قال: قال أبو بكر:

إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يعمهم الله بعقابه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي بكر، عن النبيّ ﷺ، فذكر نحوه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر. قال أبو بكر بن أبي قحافة: يا أيها الناس لا تغترّوا بقول الله: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾ فيقول أحدكم عليّ نفسي. والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهونّ عن المنكر أو لتستعملنّ عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجيب لهم.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا بيان، عن قيس بن أبي حازم، قال: قال أبو بكر وهو على المنبر: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية على غير موضعها: ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، عمهم الله بعقابه.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثني عيسى بن المسيب البجلي، ثنا قيس بن أبي حازم، قال: سمعت أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذَا رأى النَّاسُ المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ والظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ، فَيُوشِكُ أنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقابٍ».

حدثنا الربيع، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا سعيد بن سالم، قال: ثنا منصور بن دينار، عن عبد الملك بن ميسرة، عن قيس بن أبي حازم، قال: صعد أبو بكر المنبر، منبر رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس إنكم لتتلون آية من كتاب الله، وتعدّونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشدّ منها: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ والله لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، أو ليعمنكم الله منه بعقاب.

حدثنا محمد بن سيَّار، قال: ثنا إسحاق بن إدريس، قال: ثنا سعيد بن زيد، قال: ثنا مجالد بن سعيد، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس: يا

أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية، ولا تدرون ما هي: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاسَ إذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقابٍ».

وقال آخرون: بل معنى هذه الآية: لا يضرّكم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: يعني: من ضلّ من أهل الكتاب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أنزلت في أهل الكتاب.

وقال آخرون: عني بذلك كلّ من ضلّ عن دين الله الحقّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: كان الرجل إذا أسلم، قالوا له: سفَّهت آباءك وضلَّلتهم، وفعلت وفعلت، وجعلت آباءك كذا وكذا، كان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

وأولى هذه الأقوال، وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما رُوي عن أبي بكر الصدّيق فيها، وهو: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾: الزموا العمل بطاعة الله، وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه. ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: فإنه لا يضرّكم ضلال من ضلّ إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله، وأدّيتم فيمن ضلّ من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظلماً لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيه وضلاله إذا أنتم اهتديتم وأدّيتم حقّ الله تعالى فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البرّ والتقوى ومن القيام بالقسط: الأخذ على يد الظالم ومن

التعاون على البرّ والتقوى: الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان للناس تَرْك ذلك، لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله ﷺ ترك ذلك، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصاً له تركه إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه. وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فبيِّن أنه قد دخل في معنى قوله: ﴿إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب، من أن ذلك أذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من عباده: اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، ومروا أهل الزيغ والضلال وما حاد عن سبيلي بالمعروف، وانهوهم عن المنكر فإن قبلوا فلهم ولكم، وإن تمادوا في غيهم وضلالهم فإن إليّ مرجع جميعكم ومصيركم في الآخرة ومصيرهم، وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشرّ، فأُخبر هناك كلّ فريق منكم بما كان يعمله في الدنيا ثم أجازيه على عمله الذي قدم به عليّ جزاءه حسب استحقاقه، فإنه لا يخفى عليّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ يقول: ليشهد بينكم ﴿إذا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ﴾ يقول: وقت الوصية، ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يقول: ذوا رشد وعقل وحِجاً من المسلمين. كما:

حدثنا محمد بن بشار، وعبيد الله بن يوسف الجبيري، قالا: ثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، في قوله: ﴿وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال: ذوا عقل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال بعضهم: عني به: من أهل ملتكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين.

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر، في قوله: ﴿**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ من المسلمين.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، في قوله: ﴿**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ قال: اثنان من أهل دينكم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أشعث، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: سألته، عن قول الله تعالى: ﴿**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ قال: من الملة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة، بمثله، إلا أنه قال فيه: من أهل الملة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة عن هذه الآية: ﴿**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ قال: من أهل الملة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن عبيدة، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين، عن زائدة، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة، فذكر مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن حماد، عن ابن أبي نجيح، وقال: ثنا مالك بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ قال: ذوا عدل من أهل الإسلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ قال: من المسلمين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان سعيد بن المسيب يقول: ﴿**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾: أي من أهل الإسلام.

وقال آخرون: عني بذلك: ذوا عدل من حيّ الموصي، وذلك قول رُوِي عن عكرمة وعبيدة وعدّة غيرهما.

واختلفوا في صفة الإثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ما هي، وما هما؟ فقال بعضهم: هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي. وقال آخرون: هما وصيان.

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان، قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم. وتأويل الذين قالوا: هما وصيان لا شاهدان، قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض، من قولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرته.

وأولى التأويلين بقوله: ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ تأويل من تأوّله بمعنى: أنهما من أهل الملة دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصي.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فغير جائز أن يُصرف ما عمه الله تعالى إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها. وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم، كما كان ذكرهم ابتداء على العموم.

وأَوْلَى المعنيين بقوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ اليمين، لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره لمن هي عنده على من هي عليه عند الحكام لأنّا لا نعلم لله تعالى حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين، فيكون جائزاً صرف الشهادة في هذا الموضع إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة. وفي حكم الآية في هذه اليمين على ذوي العدل، وعلى من قام مقامهم في اليمين بقوله: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ﴾ أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان دون الشهادة التي يقضي بها للمشهود له على المشهود عليه، وفساد ما خالفه.

فإن قال قائل: فهل وجدت في حكم الله تعالى يميناً تجب على المدّعي فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة؟ فإن قلت: لا، تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأوّلت، لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله: ﴿فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما﴾ هما المدعيين. وإن قلت بلى، قيل لك: وفي أيّ حكم الله تعالى وجدت ذلك؟ قيل: وجدنا ذلك في أكثر المعاني، وذلك في حكم الرجل يدّعي قِبَل رجل مالاً، فيقرّ به المدّعي عليه قبله

ذلك ويدعي قضاءه، فيكون القول قول ربّ الدين، والرجل يعترف في يد الرجل السلعة، فيزعم المعترَفة في يده أنه اشتراها من المدّعي أو أن المدّعي وهبها له، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه. وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدّعيين اللذين عثرا على الجانيين فيما جنيا فيه.

واختلف أهل العربية في الرافع قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾، وقوله: ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾. فقال بعض نحويي البصرة: معنى قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ شهادة اثنين ذوي عدل، ثم ألقيت الشهادة وأقيم الإثنان مقامها، فارتفعا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت في الكلام. قال: وذلك في حذف ما حذف منه وإقامة ما أقيم مقام المحذوف، نظير قوله: ﴿وَاسأَلِ القَرْيَةَ﴾ وإنما يريد: واسأل أهل القرية، وانتصبت القرية بانتصاب الأهل وقامت مقامه، ثم عطف قوله: «أو آخران» على «الإثنين».

وقال بعض نحويي الكوفة: رفع الإثنين بالشهادة: أي ليشهدكم اثنان من المسلمين، أو آخران من غيركم. وقال آخر منهم: رفعت الشهادة بـ«إذا حضر». وقال: إنما رفعت بذلك لأنه قال: «إذا حضر»، فجعلها شهادة محذوفة مستأنفة، ليست بالشهادة التي قد رفعت لكلّ الخلق، لأنه قال تعالى ذكره: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾، وهذه شهادة لا تقع إلا في هذا الحال، وليست مما ثبت.

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: الشهادة مرفوعة بقوله: ﴿إذَا حَضَرَ﴾ لأن قوله: ﴿إذا حَضَرَ﴾ بمعنى: عند حضور أحدكم الموت، والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم، وهو أن يشهد اثنان، فاكتفي من قيل أن يشهد بما قد جري من ذكر الشهادة في قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الشهادة مصدر في هذا الموضع، والاثنان اسم، والاسم لا يكون مصدراً، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال. فالأمر وإن كان كذلك، فصرف كل ذلك إلى أصحّ وجوهه ما وجدنا إليه سبيلاً أولى بنا من صرفه إلى أضعفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين، أو آخران من غير المسلمين.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه: أو آخران من غير أهل ملتكم نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، ويونس بن معاذ، قالا: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيرِكُمْ﴾ من أهل الكتاب.

حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدّث، عن سعيد بن المسيب: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيرِكُمْ﴾: من أهل الكتاب.

حدثني أبو حفص الجبيري عبيد الله بن يوسف، قال: ثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد، مثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسليمان التَّيمي، عن سعيد بن المسيب، أنهما قالا في قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيرِكُمْ﴾ قالا: من غير أهل ملتكم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، قال: ثني من سمع سعيد بن جبير، يقول، مثل ذلك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا التيمي، عن أبي مجلز، قال: من غير أهل ملتكم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: إن كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم، وإلا أشهد رجلين من المشركين.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا قتيبة، قال: ثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم، وسعيد بن جبير، في قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيرِكُمْ﴾ قالا: من غير أهل ملتكم.

حدثنا عمرو، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيرِكُمْ﴾ قال: من أهل الكتاب.

حدثنا عمرو، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر، في قوله: ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين، فإن لم تجدوا من المسلمين، فمن غير المسلمين.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن شريح، في هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فأشهد يهوديًا أو نصرانياً أو مجوسياً، فشهادتهما جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما، أجيزت شهادة المسلمين، وأبطلت شهادة الآخَرَيْن.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الأعمش، عن إبراهيم، عن شريح: أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا في الوصية، ولا يجيز شهادتهما على الوصية إلا إذا كانوا في سفر.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو معاوية ووكيع، قالا: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن شريح، قال: لا تجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر، ولا تجوز في سفر إلا في وصية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن شريح، نحوه.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي، قال: ثنا سفيان، عن منصور عن إبراهيم، قال: كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين، فكتب: لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا في وصية، ولا يجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافراً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أشهب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير الملة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة، بمثله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة، عن ذلك فقال: من غير أهل الملة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: من غير أهل الصلاة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: من غير أهل دينكم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين، عن زائدة، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: من غير أهل الملة.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا أبو حرّة، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير أهل ملتكم.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال: ثنا هشام بن محمد، قال: سألت سعيد بن جبير عن قول الله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير أهل ملتكم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا عمرو، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: من غير أهل ملتكم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير أهل الإسلام.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: قال أبو إسحاق: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من اليهود والنصارى. قال: قال شريح: لا تجوز شهادة اليهوديّ والنصرانيّ إلا في وصية، ولا تجوز في وصية إلا في سفر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي: أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدَقُوقَا، ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب. فقدما الكوفة، فأتيا الأشعري فأخبراه، وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ. فأحلفهما، وأمضى شهادتهما.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن مغيرة الأزرق، عن الشعبيّ: أن أبا موسى قضى بها بَدقُوقا.

حدثنا عمرو، قال: ثنا عثمان بن الهيثم، قال: ثنا عوف، عن محمد، أنه كان يقول في قوله: ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ شاهدان من المسلمين وغير المسلمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾: من غير أهل الإسلام.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا أبو حفص، عن ليث، عن مجاهد، قال: من غير أهل الإسلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عباس، قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾... الآية كلها. قال: كان ذلك في رجل تُوُفِّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أوّل الإسلام والأرض حرب والناس كفار، إلا أن رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة، وكان الناس يتوارثون بالوصية، ثم نُسخت الوصية وفُرضت الفرائض، وعمل المسلمون بها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو آخران من غير حَيّكم وعشيرتكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عثمان بن الهيثم بن الجَهْم، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: شاهدان من قومكم ومن غير قومكم.

حدثنا عمرو، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهريّ، قال: مضت السنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر، إنما هي في المسلمين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي من عشيرته ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير عشيرته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن ثابت بن زيد، عن عاصم، عن عكرمة: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير أهل حيكم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهديّ، عن ثابت بن زيد، عن عاصم، عن عكرمة: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير حيكم.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا ثابت بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عكرمة في قول الله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير أهل حيه يعني من المسلمين.

حدثني الحرث بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك، عن الحسن: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: من غير عشيرتك، ومن غير قومك كلهم من المسلمين.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: مسلمين من غير حيكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، قال: سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ﴾... إلى قوله﴾: وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾ قلت: أرأيت الإثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصي أهما من المسلمين أم هما من أهل الكتاب؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما، أتراهما من غير أهل المرء الموصي؟ أم هما من غير المسلمين؟ قال ابن شهاب: لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله ﷺ ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً، فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من إمام عادل، ولكنه يختلف فيها رأيهم. وكان أعجبهم فيها رأياً إلينا الذين كانوا يقولون: هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين، يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم، ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية، فإن سلموا جازت وصيته وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشيء حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين، فيقسمان بالله: إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله، إنا إذاً لمن الآثمين فإذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ما لم يعثر على أنهما استحقا إثماً في شيء من ذلك، فإن عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأوّلان المستحلفان أوّل مرّة، فيقسمان بالله: لشهادتنا على تكذيبكما أو إبطال ما شهدتما به وما اعتدينا، إنا إذن لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم... الآية.

وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوّله: أو آخران من غير أهل الإسلام وذلك أن الله تعالى عرّف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين أو اثنين من غير المؤمنين، ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم أو رجلين من غير

عشيرتكم، وإنما يقال: صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم، أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين. فإذ كان لا وجه لذلك في الكلام، فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى إلا إلى أحسن وجوهه. وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ إنما هو من أهل دينكم وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه. وإذا صحّ ذلك بما دللنا عليه، فمعلوم أن معنى قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ إنما هو: أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم. وإذ كان ذلك كذلك، فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدي وثن أو على أيّ دين كانا، لأن الله تعالى لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة بعد ألاّ يكونا من [غير] أهل الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية، أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم، إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الأرض. وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله قيل للمسافر الضارب في الأرض. ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ يقول: فنزل بكم الموت. ووجه أكثر التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير وقالوا: معناه: شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم، إن وجدا، فإن لم يوجدا فآخران من غيركم، وإنما فعل ذلك من فعله، لأنه وجه معنى الشهادة في قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم، أو يبطلها. ذكر بعض من تأوّل ذلك كذلك:

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر، في قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين، فإن لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين.

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: اثنان من أهل دينكم، أو آخران من غيركم من أهل الكتاب إذا كان ببلاد لا يجد غيرهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن شريح في هذه الآية: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فأشهد يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فشهادتهم جائزة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال:

هذا في الحضر، ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ في السفر، ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتَمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ هذا في الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس، فيوصي إليهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، وسعيد بن جبير، أنهما قالا في هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾... الآية، قال: إذا حضر الرجلَ الوفاة في سفر، فيشهد رجلين من المسلمين، فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فهذا لمن مات وعنده المسلمون، فأمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين. ثم قال: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين، فأمره الله تعالى بشهادة رجلين من غير المسلمين.

ووَجَّه ذلك آخرون إلى معنى التخيير، وقالوا: إنما عني بالشهادة في هذا الموضع الأيمان على الوصية التي أوصى إليهما وائتمان الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدّياه إلى ورثته بعد وفاته إن ارتيب بهما. قالوا: وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعاً للأمانة، من مؤمن وكافر، في السفر والحضر. وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى، وسنذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ باللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لانَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم، أو كان أوصى إليهما، أو آخران من غيركم، إن كنتم في سفر فحضرتكم المنية فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم، فإذا أنتم أوصيتم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال فأصابتكم مصيبة الموت، فأدَّيا إلى ورثتكم ما ائتمنتموها وادّعوا عليهما خيانة خاناها مما ائتمنا عليه، فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما، يقول: تستوقفونهما بعد الصلاة. وفي الكلام محذوف اجتزىء بدلالة ما ظهر منه على ما حذف، وهو: فأصابتكم مصيبة الموت وقد أسندتم وصيتكم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال، فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة. ﴿فَيُقْسِمَانِ بالله إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ يقول: فيحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها، أو تبديلها. والارتياب: هو الاتهام.

﴿لانَشْتَرِي به ثَمَناً﴾ يقول: يحلفان بالله لانشتري بأيماننا بالله ثمناً، يقول: لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه وعلى مال نذهب به أو لحقّ نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وإليهم وصيتهم. والهاء في قوله «بِهِ» من ذكر الله، والمعني به الحلف والقَسَم ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به، فيعرف من معنى الكلام، واكتفي به من إعادة ذكر القسم والحلف. ﴿وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى﴾ يقول: يقسمان بالله لا نطلب بإقسامنا بالله عوضاً فنكذب فيها لأحد، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوِي الخبر عن ابن عباس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين، فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله: لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً.

وقوله: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ من صلاة الآخرين. ومعنى الكلام: أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم بهما، فيقسمان بالله لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربَى.

واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية فقال: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ فقال بعضهم: هي صلاة العصر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي: أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا، فلم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب. قال: فقدما الكوفة، فأتيا الأشعريّ فأخبراه، وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ. قال: فأحلفهما بعد العصر بالله: ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ولا غيّرا، وإنها لوصية الرجل وتركته. قال: فأمضى شهادتهما.

حدثنا ابن بشار وعمرو بن عليّ، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: ﴿أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب، فإنهما يحلفان بعد العصر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، بمثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُم...**﴾ إلى: ﴿**فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ**﴾ فهذا رجل مات بغربة من الأرض وترك تركته وأوصى بوصيته وشهد على وصيته رجلان، فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد العصر. وكان يقال عندها تصير الأيمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسعيد بن جبير، أنهما قالا في هذه الآية: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ**﴾ قالا: إذا حضر الرجل الوفاة في سفر، فليشهد رجلين من المسلمين، فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب، فإذا قدما بتركته، فإن صدّقهما الورثة قبل قولهما، وإن اتهموهما أحلفا بعد صلاة العصر: بالله ما كذبنا، ولا كتمنا، ولا خُنَّا، ولا غَيَّرنا.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن القطان، قال: ثنا زكريا، قال: ثنا عامر: أن رجلاً توفي بدقوقا، فلم يجد من يشهده على وصيته إلاّ رجلين نصرانيين من أهلها، فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر في مسجد الكوفة: بالله ما كتما ولا غَيَّرا، وإن هذه الوصية. فأجازها.

وقال آخرون: بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ...**﴾ إلى قوله: ﴿**ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ**﴾ قال: هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه، قال: هذا في الحضر: ﴿**أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ**﴾ في السفر ﴿**إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ**﴾ هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس، فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه، فيقبلان به، فإن رضي أهل الميت الوصية وعرفوا مال صاحبهم تركوا الرجلين، وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان، فذلك قوله: ﴿**تَحْبِسُونَهُما من بَعْدِ الصَّلاةِ... إن ارْتَبْتُمْ.**﴾ قال عبد الله بن عباس: كأني أنظر إلى العِلْجين حين انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره، ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوّنوهما، فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر، فقلت له: إنهما لا يباليان صلاة العصر، ولكن

استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، ويحلفان بالله لا نشتري ثمناً قليلاً ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله، إنا إذن لمن الآثمين، إن صاحبهم لبهذا أوصى، وإن هذه لتركته. فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما، ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فإذا قال لهما ذلك، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا، قول من قال: تحبسونهما من بعد صلاة العصر لأن الله تعالى عرّف الصلاة في هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها، ولا تدخلهما العرب إلاّ في معروف، إما في جنس، أو في واحد معهود معروف عند المتخاطبين. فإذا كان كذلك، وكانت الصلاة في هذا الموضع مجمعاً على أنه لم يعن بها جميع الصلوات، لم يجز أن يكون مراداً بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى، لأن لهم صلوات ليست واحدة، فيكون معلوماً أنها المعنية بذلك. فإذ كان ذلك كذلك، صحّ أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين. وإذ كان ذلك كذلك، وكان النبيّ ﷺ صحيحاً عنه أنه إذ لاعن بين العجلانيين لاعن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات، كان معلوماً أن التي عنيت بقوله: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ هي الصلاة التي كان رسول الله ﷺ يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه. هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت، وذلك لقربه من غروب الشمس. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿لا نَشْتَري به ثَمَناً﴾ ما:

حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً﴾ قال: نأخذ به رشوة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ إنَّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾.

اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ﴾ بإضافة الشهادة إلى الله، وخفض اسم الله تعالى يعني: لا نكتم شهادة الله عندنا. وذكر عن الشعبيّ أنه كان يقرؤه كالذي:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن ابن عون، عن عامر، أنه كان يقرأ: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ، إنَّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾ بقطع الألف وخفض اسم الله. هكذا حدثنا به ابن وكيع.

وكأن الشعبيّ وجه معنى الكلام إلى أنهما يقسمان بالله لا نشتري به ثمناً ولا نكتم شهادة عندنا، ثم ابتدأ يميناً باستفهام بالله أنهما إن اشتريا بأيمانهما ثمناً أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين. وقد رُوِي عن الشعبيّ في قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية، وذلك ما:

حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا عباد بن عباد، عن ابن عون، عن الشعبيّ، أنه قرأ: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ إنَّا إذاً لَمِنَ الآثِمِينَ.﴾ قال أحمد، قال أبو عبيد: تنوّن شهادة، ويخفض «الله» على الاتصال. قال: وقد رواها بعضهم بقطع الألف على الإستفهام.

وحفض إنَّا لقراءة الشعبيّ بترك الاستفهام. وقرأها بعضهم: «وَلا نَكْتُمُ شَهادَةً اللّهِ» بتنوين الشهادة ونصب اسم «الله»، بمعنى: ولا نكتم الله شهادة عندنا.

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ﴾ بإضافة الشهادة إلى اسم «الله» وخفض اسم «الله»، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار التي لا يتناكر صحتها الأمة. وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك: ولا نكتم شهادة الله وإن كان صاحبها بعيداً.

حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن زيد عنه. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فإنْ عُثِرَ﴾: فإن اطلع فيهما، أو ظهر. وأصل العثر: الوقوع على الشيء والسقوط عليه، ومن ذلك قولهم: عثرت إصبع فلان بكذا: إذا صدمته وأصابته، ووقعت عليه ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إذَا عَثَرَتْ ... فالتَّعْسُ أدْنى لَهَا مِنْ أنْ أقولَ لَعا[1]

يعني بقوله: «عثرت»: أصاب ميسم خفها حجر أو غيره، ثم يستعمل ذلك في كلّ واقع

(١) البيت في «اللسان» (لوث) شاهداً على أن اللوث: معناه القوة. وروايته (فالتعس أدنى لها من أن يقال لعا) قال ابن بري: صواب إنشاده: «من أن أقول لعا». قال: وكذا هو في شعره، ومعنى ذلك أنها لا تعثر لقوتها، فلو عثرت لقلت: تعست. وقوله (بذات لوث) متعلق (بكلفت) في بيت قبله، وهو:

كلفت مجهولها نفسي وشايعني ... همي عليها إذا ما آلها لمعا

والعفرناة: الناقة القوية. والتعس: الانحطاط والعثور. ولعا: كلمة يدعى بها للعاثر، معناها: الارتفاع قال الأعشى.... البيت. أبو زيد: إذا دعي للعاثر بأن ينتعش، قيل: لعا لك عالياً. وقال أبو عبيدة: من دعائهم: لالعا لفلان: أي لا أقامه الله.

على شيء كان عنه خفياً، كقولهم: «عَثَرْتُ على الغزل بأَخَرَة، فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً»، بمعنى: وقعت.

وأما قوله: ﴿على أنَّهما اسْتَحَقَّا إثْماً﴾ فإنه يقول تعالى ذكره: فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله: لا نشتري بأيماننا ثمناً، ولو كان ذا قُربى، ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا إثماً، يقول: على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثماً، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خنَّا، ولا بدّلنا، ولا غَيَّرنا، فإن وجدا قد خانا من مال الميت شيئاً، أو غَيَّرا وصيته، أو بدّلا، فأثما بذلك من حلفهما بربهما ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما﴾ يقول: يقوم حينئذٍ مقامهما من ورثة الميت الأوليان الموصى إليهما.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب، فإنهما يحلفان بعد العصر، فإذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئاً، حَلَفَ أولياء الميت إنه كان كذا وكذا، ثم استحقُّوا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، بمثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة، فإن ارتِيبَ في شهادتهما، استحلفا بعد الصلاة بالله: ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً فإن اطلع الأولياء على أن الكافِرَين كذبا في شهادتهما، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنا لم نَعْتَدِ فذلك قوله: ﴿فإنْ عُثِرَ على أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً﴾ يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذباً، ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما﴾ يقول: من الأولياء، فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنَّا لم نعتد. فتردّ شهادة الكافرين، وتجوز شهادة الأولياء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فإنْ عُثِرَ على أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً﴾ أي اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حكم الله تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان

فنقلها إلى الآخرين بعد أن عُثِر عليهما أنهما استحقا إثماً. فقال بعضهم: إنما ألزمهما اليمين إذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته أنه أوصى لغير الذي يجوز في حكم الإسلام، وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله، أو أوصى أن يفضِّل بعض ولده ببعض ماله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ**﴾ من أهل الإسلام، ﴿**أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ**﴾ من غير أهل الإسلام، ﴿**إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ...**﴾ إلى: ﴿**فَيُقْسِمانِ باللَّهِ**﴾ يقول: فيحلفان بالله بعد الصلاة، فإن حلفا على شيء يخالف ما أنزل الله تعالى من الفريضة، يعني اللَّذَين ليسا من أهل الإسلام، فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت، فيحلفان بالله: ما كان صاحبنا ليوصِيَ بهذا، أو: إنهما لكاذبان، ولشهادتنا أحقّ من شهادتهما.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، يحلفان بالله: لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قُربى ولا نكتم شهادة الله، إنَّا إذن لمن الآثمين إن صاحبكم لبهذا أوصى، وإن هذه لتركته فإذا شهدا، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا، قال لأولياء الرجل: اذهبوا فاضربوا في الأرض واسألوا عنهما، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة أو أحداً يطعن عليهما رددنا شهادتهما فينطلق الأولياء فيسألون، فإن وجدوا أحداً يطعنُ عليهما أو هما غير مرضيين عندهم، أو اطُّلع على أنهما خانا شيئاً من المال وجدوه عندهما، فأقبل الأولياء فشهدوا عند الإمام وحلفوا بالله: لشهادتنا إنهما لخائنان متهمان في دينهما مطعون عليهما أحقّ من شهادتهما بما شهدا، وما اعتدينا. فذلك قوله: ﴿**فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيهِمُ الأوْلَيانِ**﴾.

وقال آخرون: بل إنما ألزم الشاهدان اليمين، لأنهما ادّعيا أنه أوصى لهما ببعض المال. وإنما ينقل إلى الآخرين من أجل ذلك إذا ارتابوا بدعواهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر في قوله: ﴿**تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ باللَّهِ**﴾ قال: زعما أنه أوصى لهما بكذا وكذا، ﴿**فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً**﴾ أي بدعواهما لأنفسهما، ﴿**فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيهِمُ الأوْلَيانِ**﴾ إنّ صاحبنا لم يوص إليكما بشيء مما تقولان.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الشاهدين ألزما اليمين في ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله، ودعواهم قبلها خيانة مال معلوم المبلغ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما، فيحلف الوارث حينئذٍ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما إنما صحح دعواه إذا حقق حقه، أو الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادّعى عليهما الوارث أو بجميعه، ثم دعواهما في الذي أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلاَّ ببينة، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة، فينقل حينئذٍ اليمين إلى أولياء الميت.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكماً يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها، فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيراً لذلك. ولم نجد ذلك كذلك صحّ بخبر عن الرسول ﷺ ولا بإجماع من الأمة، لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالى، فيكون أصلاً مسلماً. والمقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيراً لأصل فيما تنازعت فيه الأمة، كان واضحاً فساده. وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا، فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادّعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم في أن من حكم الله تعالى أن مدّعياً لو ادّعى في مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدّعي في ماله الوصية مع أيمانهم، دون قول مدّعي ذلك مع يمينه، وذلك إذا لم يكن للمدّعي بينة. وقد جعل الله تعالى اليمين في هذه الآية على الشهود إذا ارتيب بهما، وإنما نقل الأيمان عنهم إلى أولياء الميت، إذا عُثِر على أن الشهود استحقوا إثماً في أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال: ألزم اليمين الشهود لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت في ماله، على أن ما قلنا في ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذي وردت به الأخبار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن يحيى بن أبي زائدة، عن محمد بن أبي القاسم، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ وعديّ بن بداء، فمات السهميّ بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاماً من فضة مخوّصاً بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ. ثم وُجد الجام بمكة، فقالوا: اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بداء. فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا: لشهادتنا أحقّ من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم. قال: وفيهم أنزلت: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ.

حدثنا الحسن بن أبي شعيب الحراني، قال: ثنا محمد بن سلمة الحراني، قال: ثنا

محمد بن إسحاق، عن أبي النضر، عن زاذان مولى أمّ هانىء ابنة أبي طالب، عن ابن عباس، عن تميم الدراريّ في هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوْتُ﴾ قال: برىء الناس منها غيري وغير عديّ بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم، يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة، ومعه جام فضة يريد به الملك، وهو عظم تجارته، فمرض، فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات، أخذنا ذلك الجام، فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعديّ بن بداء، [فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عنه] فقلنا: ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره. قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، وأدّيت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ، فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فحلف، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿أنْ تُرَدَّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمانِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص، ورجل آخر منهم، فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عديّ بن بداء.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة وابن سيرين وغيره. قال: وثنا الحجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، دخل حديث بعضهم في بعض: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ...﴾ الآية، قال: كان عديّ وتميم الداريّ وهما من لخم نصرانيان يتجران إلى مكة في الجاهلية. فلما هاجر رسول الله ﷺ حوّلا متجرهما إلى المدينة، فقدم ابن أبي مارية[1] مولى عمرو بن العاص المدينة، وهو يريد الشام تاجراً. فخرجوا جميعاً، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية، فكتب وصيته بيده ثم دسّها في متاعه، ثم أوصى إليهما. فلما مات، فتحا متاعه، فأخذا ما أرادا. ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا، ففتح أهله متاعه، فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به، وفقدوا شيئاً فسألوهما عنه، فقالوا: هذا الذي قبضنا له ودفع إلينا قال لهما أهله: فباع شيئاً أو ابتاعه؟ قالا: لا. قالوا: فهل استهلك من متاعه شيئاً؟ قالا: لا. قالوا: فهل تجرَ تجارة؟ قالا: لا. قالوا: فإنا قد فقدنا بعضه فاتهما، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوْتُ...﴾ إلى قوله: ﴿إنَّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾ قال: فأمر رسول الله ﷺ أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر: بالله الذي لا إله إلاّ هو، ما قبضنا له غير هذا ولا كتمنا قال: فمكثنا ما شاء الله

(١) قوله ابن أبي مارية، ويقال: ابن أبي مريم، كما تقدم، كذا في الشهاب.

أن نمكث، ثم ظهر معهما على إناء من فضة منقوش مموّه بذهب، فقال أهله: هذا من متاعه، قالا: نعم، ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا، فكرهنا أن نكذّب أنفسنا فترافعوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية الأخرى: ﴿فإن عُثِرَ على أنَّهما اسْتَحَقَّا إثماً فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ﴾ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغَيَّبا ويستحقانه. ثم إن تميماً الداريّ أسلم وبايع النبيّ ﷺ، وكان يقول: صدق الله ورسوله، أنا أخذت الإناء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ...﴾ الآية كلها، قال: هذا شيء حين لم يكن الإسلام إلاّ بالمدينة، وكانت الأرض كلها كفراً، فقال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْل مِنكُمْ﴾ من المسلمين، ﴿أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ من غير أهل الإسلام، ﴿إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ قال: كان الرجل يخرج مسافراً والعرب أهل كفر، فعسى أن يموت في سفره فيسند وصيته إلى رجلين منهم، فيقسمان بالله إن ارتبتم في أمرهما إذا قال الورثة: كان مع صاحبنا كذا وكذا، فيقسمان بالله: ما كان معه إلاّ هذا الذي قلنا. ﴿فإنْ عُثِرَ على أنَّهما اسْتَحَقَّا إثماً﴾ إنما حلفا على باطل وكذب. ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ﴾ بالميت ﴿فَيُقْسِمانِ باللَّهِ لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَما اعْتَدَيْنا إنَّا إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا، قال هؤلاء: لم يكن معه. قال: ثم عثر على بعض المتاع عندهما، فلما عثر على ذلك ردّت القَسَامة على وارثه، فأقسما، ثم ضمن هذان. قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أدْنَى أنْ يَأْتُوا بالشَّهادَةِ على وَجْهِها أوْ يَخافُوا أنْ تُرَدَّ أيمَانٌ﴾ فتبطل أيمانُهم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾ الكاذبين الذين يحلفون على الكذب. وقال ابن زيد: قدم تميم الداريّ وصاحب له، وكانا يومئذٍ مشركين ولم يكونا أسلما، فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجل، وجاءا بتركته، فقال أولياء الميت: كان مع صاحبنا كذا وكذا، وكان معه إبريق فضة وقال الآخران: لم يكن معه إلاّ الذي جئنا به. فحلفا خلف الصلاة. ثم عثر عليهما بعد والإبريق معهما فلما عثر عليهما ردّت القسامة على أولياء الميت بالذي قالوا مع صاحبهم، ثم ضمنها الذي حلف عليه الأوليان.

حدثنا الربيع، قال: ثنا الشافعيّ، قال: أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفريّ، عن بكر بن معروف، عن مقاتل بن حيان، قال بكر: قال مقاتل: أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك في قول الله: ﴿اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أن رجلين نصرانيين من أهل دَارِين،

أحدهما تميمي والآخر يماني، صاحبَهما مولى لقريش في تجارة، فركبوا البحر ومع القرشيّ مال معلوم قد علمه أولياؤه من بين آنية وبزّ ورِقَة. فمرض القرشيّ، فجعل وصيته إلى الداريّين، فمات. وقبض الداريان المال والوصية، فدفعاه إلى أولياء الميت، وجاءا ببعض ماله. وأنكر القوم قلة المال، فقالوا للداريّين: إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما اتيتمونا به، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئاً فوُضِعَ فيه؟ أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه؟ قالا: لا. قالوا: فإنكما ختنتمانا فقبضوا المال ورفعوا أمرهما إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ...**﴾ إلى آخر الآية. فلما نزل: أن يُحبسا من بعد الصلاة، أمر النبيّ ﷺ فقاما بعد الصلاة، فحلفا بالله ربّ السموات ما ترك مولاكم من المال إلاَّ ما أتيناكم به، وإنا لا نشتري بأيماننا ثمناً قليلاً من الدنيا ولو كان ذا قُربى، ولا نكتم شهادة الله، إنَّا إذن لمن الآثمين فلما حلفا خُلِّي سبيلهما. ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت، فأُخِذ الداريان فقالا: اشتريناه منه في حياته وكذبا، فكُلِّفا البينة فلم يقدرا عليها. فرفعوا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿**فإن عُثِرَ**﴾ يقول: فإن اطُّلع على أنهما استحقا إثماً، يعني الداريَّين إن كَتَما حقًّا، فآخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان، فيقسمان بالله إن مال صاحبنا كان كذا وكذا، وإن الذي يُطْلَب قِبَل الدار يِّين لحق، وما اعتدينا، إنَّا إذن لمن الظالمين. هذا قول الشاهدين أولياء الميت، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، يعني: الداريين والناس أن يعودوا لمثل ذلك.

قال أبو جعفر: ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التي روينا دليل واضح على صحة ما قلنا من أن حكم الله تعالى باليمين على الشاهدين في هذا الموضع، إنما هو من أجل دعوى ورثته على المسنَد إليهما الوصية خيانة فيما دفع الميت من ماله إليهما، أو غير ذلك مما لا يبرأ فيها المدّعي ذلك قبله إلاَّ بيمين، وإن نقل اليمين إلى ورثة الميت، بما أوجبه الله تعالى بعد أن عثر على الشاهدين أنهما استحقّا إثماً في أيمانهما، ثم ظُهِر على كذبهما فيها، إنّ القوم ادّعوا فيما صحّ أنه كان للميت دعوى من انتقال ملك عنه إليهما ببعض ما تزول به الأملاك، مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدَّعَى، وتكون البينة فيها على المدعي وفساد ما خالف في هذه الآية مما قلنا من التأويل. وفيها أيضاً البيان الواضح على أن معنى الشهادة التي ذكرها الله تعالى في أوّل هذه القصة إنما هي اليمين، كما قال الله تعالى في مواضع أخر: ﴿**والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ولَمْ يكُنْ لهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أنْفُسُهُمْ فشَهادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ باللَّهِ إنَّهُ لمِنَ الصَّادقينَ**﴾، فالشهادة في هذا الموضع معناها القسم من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين، وكذلك معنى قوله: ﴿**شَهادَةُ بَيْنِكُمْ**﴾ إنما هو قَسَم بينكم، ﴿**إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ**﴾ أن يقسم ﴿**اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ إن كانا اتمنا على ما قال، فارتيب بهما، أو اتمن آخران من غير

المؤمنين فاتهما. وذلك أن الله تعالى لمّا ذكر نقل اليمين من اللذين ظهر على خيانتهما إلى الآخرين، قال: ﴿فَيُقسِمانِ باللهِ لَشهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما.﴾ ومعلوم أن أولياء الميت المدّعين قِبَل اللذين ظهر على خيانتهما، غير جائز أن يكونا شهداء بمعنى الشهادة التي يؤخذ بها في الحكم حقّ مدّعى عليه لمدّع، لأنه لا يعلم لله تعالى حكم قضى فيه لأحد بدعواه، ويمينه على مدّعًى عليه بغير بينة ولا إقرار من المدّعى عليه ولا برهان. فإذ كان معلوماً أن قوله: ﴿لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما﴾ إنما معناه: قسمنا أحقّ من قسمهما، وكان قسم اللذين عثر على أنهما أثما هو الشهادة التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما﴾ صح أن معنى قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ بمعنى الشهادة في قوله: ﴿لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما﴾ وأنها بمعنى القسم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيهِمُ الأوْلَيانِ﴾ فقرأ ذلك قرّاء الحجاز والعراق والشام: «مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ» بضم التاء. ورُوِي عن عليّ وأبي بن كعب والحسن البصري أنهم قرءوا ذلك: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيهِمُ﴾ بفتح التاء.

واختلفت أيضاً في قراءة قوله: ﴿الأوْلَيانِ﴾ فقرأته عامَّة قرّاء أهل المدينة والشام والبصرة: ﴿الأوْلَيانِ،﴾ وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: «الأولين». وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأوَّلانِ».

وأولى القراءتين بالصواب في قوله: «مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِم» قراءة من قرأ بضمّ التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، مع مساعدة عامَّة أهل التأويل على صحة تأويله، وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله: فآخران من أهل الميت الذين استحقّ المؤتمنان على مال الميت الإثم فيهم، يقومان مقام المستحقّ الإثم فيهما بخيانتهما ما خانا من مال الميت. وقد ذكرنا قائل ذلك أو أكثر قائليه فيما مضى قبل، ونحن ذاكرو باقيهم إن شاء الله تعالى ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران لا يحضره غير اثنين منهم، فإن رضي ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك، وحلف الشاهدان إن اتهما إنهما لصادقان، فإن عثر وجد لطخ حلف الاثنان الأوليان من الورثة، فاستحقا، وأبطلا أيمان الشاهدين.

وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بفتح التاء، أرادوا أن يوجهوا تأويله إلى: فَآخران يقومان مقامهما مقام المؤتمنين اللذين عثر على خيانتهما في القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبلهما من الذين استحقّ على المؤتمنين على المال على خيانتهما القيام مقامهما في القسم والاستحقاق في الأوليان بالميت. وكذلك كانت قراءة من رُوِيت هذه القراءة عنه، فقرأ ذلك:

﴿مِنَ الَّذِينَ استَحَقَّ﴾ بفتح التاء على معنى: الأوليان بالميت وماله. وذلك مذهب صحيح وقراءة غير مدفوعة صحتها، غير أنا نختار الأخرى لإجماع الحجة من القرّاء عليها مع موافقتها التأويل الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الرحمن وكريب عن عليّ، أنه كان يقرأ: «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن وائل مولى أبي عبيد، عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر، عن أبيّ بن كعب، أنه كان يقرأ: «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ».

وأما أولى القراءات بالصواب في قوله: ﴿الأَوْلَيانِ﴾ عندي، فقراءة من قرأ: ﴿الأَوْلَيانِ﴾ بصحة معناها وذلك لأن معنى: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الإثم، ثم حذف «الإثم» وأقيم مقامه «الأوليان»، لأنهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت، كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم، وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل. ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة، وهو قوله: ﴿شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ﴾ ومعناه: أن يشهد اثنان، وكما قال: ﴿فَيُقْسِمان باللّهِ إنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي به ثَمَناً﴾ فقال «به»، فعاد بالهاء على اسم «الله» وإنما المعنى: لا نشتري بقسمنا بالله، فاجتزىء بالعود على اسم الله بالذكر، والمراد به: لا نشتري بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم. وكذلك اجتزىء بذكر الأوليين من ذكر الإثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما إياها، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته، وذلك قوله: ﴿فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً﴾ وأما الذين قرءوا ذلك «الأوّلين» فإنهم قصدوا في معناه إلى الترجمة به عن «الذين»، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع، إذ كان «الذين» جمعاً وخفضاً، إذ كان «الذين» مخفوضاً. وذلك وجه من التأويل، غير أنه إنما يقال للشيء أوّل إذا كان له آخر هو له أوّل، وليس للذين استحقّ عليهم الإثم آخرهم له أوّل، بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا إثماً قبل أيمانهم، فهم إلى أن يكونوا إذ كانت أيمانهم آخراً أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أوّلين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها. وأما القراءة التي حكيت عن الحسن، فقراءة عن قراءة الحجة من القرّاء شاذّة، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بعدها من الصواب.

واختلف أهل العربية في الرافع لقوله: ﴿الأَوْلَيانِ﴾ إذا قرىء كذلك، فقال بعض نحويي البصرة: يزعم أنه رفع ذلك بدلاً من «آخران» في قوله: ﴿فآخَرَانِ يَقومانِ مَقامَهُما﴾ وقال: إنما

جاز أن يبدل الأوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة، لأنه حين قال: ﴿يَقُومانِ مَقامهمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتحقّ عَلَيهم﴾ كان كأنه قد حدَّهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى، فقال: «الأوْلَيانِ»، فأجرى المعرفة عليهما بدلاً. قال: ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير. واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز:

عَلَيَّ يَوْمَ يَمْلِكُ الأمُورَا صَوْمَ شُهورٍ وَجَبتْ نُذورَا
وبَادِناً مُقَلَّداً مَنْحورَا[1]

قال: فجعله «عليّ واجب»، لأنه في المعنى قد أوجب.

وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك ويقول: لا يجوز أن يكون «الأوليان» بدلاً من «آخران» من أجل أنه قد نَسَق «فيقسمان» على «يقومان» في قوله: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ﴾ فلم يتمّ الخبر عند من قال: لا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر، كما قال: غير جائز «مررت برجل قام زيد وقعد» وزيد بدل من رجل.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: «الأوليان» مرفوعان بما لم يسمّ فاعله، وهو قوله: «اسْتَحَقَّ عَلَيْهِم» وأنهما موضع الخبر عنهما، فعمل فيهما ما كان عاملاً في الخبر عنهما وذلك أن معنى الكلام: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الإثم بالخيانة، فوضع «الأولیان» موضع «الإثم» كما قال تعالى في موضع آخر: أجَعَلْتُمْ سقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَام كمَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ومعناه: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر؟ وكما قال: وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، وكما قال بعض الهذليين:

يُمَشِّي بَيْنَنا حانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطاطِ[2]

وهو يعني صاحب حانوت خمر، فأقام الحانوت مقامه لأنه معلوم أن الحانوت لا يمشي، ولكن لما كان معلوماً عنده أنه لا يخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه حذف الصاحب، واجتزأ بذكر الحانوت منه، فكذلك قوله: «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ» إنما هو من الذين استحقّ فيهم خيانتهما، فحذفت «الخيانة» وأقيم «المختانان» مقامها، فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف ولو ظهر. وأما قوله: «عليهم» في هذا الموضع، فإن معناها: فيهم، كما قال

---

(١) لم أقف على قائل هذا الرجز. والراجز ينذر أنه إذا ملك هذا الرجل أمور الناس، فإنه سيصوم أشهراً، ويهدي إلى البيت بدنا مقلدة لتنحر في الحرم.

(٢) البيت للمتنخل الهذلي المعاني الكبير لابن قتيبة، طبع الهند (ص ـ ٤٧٢) قال: أي صاحب الحانوت، وهو من العجم والصراصرة: نبط الشام، والقطاط: الجعاد. وفي «اللسان» قطط: ورجل قط الشعر وقططه، والجمع أقطاط وقطاط، وأنشد البيت. وفيه أيضاً: وشعر قط وقطط: جعد قصير.

تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيمانَ﴾ يعني: في ملك سليمان، وكما قال: ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ فـ «في» توضع موضع «على»، و «على» في موضع «في» كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام، ومنه قول الشاعر:

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها عَلى أَقْطارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[1]

وقد تأوّلت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى: «فإنْ عُثِرَ على أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ» أنهما رجلان آخران من المسلمين، أو رجلان أعدل من المُقسِمَين الأوّلين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن عامر، عن شريح في هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أوْ آخَرانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل بأرض غُرْبة[2]، ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فأشهد يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان، فشهدا بخلاف شهادتهم، أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فإنْ عُثِرَ﴾ أي اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا، أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الأوّلين.

---

(١) حقق ابن السيد نسبة هذا البيت ومعناه تحقيقا لا مزيد عليه في الاقتضاب شرح أدب الكتاب (ص ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢)، فأما قائله فهو أبو المثلم الهذلي، يرد به على صخر الغي الهذلي، وليس هو من كلام صخر كما زعم الأصمعي، وتبعه ابن قتيبة في المعاني الكبير (ص ـ ٩٦٩) ونقله عنهما «اللسان» (نفث). وأما معناه فإن ابن قتيبة قال في كتاب المعاني الكبير: يذكر كتيبة، أراد: من أقطارها وهي نواحيها: أي متى تشكوا فيها ترد عليكم في الدماء تنفثها نفثاً، أي ترون كتيبة نكراء. وقال ابن السيد: إن الأصمعي روى في آخر هذا الشعر بيتاً وقع في غير موضعه، وهو:

فلا وأبيك لا تنفك مني إليك مقالة فيها وعوث

فهذا البيت إذا قدمه قبل قوله «متى ما تنكروها» استقام الشعر. . . لأن الهاء في قوله تنكروها تعدو على المقالة. والمعنى: إني أقول فيكم مقالة لا تقدرون على إنكارها ورفعها عن أنفسكم، لأني أسمها بأسمائكم، وأشهرها بذكركم، وتأتيكم وعلى أقطارها الدم المنفوث. أي أنها مقالة تثير الحرب، وسفك الدماء، كما يقال: هذا كلام يقطر مه الدم. قال: وفي الأشعار الجاهلية والإسلامية القديمة كثير من هذا النوع، قد أفسدته الرواة، فقدموا وأخروا، يرى ذلك من تأمل الأشعار وعنى بها. ا هـ. قلت: وقد ضرب ابن السيد لذلك أمثالاً، فارجع إلى الاقتضاب.

(٢) أرض غربة: بعيدة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء، قال: كان ابن عباس يقرأ: «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوَّلَيْنِ» قال: كيف يكون «الأوْلَيان»، أرأيت لو كان الأوليان صغيرين؟

حدثنا هناد وابن وكيع، قال: ثنا عبدة، عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: كان يقرأ: «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوَّلَيْنِ» قال: وقال: أرأيت لو كان الأوليان صغيرين، كيف يقومان مقامهما؟

قال الإمام أبو جعفر: فذهب ابن عباس فيما أرى إلى نحو القول الذي حكيت عن شريح وقتادة، من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانِيَّيْن، أو عَدْلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الأوّلين أو المُقسِمَين. وفي إجماع جميع أهل العلم على أن لا حكم لله تعالى يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة، دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذي قاله الحسن ومن قال بقوله في قول الله تعالى: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما﴾ أولى به.

وأما قوله ﴿الأوْلَيانِ﴾ فإن معناه عندنا: الأولى بالميت من المقسمين الأوّلين فالأولى، وقد يحتمل أن يكون معناه: الأولى باليمين منهما فالأولى، ثم حذف «فيهما» والعرب تفعل ذلك فتقول: فلان أفضل، وهي تريد أفضل منك، وذلك إذا وضع أفعل موضع الخبر. وإن وقع موقع الاسم وأدخلت فيه الألف واللام، فعلوا ذلك أيضاً إذا كان جواباً لكلام قد مضى، فقالوا: هذا الأفضل، وهذا الأشرف يريدون هو الأشرف منك. وقال ابن زيد: معنى ذلك: الأوليان بالميت.

حدثني يونس، عن ابن وهب، عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمانِ باللّهِ لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَما اعْتَدَيْنا إنَّا إذَنْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فيُقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا إثماً بخيانتهما مال الميت الأوليان باليمين والميت من الخائنين: ﴿لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما﴾ يقول: لأيماننا أحقّ من أيمان المقسمين المستحقين الإثم وأيمانهما الكاذبة في أنهما قد خانا في كذا وكذا من مال ميتنا، وكذا في أيمانهما التي حلفا بها. ﴿وَما اعْتَدَيْنا﴾ يقول: وما تجاوزنا الحقّ في أيماننا. وقد بينا أن معنى الاعتداء: المجاوزة في الشيء حدّه. ﴿إنَّا إذَنْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: إنا إن كنا اعتدينا في أيماننا، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين، ﴿لمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

يقول: لِمِمَّنْ عَدَا ومَنْ يأخذ ما ليس له أخذه، ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿ذلكَ﴾**: هذا الذي قلت لكم في أمر الأوصياء إذا ارتبتم في أمرهم واتهمتموهم بخيانة المال من أوصى إليهم من حَبْسهم بعد الصلاة، واستحلافكم إياهم على ما ادّعى قِبَلهم أولياء الميت **﴿أدنى لَهُم أنْ يَأتُوا بالشَّهادَةِ على وجهِها﴾** يقول: هذا الفعل إذا فعلتم بهم أقرب لهم أن يصدقُوا في أيمانهم، ولا يكتموا، ويقرّوا بالحقّ، ولا يخونوا. **﴿أوْ يَخافُوا أنْ تُرَدَّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمَانِهِمْ﴾** يقول أو يخافوا هؤلاء الأوصياء إن عُثِر عليهم أنهم استحقوا إثماً في أيمانهم بالله، أن تردَّ أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التي عثر عليها أنها كذب، فيستحقوا بها ما ادّعوا قِبَلهم من حقوقهم، فيصدقوا حينئذٍ في أيمانهم وشهادتهم مخافة الفضيحة على أنفسهم وحذراً أن يستحقّ عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم، ونحن ذاكرو الرواية في ذلك عن بعض من بقي منهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **﴿فإن عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً﴾** يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذباً، **﴿فآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾** يقول: من الأولياء، فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة وإنَّا لم نعتدِ، فتردّ شهادة الكافرين وتجوز شهادة الأولياء. يقول تعالى ذكره: ذلك أدنى أن يأتي الكافرون بالشهادة على وجهها، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم. وليس على شهود المسلمين إقسام، وإنما الإقسام إذا كانوا كافرين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ذَلِكَ أدْنَى أنْ يَأْتُوا بالشَّهادَةِ...﴾** الآية، يقول: ذلك أحرى أن يصدقوا في شهادتهم، وأن يخافوا العقاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أوْ يَخافُوا أنْ تُرَدَّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمَانِهِمْ﴾** قال: فتبطل أيمانهم، وتؤخذ أيمان هؤلاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: تحبسونهما من بعد الصلاة، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، وعلى أنهما استحقا إثماً، فآخران يقومان مقامهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله لا نشتري به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قُربى، ولا نكتم شهادة الله، إنا إذن لمن الآثمين، إنّ صاحبكم لبهذا أوصى، وإن هذه لتركته فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كنتما كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما. فإن قال لهما ذلك، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسمَعُوا وَاللّهُ لا يَهدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله، وأن تخونوا من ائتمنكم. ﴿واسمَعُوا﴾ يقول: اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به، فاعملوا به وانتهوا إليه. ﴿وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾ يقول: والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه.

وكان ابن زيد يقول: الفاسق في هذا الموضع: هو الكاذب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾: الكاذبين يحلفون على الكذب.

وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع، إلاّ أن الله تعالى عمّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفساق، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقل، فذلك على معاني الفسق كلها حتى يخصص شيئاً منها ما يجب التسليم له فيسلم له.

ثم اختلف أهل العلم في حكم هاتين الآيتين، هل هو منسوخ، أو هو محكم ثابت؟ فقال بعضهم: هو منسوخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن رجل، قد سماه، عن حماد، عن إبراهيم، قال: هي منسوخة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: هي منسوخة. يعني هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ...﴾ الآية.

وقال جماعة: هي محكمة وليست بمنسوخة. وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى.

والصواب من القول في ذلك أن حكم الآية منسوخ، وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره

الذي عليه أهل الإسلام، من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، إلى يومنا هذا، أن من ادُّعِيَ عليه دعوى مما يملكه بنو آدم أن المدَّعى عليه لا يبرئه مما ادُّعِيَ عليه إلاَّ اليمين إذا لم يكن للمدّعي بينة تصحح دعواه، وإنه إن اعترف وفي يدي المدّعى سلعة له، فادّعى أنها له دون الذي في يده، فقال الذي هي في يده: بل هي لي اشتريتها من هذا المدّعي، أن القول قول من زعم الذي هي في يده أنه اشتراها منه دون من هي في يده مع يمينه إذا لم يكن للذي هي في يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه. فإذ كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصي إلى عدلين من المسلمين أو إلى آخرَيْن من غيرهم، إنما ألزم النبيّ ﷺ فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادّعى عليهما الورثة ما ادّعوا ثم لم يُلزم المدّعى عليهما شيئاً إذ حلفا، حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم فزعما أنهما اشترياه من ميتهم، فحينئذٍ ألزم النبيّ ﷺ ورثة الميت اليمين، لأن الوصيين تحوّلا مدّعِيَين بدعواهما ما وجدا في أيديهما من مال الميت أنه لهما اشتريا ذلك منه فصارا مقرّين بالمال للميت مدّعيين منه الشراء، فاحتاجا حينئذٍ إلى بينة تصحح دعواهما وورثة الميت ربّ السلعة أولى باليمين منهما، فذلك قوله تعالى: **﴿فإنْ عُثرَ على أنَّهما استَحَقَّا إثْماً فآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ باللهِ لَشَهادَتُنا أحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما. . .﴾** الآية. فإذ كان تأويل ذلك كذلك فلا وجه لدعوى مدّع أن هذه الآية منسوخة، لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ إلاَّ بخبر يقطع العذر إما من عند الله أو من عند رسوله ﷺ، أو بورود النقل المستفيض بذلك، فأما ولا خبر بذلك، ولا يدفع صحته عقل، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾.

يقول تعالى ذكره: واتقوا الله أيها الناس، واسمعوا وعظه إياكم وتذكيره لكم، واحذروا يوم يجمع الله الرسل. ثم حذف «واحذروا» واكتفى بقوله: **﴿وَاتَّقُوا اللّهَ واسمَعُوا﴾** عن إظهاره، كما قال الراجز:

عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً ... حتى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْناها[1]

---

(١) البيت في «اللسان» (علف) أنشده الفراء. وروايته «حتى شتت. . . الخ» أي: وسقيتها ماء. وهو من شواهد النحويين في باب المفعول معه، على أنه إذا امتنع العطف بالواو على مشاركة الثاني للأول، وامتنع أن يكون مفعولاً معه، وجب إضمار فعل، كما في البيت، أي: وسقيتها ماء بارداً، على أنه مفعول به، والفعل

يريد: وسقيتها ماء بارداً، فاستغنى بقوله «علفتها تبناً» من إظهار سقيتها، إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه. فكذلك في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ حذف «واحذروا» لعلم السامع معناه، اكتفاء بقوله: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ واسمَعُوا﴾ إذ كان ذلك تحذيراً من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه.

وأما قوله: ﴿ماذَا أُجِبْتُمْ﴾ فإنه يعني به: ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدي والإقرار بي والعمل بطاعتي والانتهاء عن معصيتي؟ قالوا: لا علم لنا.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى قولهم: ﴿لا عِلْمَ لَنا﴾ لم يكن ذلك من الرسل إنكاراً أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم، ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا﴾ قال: ذلك أنهم لما نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا، قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، قال: سمعت الحسن يقول، في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ . . . الآية، قال: من هول ذلك اليوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ﴾ فيفزعون، فيقول: ماذا أجبتم؟ فيقولون: ﴿لا عِلْمَ لَنا﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا علم لنا إلا ما علمتنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد،

المحذوف معطوف على الفعل المذكور. قال في التصريح للشيخ خالد على أوضح المسالك لابن هشام: هذا قول الفراء والفارسي ومن تبعهما. وإليه أشار الناظم (ابن مالك) بقوله «أو اعتقد إضمار عامل نصب». وذهب جماعة من أئمة نحاة البصرة: (الجرمي، والمازني، والمبرد، والأصمعي، وأبو محمد اليزيدي) إلى ن لا حذف، وأن ما بعد الواو معطوف على ما قبله؛ وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما، بعامل يصح انصبابه عليهما معاً، فيؤول علفتها: بأنلتها، لأن الإنالة يصح تسليطها على التبن والماء. فهو من باب التضمين. والأكثرون على أنه قياسي، وضابطه أن يكون الأول والثاني يجتمعان في معنى عام.

في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ﴾ فيقولون: ﴿قالُوا لا عِلْمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا﴾ إلا علم أنت أعلم به منا.

وقال آخرون: معنى ذلك ﴿ماذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم؟ وماذا أحدثوا؟.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وماذا أحدثوا بعدكم؟ قالوا: ﴿قالُوا لا عِلْمَ لَنا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لا عِلْمَ لَنا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾: أي أنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها. فإنما نفي القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء، فقال تعالى ذكره: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

وأما الذي قاله ابن جريج من أن معناه: ماذا عملت الأمم بعدكم؟ وماذا أحدثوا؟ فتأويل لا معنى له، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك، وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك فإنما يقال لها: ماذا عرّفناك أنه كائن منهم بعدك؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياهم يدلّ على غير ذلك

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم: ماذا أجابتكم أممكم في الدنيا ﴿إذ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيَدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ فـ «إذْ» من صلة «أجبتم»، كأن معناها: ماذا أجابت عيسى الأمم التي أرسل إليها عيسى.

فإن قال قائل: وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها في عهد عيسى، ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقلّ من ذلك؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله: فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى. فخرج الخبر مخرج الجميع، والمراد منهم من كان في عهد عيسى، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ والمراد: واحد من الناس، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس.

ومعنى الكلام: ﴿إذْ قالَ اللَّهُ﴾ حين قال ﴿يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ يقول: يا عيسى، اذكر أياديّ عندك وعند والدتك، إذ قوّيتك بروح القدس وأعنتك به.

وقد اختلف أهل العربية في أيدتك ما هو من الفعل، فقال بعضهم: هو فعلتك، كما في قولك: قوّيتك فعلت من القوّة.

وقال آخرون: بل هو فاعلتك من الأيد. ورُوِي عن مجاهد أنه قرأ: «إذْ آيَدْتُكَ» بمعنى: أفعلتك من القوّة والأيد. وقوله: ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾ يعني بجبريل، يقول: إذ أعنتك بجبريل. وقد بينت معنى ذلك وما معنى القُدُس فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً وَإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بإذْنِي وَتُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ بإذْنِي وَإذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بإذْنِي وَإذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّناتِ فقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قِيله لعيسى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ في حال تكليمك الناس في المهد وكهلاً. وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره أنه أيَّده بروح القُدس صغيراً في المهد وكهلاً كبيراً، فردّ «الكهل» على قوله في «المهد» لأن معنى ذلك: صغيراً، كما قال الله تعالى ذكره: دَعانا لِجَنْبِهِ أوْ قاعِداً أو قائماً. وقوله: ﴿وَإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ

والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ﴾ يقول: واذكر أيضاً نعمتي عليك إذ علمتك الكتاب: وهو الخط، والحكمة: وهي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته إليك وهو الإنجيل. **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾** يقول: كصورة الطير، **﴿بإذْنِي﴾** يعني بقوله **﴿تَخْلُقُ﴾**: تعمل وتصلح من الطين، **﴿كَهيئَةِ الطَّيْرِ بإذْنِي﴾** يقول: بعوني على ذلك وعلم مني. **﴿فَتَنْفُخُ فِيها﴾** يقول: فتنفخ في الهيئة، فتكون الهيئة والصورة **﴿طَيْراً بإذْنِي وتُبْرِىءُ الأكْمَهَ﴾** يقول: وتشفي الأكمه: وهو الأعمى الذي لا يبصر شيئاً المطموس البصر، **﴿والأبْرَصَ بإذْنِي﴾**. وقد بينت معاني هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسراً بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: **﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّناتِ﴾** يقول: واذكر أيضاً نعمتي عليك، بكفِّي عنك بني إسرائيل إذ كففتهم عنك وقد هّموا بقتلك، **﴿إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّنَاتِ﴾** يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك وحقية ما أرسلتك به إليهم. **﴿فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: فقال الذين جحدوا نبوّتك وكذّبوك من بني إسرائيل: **﴿إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: **﴿إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** يعني: يبين عما أتى به لمن رآه ونظر إليه أنه سحر لا حقيقة له. وقرأ ذلك عامَّة قراء الكوفة: «إنْ هَذَا إلاَّ ساحِرٌ مُبِينٌ» بمعنى: ما هذا، يعني به عيسى، إلا ساحر مبين، يقول: يبين بأفعاله وما يأتي به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبيّ صادق.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين، وذلك أن كلّ من كان موصوفاً بفعل السحر فهو موصوف بأنه ساحر، ومن كان موصوفاً بأنه ساحر فإنه موصوف بفعل السحر، فالفعل دالّ على فاعله والصفة تدلّ على موصوفها، والموصوف يدلّ على صفته والفاعل يدلّ على فعله فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب الصواب في قراءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً يا عيسى إذ ألقيت إلى الحواريين، وهم وزراء عيسى على دينه. وقد بينا معنى ذلك ولم قيل لهم الحواريون فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلف ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿وَإِذْ أوْحَيْتُ﴾** وإن كانت متفقة المعاني، فقال بعضهم بما:

حدثني به محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الحَوَارِيِّينَ﴾ يقول قذفت في قلوبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ألهمتهم.

فتأويل الكلام إذن: وإذ ألقيت إلى الحواريين أن صدّقوا بي وبرسولي عيسى، فقالوا: آمنًا: أي صدّقنا بما أمرتنا أن نؤمن يا ربنا. ﴿واشْهَدْ﴾ علينا ﴿بأنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ يقول: واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالذلة سامعون، مطيعون لأمرك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا عيسى أيضاً نعمتي عليك، إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قالوا لعيسى ابن مريم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ فـ «إذ» الثانية من صلة «أوحيت».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: «هَلْ تَسْتَطِيعُ» بالتاء «رَبَّكَ» بالنصب، بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك، وهل تستطيع أن تدعو ربك أو هل تستطيع وترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟

حدثنا ابن وكيع قال: ثنا محمد بن بشر، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبي مليكة، قال: قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى، هل تستطيع ربّك؟

حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا ابن مهدي، عن جابر بن يزيد بن رفاعة، عن حيان بن مخارق، عن سعيد بن جبير أنه قرأها كذلك: «هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ» وقال: تستطيع أن تسأل ربك؟ وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾ بمعنى: أن ينزّل علينا ربُّك، كما يقول الرجل لصاحبه: أتستطيع أن تنهض معنا في كذا؟ وهو يعلم أنه يستطيع، ولكنه إنما يريد: أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزّل علينا؟

وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾ برفع الربّ، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله: ﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ﴾ من صلة «إذ أوحيت»، وأن معنى الكلام: وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. فبين إذ كان ذلك كذلك، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك، والإقرار لله بالقدرة على كلّ شيء، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار. وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاماً منه لما قالوا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ففي استتابة الله إياهم، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله ﷺ عند قيلهم ما قالوا من ذلك، واستعظام نبيّ الله ﷺ كلمتهم، الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع الربّ إذ كان لا معنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء؟ أن تستكبر هذا الإستكبار.

فإن ظنّ ظانّ أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم، لأن ذلك منهم كان مسألة آية، فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذّباً، ليتقرّر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها، كما كانت مسألة قريش نبينا محمداً ﷺ أن يحوّل لهم الصفا ذهباً ويفجّر فجاج مكة أنهاراً من سأله من مشركي قومه، وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذّبي قومه، ومسألة شعيب أن يسقط كِسْفاً من السماء من كفار من أرسل إليهم. وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء، على هذا الوجه كانت مسألتهم، فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب الربّ محلاً أعظم من المحلّ الذي ظنوا أنهم نزّهوا ربهم عنه، أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبيّ مبعوث ورسول مرسل، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر. فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه، إذ كان فقيراً أن يسأل له ربه أن يغنيه، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها، فأنّى ذلك من مسألة الآية في شيء؟ بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له. وخبر الله تعالى عن القوم ينبىء بخلاف ذلك، وذلك أنهم قالوا لعيسى، إذ قال لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا﴾. فقد أنبأ هذا عن قيلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته، فلا بيان أبين من هذا الكلام في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشكّ في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ليث، عن عقيل، عن ابن عباس، أنه كان يحدّث عن عيسى ﷺ أنه قال لبني إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم تسألوه فيعطيَكم ما سألتم؟ فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا: يا معلم الخير، قلت لنا: إن أجر العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطعمنا حين نفرغ طعاماً ﴿**فَهَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قال**﴾ عيسى ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشّاهِدِينَ**﴾... إلى قوله: ﴿**لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ**﴾ قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ**﴾ قالوا: هل يطيعك ربك إن سألته؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها.

وأما المائدة فإنها الفاعلة، من ماد فلان القوم يَمِيدُهم مَيْداً: إذا أطعمهم ومارهم ومنه قول رؤبة:

نُـهْـدِي رُؤوسَ الـمُـتْـرَفِـيـنَ الأنْـداد ... إلـى أمِـيـرِ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ الـمُـمْـتـاد[1]

يعني بقوله: الممتاد: المُسْتَعْطَى، فالمائدة المطعِمة الخوانُ[2] سميت بذلك، لأنها تطعم الآكل مما عليها. والمائد: المدارُ به في البحر، يقال: ماد يَمِيدُ مَيْداً.

وأما قوله: ﴿**قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ فإنه يعني: قال عيسى للحواريين القائلين له: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ**﴾: راقبوا الله أيها القوم، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا، فإن الله لا يعجزه شيء أراده، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتم مؤمنين يقول: إن كنتم

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣) وترتيبهما في الأرجوزة (١٠٢، ١٠٤) وقافية الأول الصداد، في مكان: الأنداد والأرجوزة في مديح تميم، وسعد، وخندف، ونفسه. والأنداد: جمع ند، وهو الشبه والنظير. أما الصداد: فجمع صاد، أي معرض عن الشيء. والممتاد: المطلوب منه العطاء. كما في «اللسان» (ميد) وأورد البيتين، بترتيبهما عند المؤلف. ثم قال: أي المتفضل على الناس، وهو المستعطى المسؤول.

(٢) في الأصل سميت الخوان بذلك.

مصدقيّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: قال الحواريون مجيبي عيسى على قوله لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في قولكم ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾: أنّا إنما قلنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربنا لنأكل من المائدة، فنعلم يقيناً قدرته على كلّ شيء ﴿وتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا﴾ يقول: وتستكن قلوبنا وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد، ونعلم أن قد صدقتنا، ونعلم أنك لم تكذّبنا في خبرك أنك لله رسول مرسل ونبيّ مبعوث. ﴿ونَكُونَ عَلَيها﴾ يقول: ونكون على المائدة، ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ يقول: ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على ما شاء ولك على صدقك في نبوّتك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى ﷺ أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تَكُونُ لَنا عِيداً لأَوَّلِنا وآخِرِنا﴾ فقال بعضهم: معناه: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿تَكُونُ لَنا عِيداً لأَوَّلِنا وآخِرِنا﴾ يقول: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وآخِرِنا﴾ قال: أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لأَوَّلِنا**﴾ قال: الذين هم أحياء منهم يومئذ ﴿**وآخِرِنا**﴾ مَن بعدهم منهم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: قال سفيان: ﴿**تَكُونُ لَنا عِيداً**﴾ قالوا: نصلي فيه نزلت مرّتين.

وقال آخرون: معناه: نأكل منها جميعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ليث، عن عقيل، عن ابن عباس، أنه قال: أكل منها يعني من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أوّلهم.

وقال آخرون: معنى قوله ﴿**عِيداً**﴾ عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهاناً.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: تكون لنا عيداً، نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ونصلي له فيه، كما يعيِّد الناس في أعيادهم. لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا دون القول الذي قاله من قال معناه: عائدة من الله علينا وتوجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل.

وأما قوله: ﴿**لأَوَّلِنا وآخِرِنا**﴾ فإن الأولى من تأويله بالصواب قول من قال: تأويله للأحياء منا اليوم ومن يجيء بعدنا منا للعلة التي ذكرناها في قوله: ﴿**تَكُونُ لَنا عِيداً**﴾ لأن ذلك هو الأغلب من معناه.

وأما قوله: ﴿**وآيَةً مِنْكَ**﴾ فإن معناه: وعلامة وحجة منك يا ربّ على عبادك في وحدانيتك، وفي صدقي على أني رسول إليهم بما أرسلتني به. ﴿**وَارْزُقْنا وأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾: وأعطنا من عطائك، فإنك يا ربّ خير من يعطي وأجود من تفضّل، لأنه لا يدخل عطاءه منّ ولا نكد.

وقد اختلف أهل التأويل في المائدة، هل أنزلت عليهم أم لا؟ وما كانت؟ فقال بعضهم: نزلت وكانت حوتاً وطعاماً، فأكل القوم منها، ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً.

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا أبي، عن الفضيل، عن عطية، قال: المائدة سمكة فيها طعم كلّ طعام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن فضيل، عن مسروق، عن عطية، قال: المائدة: سمك فيه من طعم كلّ طعام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الرحمن، قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: نزلت على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا المنذر بن النعمان، أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً﴾ قال: نزل عليهم قِرصَة من شعير وأحوات. قال الحسن: قال أبو بكر: فحدّثت به عبد الصمد بن معقل، فقال: سمعت وهباً وقيل له: وما كان ذلك يغني عنهم؟ فقال: لا شيء ولكن الله حثا بين أضعافهنّ البركة، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون، ويجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون، حتى أكلوا جميعهم وأفضلوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ قال: مائدة عليها طعام أبَوْها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن تنزل عليهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن إسحاق بن

عبد الله: أن المائدة نزلت على عيسى ابن مريم، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، يأكلون منها ما شاءوا. قال: فسرق بعضهم منها، وقال: لعلها لا تنزل غداً فرفعت.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جنب عمار بن ياسر، فلما فرغ، قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال: فقلت لا. قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد، قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا أو ترفعوا، فإن فعلتم فإني أعذّبكم عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين. قال: فما تمّ يومهم حتى خبئوا ورفعوا وخانوا، فعُذّبوا عذاباً لم يعذّبه أحداً من العالمين. وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب، ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة، وأيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذّبكم عذاباً أليماً

حدثنا الحسن بن قزعة البصريّ، قال: ثنا سفيان بن حبيب، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن جلاس بن عمرو، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «نَزَلَتِ المَائِدَةُ خُبْزاً ولَحْماً، وأُمِرُوا أنْ لا يَخُونُوا وَلا يَدَّخِرُوا وَلا يَرْفَعُوا لِغَد، فَخانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ».

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا يوسف بن خالد، قال: ثنا نافع بن مالك، عن عكرمة عن ابن عباس في المائدة، قال: كانت طعاماً ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن جلاس بن عمرو، عن عمار، قال: نزلت المائدة، وعليها ثمر من ثمر الجنة، فأمروا أن لا يخبئوا ولا يخونوا ولا يدّخروا. قال: فخان القوم وخبئوا وادخروا، فحوّلهم الله قردة وخنازير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة، وأمروا أن لا يخبئوا ولا يخونوا ولا يدّخروا لغد، بلاء أبلاهم الله [به]، وكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك أنبأهم به عيسى، فخان القوم فيه فخبئوا وادّخروا لغد.

وقال آخرون: كان عليها من كلّ طعام إلا اللحم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ميسرة، قال: كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل، اختلفت عليها الأيدي بكلّ طعام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عطاء، عن ميسرة وزاذان، قالا: كانت الأيدي تختلف عليها بكل طعام.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان الثوريّ، عن عطاء بن السائب، عن زاذان وميسرة في: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ قالا: رأوا الأيدي تختلف عليها بكلّ شيء إلا اللحم.

وقال آخرون: لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة: ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبيّ الله الآيات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ قال: مثل ضرب، لم ينزل عليهم شيء.

وقال آخرون: إن القوم لما قيل لهم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فإنّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أعذّبه أحَداً مِنَ العالَمِينَ﴾ استعْفَوا منها فلم تنزل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول لما قيل لهم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾. . . إلى آخر الآية، قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم تنزل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن أنه قال في المائدة: لم تنزل.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، فأبَوْا أن تنزل عليهم.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه. وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه

وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه. وبعد، فإن الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف، وقد قال تعالى مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها لأن ذلك منه تعالى خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فإنّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العالَمِينَ﴾ ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك.

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون كان سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون كان ثمراً من ثمر الجنة وغير نافع العلم به ولا ضارّ الجهل به إذا أقرّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم، فقال تعالى ذكره: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ يقول: فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعامكموها منكم رسالتي إليه وينكر نبوّة نبيي عيسى ﷺ ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته، فإني أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من عالمي زمانه. ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا، فعذّبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير. كالذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾. . . الآية، ذكر لنا أنهم حوّلوا خنازير.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبي عديّ، ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن أبي المغيرة القوّاس، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن أشدّ الناس عذاباً ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن عوف، قال: سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول: قال عبد الله بن عمرو: إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة: مَنْ كفر من أصحاب المائدة، والمنافقون، وآل فرعون.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ**﴾ بعد ما جاءته المائدة، ﴿**فإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العالَمِينَ**﴾ يقول: أعذّبه بعذاب لا أعذّبه أحداً من العالمين غير أهل المائدة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يوم يجمع الله الرسل، فيقول ماذا أجبتم، إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ وقيل: إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مَنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ قال: لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه، قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله عن قوله، فـ﴿**قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ**﴾... إلى قوله: ﴿**وأنْتَ على كُلّ شَيْء شَهِيدٌ**﴾.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك في القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**وَإذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ قال: والناس يسمعون، فراجعه بما قد رأيت، وأقرّ له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان يقول باطلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ميسرة، قال: ﴿**قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ فأرعدت مفاصله، وخشي أن يكون قد قال، فـ﴿**قالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**﴾... الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

فعلى هذا التأويل الذي تأوّله ابن جريج يجب أن يكون «وإذْ» بمعنى «وإذا»، كما قال في موضع آخر: وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا، بمعنى: يفزعون. وكما قال أبو النجم:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَى ... جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلا(١)

والمعنى: إذا جزى. وكما قال الأسود:

فالآنَ إِذْ هازَلْتُهُنَّ فإِنَّمَا ... يَقُلْنَ ألا لم يذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبا(٢)

بمعنى: إذا هازلتهنّ. وكأنّ من قال في ذلك بقول ابن جريج هذا، وجّه تأويل الآية إلى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بعدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ في الدنيا وأعذّبه أيضاً في الآخرة، ﴿إذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك، قول من قال بقول السدّيّ: وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين: إحداهما: أن «إذ» إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضي من الفعل، وإن كانت قد تدخلها أحياناً في موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها وذلك غير فاشٍ ولا فصيح في كلامهم، فتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر. والأخرى: أن عيسى لم يشكّ هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيباً لربه تعالى: ﴿**إن تعذّب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**.

---

(١) أبو النجم من كبار الرجاز في عصر بني أمية، وهو الفضل بن قدامة، من عجل، وكان ينزل بسواد الكوفة. والعلالي، جمع علية (بكسر العين وبضمها قليلاً) على فعلية: الغرف. يريد غرف الجنات العالية. والعلا: جمع العليا، وهو كالتوكيد للذي قبله. والظاهر: أن (إذ) في الرجز دالة على زمان مستقبل. قال ابن هشام في «المغني» (١/ ٧٥) والوجه الثاني (من دلالة إذ) أن تكون اسماً للزمان المستقبل، نحو: «يومئذ تحدث أخبارها». والجمهور لا يثبتون هذا القسم، ويجعلون الآية من باب «ونفخ في الصور» أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع. وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم﴾ فإن يعلمون مستقبل لفظاً ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في (إذ)، فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا). قلت: وهذا ما أراده المؤلف هنا.

(٢) البيت للأسود بن يعفر. وهو شاهد على أن (إذ) فيه بمعنى (إذا) دالة على المستقبل لا على الماضي، لأن قوله (هازلتهن) في معنى (أهازلهن) يقول: إن حلائله قد يئسن منه، لكبره، فإذا جاء يهازلهن، ساء به ظنهن، وصددن عنه.

فإن قال قائل: وما كان وجه سؤال الله عيسى: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين من التأويل: أحدهما: تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له: «أفعلته» على وجه النهي عن فعله والتهديد له فيه. والآخر: إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدّلوا دينهم بعده، فيكون بذلك جامعاً إعلامه حالهم بعده وتحذيره له قيله.

وأما تأويل الكلام: فإنه: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين، أي معبودين تعبدونهما من دون الله؟ قال عيسى: تنزيهاً لك يا ربّ وتعظيماً أن أفعل ذلك أو أتكلم به، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ يقول: ليس لي أن أقول ذلك لأني عبد مخلوق وأمي أمة لك، فهل يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية؟ ﴿إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، يقول: إنك لا يخفى عليك شيء، وأنت عالم أني لم أقل ذلك ولم آمرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نبيه عيسى ﷺ أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفي أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به، فقال: ﴿سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ثم قال: ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي﴾ يقول: إنك يا ربّ لا يخفى عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطلق به ولم أظهره بجوارحي، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي؟ يقول: لو كنت قد قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله كنت قد علمته، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم أنطق به فكيف بما قد نطقت به. ﴿وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾ يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾ يقول: إنك أنت العالم بخفيات الأمور التي لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى، يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم، وهو أن قلت لهم ﴿اعْبُدُوا الله رَبِّي ورَبَّكُمْ وكُنْتُ عَلَيهِمْ شَهِيداً﴾ يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم. ﴿فلمَّا توفَّيْتَني﴾

يقول: فلما قبضتني إليك، ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِمْ﴾ يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.

وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرّفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله: ﴿أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ... وأنْتَ على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول: وأنت تشهد على كل شيء، لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظْهُر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿كُنتَ أنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِمْ﴾ أما الرقيب: فهو الحفيظ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِمْ﴾ قال: الحفيظ.

وكانت جماعة من أهل العلم تقول: كان جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله تعالى توفيقاً منه له فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: ﴿أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقّ﴾ قال: الله وقّقه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود الحفري، قال: قرىء على سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه طاوس، قال: احتجّ عيسى والله وقّقه: ﴿أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾... الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ميسرة، قال: قال الله تعالى: ﴿يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ قال: فأرعدت مفاصله، وخشي أن يكون قد قالها، فـ ﴿قالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقّ إنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تعذّب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها، فإنهم عبادك، مستسلمون لك، لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرّاً ولا أمراً تنالهم به. وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها فتستر عليهم، فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه، الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب. كالذي:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فتخرجهم من النصرانية وتهديهم إلى الإسلام، ﴿فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ وهذا قول عيسى في الدنيا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ قال: والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة: «هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» بنصب «يوم». وقرأ بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة وعامّة قرّاء أهل العراق: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ برفع يوم. فمن رفعه رفعه بهذا، وجعل «يوم» اسماً، وإن كانت إضافته غير محضة، لأنه صار كالمنعوت. وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون في إعراب الأوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها، إن كان ما بعدها رفعاً رفعوها، كقولهم: هذا يومُ يركب الأمير، وليلةُ يصدر الحاج، ويومُ أخوك منطلق وإن كان ما بعدها نصباً نصبوها، وكذلك كقولهم: هذا يومَ خرج الجيش وسار الناس، وليلةَ قتل زيد ونحو ذلك، وإن كان معناها في الحالين: «إذ»، و«إذا». وكأنَّ من قرأ هذا هكذا رفعاً وجه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة، وكذلك كان السديّ يقول في ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ.

﴿قالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ هذا فصل من كلام عيسى، وهذا يوم القيامة.

يعني السدي بقوله: «هذا فصل من كلام عيسى» أن قوله: ﴿سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ﴾... إلى قوله: ﴿فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ من خبر الله عزّ وجلّ عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة. وأما النصب في ذلك، فإنه يتوجه من وجهين: أحدهما: أن إضافة «يوم» ما لم تكن إلى اسم تجعله نصباً، لأن الإضافة غير محضة، وإنما تكون الإضافة محضة إذا أضيف إلى اسم صحيح. ونظير اليوم في ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الأزمنة، كما قال النابغة:

على حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصِّبا وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[(١)]

والوجه الآخر: أن يكون مراداً بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن، «يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» فيكون اليوم حينئذ منصوباً على الوقت والصفة، بمعنى: هذا الأمر في يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: «هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة، لأن معنى الكلام: أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال: ﴿سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾.... إلى قوله: ﴿فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فقال له عزّ وجلّ: هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ فاليوم وقت القول والصدق النافع.

فإن قال قائل: فما موضع «هذا»؟ قيل رفع فإن قال: فأين رافعه؟ قيل مضمر، وكأنه قال: قال الله عزّ وجلّ: هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، كما قال الشاعر:

أما تَرَى السَّحابَ كَيْفَ يَجْرِي هَذَا وَلا خَيْلُكَ يا ابْنَ بِشْرِ[(٢)]

يريد: هذا هذا، ولا خيلك.

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا لما بينا: قال الله لعيسى: هذا القول النافع في يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ في الدنيا صِدْقُهُمْ ذلك في الآخرة عند الله. ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها «عفا ذو حساً من فرتني فالفوارع» مختار الشعر الجاهلي، طبعة الحلبي (ص - ١٥٦) يقول في بيت قبله: إنه كفكف دموعه التي سالت على نحره، لتذكره أيام وصاله. ويقول: هنا حينما ذكرت شيبي عاتبته على الصبوة والحنين إلى أيام الشباب، وقلت لنفسي ألومها: كفى ما كان منك من لهو في الشباب، وكفاك الشيب وازعاً وزاجراً عن اللهو والعبث، وقد آن لي أن أصحو من غفلتي، وأتنبه لما يستقبلني من الموت الذي أصبح قريباً مني.

(٢) لم أقف على قائل هذا الرجز. ومعناه أن السحاب يجري أسرع من خيل ابن بشر.

الأنهارُ﴾ يقول: للصادقين في الدنيا جناتٌ تجري من تحتها الأنهار في الآخرة ثواباً لهم من الله عزّ وجلّ، على ما كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعدوه، فوفوا به لله، فوفى الله عزّ وجلّ لهم ما وعدهم من ثوابه. **﴿خالِدِينَ فِيها أبَداً﴾** يقول: باقين في الجنات التي أعطاهموها أبداً دائماً لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول. وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود: الدوام والبقاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه، **﴿ورَضُوا عَنْهُ﴾** يقول: ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه. **﴿ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾** يقول: هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، مرضيًّا عنهم، وراضين عن ربهم، هو الظفر العظيم بالطَّلِبة وإدراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا، ولها كانوا يعملون فيها، فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أيها النصارى **﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾** يقول: له سلطان السموات والأرض، **﴿وَما فِيهِنَّ﴾** دون عيسى الذين تزعمون أنه إلهكم ودون أمه، ودون جميع من في السموات ومن في الأرض فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهنّ وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والإنتقال، يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهنّ. ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه، فيعقلوا عنه. **﴿وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: والله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهنّ، قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن وإهلاك عيسى وأمه ومن في الأرض جميعاً كما ابتدأ خلقهم، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة.

(٦) سورة الأنعام مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿الحَمْدُ للَّهِ﴾: الحمد الكامل لله وحده لا شريك له، دون جميع الأنداد والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام. وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر يُنْحَى به نحو الأمر، يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس وخلق السموات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحداً شيئاً، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكاً من خلقه. وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾.

يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وأظلم الليل وأنار النهار. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾ قال: الظلمات: ظلمة الليل، والنور: نور النهار.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أما قوله: ﴿الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾ فإنه خلق السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار.

فإن قال قائل: فما معنى قوله إذن «جَعَلَ»؟ قيل: إن العرب تجعلها ظرفاً للخبر والفعل، فتقول: جعلت أفعل كذا، وجعلت أقوم وأقعد، تدلّ بقولها «جعلت» على اتصال الفعل، كما

تقول: علقت أفعل كذا، لا أنها في نفسها فعل، يدلّ على ذلك قول القائل: جعلت أقوم، وإنه لا جعل هناك سوى القيام، وإنما دلّ بقوله «جعلت» على اتصال الفعل ودوامه، ومن ذلك قول الشاعر:

وزَعَمْتَ أنَّكَ سوْفَ تسْلُكُ قارداً ... والمَوْتُ مُتَّسِعٌ طَرِيقَيْ قادِرِ
فاجْعَلْ تَحَلَّلْ مِنْ يَمِينِكَ إنَّمَا ... حِنْثُ اليَمِينِ على اللَّئِيمِ الفاجِرِ[1]

يقول «فاجعل تحلَّل» بمعنى: تحلل شيئاً بعد شيء، لا أن هناك جعلاً من غير التحليل. فكذلك كلّ جعل في الكلام إنما هو دليل على فعل له اتصال، لا أن له حظاً في معنى الفعل فقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾ إنما هو أظلم ليلهما وأنار نهارهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره معجباً خلقه المؤمنين من كفرة عباده ومحتجًا على الكافرين: إن الإله الذي يجب عليكم أيها الناس حمده هو الذي خلق السموات والأرض، الذي جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم، فمن السموات ينزل عليكم الغيث وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ومن الأرض ينبت الحبَّ الذي به غذاؤكم، والثمار التي فيها ملاذكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها. والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذي فعل ذلك وأحدثه ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك ولا في إنعامه عليهم بمَا أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره. فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عظة، لمن فكَّر فيها بعقل وتدبرها بفهم ولقد قيل إنها فاتحة التوراة.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمّي، عن أبي عمران الجونّي، عن عبد الله بن رباح، عن كعب، قال: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام: ﴿الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجونّي، عن عبد الله ابن رباح، عن كعب، مثله. وزاد فيه: وخاتمة التوراة خاتمة هود.

---

(١) لم أقف على قائل البيتين. يخاطب الشاعر رجلاً حلف أنه سيسلك طريقاً مخوفاً، ينتشر فيه الخوف والموت ويطالبه بأن يتحلل من يمينه تلك، لأنه لا بد أن يهلك قبل تحقق ما حلف عليه، والحنث في اليمين من أخلاق الفجار لا الأتقياء.

يقال من مساواة الشيء بالشيء: عدلت هذا بهذا، إذا ساويته به عدلاً. وأما في الحكم إذا أنصفت فيه، فإنك تقول: عَدَلْت فيه أعدل عدلاً.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ قال: يشركون.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُني بذلك، فقال بعضهم: عُني به أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزى، قال: جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿**الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال: بلى. قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى، إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا، إنه رجل من الخوارج فقال: ردّوه عليّ فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا. قال إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهب لا تضعها على غير حدّها.

وقال آخرون: بل عُني بها المشركون من عبدة الأوثان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ قال: هؤلاء أهل صراحة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ قال: هم المشركون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ قال: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله قال: وليس لله عِدْل ولا ندّ، وليس معه آلهة، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمّ بذلك جميع الكفار، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض، فجميعهم داخلون في ذلك: يهودهم، ونصاراهم، ومجوسهم، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أن الله الذي خلق السموات والأرض، وأظلم ليلهما وأنار نهارهما، فكفر به مع إنعامه عليهم الكافرون، وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرّهم. هو الذي خلقكم أيها الناس من طين وإنما يعني بذلك تعالى ذكره أن الناس وَلَدُ مَن خَلَقه من طين، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم، إذ كانوا وُلْدَهُ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بدء الخلق خلق الله آدم من طين.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ قال: هو آدم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما خَلَقكم من طين: فآدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، قال: خلق آدم من طين، وخلق الناس من سلالة من ماء مهين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ قال: خلق آدم من طين، ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أجَلاً﴾: ثم قضى لكم أيها الناس أجلاً، وذلك ما بين أن يُخلق إلى أن يموت ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، وهناد بن السريّ، قالا: ثنا وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذليّ، عن الحسن، في قوله: ﴿قَضَى أجَلاً﴾ قال: ما بين أن يخلق إلى أن يموت. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: ما بين أن يموت إلى أن يبعث.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ كان يقول: أجلَ حياتك إلى أن تموت وأجَل موتك إلى أن تبعث، فأنت بين أجلين من الله تعالى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم: ﴿قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: قضى أجل الموت، وكلّ نفس أجلها الموت. قال: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذَا جَاءَ أجَلُها. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: أجل الساعة ذهاب الدنيا والإفضاء إلى الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿أجَلاً﴾ قال: الدنيا. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الآخرة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو عاصم، عن زكريا بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قَضَى أجَلاً﴾ قال: الآخرة عنده. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾ الدنيا.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أجَلاً﴾ قال: الآخرة عنده. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾ قال: الدنيا.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أجَلاً﴾ قال: الآخرة عنده. ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾ قال: الدنيا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن:

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قالا: قضى أجل الدنيا من حين خلقك إلى أن تموت. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يوم القيامة.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: قضى أجل الدنيا. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: هو أجل البعث.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ قال: الموت. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الآخرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن، في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قالا: قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تموت، وأجل مسمى عنده يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد: ﴿قَضَى أَجَلاً﴾ قال: أجل الدنيا. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: البعث.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: أجل الموت. والأجل المسمى: أجل الساعة، الوقوف عند الله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿قَضَى أَجَلاً﴾ قال: أما قضى أجلاً: فأجل الموت. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يوم القيامة.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: أما قوله: ﴿قَضَى أَجَلاً﴾ فهو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾: هو أجل موت الإنسان.

وقال آخرون بما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ قال: خلق آدم من طين، ثم خلقنا من آدم، أخذنا من ظهره، ثم أخذ الأجل والميثاق في أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم قضى أجل الحياة الدنيا، ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ وهو أجل البعث عنده.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم، فقال لهم: أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم. ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لإعادتكم أحياء وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم. وذلك نظير قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللَّهِ وكُنْتُمْ أمْواتاً فَأحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السموات والأرض، وإظلام الليل وإنارة النهار، وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها وعلى إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم، وإيجاده إياكم بعد عدمكم. والمرية في كلام العرب هي الشكّ، وقد بينت ذلك بشواهده في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. وقد:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿ثُمَّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ قال: الشكّ. قال: وقرأ قول الله: فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قال: في شكّ منه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثُمَّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ بمثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره المستحقّ عليكم إخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذي يعدل به كفاركم من سواه، هو الله الذي هو في السموات وفي الأرض، ﴿ويَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيء، يقول: فربكم الذي يستحقّ عليكم الحمد ويجب عليكم إخلاص العبادة له، هو هذا الذي صفته، لا من لا يقدر لكم على ضرّ ولا نفع ولا يعمل شيئاً ولا يدفع عن نفسه سوءاً أريد بها.

وأما قوله: ﴿ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ﴾ يقول: ويعلم ما تعملون وتجرحون، فيحصي ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم ﴿آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته وحقيقة نبوّتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندي، ﴿إلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾ يقول: إلا أعرضوا عنها، يعني عن الآية، فصدّوا عن قبولها والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته، جهلاً منهم بالله واغتراراً بحلمه عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحقّ لما جاءهم، وذلك الحقّ هو محمد ﷺ، كذّبوا به، وجحدوا نبوّته لما جاءهم قال الله لهم متوعداً على تكذيبهم إياه وجحودهم نبوّته: سوف يأتي المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم ﴿أنْباءُ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزءون من آياتي وأدلتي التي آتيتهم. ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا في غيهم وعتَوْا على ربهم، فقتلهم يوم بدر بالسيف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم ير هؤلاء المكذّبون بآياتي الجاحدون نبوّتك، كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطاءة لم أوطئها لهم، وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ يقول: أعطيناهم ما لم نعطكم.

قال أبو جعفر: أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض رَيْع نباتها،

وجابوا صخور جبالها، ودرّت عليهم السماء بأمطارها، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حُقّ عليهم قولي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب.

ومعنى قوله: ﴿وأرْسَلْنا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً﴾ المطر، ويعني بقوله: «مدراراً»: غزيرة دائمة. ﴿وأنْشأْنا مِنَ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ يقول وأحدثنا من بعدهم الذين أهلكناهم قرناً آخرين فابتدأنا سواهم.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿مَكنَّاهُمْ فَي الأرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر في أوّل الآية عن قوم غيب بقوله: ﴿ألَمْ يَرَوْا كَم أهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾؟ قيل: إن المخاطب بقوله: ﴿ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ هو المخبر عنهم بقوله: ﴿ألَمْ يَرَوْا كَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ ولكن في الخبر معنى القول، ومعناه: قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذّبوا بالحقّ لما جاءهم: ﴿ألَمْ يَرَوْا كَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهم في الأرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾. والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائب وأدخلت فيه قولاً فعلت ذلك فوجهت الخبر أحياناً إلى الخبر عن الغائب، وأحياناً إلى الخطاب، فتقول: قلت لعبد الله: ما أكرمه، وقلت لعبد الله: ما أكرمك، وتخبر عنه أحياناً على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب، وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود إلى الخبر عن الغائب. وذلك في كلامها وأشعارها كثير فاش وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك: كأنه أخبر النبي ﷺ ثم خاطبه معهم وقال: حتى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب، لأنه المخاطب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام. يقول تعالى ذكره: وكيف يتفقّهون الآيات، أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوّتك بحجج الله وآياته وأدلته، وهم لعنادهم الحقّ وبعدهم من الرشد، لو أنزلت عليك يا محمد الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي في قرطاس يعاينونه ويمسُّونه بأيديهم وينظرون إليه ويقرءونه منه معلقاً بين السماء والأرض بحقيقة ما تدعوهم إليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدي وتنزيلي، لقال الذين يعدلون بي غيري فيشركون في

توحيدي سواي: ﴿إِنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِين﴾: أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر سحرت به أعيننا، ليست له حقيقة ولا صحة ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ﴾ قال: فمسوه ونظروا إليه لم يصدّقوا به.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ﴾ يقول: فعاينوه معاينة لقال الذين كفروا: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ﴾ يقول: لو نزلنا من السماء صحفاً فيها كتاب فلمسوه بأيديهم، لزادهم ذلك تكذيباً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ﴾: الصحف.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿في قِرْطاسٍ﴾ يقول: في صحيفة، ﴿فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ﴾ لقال الذين كفروا: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المكذّبون بآياتي العادلون بي الأنداد والآلهة: يا محمد لك لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم: هلاّ نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدّقك على ما جئتنا به، ويشهد لك بحقيقة ما تدّعي من أن الله أرسلك إلينا كما قال تعالى مخبراً عن المشركين في قيلهم لنبيّ الله ﷺ: وقَالُوا ما لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴿وَلَوْ أنْزَلْنا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لا

يُنظَرُونَ﴾ يقول: ولو أنزلنا مَلَكاً على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي، لجاءهم العذاب عاجلاً غير آجل، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة وترك الإنظار. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾ يقول: لجاءهم العذاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾ يقول: ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ثم لم يؤمنوا لم ينظروا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ في صورته، ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ﴾ لقامت الساعة.

حدثنا ابن وكيع، عن أبيه، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان الثوري، عن عكرمة: ﴿لقُضِيَ الأمْرُ﴾ قال: لقامت الساعة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ﴾ قال: يقول: لو أنزل الله مَلَكاً ثم لم يؤمنوا، لعجل لهم العذاب.

وقال آخرون في ذلك بما.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: أخبرنا بشر، عن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾ قال: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا، ثم لم يؤخروا طرفة عين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بي، القائلين: لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكاً ينزل عليهم من السماء، ويشهد محمد ﷺ ويأمرهم باتباعه، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ يقول: لجعلناه في صورة رجل من البشر، لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته. يقول: وإذ كان ذلك كذلك، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكاً أو بشراً، إذ كنت إذا أنزلت عليهم مَلَكاً إنما أنزله بصورة إنسيّ، وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة بأنك صادق وأن ما جئتهم به حقّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿**ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْناه رَجُلاً**﴾ يقول: ما أتاهم إلا في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْناه رَجُلاً**﴾ في صورة رجل في خلق رجل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْناه رَجُلاً**﴾ يقول: لو بعثنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة آدمي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْناه رَجُلاً**﴾ يقول: في صورة آدميّ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْناه رَجُلاً**﴾ قال: لجعلنا ذلك الملك في صورة رجل، لم نرسله في صورة الملائكة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَلَلَبَسْنا عَلَيهِمْ**﴾: ولو أنزلنا ملكاً من السماء مصدّقاً لك يا محمد، شاهداً لك عند هؤلاء العادلين بي الجاحدين آياتك على حقيقة نبوّتك، فجعلناه في صورة رجل من بني آدم إذ كانوا لا يطيقون رؤية المَلَك بصورته التي خلقته بها، التبس عليهم أمره فلم يدروا ملك هو أم أنسيّ، فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدّقوا به، وقالوا: ليس هذا ملكاً، وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوّتك. يقال منه: لَبَسْتُ عليهم الأمر ألْبِسُهُ لَبْساً: إذا خلطته عليهم، ولَبِسْتُ الثوبَ ألْبَسُهُ لُبْساً، واللَّبُوس: اسم الثياب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن

أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ يقول: لشبهنا عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ يقول: ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم واللبس: إنما هو من الناس.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ يقول: شبَّهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم.

وقد رُوي عن ابن عباس في ذلك قول آخر، وهو ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذّبوا رسلهم، وهو تحريف الكلام عن مواضعه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، في قوله: ﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ يعني التحريف: هم أهل الكتاب، فرّقوا كتبهم ودينهم وكذّبوا رسلهم، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم.

وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أوّل السورة بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسلياً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الإستهزاء به والإستخفاف في ذات الله: هوّن عليك يا محمد ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي فإنهم إن تمادوا في غيهم وأصرّوا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم، فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل فعل قومك بك، ﴿فَحَاقَ بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُمْ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني بقوله: ﴿فحاقَ﴾ فنزل وأحاط بالذين هزئوا برسلهم ﴿ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: العذاب الذي كانوا يهزءون به

وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلهم. يقال منه: حاق بهم هذا الأمر يَحِيقُ بهم حَيْقاً وحُيُوقاً وحَيَقاناً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَحاقَ بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُمْ﴾ من الرسل، ﴿ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ⑪﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد المكَذّبينَ بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندي: ﴿سِيرُوا فِي الأرْضِ﴾ يقول: جولوا في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضُرَبائهم وأشكالهم من الناس. ﴿ثُمَّ انْظُرُوا كَيفَ كَانَ عاقِبَةُ المُكَذّبينَ﴾ يقول: ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما حلّ بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفوِّ الآثار. فاعتبروا به، إن لم تنهكم حلومكم، ولم تزجركم حجج الله عليكم، عما أنتم مقيمون عليه من التكذيب، فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحلّ بكم مثل الذي حلّ بهم. وكان قتادة يقول في ذلك بما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيفَ كَانَ عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ﴾ دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑫﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم: لمن ما في السموات والأرض؟ يقول: لمن ملك ما في السموات والأرض. ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كلّ شيء وقهر كل شيء بملكه وسلطانه، لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهاً من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرًّا.

وقوله: ﴿كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يقول: قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة

ويقبل منهم الإنابة والتوبة. وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة، يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوّتك يا محمد، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم، وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء. كالذي:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لَمَّا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الخَلْقِ كَتَبَ كِتاباً: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: «إن الله تعالى لما خلق السماء والأرض، خلق مائة رحمة، كل رحمة ملء ما بين السماء إلى الأرض، فعنده تسع وتسعون رحمة، وقسّم رحمةً بين الخلائق فبها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء، فإذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعاً وتسعين».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن أبي عثمان، عن سلمان نحوه، إلا أن ابن أبي عديّ لم يذكر في حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان عن سلمان، قال: نجد في التوراة عطفتين: إن الله خلق السموات والأرض، ثم خلق مئة رحمة أو: جعل مئة رحمة قبل أن يخلق الخلق، ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، قال: فيها يتراحمون، وبها يتباذلون، وبها يتعاطفون، وبها يتزاورون، وبها تحنّ الناقة، وبها تَنْتِج البقرة، وبها تيعر الشاة، وبها تتابع الطير، وبها تتابع الحيتان في البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده، ورحمته أفضل وأوسع.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، في قوله: ﴿كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾... الآية، قال: إنا نجد في التوراة عطفتين، ثم ذكر نحوه، إلا أنه ما قال: «وبها تتّابع الطير، وبها تتّابع الحيتان في البحر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال ابن طاوس، عن أبيه: إن الله تعالى لما خلق الخلق، لم يعطف شيء على شيء، حتى خلق مئة رحمة، فوضع بينهم رحمة واحدة، فعطف بعض الخلق على بعض.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه بمثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: وأخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة حسبته أسنده قال: إذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه، أخرج كتاباً من تحت العرش فيه: «إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين» قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلاً أهل الجنة، ولا أعلمه إلا قال: «مثلا»، وأما مثل فلا أشكّ مكتوباً ها هنا، وأشار الحكم إلى نحره، عتقاء الله. فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبد الله، فإن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْها ولَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ قال: ويلك أولئك أهلها الذين هم أهلها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة حسبت أنه أسنده قال: إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتاباً من تحت العرش، ثم ذكر نحوه، غير أنه قال: فقال رجل: يا أبا عبد الله، أرأيت قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، أنه كان يقول: إن لله مئة رحمة، فأهبط رحمة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجنّ والإنس وطائر السماء وحيتان الماء ودوابّ الأرض وهوامّها وما بين الهواء واختزن عنده تسعاً وتسعين رحمة، حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا، فحواها إلى ما عنده، فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال عبد الله بن عمرو: إن لله مئة رحمة، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة يتراحم بها الجن والإنس والطير والبهائم وهوّام الأرض.

حدثنا محمد بن عوف، قال: أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، قال: ثنا صفوان بن عمرو، قال: ثني أبو المخارق زهير بن سالم، قال: قال عمر لكعب: ما أوّل شيء

ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتبه بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: «أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وهذه اللام التي في قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لام قسم. ثم اختلف أهل العربية في جالبها، فكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت الرحمة غاية كلام، ثم استأنفتَ بعدها: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، قال: وإن شئت جعلته في موضع نصب، يعني كتب ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ كما قال: كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ يريد: كتب أنه من عمل منكم. قال: والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام، فيقولون: أرسلت إليه أن يقوم، وأرسلت إليه ليقومنّ. قال: وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِما رَأَوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حِينٍ﴾. قال وهو في القرآن كثير إلا ترى أنك لو قلت: بدا لهم أن يسجنوه، لكان صواباً؟ وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصبت لام ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لأن معنى كتب[(١)] كأنه قال: والله ليجمعنكم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله: ﴿كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ غاية، وأن يكون قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ خبر مبتدإ، ويكون معنى الكلام حينئذ: ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه لينتقم منكم بكفركم به.

وإنما قلت: هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لأن قوله: ﴿كَتَبَ﴾ قد عمل في الرحمة، فغير جائز وقد عمل في الرحمة أن يعمل في: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لأنه لا يتعدى إلى اثنين.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في قراءة من قرأ: ﴿كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أنه بفتح أن؟ قيل: إن ذلك إذا قرىء كذلك، فإن «أن» بيان عن الرحمة وترجمة عنها، لأن معنى الكلام: كتاب على نفسه الرحمة أن يرحم [من تاب] من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة، ويعفو والرحمة يترجم عنها، ويبين معناها بصفتها، وليس من صفة الرحمة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ فيكون مبيناً به عنها. فإن كان ذلك كذلك، فلم يبق إلا أن ينصب بنية تكرير كتب مرة أخرى معه، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك فتوجه إلى ما ليس بموجود في ظاهر.

وأما تأويل قوله ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه لا شكّ فيه، يقول: في أن الله يجمعكم إلى يوم القيامة فيحشركم إليه جميعاً، ثم يؤتى كلّ عامل منكم أجر ما عمل من حسن أوسيّىء.

---

(١) لعل الأصل: لأن معنى كتب القسم ـ، كأنه... الخ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يؤمِنُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ العادلين به الأوثان والأصنام يقول تعالى ذكره: ليجمعنّ الله الذين خسروا أنفسهم، يقول: الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعديل، فأوبقوها بإيجابهم سخط الله وأليم عقابه في المعاد. وأصل الخسار: الغَبْن، يقال منه: خسر الرجل في البيع: إذا غبن، كما قال الأعشى:

لا يـأخُـذُ الـرِّشْـوَةَ فـي حُـكْـمِـهِ ولا يُـبَـالـي خَـسَـرَ الـخـاسِـرِ[1]

وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته. وموضع «الذين» في قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ نصب على الردّ على الكاف والميم في قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ على وجه البيان عنها. وذلك أن الذين خسروا أنفسهم، هم الذين خوطبوا بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾. وقوله: ﴿فَهُمْ لا يُؤمِنُونَ﴾ يقول: فهم لإهلاكهم أنفسهم وغبنهم إياها حظها لا يؤمنون، أي لا يوحدون الله ولا يصدّقون بوعده ووعيده ولا يقرون بنبوّة محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان، فيخلصوا له التوحيد ويفردوا له الطاعة ويقرّوا بالألوهية جهلاً. ﴿وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ يقول: وله ملك كل شيء، لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار، فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادّعائهم له شريكاً، و ما يقول غيرهم من خلاف ذلك. ﴿العَلِيمُ﴾ بما يضمرونه في أنفسهم وما يظهرونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو يحصيه عليهم، ليوفي كلّ إنسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿سَكَنَ﴾ قال أهل التأويل.

---

(١) البيت للأعشى ميمون ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ١٤١) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل، في المنافرة التي جرت بينهما. وقد زعم الأعشى أن المتنافرين حكماه في أمرهما، يبين ذلك من قوله قبل بيت الشاهد:

حـكـمـتـمـونـي فـقـضـى بـيـنـكـم أبـلـج مـثـل الـقـمـر الـزاهـر

ويروى حكمتموه. والمعروف أن الذي قضى بينهما بالتسوية: هو هرم بن قطبة الفزاري من حكماء العرب. وفي رواية الديوان: غبن الخاسر، في مكان: خسر الخاسر. والرشوة مثلثة الراء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ يقول: ما استقرّ في الليل والنهار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشيئاً غير الله تعالى أتخذ ولياً أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث؟ كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿قُلْ أغَيْرَ اللَّهِ أتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ قال: أما الوليّ: فالذي يتولونه ويقّرون له بالربوبية.

﴿فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول أشيئاً غير الله فاطر السموات والأرض أتخذ ولياً؟ ففاطر السموات من نعت الله وصفته ولذلك خفض. ويعني بقوله: ﴿فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما. كالذي:

حدثنا به ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: خالق السموات والأرض.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: خالق السموات والأرض.

يقال من ذلك: فطرها الله يَفْطُرُها ويَفْطِرُها فَطْراً وفُطُوراً، ومنه قوله: ﴿هَلْ تَرى[1] مِن

---

(١) قوله «ومنه قوله ترى الخ» هذا لا يلائم ما قبله، فلعل فيه سقطاً، والأصل والفطر أيضاً الشق، ومنه.... الخ.

فُطُورٍ﴾ يعني: شقوقاً وصدوعاً، يقال: سيف فُطَار: إذا كثر فيه التشقق، وهو عيب فيه ومنه قول عنترة:

وسَيْفِي كالعقيقةِ فهو كِمْعِي سِلاحِي لا أفلَّ ولا فُطَارَا[1]

ومنه يقال: فَطَر نابُ الجمل: إذا تشقق اللحم فخرج ومنه قوله: تَكادُ السَّمَوَاتِ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ: أي ينشققن وينصدعن.

وأما قوله: **﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾** فإنه يعني: وهو يرزق خلقه ولا يُرْزَق. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾** قال: يَرْزُق، ولا يُرْزَق.

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك: **﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يَطْعَمُ﴾** أي أنه يطعم خلقه، ولا يأكل هو. ولا معنى لذلك لقلة القراءة به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثُّونك على عبادتها: أغير الله فاطر السموات والأرض، وهو يرزقني وغيري، ولا يرزقه أحد، أتخذ ولياً هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضاً: إني أمرني ربي أن أكون أوّل من أسلم، يقول: أوّل من خضع له بالعبودية وتذلل لأمره ونهيه وانقاد له من أهل دهري وزماني. **﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** يقول: وقل: وقيل لي لا تكوننّ من المشركين بالله الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء وجعل قوله: **﴿أُمِرْتُ﴾** بدلاً من «قيل لي»، لأن قوله: **﴿أُمِرْتُ﴾** معناه: قيل لي، فكأنه قيل: قل إني قيل لي: كن أوّل من أسلم، ولا تكوننّ من المشركين فاجتزىء بذكر الأمر من ذكر القول، إذ كان الأمر معلوماً أنه قول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم: إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه، وإني أخاف إن عصيت ربي، فعبدتها عذاب يوم عظيم، يعني عذاب يوم القيامة. ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه.

---

(١) البيت لعنترة (مختار الشعر الجاهلي ٣٨٤ طبعة الحلبي) من قصيدة يهجو بها عمارة بن زياد. والعقيقة: البرق أو شعاعه وكمعى: مضاجعي. ولا أفل: لم يتثلم. والفطار: السيف فيه تشقق، فلا يقطع. وقد رواه صاحب «اللسان» في فطر، وكمع وعق، وفل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قراء الحجاز والمدينة والبصرة: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ بضم الياء وفتح الراء، بمعنى: من يصرف عنه العذاب يومئذ. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ» بفتح الياء وكسر الراء، بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئذ.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأه: «يَصْرِفْ عَنْهُ» بفتح الياء وكسر الراء، لدلالة قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ على صحة ذلك، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله. ولو كانت القراءة في قوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ على وجه ما لم يسمّ فاعله، كان الوجه في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أن يقال: «فقد رُحِم» غير مسمى فاعله وفي تسمية الفاعل في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ دليل على بين أن ذلك كذلك في قوله: «مَنْ يَصْرِفُ عَنْهُ». وإذ كان ذلك هو الوجه الأولى بالقراءة، فتأويل الكلام: ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ﴾ من خلقه ﴿يومَئِذٍ﴾ عذابه ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ﴾. ويعني بقوله: ﴿وذلكَ﴾: وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة، ورحمته إياه ﴿الفَوْزُ﴾ أي النجاة من الهلكة والظفر بالطلبة ﴿المُبِينُ﴾ يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطلبة.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ قال: من يصرف عنه العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك الله بضرّ، يقول: بشدّة وشظف في عيشك وضيق فيه، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أوّل من أسلم لأمره ونهيه، وأذعن له من أهل زمانك، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ودون كلّ شيء سواها من خلقه. ﴿وَإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ يقول: وإن يصبك بخير: أي برخاء في عيش وسعة في الرزق وكثرة في المال فتقرّ أنه أصابك بذلك، ﴿فَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي أصابك بذلك فهو على كل شيء قدير، هو القادر على نفعك وضرّك،

وهو على كلّ شيء يريده قادر، لا يعجزه شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه، ليس كالآلهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها، يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان هكذا؟ أم كيف لا تخلص العبادة، وتقرّ لمن كان بيده الضرّ والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة والعزّة الظاهرة؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: «وهو» نفسه يقول: والله القاهر فوق عباده. ويعني بقوله: ﴿القاهرُ﴾: المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم. وإنما قال: «فوق عباده»، لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم، ومن صفة كلّ قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه.

فمعنى الكلام إذن: والله الغالب عباده، المذلّلهم، العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه. ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ يقول: والله الحكيم في علّوه على عباده وقهره إياهم بقدرته وفي سائر تدبيره، الخبير بمصالح الأشياء ومضارّها، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوّتك من قومك: أيّ شيء أعظم شهادة وأكبر، ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في [شهادة] غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب، ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم، بالمحقّ منا من المبطل والرشيد منا في فعله وقوله من السفيه، وقد رضينا به حكماً بيننا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿أيُّ شَيْءٍ أكبَرُ شَهادَةً﴾ قال: أمر محمد أن يسأل قريشاً، ثم أمر أن

يخبرهم فيقول: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين الذين يكذّبونك: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ عقابه، وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم، إن لم ينته إلى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإيمان بجميعه، نزولَ نقمة الله به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «يا أَيُّها النَّاسُ بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتابِ الله، فإِنَّهُ مَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللّهِ فقد بلغه أَمْرُ اللّهِ، أَخَذَهُ، أَوْ تَرَكَهُ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ أن النبيّ ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِ اللّهِ، فَمَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللّهِ، فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللّهِ».

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبيّ ﷺ. ثم قرأ: ﴿وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن حسن بن صالح، قال: سألت ليثاً: هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة؟ قال: كان مجاهد يقول: حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير. ثم قرأ: ﴿لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: من أسلم من العجم وغيرهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا خالد بن يزيد، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب في قوله: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: من بلغه القرآن، فقد أبلغه محمد ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأُحِيَ إلي هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ يعني أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثورّي يحدّث، لا أعلمه إلاّ عن مجاهد، أنه قال في قوله: ﴿وأُحِيَ إلي هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ العرب ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ العجم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ أما «من بلغ»: فمن بلغه القرآن فهو له نذير.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وأُحِيَ إلي هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: يقول: من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره. وقرأ: يا أيُّها النَّاسُ إنّي رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً قال: فمن بلغه القرآن، فرسول الله ﷺ نذيره.

فمعنى هذا الكلام: لأنذركم بالقرآن أيها المشركون، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم، فـ«مَنْ» في موضع نصب بوقوع «أنذر» عليه، و «بلغ» في صلته، وأسقطت الهاء العائدة على «مَنْ» في قوله: «بَلَغَ» لاستعمال العرب ذلك في صلات «من، وما، والذي».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أشْهَدُ قُلْ إنَّمَا هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ وَإنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوّتك، العادلين بالله رباً غيره: أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى، يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام. وقال: «أُخرَى» ولم يقل: «أخر» والآلهة جمع، لأن الجموع يلحقها التأنيث، كما قال تعالى: ﴿فَمَا بالُ القُرُونِ الأُولى ولم يقل «الأُوَل»، ولا «الأوّلين». ثم قال لنبيه محمد ﷺ: **قل يا محمد، لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى، بل أجحد ذلك وأنكره.** ﴿إنَّما هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يقول: إنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة. ﴿وَإنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ يقول: قل وإنني بريء من كلّ شريك تدعونه لله وتضيفونه إلى شركته وتعبدونه معه، لا أعبد سوى الله شيئاً ولا أدعو غيره إلهاً. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته. وذلك ما:

حدثنا به هناد بن السريّ وأبو كريب، قالا: ثنا يونس بن بكير، قال: ثني محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحريّ بن عمير، فقالوا: يا محمد ما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا إِلَهَ إلاَّ اللّهُ بِذَلِكَ بُعِثْتُ، وَإِلى ذلكَ أدْعُو» فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أيُّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله: لا يؤمِنون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين آتيناهم الكتاب التوراة والإنجيل، يعرفون أنما هو إله واحد لا جماعة الآلهة، وأن محمداً نبيّ مبعوث، كما يعرفون أبناءهم. وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ﴾ من نعت «الذين» الأولى، ويعني بقوله: ﴿خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها وألقوها في نار جهنم بإنكارهم محمداً أنه لله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون. وقد قيل: إن معنى خسارتهم أنفسهم: أن كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار، فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار، بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله وظلمهم أنفسهم، وذلك معنى قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

وبنحو ما قلنا في معنى قوله: ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابِ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهم﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابِ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ﴾ يعرفون أنّ الإسلام دين الله، وأن محمداً رسول الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ﴾ النصارى واليهود، يعرفون رسول الله في كتابهم، كما يعرفون أبناءهم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ﴾[١].

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ﴾: يعني النبيّ ﷺ قال: زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم، أنهم قالوا: والله لنحن أعرف به من أبنائنا من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ اعتداء وأخطأُ فعلاً وأخطل قولاً ﴿مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً،﴾ يعني: ممن اختلق على الله قيل باطل، واخترق من نفسه عليه كذباً، فزعم أن له شريكاً من خلقه وإلهاً يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الأوثان، أو ادّعى له ولداً أو صاحبة كما قالته النصارى. ﴿أوْ كَذَّبَ بآياتِهِ﴾ يقول: أو كذّب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوّتهم كذّبت بها اليهود. ﴿إنَّه لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب والجاحدون بنبوّة أنبيائه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المفترين على الله كذباً والمكذّبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعاً، يعني: ولا في الآخرة. ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف.

وتأويل الكلام: إنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ فقوله: «ويوم نحشرهم»، مردود على المراد في الكلام، لأنه وإن كان محذوفاً منه فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه. ﴿ثم نَقُولُ للَّذِينَ أشْرَكُوا أيْنَ شُرَكاؤُكُمْ﴾ يقول: ثم نقول إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب بادّعائهم له في سلطانه شريكاً والمكذّبين بآياته ورسله، فجمعنا

---

(١) لم يذكر تفسيراً، وعبارة «الدر المنثور» عن السدي: يعني يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم، لأن نعته معهم في التوراة ا هـ.

جميعهم يوم القيامة: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم لكم آلهة من دون الله، افتراء وكذباً، وتدعونهم من دونه أرباباً، فأتوا بهم إن كنتم صادقين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك إذ فتناهم فاختبرناهم، ﴿إلاَّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ كذباً منهم في أيمانهم على قيلهم ذلك.

ثم اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته جماعة من قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ» بالنصب، بمعنى: لم يكن اختبارنا لهم إلاَّ قيلهم ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ غير أنهم يقرءون ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء على التأنيث وإن كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهي خبر، وذلك عند أهل العربية شاذّ غير فصيح في الكلام وقد رُوِي بيت للبيد بنحو ذلك، وهو قوله:

فَمَضَى وَقَدَّمَها وكانَتْ عادَةً ... مِنْهُ إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقْدامُها[1]

فقال: «وكانت» بتأنيث الإقدام لمجاورته قوله: عادة.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفيين: «ثُمَّ لَمْ يَكُنْ» بالياء «فِتْنَتَهُمْ» بالنصب ﴿إلاَّ أنْ قالُوا﴾ بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم، غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن[2] وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب، لأن «أنْ» أثبت في المعرفة من الفتنة.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه: ثم لم يكن قولهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال

(١) البيت في معلقة لبيد بشرح الزوزني والتبريزي. والتعريد: التأخر أو العدول عن الطريق إلى الماء. وأنث كانت لأنه توهم أن اسمها وهو الإقدام بمعنى التقدمة. كقول الآخر: «غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر»، لأنه بمعنى المغفرة. قال الزوزني في شرحه: يقول: مضى العير نحو الماء، وقدم الأتان، وكانت تقدمة الأتان عادة من العير إذا تأخرت هي، أي خاف العير تأخرها.

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع، كما يؤخذ من بقية كلامه، ومراده بقوله: وهذه القراءة: أي قراءة النصب، وقوله: لأن أن أثبت... الخ: أي لأنه يشبه المضمر ا هـ.

قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: مقالتهم. قال معمر: وسمعت غير قتادة يقول: معذرتهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: قولهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا...﴾ الآية، فهو كلامهم، قالوا: ﴿واللَّهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ﴾.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال سمعت الضحاك: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ يعني كلامهم.

وقال آخرون: معنى ذلك معذرتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: معذرتهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا وَاللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يقول: اعتذارهم بالباطل والكذب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه: ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله، ﴿إلا أنْ قالُوا وَاللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام. وإنما الفتنة: الاختبار والابتلاء، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلاَّ عند الاختبار، وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم.

واختلفت القرّاء أيضاً في قراءة قوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنا﴾ خفضاً على أن «الرب» نعت لله. وقرأ ذلك جماعة من التابعين: «واللَّهِ رَبَّنا» بالنصب بمعنى: والله يا ربنا، وهي قراءة عامة قرّاء أهل الكوفة.

وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: «وَاللَّهِ رَبَّنا» بنصب الربّ، بمعنى: يا ربنا. وذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم: ﴿أيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمونَ﴾ وكان من جواب القوم لربهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين، فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك

في الدنيا. يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، ويعني بقوله: ﴿ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ما كنا ندعو لك شريكاً ولا ندعو سواك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام في الآخرة، عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها متخلقين في الدنيا من الكذب والفرية.

ومعنى النظر في هذا الموضع: النظر بالقلب لا النظر بالبصر، وإنما معناه: تبين، فاعلم كيف كذبوا في الآخرة. وقال: «كذبوا»، ومعناه: يكذبون، لأنه لما كان الخبر قد مضى في الآية قبلها صار كالشيء الذي قد كان ووجد. ﴿وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يقول: وفارقهم الأنداد والأصنام وتبرّءوا منها، فسلكوا غير سبيلها لأنها هلكت، وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتزاء، ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله وعبادتهم إياه وإشراكهم إياها في سلطان الله، فضلّت عنهم، وعوقب عابدوها بفريتهم. وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال: الأخذ على غير الهدى. وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذٍ. ذكر الرواية بذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: أتى رجل ابن عباس، فقال: قال الله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال في آية أخرى ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ قال ابن عباس: أما قوله: ﴿والله رَبِّنا ما كنا مشركين﴾ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلاَّ أهل الإسلام فقالوا: تعالوا لنجحد ﴿قالُوا وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر، ولا يغفر الله لمشرك، انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله إياهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ثم قال: ولا يَكْتُمونَ الله حَدِيثاً بجوارحهم.

حدثنا ابن وكيع، قال ثنا أبي، عن حمزة الزيات، عن رجل يقال له هشام، عن سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: حلفوا واعتذروا، قالوا: والله ربنا.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن سعيد بن جبير، قال: أقسموا واعتذروا: والله ربنا.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن حمزة الزيات، عن رجل يقال له هشام، عن سعيد بن جبير بنحوه.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن سفيان بن زياد العصفري، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد، قال من فيها من المشركين: تعالوا نقول: لا إله إلاَّ الله، لعلنا نخرج مع هؤلاء قال: فلم يصدّقوا، قال: فحلفوا: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: فقال الله: ﴿انْظُرْ كَيفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي يشركون به.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلاَّ مسلم، قالوا: تعالوا إذا سئلنا قلنا ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ.﴾ فسئلوا، فقالوا ذلك، فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم، فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾.

حدثني الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا مسلم بن خلف، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: يأتي على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يُغْفر لهم، فيقولون: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: ﴿انْظُرْ كَيفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال ثنا سفيان عن رجل، عن سعيد بن جبير، أنه كان يقول: ﴿وَاللّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يخفضها. قال: أقسموا واعتذروا. قال الحرث: قال عبد العزيز، قال سفيان مرّة أخرى، ثني هشام، عن سعيد بن جبير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع إليك، يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه، ولا يتدبره ولا يصغي له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلبه أكنّة. وهي جمع كنان، وهو الغطاء مثل سنان وأسنة، يقال منه: أكننت الشيء في نفسي بالألف، وكنَنَتُ الشيء إذا غطيته، ومن ذلك بَيْضٌ مَكْنُونٌ وهو الغطاء، ومنه قول الشاعر:

تَحْتَ عَيْنٍ كِنانُنا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ(١)

يعني غطاءهم الذي يكنّهم.

وفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل في آذانهم ثقلاً وصمماً عن فهم ما تتلو عليهم والإصغاء لما تدعوهم إليه. والعرب تفتح الواو من «الوَقْر» في الأذن: وهو الثقل فيها، وتكسرها في الحمل، فتقول: هو وِقْر الدابة، ويقال من الحِمل: أوقرت الدابة فهي مُوقَرة، ومن

---

(١) البيتان في «اللسان» كنن ونسبه إلى عمر بن أبي ربيعة، وقبله بيتان، وهما:

هاجَ ذَا القَلْبَ مَنْزِلُ دارسُ العَهْد مُحْوِلُ

أيُّنا باتَ لَيْلَةً بينَ غُصْنَيْنِ يُوبَلُ

تحت عين.. الخ، وهو شاهد على أن الأكنة: الأغطية، واحدها كنان. وقال ابن بري: وصواب إنشاد الشطر الأخير «برد عصب مرحل». قال: وأنشده ابن دريد:

تَحْتَ ظِلٌّ كِنانُنا فَضْلُ بُرْدٍ يُهَلْهَلُ

وفي هامش «اللسان» لمصححه تعليق على قوله يهلل. قاله: كذا بالأصل مضبوطاً، ولم نعثر عليه في غير هذا المحل، ولعله مهلهل. وحرر كتبه مصححه.

السمع: وقرت سمعه فهو موقور، ومنه قول الشاعر:

ولـي هـامَـةٌ قَـدْ وَقَـرَ الـضَّـرْبُ سَـمْـعَـهـا[1]

وقد ذكر سماعاً منهم: وقَرَتْ أذنه: إذا ثقلت، فهي موقورة، وأوقَرت النخلة فهي مُوقر، كما قيل: امرأة طامث وحائض، لأنه لاحظّ فيه للمذكر، فإذا أريد أن الله أوقرها قيل موقرة. وقال تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ بمعنى: أن لا يفقهوه، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا بمعنى: أن لا تضلوا، لأن الكنّ إنما جعل على القلب لئلا يفقهه لا ليفقهه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ قال: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً، كمثل البهيمة التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ أما أكنة: فالغطاء، أكنّ قلوبهم لا يفقهون الحقّ، ﴿وفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ قال صمم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ﴾ قال: قريش.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حتى إذَا جَاءوكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك، ﴿كُلَّ آيَةٍ﴾: يقول: كل حجة وعلامة تدلّ أهل الحِجا والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبّوتك ﴿لا يُؤْمِنُوا بِها﴾ يقول: لا يصدّقون

(١) هذا شطر من بيت الطويل، ولم نعثر على قائله، ولا على شطره الثاني. وقد استشهد به المؤلف على أن الفعل (وقر) فعل متعد. وفي المصباح للفيومي: وقرت الأذن من بابي تعب ووعد: ثقل سمعها: ووقرها الله وقراً من باب وعد ويستعمل لازماً ومتعدياً.

بها ولا يقرّون بأنها دالة على ما هي عليه دالة. ﴿حتى إذَا جَاءُوكَ يُجادِلُونَكَ﴾ يقول: حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك، يقول: يخاصمونك. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها، يقولون لنبيّ الله ﷺ إذا سمعوا حجج الله التي احتجّ بها عليهم وبيانه الذي بينه لهم: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ أي ما هذا إلاَّ أساطير الأوّلين. والأساطير: جمع أسطارة وأُسْطورة مثل أفكوهة وأضحوكة، وجائز أن يكون الواحد أسطارا[1] مثل أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل، من قول الله تعالى: ﴿وكِتابٍ مَسْطُورٍ من سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْراً. فإن كان من هذا، فإن تأويله: ما هذا إلاَّ ما كتبه الأوّلون. وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأوّلونه بهذا التأويل، ويقولون معناه: إن هذا إلاَّ أحاديث الأوّلين.

حدثني بذلك المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما: ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ فأساجيع الأوّلين.

وكان بعض أهل العلم وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى بكلام العرب يقول: الإسطارة: لغة الخرافات والترّهات. وكان الأخفش يقول: قال بعضهم: واحده أسطورة، وقال بعضهم: إسطارة قال: ولا أراه إلاَّ من الجمع الذي ليس له واحد، نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل. قال: وقال بعضهم: واحد الأبابيل: إبّيل وقال بعضهم: إبَّوْل، مثل عِجَّوْل، ولم أجد العرب تعرف له واحداً، وإنما هو مثل عباديد لا واحد لها. وأما الشماطيط، فإنهم يزعمون أن واحده شِمْطاط، قال: وكلّ هذه لها واحد، إلاَّ أنه لم يستعمل ولم يتكلم به، لأن هذا المثال لا يكون إلاَّ جمعاً قال: وسمعت العرب الفصحاء تقول: أرسل خيله أبابيل، تريد جماعات، فلا تتكلم بها موحدة. وكانت مجادلتهم رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر، ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى إذَا جَاءُوكَ يُجادِلُونَكَ...﴾ الآية: قال: هم المشركون يجادلون المسلمين في الذبيحة، يقولون: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تتبعون أمر الله تعالى.

---

(١) في «اللسان»: الأساطير: واحدتها: إسطار وإسطارة بالكسر... وقيل؛ جمع أسطار، وإسطار: جمع سطر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ فقال بعضهم: معناه: هؤلاء المشركون المكذّبون بآيات الله، ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ والقبول منه، وينأون عنه: يتباعدون عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث وهانيء بن سعيد، عن حجاج، عن سالم، عن ابن الحنفية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: يتخلفون عن النبيّ ﷺ ولا يجيبونه، وينهون الناس عنه.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني: ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به. ﴿ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني: يتباعدون عنه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ يقول: لا يلقونه، ولا يدعون أحداً يأتيه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ يقول: عن محمد ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ جمعوا النهي والنأي. والنأي: التباعد.

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القرآن أن يُسمع له ويعمل بما فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: ينهون عن القرآن، وعن النبيّ ﷺ. ﴿ويَنأَوْنَ عَنْهُ﴾ ويتباعدون عنه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال قريش عن الذكر. ﴿وينْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يقول يتباعدون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قريش عن الذكر، ينأون عنه: يتباعدون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: ينهون عن القرآن وعن النبيّ ﷺ، ويتباعدون عنه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: ينأون عنه: يبعدون.

وقال آخرون: معنى ذلك: وهم ينهون عن أذى محمد ﷺ، وينأون عنه: يتباعدون عن دينه واتباعه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع وقبيصة، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول: نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن محمد أن يُؤذَى وينأى عما جاء به أن يؤمن به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: ثني من سمع ابن عباس يقول: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب ينهي عنه أن يؤذي، وينأى عما جاء به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب كان ينهي المشركين أن يؤذوا محمداً، وينأى عما جاء به.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن القاسم بن مخيمرة، قال: كان أبو طالب ينهي عن النبيّ ﷺ ولا يصدّقه.

حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي ومحمد بن بشر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن القاسم بن مخيمرة، في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب. قال ابن وكيع: قال ابن بشر: كان أبو طالب ينهي عن النبيّ ﷺ أن يؤذى، ولا يصدّق به.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس بن بكير، عن أبي محمد الأسديّ، عن حبيب بن أبي

ثابت، قال: ثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ نزلت في أبي طالب كان ينهي عن أذى محمد، وينأى عما جاء به أن يتبعه.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن القاسم بن مخيمرة، في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب، قال: ذاك أبو طالب، في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني سعيد بن أبي أيوب، قال: قال عطاء بن دينار في قوله الله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ أنها نزلت في أبي طالب، إنه كان ينهى الناس عن إيذاء رسول الله ﷺ وينأى عما جاء به من الهدى.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: تأويله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن اتباع محمد ﷺ من سواهم من الناس، ﴿وينأون﴾ عن اتباعه. وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ خبراً عنهم، إذ لم يأتنا ما يدلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ دون أن يكون خبراً عن خاصّ منهم.

وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وإن ير هؤلاء المشركون يا محمد كلّ آية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاءوك يجادلونك، يقولون: إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأوّلين وأخبارهم، وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنك، فيبعدون منك ومن اتباعك. ﴿وإنْ يُهْلِكُونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ﴾ يقول: وما يهلكون بصدّهم عن سبيل الله وإعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم إلا أنفسهم لا غيرها، وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه وما لا قبل لها به. ﴿وَما يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم. والعرب تقول لكلّ من بعد عن شيء: قد نأي عنه، فهو ينأي نأياً، ومسموع منهم: نَأَيْتُك بمعنى نأيت عنك وأما إذا أرادوا: أبعدتك عني، قالوا: أنأيتك. ومن نأيتك بمعنى نأيت عنك قول الحطيئة:

نَأَتْكَ أُمامَةُ إلا سُؤَالاَ وأبْصَرْتَ مِنْها بطَيْفٍ خَيالاَ[1]

---

(١) البيت للحطيئة (ديوانه طبع القاهرة ص ـ ٣١ بشرح السكري). وهو مطلع قصيدة له يمدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعتذر من هجاء الزبرقان. وذكرها ابن أبي الخطاب القرشي صاحب الجمهرة في القصائد=

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوّتك الذين وصفت لك صفتهم، ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾ يقول: إذ حبسوا، ﴿على النَّارِ﴾ يعني في النار، فوضعت «على» موضع «في» كما قال: ﴿وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ على مُلْكِ سَلَيْمانَ﴾ بمعنى في ملك سليمان. وقيل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ ومعناه: إذا وقفوا لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع «إذ» مكان «إذا»، و«إذا» مكان «إذ»، وإن كان حظّ «إذ» أن تصاحب من الأخبار ما قد وجد فقضى، وحظّ «إذا» أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد، ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم: مدَّ لنا في عُمْرِهِ ربُّ طَهَ:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ في العَلالِيِّ العُلا(١)

فقال: «ثم جزاه الله عنا إذ جزى»، فوضع «إذ» مكان «إذا». وقيل: «وُقِفوا» ولم يقل «أوقفوا»، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب، يقال: وقفت الدابة وغيرها بغير ألف إذا حبستها، وكذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة حبيساً، بغير ألف. وقد:

حدثني الحارث بن أبي عبيد، قال: أخبرني اليزيديّ والأصمعيّ كلاهما، عن أبي عمرو، قال: ما سمعت أحداً من العرب يقول: «أوقفت الشيء» بالألف. قال: إلا أني لو رأيت رجلاً بمكان، فقلت: ما أوقفك هاهنا؟ بالألف لرأيته حسناً. ﴿فَقَالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ﴾ يقول: فقال هؤلاء المشركون بربهم إذ حبسوا في النار: يا ليتنا نردّ إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله، ﴿وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا﴾ يقول: ولا نكذّب بحجج ربنا ولا نجحدها، ﴿وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ونكون من المصدّقين بالله وحججه ورسله، متبعي أمره ونهيه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراقيين: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ» بمعنى: يا ليتنا نردّ، ولسنا نكذّب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ بمعنى يا ليتنا نردّ، وأن لا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

= المشوبات. ونأتك: نأت عنك، وانقطع ما بينكما، إلا سؤالها عنك، وهو لا ينقع غلة، ولا يشفي صدى. وإلا ما يعاودك من طيف خيالها في منامك. والشطر الثاني في أساس البلاغة «وإلا خيالا يوافى خيالاً».

(١) البيت لأبي النجم (انظر التعليق عليه في ص - ١٣٧) من هذا الجزء.

وتأوّلوا في ذلك شيئاً:

حدّثنيه أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: في حرف ابن مسعود: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ فَلا نُكَذِّبَ» بالفاء.

وذكر عن بعض قرّاء أهل الشام أنه قرأ ذلك: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ» بالرفع ﴿ونَكُونَ﴾ بالنصب. كأنه وجه تأويله إلى أنهم تمنوا الردّ وأن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا أنهم لا يكذّبون بآيات ربهم إن ردّوا إلى الدنيا.

واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوباً ومرفوعاً، فقال بعض نحويي البصرة: ﴿وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ نصب لأنه جواب للتمني، وما بعد الواو كما بعد الفاء. قال: وإن شئت رفعت وجعلته على غير التمني، كأنهم قالوا: ولا نكذّب والله بآيات ربنا، ونكون والله من المؤمنين هذا إذا كان على ذا الوجه كان منقطعاً من الأوّل. قال: والرفع وجه الكلام، لأنه إذا نصب جعلها واو عطف، فإذا جعلها واو عطف، فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. قال: وهذا والله أعلم لا يكون، لأنهم لم يتمنوا هذا، إنما تمنوا الردّ، وأخبروا أنهم لا يكذّبون ويكونون من المؤمنين. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: لو نصب «نكذّب» و «نكون» على الجواب بالواو لكان صواباً قال: والعرب تجيب بالواو و«ثم»، كما تجيب بالفاء، يقولون: ليت لي مالاً فأعطيك، وليت لي مالاً وأعطيك وثم أعطيك. قال: وقد تكون نصباً على الصرف[1]، كقولك: لا يسعني شيء ويعجز عنك.

وقال آخر منهم: لا أحبّ النصب في هذا، لأنه ليس بتمنّ منهم، إنما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهوا عَنْهُ﴾ وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمني. وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو، وبحرف غير الفاء، وكان يقول: إنما الواو موضع حال، لا يسعني شيء ويضيق عنك: أي وهو يضيق عنك. قال: وكذلك الصرف في جميع العربية. قال: وأما الفاء فجواب جزاء، ما قمت فآتيك: أي لو قمت لأتيناك. قال: فهذا حكم الصرف والفاء. قال: وأما قوله: ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾ ﴿ونكُونَ﴾ فإنما جاز، لأنهم قالوا: يا ليتنا نردّ في غير الحال التي وُقِفْنا فيها على النار، فكان وقفهم في تلك، فتمنوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحال. وكأن معنىّ صاحب هذه المقالة في قوله هذا: ولو ترى إذ وُقِفوا على النار، فقالوا: قد وقفنا عليها مكذّبين بآيات ربنا كفاراً، فيا ليتنا نردّ إليها فنوقف

(١) الصرف: اصطلاح وضعه الفراء من أئمة نحاة الكوفة لعلة نصب الفعل المضارع بعد واو المعية ونصب المفعول معه بعد الواو. والظرف إذا وقع خبراً على المبتدأ. لمخالفة كل منها ما قبله في المعنى، فجعل النصب علامة لتلك المخالفة.

عليها غير مكذّبين بآيات ربنا ولا كفاراً. وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وإنَّهم لكاذِبُونَ﴾ فأخبر الله تعالى أنهم في قيلهم ذلك كذبة، والتكذيب لا يقع في التمني، ولكن صاحب هذه المقالة أظنّ به أنه لم يتدبر التأويل ولزم سنن العربية. والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ» بالرفع في كليهما، بمعنى: يا ليتنا نردّ، ولسنا نكذّب بآيات ربنا إن رددنا، ولكنا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون إن هم ردّوا إلى الدنيا، لا على التمني منهم أن لا يكذّبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، وأنهم كذبة في قيلهم ذلك. ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني لاستحال تكذيبهم فيه، لأن التمني لا يكذّب، وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار. وأما النصب في ذلك، فإني أظنّ بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه، وذلك قراءته ذلك: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ فَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ» على وجه جواب التمني بالفاء. وهو إذا قرىء بالفاء كذلك لا شكّ في صحة إعرابه، ومعناه في ذلك أن تأويله إذا قرىء كذلك: لو أنا رُددنا إلى الدنيا ما كذّبنا بآيات ربنا، ولكنا من المؤمنين. فإن يكن الذي من حَكَي عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو و«ثم» كهيئة الجواب بالفاء صحيحاً، فلا شكّ في صحة قراءة من قرأ ذلك: ﴿يا لَيتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ﴾ نصباً على جواب التمني بالواو، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء، وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل. ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحاً، بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما قصد هؤلاء العادلين بربهم الجاحدين نبوّتك يا محمد في قيلهم إذْ وقفوا على النار: يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، الأسى والندمَ على ترك الإيمان بالله والتصديق بك لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رءوس الأشهاد، ففضحهم بها ثم جازاهم بها جزاءهم. يقول: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ﴾ من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ذلك في الدنيا، فظهرت. ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ يقول: ولو ردّوا إلى الدنيا فأمهلوا ﴿لَعادُوا لِمَا نُهوا عَنْهُ﴾ يقول: لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله والكفر به والعمل بما يسخط عليهم ربهم. ﴿وإنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في قيلهم: لو رُددنا لم نكذّب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين،

لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب لا إيماناً بالله.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخفُونَ مِنْ قَبْلُ**﴾ يقول: بدت لهم أعمالهم في الآخرة التي أخفوها في الدنيا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخفُونَ مِنْ قَبْلُ**﴾ قال: من أعمالهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ يقول: ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم، لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم، يقول تعالى ذكره: ﴿**وَقالُوا إنْ هِيَ إلاَّ حَياتُنا الدُّنيا**﴾ يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء. فهم بجحودهم ذلك وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله ورسوله وسيّىء من عمل يعملونه. وكان ابن زيد يقول: هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وُقفوا على النار، أنهم لو ردّوا إلى الدنيا لقالوا: ﴿**إنْ هِيَ حياتُنا الدُّنيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ وقالوا حين يردّون: ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ حياتُنا الدُّنيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿لَوْ تَرَى﴾ يا محمد هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾ يوم القيامة: أي حبسوا، ﴿على رَبِّهِمْ﴾ يعني: على حكم الله وقضائه فيهم. ﴿قالَ أَلَيْسَ هَذَا بالحَقِّ﴾ يقول: فقيل لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقاً؟ فأجابوا فـ﴿قالُوا بَلى﴾ والله إنه لحقّ. ﴿قالَ فَذُوقُوا العَذَابَ﴾ يقول: فقال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذّبون، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: بتكذيبكم به وجحودكموه الذي كان منكم في الدنيا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ﴾ قد هلك ووكس في بيعهم الإيمان بالكفر الذين كذّبوا بلقاء الله، يعني: الذين أنكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار، من مشركي قريش ومن سلك سبيلهم في ذلك. ﴿حتى إذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ يقول: حتى إذا جاءتهم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى من قبورهم. وإنما أدخلت الألف واللام في «الساعة»، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها، وأنها مقصود بها قصد الساعة التي وصفت. ويعني بقوله: ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة من غير علم مَن تفجؤه بوقت مفاجأتها إياه، يقال منه: بغتُه أبغته بَغْتَة: إذا أخذتَه، كذلك ﴿قالُوا يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها﴾ يقول تعالى ذكره: وكس الذين كذّبوا بلقاء الله، ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار، فإذا جاءتهم الساعة بغتة، قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا وتبيّنوا خسارة صفقة بيعهم التي سلفت منهم في الدنيا تندماً وتلهفاً على عظيم الغبن الذي غَبنوه أنفسهم وجليل الخسران الذي لا خسران أجلّ منه: ﴿يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها﴾ يقول: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها يعني في صفقتهم تلك. والهاء والألف في قوله: ﴿فِيها﴾ من ذكر الصفقة، ولكن اكتفى بدلالة قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ﴾ عليها من ذكرها، إذ كان معلوماً أن الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع قد خسرت. وإنما معنى الكلام: قد وكس الذين كذّبوا بلقاء الله، ببيعهم الإيمان الذي يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر الذي يستوجبون به منه سخطه وعقوبته، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران في ذلك حتى تقوم الساعة، فإذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ تندماً. ﴿يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها**﴾ أما «يا حسرتنا»: فندامتنا على ما فرّطنا فيها فضيعنا من عمل الجنة.

حدثنا محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا يزيد بن مهران، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ، في قوله: ﴿**يا حَسْرَتَنا**﴾ قال: «يَرَى أَهْلُ النَّارِ مَنازِلَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ فَيَقُولُونَ يا حَسْرَتَنا».

القول في تاويل قوله تعالى:
﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين كذّبوا بلقاء الله ﴿**يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ**﴾. وقوله ﴿**وَهُمْ**﴾ من ذكرهم. ﴿**يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ**﴾ يقول: آثامهم وذنوبهم، واحدها وِزْر، يقال منه: وَزَرَ الرجل يَزِرُ: إذا أثم، فإن أريد أنهم أثموا قيل: قد وُزِرَ القوم فهم يُوزَرُونَ وهم موزورون. وقد زعم بعضهم: أن الوزر: الثقل والحمل. ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ولا من رواية ثقة عن العرب. وقال تعالى ذكره: ﴿**على ظُهُورِهِمْ**﴾ لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك، فبيّن موضع حملهم ما يحملون من ذلك، وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم نحو الذي:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير بن سليمان، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيبه ريحاً، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك. فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وتلا: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾. وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد قبّح صورتك وأنتن ريحك. فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيىء طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ**﴾.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ**﴾ قال: ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاء رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له:

ما أقبح وجهك قال: كذلك كان عملك قبيحاً. قال: ما أنتن ريحك قال: كذلك كان عملك منتناً. قال: ما أدنس ثيابك قال: فيقول: إن عملك كان دنساً. قال: من أنت؟ قال: أنا عملك. قال: فيكون معه في قبره فإذا بعث يوم القيامة، قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، فأنت اليوم تحملني. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿ألا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ فإنه يعني: ألا ساء الوزر الذي يزرون: أي الإثم الذي يأثمونه: كفرهم بربهم. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ألا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ قال: ساء ما يعملون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات في قولهم إنْ هِيَ إلاَّ حَياتُنا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ، يقول تعالى ذكره مكذباً لهم في قيلهم ذلك: ﴿ما الحَياةُ الدُّنْيا﴾ أيها الناس، ﴿إلاَّ لَعِبٌ وَلهْوٌ﴾ يقول: ما باغي لذّات الحياة التي أدنيت لكم وقرّبت منكم في داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذّذ بها والمنافس عليها، إلا في لعب ولهو لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذّذ فيها بملاذها، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها فتُمِرُّ عليه وتكرّ كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندماً ويورثه منه ترحاً. يقول: لا تغترّوا أيها الناس بها، فإن المغترّ بها عما قليل يندم. ﴿وللدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ للَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يقول: وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقي منافعها لأهلها ويدوم سرور أهلها فيها، خير من الدار التي تفني فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم. ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يقول: للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة إلى رضاه. ﴿أفَلا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وهم يرون من يُخْترم منهم ومن يهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع؟ ففي ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها واستعباد النفس لها، ودليل واضح على أن لها مدبراً ومصرفاً يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له بغير إشراك شيء سواه معه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون، وذلك قولهم له: إنه كذّاب، فإنهم لا يكذّبونك.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك[1] بمعنى: أنهم لا يكذّبونك فيما أتيتهم به من وحي الله، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحاً بل يعلمون صحته، ولكنهم يجحدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون: أكذبت الرجل: إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه. قال: ويقولون: كذبته: إذا أخبرت أنه كاذب. وقرأته جماعة من قرّاء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة: ﴿فإنَّهُمْ لا يُكَذّبونَكَ﴾ بمعنى: أنهم لا يكذّبونك علماً، بل يعلمون أنك صادق، ولكنهم يكذّبونك قولاً، عناداً وحسداً.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم. وذلك أن المشركين لا شكّ أنه كان منهم قوم يكذّبون رسول الله ﷺ ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوّة فكان بعضهم يقول: هو شاعر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم يقول: هو مجنون وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل ربّ العالمين قولاً. وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوّته، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسداً له وبغياً. فالقارىء: «فإنهم لا يُكْذِبُونك» يعني به: أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوّتك وصدق قولك فيما تقول، يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله قولاً، وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علماً صحيحاً مصيبٌ. لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته. وفي قول الله تعالى في هذه السورة: ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمْ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفونَ أبْناءَهُمْ﴾ أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوّته ﷺ، مع علم منهم به وصحة نبوّته. وكذلك القارىء: «فإنهم لا يُكَذِّبُونَكَ»: يعني: أنهم لا يكذّبون رسول الله ﷺ إلا عناداً لا جهلاً بنبوّته وصدق لهجته مصيبٌ. لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَن هذه صفته. وقد ذهب إلى كلّ واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل.

(١) فيه سقط من الناسخ، ولعل أصله فقرأته جماعة «لا يكذبونك» بالتخفيف بمعنى الخ تأمل.

ذكر من قال: معنى ذلك: فإنهم لا يكذّبونك، ولكنهم يجحدون الحقّ على علم منهم بأنك نبيّ لله صادق.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾** قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين، فقال له: ما يحزنك؟ فقال: «كذّبني هؤلاء». قال: فقال له جبريل: إنهم لا يكذّبونك هم يعلمون أنك صادق، **﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ وهو جالس حزين، فقال له: ما يحزنك؟ فقال: «كذّبني هَؤلاءِ». فقال له جبريل: إنهم لا يكذّبونك، إنهم ليعلمون أنك صادق، **﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** قال: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط: عن السديّ، في قوله: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** لما كان يوم بدر، قال الأخنس بن شريق لبني زهرة: يا بني زهرة، إن محمداً ابن أختكم، فأنتم أحقّ من كفّ عنه فإنه إن كان نبياً لم تقاتلونه اليوم؟ وإن كان كاذباً كنتم أحقّ من كفّ عن ابن أخته، قفوا ههنا حتى ألقي أبا الحكم، فإن غلب محمد ﷺ رجعتم سالمين، وإن غُلب محمد فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئاً فيؤمئذ سمي الأخنس، وكان اسمه أبيّ. فالتقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قطّ، ولكن إذا ذهب بنوقصيّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوّة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: **﴿فإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** فآيات الله محمد ﷺ.

حدثني الحرث بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا قيس، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير: **﴿فإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾** قال: ليس يكذّبون محمداً، **﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**.

ذكر من قال ذلك بمعنى: فإنهم لا يكذّبونك ولكنهم يكذّبون ما جئت به:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية، قال: قال أبو جهل للنبيّ ﷺ: ما نتهمك، ولكن نتهم الذي جئت به. فأنزل الله تعالى: ﴿**فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب: أن أبا جهل قال للنبيّ ﷺ: إنا لا نكذّبك، ولكن نكذّب الذي جئت به. فأنزل الله تعالى: ﴿**فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: فإنهم لا يبطلون ما جئتهم به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب: ﴿**فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ**﴾ قال: لا يبطلون ما في يديك.

وأما قوله: ﴿**وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ فإنه يقول: ولكن المشركين بالله بحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون، فينكرون صحة ذلك كله. وكان السديّ يقول: الآيات في هذا الموضع معنيّ بها محمد ﷺ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحقّ من عند الله. يقول تعالى ذكره: إن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك، فيجحدوا نبوّتك، وينكروا آيات الله أنها من عنده، فلا يحزنك ذلك، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله، حتى يأتي نصر الله، فقد كُذّبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أممهم فنالوهم بمكروه، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ولم يثنهم ذلك من المضيّ لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه، حتى حكم الله بينهم وبينهم ﴿**ولا مُبَدِّلَ لكَلِمَاتِ اللهِ**﴾ ولا مغير لكلمات الله. وكلماته تعالى: ﴿**ما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ من وعده إياه النصر على من خالفه وضادّه، والظفر على من تولى عنه وأدبر**. ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ المُرْسَلِينَ**﴾ يقول: ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم، وما صنعتُ بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء. وترك ذكر «أنباء»

لدلالة «من» عليها، يقول تعالى ذكره: فانتظر أنت أيضاً من النصرة والظفر مثل الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل، إذ كذّبهم قومك، واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم.

وبنحو ذلك تأوّل من تأوّل هذه الآية من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا﴾** يعزي نبيه ﷺ كما تسمعون، ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله فصبروا على ما كذّبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾** قال: يعزي نبيه ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾**... الآية، قال: يعزّي نبيه ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحقّ الذي بعثتك به، فشقّ ذلك عليك ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم **﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾** يقول: فإن استطعت أن تتخذ سرباً في الأرض، مثل نافقاء اليربوع، وهي أحد جِحَرَتِه، فتذهب فيه **﴿أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ﴾** يقول: أو مصعداً تصعد فيه كالدرج وما أشبهها، كما قال الشاعر:

لا يُحْرِزُ المَرْءَ أَحْجاءُ البِلادِ وَلا ... يُبْنَى لَهُ في السَّمَوَاتِ السَّلالِيمُ[1]

﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك، فافعل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

(١) البيت لتميم بن أبي مقبل، استشهد به صاحب «اللسان» في حجا، على أن الحجا: الناحية، وأحجاء البلاد: نواحيها. والسلاليم: جمع سلم. قال: ويروى: أعناء: وهي النواحي، واحدها عنا، وذكر البيت أيضاً في (عنا) وفي (سلم)، وقال: السلم: الدرجة والمرقاة يذكر ويؤنث والياء في السلاليم زائدة للوزن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ**﴾ والنفق: السرب، فتذهب فيه فتأتيهم بآية، أو تجعل لك سلماً في السماء، فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ**﴾ قال: سرباً، ﴿**أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ**﴾ قال: يعني الدرج.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ**﴾ أما النفق: فالسرب، وأما السلم: فالمصعد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ﴿**نَفَقاً فِي الأَرْضِ**﴾ قال: سرباً.

وترك جواب الجزاء، فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامعين بمعناه، وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به، فيقول الرجل منهم للرجل: إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا إن قدرت على معونتنا، ويحذف الجواب، وهو يريد: إن قدرت على معونتنا فافعل، فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه، لا يقال: إن تقم، فتسكت وتحذف الجواب لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره، حتى يقال: إن تقم تصب خيراً، أو: إن تقم فحسن، وما أشبه ذلك. ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر:

فَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ ولا تَذْ هَبْ بِكِ التُّرَّهاتُ في الأَهْوَالِ[(١)]

والمعنى: فبحظّ مما نعيش فعيشي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ على الهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يكذّبونك من هؤلاء الكفار يا محمد فيحزنك تكذيبهم إياك، لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدين وصواب من محجة الإسلام حتى تكون كلمة جميعكم

(١) البيت لعبيد بن الأبرص. وقد سبق استشهاد المؤلف به، وشرحنا له في الجزء الثاني (ص ـ ٦٨)، فراجعه ثمة.

واحدة وملتكم وملتهم واحدة، لجمعْتهم على ذلك، ولم يكن بعيداً عليّ لأني القادر على ذلك بلطفي، ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم من قبل أن أخلقهم وأصوّر أجسامهم. ﴿فَلا تَكُونَنَّ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الجاهِلِينَ﴾ يقول: فلا تكوننّ ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه وأن من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ونافذ قضائه بأنه كائن من الكافرين به اختياراً لا اضطراراً، فإنك إذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحقّ وتكذيب من كذّبك منهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يقول الله سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وفي هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطإ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه، يُلطف بها له حتى يهتدي للحقّ، فينقاد له وينيب إلى الرشاد، فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل، ولا شكّ أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالاً، وهم لو كانوا مهتدين كان لا شكّ أن كونهم مهتدين كان خيراً لهم. وفي تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم في دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم وقد ترك فعله بهم، وفي تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كلّ الأسباب التي بها يصلون إلى الهداية ويتسببون بها إلى الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يكبرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم والإقرار بنبوّتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحقّ وسهّل لهم اتباع الرشد، دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحقّ إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها، فهم كما وصفهم به الله تعالى: ﴿صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ. ﴿والمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين

لا يسمعون صوتاً ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون آياته ولا يتذكرون فينزجروا عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المؤمنون للذكر. ﴿والمَوْتَى﴾ الكفار، حين ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ مع الموتى.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ قال: هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله، والذين كذّبوا بآياتنا صمّ وبكم، وهذا مثل الكافر أصمّ أبكم، لا يبصر هدى ولا ينتفع به.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان الثوريّ، عن محمد بن جحادة، عن الحسن: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المؤمنون. ﴿والمَوْتَى﴾ قال: الكفار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن جحادة، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ والمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ﴾ قال: الكفار.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فإنه يقول تعالى: ﴿ثم إلى الله يرجعون﴾، المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول، والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئاً، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب، ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من العقاب، لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرّة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء العادلون بربهم المعرضون عن آياته: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول: قالوا: هلا نزل على محمد آية من ربه كما قال الشاعر:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بني ضَوْطَرَي لَوْلا الكَمِيَّ المُقَنَّعا(١)

بمعنى: هَلا الكميّ. والآية العلامة، وذلك أنهم قالُوا: ما لِهَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَي إِلَيهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْها. قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقائلي هذه المقالة لك: إن الله قادر على أن ينزل آية، يعني: حُجة على ما يريدون ويسألون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية، لا يعلمون ما عليهم في الآية إنَّ نزلها من البلاء، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزّلها عليك لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذّبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبنّ الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون، وكيف يغفل عن أعمالكم أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض صغير أو كبير ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء؟ بل جعل ذلك كله أجناساً مجنسة وأصنافاً مصنفة، تعرف كما تعرفون وتتصرّف فيما سخُرتْ له كما تتصرّفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومثبت كلّ ذلك من أعمالها في أمّ الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها. يقول: فالربّ الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدوابّ في الأرض والطير في الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها في أمّ الكتاب وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء، أحرى أن لا يضيع أعمالكم ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا، إذ كان قد خصكم من نعمه وبسط عليكم من فضله ما لم يعمّ به غيركم في

---

(١) البيت لجرير بن الخطفي (ديوان بشرح الصاوي ص - ٣٣٨) وفيه: (سعيكم) في كان (مجدكم) و (هلا) في مكان (لولا) وأورده صاحب «اللسان» في (ضطر)، وصاحب «الخزانة» (١/ ٤٦١، ٤٦٣) كما رواه المؤلف. والعقر: ضرب قوائم الناقة بالسيف. والنيب، جمع ناب: الناقة المسنة. والمجد: الشرف والعز. والضوطرى من الرجال: الضخم اللئيم الذي لا غناء عنده. ولولا بمعنى هلا. والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه (المتستر). والمقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر. والبيت شاهد عند النجاة على شيئين: الأول أن تعدون بمعنى: تعتقدون، متعد لمفعولين. والثاني: أن لولا التحضيضية داخلة على فعل محذوف، أي هلا تعدون الكمي أفضل مجدكم.

الدنيا، وكنتم بشكره أحقّ وبمعرفة واجبه عليكم أولى لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرّقون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾ أصناف مصنفة تعرف بأسمائها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ﴾ يقول: الطير أمة، والإنس أمة، والجنّ أمة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ﴾ يقول: إلاَّ خلقٌ أمثالُكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ﴾ قال: الذرّة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدوابّ.

وأما قوله: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإن معناه: ما ضيعنا إثبات شيء منه. كالذي:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما تركنا شيئاً إلاَّ قد كتبناه في أمّ الكتاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: لم نغفل الكتاب، ما من شيء إلاَّ وهو في الكتاب.

وحدثني به يونس مرّة أخرى، قال في قوله: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: كلهم مكتوب في أمّ الكتاب.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم الذي عناه الله تعالى في هذا الموضع. فقال بعضهم: حَشْرُها مَوْتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن سعيد، عن مسروق، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ﴾ قال ابن عباس: موت البهائم حَشْرُها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال: يعني بالحشر: الموت.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سليم، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني بالحشر: الموت.

وقال آخرون: الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعثِ الساعة وقيام القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن جعفر بن برقان(١)، عن يزيد بن الأصمّ، عن أبي هريرة، في قوله: ﴿إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم، والدوابّ، والطير، وكلّ شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك يقول الكافر: ﴿يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن الأعمش، ذكره عن أبي ذرّ، قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ، إذ انتطحت عنزان، فقال رسول الله ﷺ: «أتَدْرُونَ فِيما انْتَطَحتَا»؟ قالوا: لا ندري، قال: «لَكِنِ اللَّهُ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن سليم، قال: ثنا مطر بن خليفة، عن منذر الثوري، عن أبي ذرّ قال: انتطحت شاتان عند النبيّ ﷺ، فقال لي: «يا أبا ذَرّ أتَدْرِي فِيمَ انْتَطَحتَا»؟﴾

---

(١) جعفر بن برقان (بضم الباء وكسرها) الكلابي مولاهم: ثقة.

قلت: لا، قال: «لَكِنِ اللَّهُ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما».﴾ قال أبو ذرّ: لقد تركنا رسول الله ﷺ، وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلاَّ ذكرنا منه علماً.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن كلّ دابة وطائر محشور إليه، وجائز أن يكون معنياً بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنياً به حشر الموت، وجائز أن يكون معنياً به الحشران جميعاً. ولا دلالة في ظاهر التنزيل ولا في خبر عن النبيّ ﷺ أيّ ذلك المراد بقوله: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إذ كان الحشر في كلام العرب: الجمع، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌ لَهُ أوَّابٌ﴾ يعني مجموعة: فإذ كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعاً خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يُعمّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها، وأن يقال: كلّ دابة وكلّ طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة، إذ كان الله تعالى قد عمّ بقوله: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ولم يخصص به حشراً دون حشر.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ﴾ وهل يطير الطائر إلاَّ بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟ قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم، فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: كلمت فلاناً بفمي، ومشيت إليه برجلي، وضربته بيدي خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ويستعملونه في خطابهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إنَّ هَذَا أخي لَهُ تسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته، صمّ عن سماع الحق بكمٌ عن القيل به ﴿في الظُّلُمَاتِ﴾ يعني: في ظلمة الكفر حائر فيها، يقول: هو مرتطم في ظلمات الكفر، لا يبصر آيات الله فيعتبر بها، ويعلم أن الذي خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره وقدّره أحسن تقدير وأعطاه القوّة وصحح له آلة جسمه، لم يخلقه عبثاً ولم يتركه سدى، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلاَّ لاستعمالها في طاعته وما يرضيه دون معصيته وما يسخطه، فهو لحيرته في ظلمات الكفر وتردّده في غمراتها، غافل عما الله قد أثبت له في أمّ الكتاب وما هو به فاعل يوم يحشر إليه مع سائر الأمم. ثم أخبر تعالى أنه المضلّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر والهادي إلى الصراط المستقيم منهم من أحبّ هدايته فموفقه بفضله وطوله للإيمان به وترك الكفر

به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه، وأنه لا يهتدي من خلقه أحد إلاّ من سبق له في أمّ الكتاب السعادة، ولا يضلّ منهم أحد إلاّ من سبق له فيها الشقاء، وأن بيده الخير كله، وإليه الفضل كله، له الخلق والأمر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿صُمّ وبُكم﴾ هذا مثل الكافر أصمّ أبكم، لا يبصر هدى ولا ينتفع به، صمّ عن الحقّ في الظلمات لا يستطيع منها خروجاً له متسكع فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿أرأيَتَكُمْ﴾ فقال بعض نحويِّي البصرة: الكاف التي بعد التاء من قوله: ﴿أرأيْتكُمْ﴾ إنما جاءت للمخاطبة، وتركت التاء مفتوحة كما كانت للواحد، قال: وهي مثل كاف رُوَيدك زيداً، إذا قلت: أرود زيداً، هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع ولا نصب، وإنما هي في المخاطبة مثل كاف ذاك، ومثل ذلك قول العرب: أبصرك زيداً، يدخلون الكاف للمخاطبة.

وقال آخرون منهم: معنى: ﴿أرأيْتكُمْ إنْ أتاكُمْ﴾ أرأيتم، قال: وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد، والتاء وحدها هي الإسم، كما أدخلت الكاف التي تفرّق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة كقولهم: هذا، وذاك، وتلك، وأولئك، فتدخل الكاف للمخاطبة وليست باسم، والتاء هو الإسم للواحد والجميع، تُرِكَتْ على حال واحدة، ومثل ذلك قولهم: ليسك ثم إلاّ زيد، يراد: ليس ولا سِيَّك زيد، فيراد: ولا سيما زيد، وبلاك، فيراد بلى، في معنى: ولبئسك رجلاً ولنعمك رجلاً وقالوا: انظرك زيداً ما أصنع به، وأبصرك ما أصنع به، بمعنى أبصرُه. وحكى بعضهم: أبصركم ما أصنع به، يراد: أبصروا، وانظركم زيداً: أي انظروا. وحكي عن بعض بني كلاب: أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة؟ فأدخل الكاف. وقال بعض نحوِّيي الكوفة: أرأيتك عمراً أكثرُ الكلام، فيه ترك الهمز. قال: والكاف من أرأيتك في موضع نصب، كأن الأصل: أرأيت نفسك على غير هذه الحال؟ قال: فهذا يثنى ويجمع ويؤنث، فيقال: أرأيتماكما وأرأيتموكم وأَرَيْتُنَّكنّ أوقع فعله على نفسه، وسأله عنها، ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع، فقالوا: أرأيتكم زيداً ما صنع، وأرأيتكن زيداً ما صنع، فوحدوا التاء وثنُّوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلاً من التاء، كما قال:

هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ وهاءَ يا رجل، وهاؤُما، ثم قالوا: هاكم، اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع، فكأن الكاف في موضع رفع إذ كانت بدلاً من التاء، وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وهي كقول القائل: عليك زيداً، الكاف في موضع خفض، والتأويل رفع. فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الأسماء، ثم تأتي بالاستفهام، فيقال: أرأيتك زيداً هل قام، لأنها صارت بمعنى: أخبرني عن زيد، ثم بين عما يستخبر، فهذا أكثر الكلام، ولم يأت الاستفهام ثنيها، لم يقل: أرأيتك هل قمت، لأنهم أرادوا أن يبينوا عمن يسأل، ثم تبين الحالة التي يسأل عنها، وربما جاء بالخبر ولم يأت بالإسم، فقالوا: أرأيت زيداً هل يأتينا، وأرأيتك أيضاً، وأرأيت زيداً إن أتيته هل يأتينا إذا كانت بمعنى أخبرني، فيقال باللغات الثلاث.

وتأويل الكلام: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، أخبروني إن جاءكم أيها القوم عذاب الله، كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة، أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: إن كنتم محقِّين في دعواكم وزعمكم أن آلهتكم تدعونها من دون الله تنفع أو تضرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مكذّباً لهؤلاء العادلين به الأوثان: ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدّة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم، بل تدعون هناك ربكم الذي خلقكم وبه تستغيثون وإليه تفزعون دون كل شيء غيره. ﴿فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إلَيهِ﴾ يقول: فيفرّج عنكم عند استغاثتكم به وتضرّعكم إليه عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرّج ذلك عنكم، لأنه القادر على كلّ شيء ومالك كلّ شيء دون ما تدعونه إلهاً من الأوثان والأصنام. ﴿وتَنْسَوْنَ ما تُشرِكُونَ﴾ يقول: وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه، فتجعلونه له ندًّا من وثَن وَصَنم، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلهاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره متوعداً لهؤلاء العادلين به الأصنام، ومحذّرهم أن يسلك بهم إن هم

تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا، ومخبراً نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا﴾** يا محمد **﴿إلى أُمَمٍ﴾** يعني: إلى جماعات وقرون، **﴿مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بالبَأْساءِ﴾** يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذّبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء بالبأساء، وهي شدّة الفقر والضيق في المعيشة **﴿والضَّرَّاء﴾** وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام. وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه إعرابه في سورة البقرة بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾** يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرّعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إليّ دون غيري بالتذلل منهم لي بالطاعة والاستكانة منهم إليّ بالإنابة. وفي الكلام محذوف قد استغني بما دلّ عليه الظاهر عن إظهاره من قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ.﴾** وإنما كان سبب أخذه إياهم تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره، لا إرسال الرسل إليهم. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن معنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فكذّبوهم، فأخذناهم بالبأساء. والتضرّع: هو التفعل من الضراعة، وهي الذلة والاستكانة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

وهذا أيضاً من الكلام الذي فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمم التي كذّبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضرّاء ليتضرعوا، ثم قال: فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا، ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضرّاء.

ومعنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون فلم يتضرّعوا، فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرّعوا. ومعنى: **﴿فَلَوْلا﴾** في هذا الموضع: فهلاً، والعرب إذ أوْلت «لولا» اسماً مرفوعاً جعلت ما بعدها خبراً وتلتها بالأمر، فقالت، فلولا أخوك لزرتك، ولولا أبوك لضربتك، وإذا أوْلتها فعلاً، أو لم تولها اسماً، جعلوها استفهاماً، فقالوا: لولا جئتنا فنكرمك، ولولا زرت أخاك فنزورك، بمعنى هلاً. كما قال تعالى: **﴿لَوْلا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فأَصَّدَّق وكذلك تفعل بـ«لوما» مثل فعلها بـ«لولا»**.

فتأويل الكلام إذن: فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذّبة رسلها الذين لم يتضرّعوا عند أخذناهم بالبأساء والضرّاء، تضرّعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه وقد بينا معنى البأس في غير هذا الموضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم، وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم، استهانة بعقاب الله واستخفافاً بعذابه وقساوة قلب منهم. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم:

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا. كالذي:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما ذُكِّروا به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قال: ما دعاهم الله إليه ورسلِهِ، أبوه وردّوه عليهم.

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام استدراجا منَّا لهم. كالذي:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: يعني الرخاء وسعة الرزق.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط. عن السدّي، قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: من الرزق.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم، وأبواب أخر غيره كثيرة؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه، وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم استدراجاً منا لهم أبواب كلّ ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضرّاء، ليتضرّعوا، إذ لم يتضرّعوا وتركوا أمر الله. لأن آخر هذا

الكلام مردود على أوله، وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه: ﴿ومَا أرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِن نَبِيّ إلاَّ أخَذْنا أهْلَها بالبأساءِ والضرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتضرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكان السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حتى عَفَوْا وقالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ فَأخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية [أنهم نسوا ما] ذكرهم بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ﴾ هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضرّ في الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو فتح أبواب كلّ شيء كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ﴾ فرد قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ﴾ عليه. ويعني تعالى بقوله: ﴿حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ يقول: حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الأجسام. كالذي:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الرزق.

حدثنا الحرث، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يحدث عن حماد بن زيد، قال: كان رجل يقول: رحم الله رجلاً تلا هذه الآية ثم فكر فيها ماذا أريد بها: ﴿حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر، عن عبد الله بن المبارك، عن محمد بن النضر الحارثي، في قوله: ﴿أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ قال: أمهلوا عشرين سنة.

ويعني تعالى ذكره بقوله ﴿أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارّون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ قال: أعجب ما كانت إليهم وأعزّها لهم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ يقول: أخذهم العذاب بغتة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾ قال: فجأة آمنين.

وأما قوله: ﴿فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فإنهم هالكون، منقطعة حججهم، نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم. كالذي:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ قال: فإذا هم مهلكون متغير حالهم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا شيخ، عن مجاهد: ﴿فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ قال: فإذا هم مهلكون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ قال: المبلسّ: الذي قد نزل به الشرّ الذي لا يدفعه، والمبلس أشدّ من المستكين، وقرأ: فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ وكان أوّل مرّة فيه معاتبة وتقيَّة، وقرأ قول الله: ﴿أخَذْناهُمْ بالبأْساء والضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾ حتى بلغ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم جاء أمر ليس فيه تقية، وقرأ: ﴿حتى إذَا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أخَذْناهُمْ بَغْتَةً فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فجاء أمر ليس فيه تقية، وكان الأوّل لو أنهم تضرّعوا كشف عنهم.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن أبي شريح ضبارة بن مالك، عن أبي الصلت، عن حرملة[1] أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا رأيْتَ اللّهَ يُعْطِي عَبْدَهُ فِي دُنْياه، إنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: والحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ.

وحدّث بهذا الحديث عن محمد بن حرب، عن ابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، أن النبيّ ﷺ، قال: «إذَا رَأيْتَ اللّهَ تَعالى يُعْطِي العِبادَ ما يَسْألُونَ على مَعَاصِيهِم إيَّاهُ، فإنَّمَا ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَهُمْ» ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ. . .﴾ الآية.

وأصل الإبلاس في كلام العرب عند بعضهم: الحزن على الشيء والندم عليه. وعند بعضهم: انقطاع الحُجة والسكوت عند انقطاع الحجة. وعند بعضهم: الخشوع، وقالوا: هو المخذول المتروك، ومنه قول العجاج:

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا   قالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسَا[2]

---

(١) هو حرملة بن عمران، وكنيته أبو حفص، انظر «الخلاصة».

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣، وهو مطلع أرجوزة له مطولة من مشطور الرجز، عدة أبياتها (٩٩ بيتاً) وقد أورد البيتين صاحب «اللسان» في كرس. قال: ورسم مكرس بتخفيف الراء (مفتوحة ومكسورة) وهو الذي بعرت فيه الإبل وبولت، فركب بعضه بعضاً، وأوردهما أيضاً في (بلس) شاهداً على =

فتأويل قوله: «وأبلسا» عند الذين زعموا أن الإبلاس: انقطاع الحجة والسكوت عنده، بمعنى: أنه لم يحر جواباً. وتأوّله الآخرون بمعنى الخشوع، وترك أهله إياه مقيماً بمكانه. والآخرون: بمعنى الحزن والندم، يقال منه: أبلس الرجل إبلاساً، ومنه قيل لإبليس: إبليس.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذّبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلاَّ أهلك بغتة، إذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: فقطع أصل الذين ظلموا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا.﴾ قال: استُؤْصلوا.

ودابر القوم: الذي يدبرهم، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم، يقال في الكلام: قد دبر القوم فلان يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم، ومنه قول أمية:

فَـأُهْـلِـكُـوا بِـعَـذَابٍ حَـصَّ دابِـرَهُـمْ   فما اسْتطاعُوا له صَرْفاً ولا انْتَصَرُوا[1]

﴿والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ يقول: والثناء الكامل، والشكر التامّ لله ربّ العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته، بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر، وتحقيق عدتهم ما وعدهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، من نقم الله وعاجل عذابه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ

= الإبلاس وهو الانكسار والحزن، يقال: أبلس فلان: إذا سكت غماً، قال العجاج. . .. البيتين، ثم قال: والمكرس الذي صار فيه الكرس، وهو الأبوال والأبعار.

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (ديوان طبع ليبسك سنة ١٩١١)، وقد نقله جامع الديوان عن تفسير الطبري. ووضع على الحاء في حص نقطة، وهو غلط. والشاهد في دابر، وهو يدبر القوم: أي يكون في آخرهم.

﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام المكذّبين بك: أرأيتم أيها المشركون بالله غيره إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأعمالكم فذهب بأبصاركم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولاً ولا تبصروا حجة ولا تفهموا مفهوماً، أيّ إله غير الله الذي له عبادة كل عابد يأتيكم به يقول: يردّ عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم وعلى ردّه عليكم إذا شاء.

وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به، يقول له: قل لهم: إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعاً، وإنما يستحقّ العبادة عليكم من كان بيده الضرّ والنفع والقبض والبسط، القادر على كل ما أراد لا العاجز الذي لا يقدر على شيء. ثم قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ يقول: انظر كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبروا ويذكروا فينيبوا. ﴿ثمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يقول: ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج وتنبيهنا إياهم بالعبر عن الادّكار والاعتبار يعرضون، يقال منه: صدف فلان عني بوجهه فهو يَصْدِفُ صُدوفاً وصَدفاً: أي عدل وأعرض، ومنه قول ابن الرقاع:

إذا ذَكَرْنَ حـدِيـثـاً قُـلْـنَ أحْـسَـنَـه ... وهُـنَّ عـنْ كُـلّ سُـوءٍ يُـتَّـقَـى صُـدُفُ[1]

وقال لَبيد:

يُـرْوِي قَـوامِـحَ قَـبـلَ الـلَّـيْـلِ صَـادِفَـةً ... أشـبـاهَ جِـنٍّ عَـلَـيْـهـا الـرَّيْـط والأُزُرُ[2]

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿مَنْ إلَهٌ غيرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ فوحد الهاء، وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال: ﴿أرأيْتُمْ إنْ أخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وأبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ على قُلُوبِكُمْ﴾ قيل: جائز أن تكون

---

(١) البيت لعدي بن الرقاع العاملي يصف نساء بالأدب والتنزه عن قول الخنا والفحش. وصدف: جمع صدوف بمعنى صادفة، يستوى فيه المذكر والمؤنث.

(٢) البيت للبيد (ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١) والقوامح: جمع قامح وقامحة. وهو الكاره للماء لأية علة كانت يرفع رأسه عند الحوض، ويمتنع من الشرب. أو يشرب وهو متكاره. والصادفة التي صدفت عن الشيء وأعرضت عنه، وهو من صفة القوامح، وهي الإبل الصادة عن شرب الماء. وقوله عليها الريط والأزر، أي عليها نساء لابسات الريط والأزر. والأزر: جمع إزار، وهو ثوب يلفه الإنسان حول نصفه الأسفل، والريط جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفقين. أو هي كل ثوب لين رقيق. قال الأزهري: ولا تكون الريطة إلا بيضاء. وقال ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير (ص ـ ٤٧٢) ما نصه: هذا الزق يروى قوامح. وأصل القوامح: الإبل التي ترفع رؤوسها فلا تشرب، صادفة عن الماء، وشبه الرجال بهذه الإبل. يريد: أنهم يريدون شرب الماء، وإنا يريدون الشراب.

الهاء عائدة على السمع، فتكون موحدة لتوحيد السمع، وجائز أن تكون معنياً بها: من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة، فتكون موحدة لتوحيد «ما»، والعرب تفعل ذلك إذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وإن كثر ما يكنى بها عنه من الأفاعيل، كقولهم: إقبالك وإدبارك يعجبني. وقد قيل: إن الهاء التي في به كناية عن الهدى.

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال: يعرضون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال: يعدلون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿نُصَرِّفُ الآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال: يعرضون عنها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال: يصدّون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان المكذّبين بأنك لي رسولي إليهم، أخبروني إن أتاكم عذاب الله وعقابه على ما تشركون به من الأوثان والأنداد، وتكذيبكم إياي بعد الذي قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولي. ﴿بَغْتَةً﴾ يقول: فجأة على غرّة لا تشعرون. ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ يقول: أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه. ﴿هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: هل يهلك الله منا ومنكم إلاَّ من كان يعبد غير من يستحقّ علينا العبادة وترك عبادة من يستحق علينا العبادة. وقد بينا معنى الجَهْرة في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته وأنها من الإجهار، وهو إظهار الشيء للعين. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿جَهْرَةً﴾ قال: وهم ينظرون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأة آمنين، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ وهم ينظرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلاّ ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاء منا لهم على طاعتنا، وبانذار من عصانا وخالف أمرنا، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة، جزاء منا على معصيتنا، لنعذر إليه، فيهلك إن هلك عن بينة. ﴿فَمَنْ آمَنَ وأَصْلَحَ﴾ يقول: فمن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه، وقبل منهم ما جاءوه به من عند الله وعمل صالحاً في الدنيا، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ﴾ عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذي أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين كذّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا ودافعوا حجتنا، فإنهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذّبوا به من حججنا ﴿بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كانوا يكذبون. وكان ابن زيد يقول: كل فسق في القرآن، فمعناه الكذب.

حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك: لست أقول لكم إني الربّ الذي له خزائن السموات والأرض وأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلاّ الربّ الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذّبوني فيم أقول من ذلك لأنه لا ينبغي أن يكون ربًّا إلاّ من له ملك كلّ شيء وبيده كلّ

شيء ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره. ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ لأنَّه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر في الدنيا، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَى إِلَيَّ﴾ يقول: قل لهم: ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه إلاَّ وحي الله الذي يوحيه إليّ وتنزيله الذي ينزله عليّ، فأمضي لوحيه وأئتمر لأمره، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولي في ذلك، وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة، فما وجه إنكاركم لذلك؟ وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه ﷺ على موضع حجته على منكري نبوّته من مشركي قومه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هل يستوي الأعمى عن الحقّ والبصير به؟ والأعمى هو الكافر الذي قد عمى عن حجج الله فلا يتبينها فيتبعها. والبصير: المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بضيائها. ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول لهؤلاء الذي كذّبوا بآيات الله: أفلا تتفكرون فيما أحتجّ عليكم به أيها القوم من هذه الحجج، فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم إليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم إياي، مع ظهور حجج صدقي لأعينكم، فتَدَعُوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذي به تفوزون؟

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ﴾ قال: الضالّ والمهتدى.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ...﴾ الآية قال: الأعمى: الكافر الذي قد عمي عن حقّ الله وأمره ونعمه عليه والبصير: العبد المؤمن الذي أبصر بصراً نافعاً، فوحد الله وحده، وعمل بطاعة ربه، وانتفع بما آتاه الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وأنْذِرْ﴾ يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك القوم ﴿الَّذِينَ يَخافُون أنْ يحْشَروا إلى رَبِّهِمْ﴾ علماً منهم بأن ذلك كائن فهم مصدّقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضي الله، دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله. ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌ﴾ أي ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه. ﴿وَلا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه. وقيل: ﴿وأنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَروا﴾ ومعناه: يعلمون أنهم يُحْشَرونَ، فوضعت «المخافة» موضع «العلم» لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شكّ منهم في ذلك. وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه وتذكيرهم والإقبال عليهم بالإنذار وصدّه عن المشركين به بعد الإعذار إليهم وبعد إقامة الحجة عليهم، حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك.

ذكر الرواية بذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو زيد، عن أشعث، عن كُردوس الثعلبي، عن ابن مسعود، قال: مرّ الملأ من قريش بالنبيّ ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك، هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدونَ وَجْهَه وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ. . .﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا جرير، عن أشعث، عن كردوس الثعلبي، عن عبد الله، قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ، ثم ذكر نحوه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن كردوس، عن ابن عباس، قال: مر على رسول الله ﷺ ملأ من قريش، ثم ذكر نحوه.

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن أبي سعيد الأزديّ وكان قارىء الأزد عن أبي الكنود، عن خباب، في قول الله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا النبيّ ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب، في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: إنا نحبّ أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال: «نَعَمْ» قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً قال: فدعا بالصحيفة، ودعا عليًّا ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ وَالعَشِيِّ يرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ،﴾ ثم قال: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَلَيْسَ اللَّهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ،﴾ ثم قال: ﴿وَإذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.﴾ فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.﴾ فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن أبي سعيد الأزديّ، عن أبي الكنود، عن خباب بن الأرث، بنحو حديث الحسين بن عمرو إلاَّ أنه قال في حديثه: فلما رأوهم حوله نَفَّروهم، فأتوه فخَلَوا به. وقال أيضاً: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ،﴾ ثم ذكر الأقرع وصاحبه، فقال: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾ الآية. وقال أيضاً: فدعانا فأتيناه وهو يقول: «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» فدنونا منه يومئذٍ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه، وسائر الحديث نحوه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، وحدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والكلبي: أن ناساً من كفار قريش قالوا للنبيّ ﷺ: إن سَرَّكَ أن نتبعك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً ناساً من ضعفاء المسلمين. فقال الله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدون وَجْهَه﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ. . .﴾ إلى قوله: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ. . .﴾ الآية، قال: وقد قال قائلون من الناس لرسول الله ﷺ: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً لأناس كانوا دونهم في الدنيا ازدراهم المشركون. فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ بلال وابن أمّ عبد كانا يجالسان محمداً ﷺ، فقالت قريش محقرتهما: لولاهما وأمثالهما لجالسناه فنهي عن طردهم، حتى قوله: ﴿ألَيْسَ اللَّهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ﴾ قال: قل سلام عليكم فيما بين ذلك في هذا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا سفيان، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، قال: قال سعيد: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبيّ ﷺ، منهم ابن مسعود، قال: كنا نسبق إلى النبيّ ﷺ، وندنو منه ونسمع منه، فقالت قريش: يُدْني هؤلاء دوننا؟ فنزلت: وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، في قوله: ﴿وأنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ. . .﴾ الآية. قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عديّ والحرث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا، فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا، كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال: فأتى أبو طالب النبيّ ﷺ، فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وأنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُون أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ لَيْس لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. . .﴾ إلى قوله: ﴿ألَيْسَ اللَّهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ.﴾ قال: وكانوا: بلالاً وعمار بن ياسر وسالماً مولى أبي حذيفة وصبيحاً مولى أسيد ومن الحلفاء: ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، ومسعود، ابن القاري، وواقد بن عبد الله الحنظلي، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين، ومرثد بن أبي مرثد، وأبو مرثد من غنيٍّ حليف حمزة بن عبد المطلب، وأشباههم من الحلفاء. ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا. . .﴾ الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ. . .﴾ الآية.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: قال رجل

للنبيّ ﷺ: إني أستحيي من الله أن يراني مع سلمان وبلال وذويهم، فاطردهم عنك وجالس فلاناً وفلاناً قال: فنزل القرآن: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلاَّ أن تطردهم. ثم قال: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيهِمْ مِن بَيْنِنا ألَيسَ اللَّهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ.﴾ ثم قال: وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم فأبلغهم مني السلام وبشّرهم، وأخبرهم أني قد غفرت لهم وقرأ: ﴿وَإذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿وكذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ قال: لتعرفها.

واختلف أهل التأويل في الدعاء الذي كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم يدعون ربهم به، فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ﴾ يعني: يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ، يعني الصلوات المكتوبة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أبي حمزة، عن إبراهيم، في قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال: هي الصلوات الخمس الفرائض، ولو كان يقول القصّاص هلك من لم يجلس إليهم.

حدثنا هناد بن السريّ وابن وكيع، قالا: ثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن إبراهيم: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال: هي الصلاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ﴾ الصلاة المفروضة: الصبح والعصر.

حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي، قال: ثنا حسن الجعفي، قال: أخبرني حمزة بن المغيرة، عن حمزة بن عيسى، قال: دخلت على الحسن فسألته، فقلت: يا أبا سعيد، أرأيت قول الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ أهم هؤلاء القصّاص؟ قال: لا، ولكنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسين قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ﴾ قال: الصلاة المكتوبة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ يعني الصلاة المفروضة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ هما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا يحيى بن أيوب، قال: ثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر في هذه الآية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ...﴾ الآية، إنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد وإبراهيم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ﴾ قالا: الصلوات الخمس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: المصلين المؤمنين بلال وابن أمّ عبد. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاصّ، فقال سعيد: ما أسرعهم إلى هذا المجلس قال مجاهد: فقلت: يتأوّلون ما قال الله تعالى. قال: وما قال؟ قلت: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: وفي هذا ذا؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، إنما ذاك في الصلاة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن منصور، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، قال: الصلاة المكتوبة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: هي الصلاة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن أبيه، عن إسرائيل، عن عامر، قال: هي الصلاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يقول: صلاة الصبح وصلاة العصر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: صلى عبد الرحمن في مسجد الرسول، فلما صلى قام فاستند إلى حجرة النبيّ ﷺ، فانثال الناس عليه، فقال: يا أيها الناس إليكم فقيل: يرحمك الله، إنما جاءوا يريدون هذه الآية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ﴾ فقال: وهذا عُني بهذا إنما هو في الصلاة.

وقال آخرون: هي الصلاة ولكن القوم لم يسألوا رسول الله ﷺ طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ولا تأخيرهم عن مجلسه، وإنما سألوه تأخيرهم عن الصفّ الأوّل حتى يكونوا وراءهم في الصفّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾ الآية، فهم أناس كانوا مع النبيّ ﷺ من الفقراء، فقال أناس من أشراف الناس: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا

وقال آخرون: بل معنى دعائهم كان ذكرهم الله تعالى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، وحدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: أهل الذكر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: هم أهل الذكر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ﴾ قال: لا تطردهم عن الذكر.

وقال آخرون: بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ﴾ قال: كان يقرئهم القرآن النبي ﷺ.

وقال آخرون: بل عَنَى بدعائهم ربهم عبادتهم إياه.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيِّ﴾ قال: يعني: يعبدون، ألا ترى أنه قال: ﴿لا جَرَمَ أنَّما تَدْعُونَني إلَيْهِ﴾ يعني: تعبدونه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى نهى نبيه محمداً ﷺ أن يطرد قوماً كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشيّ والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وكلاماً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التي كان عليهم فرضها وغيرها من النوافل التي ترضي والعامل له عابده بما هو عامل له وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشيّ، لأن الله قد سمى العبادة دعاء، فقال تعالى: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء، ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشيّ فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشيء دون شيء. فتأويل الكلام إذن: يا محمد أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون، فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير، في العمل له دائمون إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذّبون بالله واليوم الآخر من قومك استكباراً على الله. ولا تطردهم ولا تُقْصِهم، فتكون ممن وضعَ الإقصاء في غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه، وقرَّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدنائه فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوّعهم وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشيّ، يلتمسون بذلك القربة إلى الله والدنوّ من رضاه. ﴿ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾ يقول: ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء، فتطردهم حذار محاسبتي إياك بما خوّلتهم في الدنيا من الرزق. وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب لقوله: ﴿ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَيْءٍ﴾. وقوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ وكذلك اختبرنا وابتلينا. كالذي:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ يقول: ابتلينا بعضهم ببعض.

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الفتنة، وأنها الاختبار والابتلاء، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض، مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق، فجعل بعضاً غنياً وبعضاً فقيراً وبعضاً قوياً وبعضاً ضعيفاً، فأحوج بعضهم إلى بعض، اختباراً منه لهم بذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ يعني أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء للفقراء: أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا يعني: هداهم الله. وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية.

وأما قوله: ﴿لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ يقول تعالى: **﴿اختبرنا الناس بالغنى والفقر والعزّ والذلّ والقوّة والضعف والهدى والضلال، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحقّ للذين هداهم الله ووفقهم: أهؤلاء منّ الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ونحن أغنياء أقوياء استهزاء بهم، ومعاداة للإسلام وأهله. يقول تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾** وهذا منه تعالى إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحقّ، وخذلهم عنه وهم أغنياء، وتقرير لهم أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكراً نعمتي ممن هو لها كافر، فمنّي على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره إياي على نعمتي، وتخذلي من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه إياي نعمتي لا لغنى الغنيّ منهم ولا لفقر الفقير لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلاَّ جزاء على عمله الذي اكتسبه لا على غناه وفقره، لأن الغنى والفقر والعجز والقوّة ليس من أفعال خلقي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤)﴾.

اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله تعالى بهذه الآية: فقال بعضهم: عَنَى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم، وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه.

وقال آخرون: عنى بها قوماً استفتوا النبيّ ﷺ في ذنوب أصابوها عظام، فلم يؤيسهم الله من التوبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن مجمع، قال: سمعت ماهان، قال: جاء قوم إلى النبيّ ﷺ قد أصابوا ذنوباً عظاماً. قال ماهان: فما إخاله ردّ عليهم شيئاً. قال: فأنزل الله هذه الآية: **﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ...﴾** الآية.

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن مجمع، عن ماهان: أن قوماً جاءوا إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: يا محمد إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فما إخاله ردّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فأنزل الله تعالى: **﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يؤمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** قال: فدعاهم، فقرأها عليهم.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن مجمع التميمي، قال: سمعت ماهان يقول، فذكر نحوه.

وقال آخرون: بل عُني بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبيّ ﷺ بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم، فكان ذلك منهم خطيئة، فغفرها الله لهم وعفا عنهم، وأمر نبيه ﷺ إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبيّ ﷺ بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم. وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد، وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: المعنيون بقوله: **﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾** غير الذين نهى الله النبيّ ﷺ عن طردهم، لأن قوله: **﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا﴾** خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم، ولو كانوا هم لقيل: «وإذا جاءوك فقل سلام عليكم»، وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأوّلين ما ينبىء عن أنهم غيرهم.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرّون بذلك قولاً وعملاً، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني

وبينهم، هل لهم منها توبة؟ فلا تؤيسهم منها، وقل لهم: سلام عليكم: أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يقول: قضى ربكم الرحمة بخلقه، ﴿أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ ثمَّ تابَ مِن بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فَأَنَّه غَفورٌ رَحيمٌ﴾.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدنيين: ﴿أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ فيجعلون «أنّ» منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة، «ثمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فإنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ» على ائتناف «إنه» بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها، بمعنى: فهو له غفور رحيم، أو فله المغفرة والرحمة. وقرأهما بعض الكوفيين بفتح الألف منهما جميعاً، بمعنى: كتب ربكم على نفسه الرحمة، ثم ترجم بقوله: ﴿أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ﴾ عن الرحمة ﴿فأَنَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ،﴾ فيعطف «فأنه» الثانية على «أنه» الأولى، ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت. وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء أهل العراق من الكوفة والبصرة بكسر الألف من «إنه» و «فإنه» على الابتداء، وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأهما بالكسر: «كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إنَّهُ» على ابتداء الكلام، وأن الخبر قد انتهى عند قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوءاً بجهال ثم تاب وأصلح منه. ومعنى قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ﴾: أنه من اقترف منكم ذنباً، فجهل باقترافه إياه. ﴿ثُمَّ تابَ وأَصْلَحَ فأنه غَفُورٌ﴾ لذنبه إذا تاب وأناب وراجع بطاعة الله وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه. ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن عثمان، عن مجاهد: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ﴾ قال: من جهل أنه لا يعلم حلالاً من حرام، ومن جهالته ركب الأمر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾ قال: من عمل بمعصية الله، فذاك منه جهل حتى يرجع.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا بكر بن خنيس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ﴾ قال: كلّ من عمل بخطيئة فهو بها جاهل.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا خالد بن دينار أبو خلدة، قال: كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال: ﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِه الرَّحْمَةَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾ وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد إلى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا، وميزناها لك وبينّاها، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كلّ حقّ ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم، فنبينها لك حتى تبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وِلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة: ﴿ولِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء «سَبِيلَ المُجْرِمِينَ» بنصب السبيل، على أن «تستبين» خطاب للنبيّ ﷺ كأن معناه عندهم: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وكان ابن زيد يتأوّل ذلك: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: «وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ المُجْرِمِينَ» قال: الذين يأمرونك بطرد هؤلاء.

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: ﴿ولِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء ﴿سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ برفع السبيل على أن القصد للسبيل، ولكنه يؤنثها. وكأن معنى الكلام عندهم: وكذلك نفصّل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: «وليستبين» بالياء ﴿سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ برفع السبيل على أن الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه. ومعنى هؤلاء في هذا الكلام، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء في: ﴿ولِتَسْتَبِينَ﴾ ورفع السبيل واحدٌ، وإنما الاختلاف بينهم في تذكير السبيل وتأنيثها.

وأولى القراءتين بالصواب عندي في «السبيل» الرفع، لأن الله تعالى ذكره فصّل آياته في كتابه وتنزيله، ليتبيَّن الحقّ بها من الباطل جميع من خوطب بها، لا بعض دون بعض. ومن قرأ «السبيل» بالنصب، فإنما جعل تبيين ذلك محصوراً على النبيّ ﷺ. وأما القراءة في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ فسواء قُرِئت بالتاء أو بالياء، لأن من العرب من يذكر السبيل وهم تميم وأهل نجد، ومنهم من يؤنث السبيل وهم أهل الحجاز، وهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار ولغتان

مشهورتان من لغات العرب، وليس في قراءة ذلك بإحداهما خلاف لقراءته بالأخرى ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التي ذكرنا.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿نُفصّلُ الآياتِ﴾ قال أهل التأويل.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وكذَلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ﴾ نبين الآيات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في: ﴿نُفَصّلُ الآياتِ﴾: نبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ولا أوافقكم عليه، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه، وإن فعلت ذلك فقد تركت محجة الحقّ وسلكت على غير الهدى، فصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة. وللعرب في «ضللت» لغتان: فتح اللام وكسرها، واللغة الفصيحة المشهورة هي فتحها، وبها قرأ عامة قراء الأمصار، وبها نقرأ لشهرتها في العرب وأما الكسر فليس بالغالب في كلامها والقراء بها قليلون، فمن قال ضَلَلْتُ قال أَضِلُّ، ومن قال ضَلِلْتُ قال في المُسْتَقْبَل أَضَلُّ، وكذلك القراءة عندنا في سائر القرآن: وقالوا أئِذا ضَلَلْنا بفتح اللام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم، الداعين لك إلى الإشراك بربك: ﴿إنّي على بَيِّنَةٍ مِنْ ربي﴾ أي إني على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لي من ربي، يقول: من توحيده، وما أنا عليه من إخلاص عبوديته من غير إشراك شيء به وكذلك تقول العرب: فلان على بينة من هذا الأمر: إذا كان على بيان منه، ومن ذلك قول الشاعر:

أَبَيِّنَـةً تَبْـغُـونَ بَـعْـدَ اعْـتِـرَافِـهِ وقَـوْلِ سُـوَيْـدٍ قـدْ كَـفَـيْـتُـكُـمْ بِـشْـرَا[1]

وكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ يقول: وكذبتم أنتم بربكم. والهاء في قوله [به] من ذكر الربّ جل وعزّ. ﴿ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ يقول: ما الذي تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدي، ولا أنا على ذلك بقادر. وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمداً ﷺ بتوحيده، فدعاهم إلى الله وأخبرهم أنه رسوله إليهم: ﴿هَلْ هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أفَتَأْتونَ السِّحْرَ وأنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ وقالوا للقرآن: هو أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو اختلاق اختلقه. وقال آخرون: بل محمد شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون فقال الله لنبيه ﷺ: أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك، وإنما أنت رسول، وليس عليك إلاَّ البلاغ لما أرسلت به، وإن الله يقضي الحقّ فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحقّ منكم والمبطل. ﴿وهُوَ خَيْرُ الفاصلِينَ﴾: أي وهو خير من بين وميز بين المحقّ والمبطل وأعدلهم، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين. وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله: «وهُوَ أسْرَعُ الفَاصِلين».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قال: في قراءة عبد الله: «يقضي الحقّ وهو أسرع الفاصلين».

واختلفت القراء في قراءة قوله: «يَقْضِي الحَقّ» فقرأه عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة: ﴿إن الحُكْمُ إلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الحَقَّ﴾ بالصاد بمعنى القصص، وتأوّلوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ. وذكر ذلك عن ابن عباس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ﴿يَقُصُّ الحَقَّ،﴾ وقال: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة والبصرة: «إن الحُكْمُ إلاَّ لِلّهِ يَقْضِي الحَقَّ» بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء. واعتبروا صحة ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الفاصلِينَ﴾ وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص.

وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لأهلها من العلة. فمعنى الكلام إذن: ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم، إلاَّ لله الذي لا يجور في حكمه، وبيده الخلق والأمر، يقضي الحقّ بيني وبينكم، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه.

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت. ومعناه واضح.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان المكذّبيك فيما جئتهم به، السائليك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب: لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه، ولكن ذلك بيد الله الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التي لا تنبغي أن تكون إلاَّ لله في غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بيني وبينهم. وقد قيل: معنى قوله: ﴿لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الذبح للموت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن جريج، قال: بلغني في قوله: ﴿لَقُضِيَ الأمْرُ﴾ قال: ذبح الموت.

وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله: ﴿وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ فإنه رُوي عن النبيّ ﷺ في ذلك قصة تدلّ على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر، وليس قوله: ﴿لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ من ذلك في شيء، وإنما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مفاتِحُ الغَيْبِ﴾ والمفاتح: جمع مِفْتَح، يقال فيه: مِفْتَح ومِفْتَاح، فمن قال مِفْتَح جمعه مَفَاتح، ومن قال مِفْتاح جمعه مَفَاتِيح.

ويعني بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ﴾ خزائن الغيب، كالذي:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ:

﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ﴾ قال: يقول: خزائن الغيب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مسعر، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن ابن مسعود، قال: أعطي نبيكم كلّ شيء إلاّ مفاتح الغيب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾ قال: هنّ خمس: ﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾... إلى: ﴿إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

فتأويل الكلام إذن: والله أعلم بالظّالمين من خلقه وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه، فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه. ﴿ويَعْلَمُ ما في البَرّ والبَحْرِ﴾ يقول: وعنده علم ما لم يغب أيضاً عنكم، لأن ما في البرّ والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد. فكان معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم. فأخبر الله تعالى أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تسقط ورقة في الصحاري والبراري ولا في الأمصار والقرى إلا الله يعلمها. ﴿وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ يقول: ولا شيء أيضاً مما هو موجود أو مما سيوجد ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفنى فيها. ويعني بقولين ﴿مُبِينٍ﴾: أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم.

فإن قال قائل: وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه، وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه؟ قيل له: لله تعالى فعل ما شاء، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحاناً منه لحفظته واختباراً للمتوكلين بكتابة أعمالهم، فإنهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك في اللوح المحفوظ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم وقيل: إن ذلك معنى قوله: ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به، إما بحجة يحتجّ بها على بعض ملائكته وإما على بني آدم وغير ذلك. وقد:

حدثني زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب، قال: ثنا مالك بن سعير، قال: ثنا الأعمش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحرث، قال: ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة، إلا عليها ملك موكل بها يأتي الله، يعلمه يبسها إذا يبست ورطوبتها إذا رطبت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٦٠﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وقل لهم يا محمد، والله أعلم بالظالمين: والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم، ﴿وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار. ومعنى التوفّي في كلام العرب: استيفاء العدد، كما قال الشاعر:

إنَّ بَنِي الأدردِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[1]

بمعنى: لم تدخلهم قريش في العدد. وأما الاجتراح عند العرب: فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه، وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم، ثم يقال لكل مكتسب عملاً: جارح، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكلّ مكتسب كسباً بأيّ أعضاء جسمه اكتسب: مجترح.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ أما «يتوفاكم بالليل»: ففي النوم، وأما «يعلم ما جرحتم بالنهار» فيقول: ما اكتسبتم من الإثم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ يعني: ما اكتسبتم من الإثم.

---

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لمنظور الوبري، كما قال صاحب «اللسان» (وفى) قال: وتوفيت عدد القوم: إذا عددتهم كلهم، وأورد البيت. ثم قال: أي لا تجعلهم قريش تمام عددهم، ولا تستوفى بهم عددهم. ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي يستوفى مدد آجالهم في الدنيا. وقيل: يستوفي تمام عددهم إلى يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ قال: ما عملتم بالنهار.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيلِ﴾ يعني بذلك: نومهم ﴿ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾: أي ما عملتم من ذنب فهو يعلمه، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ قال: أما وفاته إياهم بالليل فمنامهم، وأما «ما جرحتم بالنهار» فيقول: ما اكتسبتم بالنهار.

وهذا الكلام وإن كان خبراً من الله تعالى عن قدرته وعلمه، فإن فيه احتجاجاً على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم، فقال تعالى محتجًا عليهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمًّى﴾ يقول: فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار، لتبلغوا أجلاً مسمّى وأنتم تَرَوْن ذلك وتعلمون صحته، غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ثم ردّها إلى أجسادكم وإنشائكم بعد مماتكم، فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون، وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه، وإن الذي لم تروه ولم تعاينوه من ذلك شبيه ما رأيتم وعاينتم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فيهِ لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره: ثم يبعثكم، يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه، يعني في النهار. والهاء التي في: «فيه» راجعة على النهار. ﴿لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمًّى﴾ يقول: ليقضي الله الأجل الذي سماه لحياتكم، وذلك الموت، فيبلغ مدته ونهايته. ﴿ثُمَّ إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول: ثم إلى الله معادكم ومصيركم. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال: في النهار.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ في النهار، والبعث: اليقظة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال: في النهار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال: يبعثكم في المنام.

﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ وذلك الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ وهو الموت.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ قال: هو أجل الحياة إلى الموت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ قال: مدتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَهُوَ القاهِرُ﴾: والله الغالب خلقه العالي عليهم بقدرته، لا المقهور من

أوثانهم وأصنامهم المذلل المغلوب عليه لذلته. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً، يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرّطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ قال: هي المعقبات من الملائكة، يحفظونه ويحفظون عمله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حتى إذَا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ﴾ يقول: حفظة يا ابن آدم يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك إذا توفيت ذلك قبضت إلى ربك. ﴿حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها يرسلهم إليكم بحفظكم، وبحفظ أعمالكم إلى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله، فإذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرّطون في ذلك فيضيعونه.

فإن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ والرسل جملة وهو واحد؟ أو ليس قد قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون «التوفّي» مضافاً، وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قَتْل من قَتَل أعوانُ السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وَلِيَه بيده. وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، في قوله: ﴿حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: كان ابن عباس يقول: لملك الموت أعوان من الملائكة.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، في قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ﴾ قال: سئل ابن عباس عنها، فقال: إن لملك الموت أعواناً من الملائكة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم في قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: أعوان ملك الموت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: الرسل توفي الأنفس، ويذهب بها ملك الموت.

حدثنا هناد، قال: ثنا حفص، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن ابن عباس: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: الرسل توفي الأنفس، ويذهب بها ملك الموت.

حدثنا هناد، قال: ثنا حفص، عن الحسن بن عبيد الله، عن ابن عباس: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ قال: هم الملائكة أعوان ملك الموت.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ قال: إن ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك إليه. وقال الكلبي: إن ملك الموت هو يلي ذلك، فيدفعه إن كان مؤمناً إلى ملائكة الرحمة، وإن كان كافراً إلى ملائكة العذاب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ قال: يلي قبضها الرسل، ثم يدفعونها إلى ملك الموت.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن إبراهيم في قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ قال: يتوفاه الرسل، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس. قال الثوري: وأخبرني الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، قال: هم أعوان لملك الموت. قال الثوري: وأخبرني رجل عن مجاهد، قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن ابن عباس، في قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم،

قال: الملائكة أعوان ملك الموت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا**﴾ قال: يتوفونه، ثم يدفعونه إلى ملك الموت.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه قال: سألت الربيع بن أنس، عن ملك الموت، أهو وحده الذي يقبض الأرواح؟ قال: هو الذي يلي أمر الأرواح، وله أعوان على ذلك، ألا تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿**حتى إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ**﴾ وقال: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ**﴾ غير أن ملك الموت هو الذي يسير كلّ خطو منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة في الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، عن مجاهد، قال: ما من أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف بهم كلّ يوم مرّتين.

وقد بينا أن معنى التفريط: التضييع، فيما مضى قبل. وكذلك تأوّله المتأوّلون في هذا الموضع.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ**﴾ يقول: لا يضيعون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ**﴾ قال: لا يضيعون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم ردّت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحقّ. ﴿**ألا لَهُ الحُكْمُ**﴾ يقول: ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه. ﴿**وَهُوَ أسْرَعُ الحاسِبِينَ**﴾ يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها، لأنه لا يحسب بعقد يَدٍ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، و لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السَّمَوَاتِ ولا في الأَرْضِ ولا أصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ولا أكْبَرُ إلاَّ في كِتَابٍ مُبِينٍ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك إلى عبادة أوثانهم: من الذي ينجيكم من ظلمات البرّ إذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة؟ ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له، غير الله الذي مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرّعاً منكم إليه واستكانة جهراً وخفية؟ يقول: وإخفاء للدعاء أحياناً، وإعلاناً وإظهاراً، تقولون: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ يا ربّ: أي من هذه الظلمات التي نحن فيها، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يقول: لنكوننّ ممن يوحدك بالشكر ويخلص لك العبادة دون من كنا نُشركه معك في عبادتك. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ يقول: إذا أضلّ الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾ يقول: من كرب البرّ والبحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البرّ والبحر: الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البرّ والبحر من هَمّ الضلال وخوف الهلاك ومن كرب كلّ سوى ذلك وهم، لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه، التي لا تقدر لكم على نفع لا ضرّ، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسيم الهمّ تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها في عبادتكم إياه، وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم وكفر لأياديه عندكم وتعرّض منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كلّ كرب ثم تعودون للإشراك به، وهو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم، لشرككم به وادّعائكم معه إلهاً آخر غيره وكفرانكم نعمه مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم، فقال بعضهم: أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم: فالرجم وأما الذي توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم: فالخسف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك: ﴿عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ قال: الخسف.

حدثنا سفيان، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن الأشجعي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا قال: أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ قال: الخسف.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ فعذاب السماء، ﴿أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ فيخسف بكم الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ قال: كان ابن مسعود يصيح وهو في المجلس أو على المنبر: ألا أيها الناس إنه نزل بكم، إن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحداً، ﴿أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحداً، ﴿أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأسَ بَعْضٍ﴾ ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث.

وقال آخرون: عَنَى بالعذاب من فوقكم: أئمة السوء، أو من تحت أرجلكم: الخَدَمَ وسفلةَ الناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت خلاداً يقول: سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول: إن ابن عباس كان يقول في هذه: ﴿**قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ**﴾ فأما العذاب من فوقكم: فأئمة السوء. وأما العذاب من تحت أرجلكم: فخدم السوء.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾ يعني: من أمرائكم، ﴿**أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ**﴾ يعني: سفلتكم.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رءوسهم، ومن تحت أرجلهم: الخسف وما أشبهه. وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى «فوق» و «تحت» الأرجل، هو ذلك دون غيره، وإن كان لما رُوي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح، غير أن الكلام إذا تنوزع في تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحقّ وأولى من غيره ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: أو يخلطكم شيعاً: فرقاً، واحدتها شيعة، وأما قوله: ﴿**يَلْبِسَكُمْ**﴾ فهو من قولك: لَبَسْتُ عليه الأمر، إذا خلطت، فأنا ألبِسُه. وإنما قلت إن ذلك كذلك، لأنه لا خلاف بين القرّاء في ذلك بكسر الباء، ففي ذلك دليل بَيِّنٌ على أنه من لَبِسَ يَلْبِسُ، وذلك هو معنى الخلط. وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزاباً مفترقة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾ الأهواء المفترقة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾ قال: يفرّق بينكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: ما كان منكم من التفرّق والاختلاف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: الذي فيه الناس اليوم من الإختلاف والأهواء وسفك دماء بعضهم بعضاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: الأهواء والاختلاف.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ يعني بالشيع: الأهواء المختلفة.

وأما قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ﴾ فإنه يعني: يقتل بعضكم بيد بعض، والعرب تقول للرجل ينال بسلاح فيقتله به: قد أذاق فلان فلاناً الموت وأذاقه بأسه. وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك في كلّ ما وصل إلى الرجل من لذّة وحلاوة أو مرارة ومكروه وألم. وقد بينت معنى البأس في كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالسيوف.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد، عن أبي هارون العبدي، عن نوف البكالي، أنه قال في قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: هي والله الرجال في أيديهم الحراب يطعنون في خواصركم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب.

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: عذاب هذه الأمة أهل الإقرار بالسيف، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وعذاب أهل التكذيب: الصيحة والزلزلة.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها المسلمون من أمة محمد ﷺ، وفيهم نزلت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿**قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾... الآية، قال: فهنّ أربع وكلهنّ عذاب، فجاء منهنّ اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان، فهما لا بدّ واقعتان، يعني: الخسف والمسخ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحتِ أرْجُلِكُمْ**﴾ لأمة محمد ﷺ، وأعفاكم منه، ﴿**أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾ قال: ما كان فيكم من الفتن والاختلاف.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً**﴾... الآية، ذكر لنا أن رسول الله ﷺ صلى ذات يوم الصبح فأطالها، فقال له بعض أهله: يا نبيّ الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها قال: «إنَّها صَلاة رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وإنّي سألْتُ ربّي فِيها ثَلاثاً: سألْتُه أنْ لا يُسَلِّط على أمَّتي عَدوّاً مِنْ غيرِهِمْ فَيُهْلِكَهُمْ فَأعْطانِيها وسألْتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ على أُمّتِي السَّنَةَ فأعْطانِيها وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً وَلاَ يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنَعَنِيها»، ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «لا تَزَال طائفَةٌ مِنْ أمّتِي يُقاتِلُونَ على الحَقّ ظاهرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حتى يَأْتِيَ أمْرَ اللَّهِ».

حدثنا أحمد بن الوليد القرشيّ وسعيد بن الربيع الرازي، قالا: ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو، سمع جابراً يقول: لما أنزل الله تعالى على النبي ﷺ: ﴿**قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحتِ أرْجُلِكُمْ**﴾ قال: «أعُوذ بِوَجْهِكَ»، ﴿**أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ قال: «هاتَانِ أيْسَرُ»، أو «أهْوَنُ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر، قال: لما نزلت: ﴿**قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحتِ أرْجُلِكُمْ**﴾قال: «نَعُوذ بِكَ، نَعُوذ بِكَ» ﴿**أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾ قال: «هُوَ أهْوَنُ».

حدثني زياد بن عبيد الله المزني، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزاريّ، قال: ثنا أبو مالك، قال ثني نافع بن خالد الخزاعي، عن أبيه: أن النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال: «قَدْ كَانَتْ صَلاةَ رَغْبَةٍ وَرهْبَةٍ، فَسألْتُ اللَّهَ فِيها ثَلاثاً فأعْطانِي اثْنَتَيْنِ، وبَقِيَ وَاحِدَةٌ. سألْتُ اللَّهَ أنْ لا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أصَابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ فأعْطانيها، وسألْتُ اللَّهَ أنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدوّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ فأعْطانِيها، وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسُكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأسَ بَعْضٍ، فَمَنَعنِيها». قال أبو مالك: فقلت له: أبوك سمع هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن أبي أسماء الرَّحَبيّ، عن شدّاد بن أوس يرفعه إلى النبي ﷺ، أنه قال: «إنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأرْضَ حتى رأيْتُ مَشارِقَها ومَغَارِبَها، وَإنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ ما زُوِيَ لي مِنْها، وإنّي أُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأحْمَرَ والأبْيَضَ، وإنّي سألْتُ رَبي أنْ لا يُهْلَكَ قَوْمي بِسَنَةٍ عامَّةٍ وأنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً وَلا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بأسَ بَعْضٍ، فقال: يا محمد، إنّي إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنَّهُ لا يُرَدّ، وإنّي أعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامَّةٍ وَلا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيُهْلِكَهُمْ بِعامَّةٍ حتى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضاً وبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضاً وبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضاً»، فقال النبي ﷺ: «إنّي أخافُ على أُمَّتِي الأئمَّةَ المُضلِّينَ، فإذا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن أبي أسماء الرحبي، عن شدّاد بن أوس، قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال: وقال النبي ﷺ: «إنّي لا أخافُ على أُمَّتِي إلاَّ الأئمَّةَ المُضِلّينَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن الزهري، قال: راقب خباب بن الأرَتّ، وكان بدرياً، النبي ﷺ وهو يصلي، حتى إذا فرغ وكان في الصبح قال له: يا رسول الله، لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها قال: «أجَلْ، إنَّها صَلاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ، سألْتُ رَبي ثَلاثَ خِصَالٍ فأعْطانِي اثْنَتَيْنِ ومَنَعَنِي وَاحِدَةً سألْتُهُ أنْ لا يُهْلِكَنا بِمَا أهْلَكَ بِهِ الأمَمَ فأعْطانِي، وسألْتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْنا عَدُوّاً فأعْطانِي، وسَألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَنا شِيَعاً، فَمَنَعَنِي».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري،

في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: راقب خباب بن الأرت، وكان بدرياً، رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال: ﴿ثَلاثَ خصلاتٍ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما نزلت على النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: «أعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أوْ مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: أعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: «هَذِهِ أهْوَنُ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن: أن النبي ﷺ قال: «سألْتُ رَبي فأُعْطِيتُ ثَلاثاً وَمُنِعْتُ وَاحِدَةً سألْتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ على أُمَّتِي عَدُوّاً مِنْ غَيرِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلاَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ جُوعاً، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ على ضَلالَةٍ فأُعْطِيتُهُنَّ. وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمُنِعْتُ».

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي سألْتُ رَبي خِصَالاً، فأعْطَانِي ثَلاثاً وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سألْتُهُ أنْ لا تَكْفُرَ أُمَّتِي صَفْقَةً وَاحدَةً فأعْطانِيها، وسألْتُهُ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غيرِهِمْ فأعْطانِيها، وسألْتُهُ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الأمَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأعْطانِيها، وسألْتُهُ أنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيها».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية، قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال الحسن: ثم قال لمحمد ﷺ وهو يشهده عليهم: ﴿انْظُرْ كَيفَ نُصَرّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ فقام رسول الله ﷺ، فتوضأ، فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يلبس أمته شيعاً ويذيق بعضم بأس بعض كما أذاق بني إسرائيل، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك سألت ربك أربعاً، فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين: لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فإنهما عذابان لكلّ أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردّ كتاب ربها ولكنهم يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء، ولكن يعذّبون بذنوبهم وأوحي إليه: ﴿فإمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ يقول: من أمتك، ﴿أوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْناهُمْ﴾ من العذاب العذاب وأنت حيّ، فإنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ. فقام نبي الله ﷺ، فراجع ربه، فقال: «أيُّ مُصِيبَةٍ أشَدُّ مِنْ أنْ أرَى أُمَّتِي يُعَذِبُ بَعْضُها بَعْضاً؟» وأُوحي إليه: الم أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرِكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتِنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ فأعلمه أن أمته لم تخصّ دون الأمم بالفتن، وأنها ستُبلى كما إبتليت

الأمم. ثم أنزل عليه: ﴿قُلْ رَبِّ إما تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فتعوّذ نبيّ الله، فأعاذه الله، لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة. ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة، فأخبره أنه إنما يخصّ بها ناس منهم دون ناس، فقال: ﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً وَاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ فخصّ بها أقواماً من أصحاب محمد ﷺ بعده وعصم بها أقواماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف، فشقّ ذلك عليه، ثم دعا فقال: «اللهمّ أظْهِرْ عَلَيْهِمْ أفْضَلَهُمْ تَقِيَّةً».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود، قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن أبي الزبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعُوذُ باللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» قال: ﴿أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾قال «أعوذُ باللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» قال ﴿أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال: «هَذِهِ أيْسَرُ» ولو استعاذه لأعاذه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا المؤمل البصريّ، قال: أخبرنا يعقوب بن إسماعيل بن يسار المديني، قال: ثنا زيد بن أسلم، قال: لما نزلت: ﴿قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوقِكُم أو مِن تَحتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْس بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا تَرجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ بالسُّيوفِ» فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ قال: «نعم» فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً فأنزل الله: ﴿انْظُرْ كَيفَ نُصَرِّف الآياتِ لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ وكَذَّبَ بِهِ قَومُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقال آخرون: عُني ببعضها أهل الشرك وببعضها أهل الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن هارون بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن الحسن، في قوله: ﴿قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيكُمْ عَذَاباً مِن فَوقِكُم أو مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ﴾ قال: هذا للمشركين، ﴿أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال هذا للمسلمين.

والصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوْثان وإياهم خاطب بها، لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم، وذلك أنها تتلو قوله: ﴿قُلْ

يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أنجانا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ويتلوها قوله: ﴿وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾ وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذّبين. فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بيناً أن ذلك وعيد لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر غير أن ذلك وإن كان كذلك فإنه قد عمّ وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها. وأما الأخبار التي رُوِيت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سألْتُ رَبي ثَلاثاً، فأعْطانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً» فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيداً لمن ذكرت من المشركين ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إياه من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها، ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها. وأما الذين تأوّلوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة، فإني أراهم تأوّلوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة من خلافه والكفر به، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنِّقِمات وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله: جاء منهنّ اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة وبقيت اثنتان: الخسف والمسخ، وذلك أنه رُوِي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ» وإنَّ قَوْماً مِنْ أُمَّتِهِ سَيَبِيتُونَ على لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنازِيرَ وذلك إذا كان، فلا شكّ أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته. وقد رُوِي نحو الذي روي عن أبي العالية، عن أبيّ.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا سفيان، قال: أخبرنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب: ﴿قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيكُمْ عَذاباً مِن فَوقِكُم أو مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً﴾ قال: أربع خلال، وكلهنّ عذاب، وكلهنّ واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة: أُلبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيفَ نُصَرّف الآياتِ لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذّبين بربهم الجاحدين نعمه وتصريفناها فيهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه، فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَذَّبَ﴾ يا محمد ﴿قَوْمُكَ﴾ بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد. ﴿وَهُوَ الحَقُّ﴾ يقول: والوعيد الذي أوعَدْناهم على مُقامهم على شركهم من بعث العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو لَبْسهم شيعا، وإذاقة بعضهم بأس بعض، الحقّ الذي لا شكّ فيه أنه واقع، إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به إلى طاعة الله والإيمان به. ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ يقول: قل لهم يا محمد: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول أبلغكم مما أرسلت به إليكم. ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ يقول: لكل خبر مُسْتقرّ، يعني قَرار يستقرّ عنده ونهاية ينتهي إليها، فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم أيها المشركون وحقيته عند حلول عذابه بكم. فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يومئذ بأوليائه من المؤمنين.

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السُّديّ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾ يقول: كذبت قريش بالقرآن، وهو الحقّ. وأما الوكيل: فالحفيظ: ﴿وأما لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب.

حدثني المثني قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لكل نبأ مستقر لكل نبأ حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وسوف تعلمون﴾ ما كان في الدنيا فسوف ترونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ يقول: حقيقة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: فعل وحقيقة، ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة.

وكان الحسن يتأوّل في ذلك أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جعفر بن حيان، عن الحسن أنه قرأ: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: حُبِسَت عقوبتها حتى عمل ذنبها أرسلت عقوبتها[1].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وإذَا رأيتَ﴾ يا محمد المشركين ﴿الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾ التي أنزلناها إليك، ووحيْنا الذي أوحيناه إليك، و «خوضهم فيها» كان استهزاءهم بها وسَبَّهم من أنزلها وتكلم بها وتكذيبهم بها. ﴿فأعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يقول: فصُدّ عنهم بوجهك، وقم عنهم ولا تجلس معهم، ﴿حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ﴾ يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الإستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم. ﴿وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ يقول: وإن أنساك الشيطان نَهيْنا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوصهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك، فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وإذَا رأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ﴾ قال: نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذّبون بها، فإن نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا محمد بن ثور قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير، في قوله: ﴿وإذَا رأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾ قال: الذين يكذبون بآياتنا.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ:

---

(١) كذا في «الدر المنثور» للسيوطي.

﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمينَ﴾ قال: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبُّوه واستهزءوا به، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

وأما قوله: ﴿وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ يقول: نَسِيتَ فتقعد معهم، فإذا ذكرت فقم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾ قال: يكذّبون بآياتنا.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فُضيل بن عياض، عن ليث، عن أبي جعفر، قال لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً﴾، وقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾، وقوله: ﴿أنْ أقِيمُوا الدّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيه﴾، ونحو هذا في القرآن قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفُرْقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمِراء والخصومات في دين الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾ قال: يستهزءون بها. قال: نهى رسول الله ﷺ أن يقعد معهم إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقم. فذلك قوله: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمينَ﴾. قال ابن جريج: كان المشركون يجلسون إلى النبي ﷺ يُحبُّون أن يسمعوا منه، فإذا سمعوا استهزءوا فنزلت: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ﴾... الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا﴾ قال: يكذّبون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك، قوله: ﴿وإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ﴾ يعني: المشركين. ﴿وإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمينَ﴾ إن نسيت فَذَكَرت فلا تجلس معهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به واجتنب ما نهاه عنه، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات الله في حال خوضهم في آيات الله شيء من تبعة فيما بينه وبين الله، إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان لله بحقوقه متقياً، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج، ولكن لِيُعْرِضوا عنهم حينئذ. ﴿ذِكْرَى﴾ لأمر الله. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: ليتقوا. ومعنى الذكرى: الذكرُ، والذكر والذكرى[1] بمعنى وقد يجوز أن يكون ذكرى في موضع نصب ورفع فأما النصب فعلى ما وصفت من تأويل: ولكن ليعرضوا عنهم ذكري وأما الرفع فعلى تأويل: وما على الذين يتقون من حسابهم شيء بترك الإعراض، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون. وقد ذكر أن النبي ﷺ إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا في آيات الله، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه، فقال الله له: إذا خاضوا في آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويتركوا ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كان المشركون يجلسون إلى النبي ﷺ يحبون أن يسمعوا منه، فإذا سمعوا استهزءوا، فنزلت: ﴿وإذَا رأَيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ﴾... الآية، قال: فجعل إذا استهزءوا قام فحذروا وقالوا: لا تستهزءوا فيقوم فذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أن يخوضوا فيقوم. ونزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنَ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن قعدوا معهم، ولمن لا تقعدوا. ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وُيسْتَهزَأُ بها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَديثٍ غيرِهِ إِنَّكُمْ إذًا مِثْلُهُمْ﴾، فنسخ قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾... الآية.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنَ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: من حساب الكفار من شيء. ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾ يقول: إذا ذكرتُ فقم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مساءتكم إذا رأوكم لا تجالسونهم، استحيوا

(١) في العبارة تكرار، ولعله من الناسخ.

منكم فكفوا عنكم. ثم نسخها الله بعد، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبداً، قال: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها... الآية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن قعدوا، ولكن لا تقعد.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾ قال: وما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعباً ولهواً، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم، فأعرض عنهم، فإني لهم بالمرصاد، وإني لهم من وراء الإنتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى والمصير إليه بعد الممات. كالذي:

حدثني محمد بن عروة، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله الله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبا ولَهْواً﴾ قال: كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله: ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وكذلك قال عدد من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا همام بن يحيى، عن قتادة: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً﴾ ثم أنزل في سورة براءة، فأمر بقتالهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، قال: قرأت علي ابن أبي عروبة، فقال: هكذا سمعته من قتادة: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً﴾ ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة، وأمر بقتالهم، فقال: ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿وَذَكِّر بِهِ أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فإنه يعني به: وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه ﴿أن تُبْسَل نَفْسٌ﴾ بمعنى: أن لا تبسل، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا﴾ بمعنى: أن لا تضلوا. وإنما معنى الكلام: وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحقّ، فلا تُبْسَل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ولكن حذفت «لا» لدلالة الكلام عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أن تُسْلَم[١].

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة، قوله: ﴿أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ قال: تسلم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ قال: أن تُسْلَم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: ﴿أنْ تُبْسَلَ﴾ قال: تسلم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ قال: تسلم.

---

(١) في «اللسان» أبسلت فلاناً: إذا أسلمته للهلكة. فهو مبسل. وقال الأزهري في معنى الآية: أي لئلا تسلم نفس إلى العذاب بعملها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ أسلموا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تحبس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ قال: تؤخذ فتحبس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أن تؤخذ نفس بما كسبت.

وقال آخرون: معناه: تفضح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفس بِمَا كَسَبَتْ﴾ يقول: تفضح.

وقال آخرون: معناه: أن تجزى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، قال: قال الكلبي: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾: أن تجزى.

وأصل الإبسال: التحريم، يقال منه: أبسلت المكان: إذا حرمته فلم تقر به ومنه قوله الشاعر:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى   بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلاَمَتِي وَعِتَابِي[1]

(١) البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي، أنشده أبو زيد الأنصاري في كتابه النوادر (طبعة بيروت ١٨٩٤ عن المفضل الضبي). وقال أبو حاتم: بكرت أي عجلت، ولم يرد بكور الغدو، ومنه باكورة الفاكهة: للشيء المستعجل، وتقول: أنا أبكر العشية فآتيك: أي أعجل ذلك وأسرعه، ولم يرد الغدو، ألا تراه يقول: بعد وهن: أي بعد نومه. والندى: السخاء والعطاء، فلامته في ذلك، وأمرته بالإمساك. وبسل عليك: حرام عليك وأنشده صاحب «اللسان» في بسل، كما رواه المؤلف.

أي حرام ومنه قولهم: وعتابي أسد آسد[١]، يراد به: لا يقربه شيء، فكأنه قد حرم نفسه. ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يُتحامى لشدّته، ويقال: أعط الراقي بسيلته، يراد بذلك: أجرته، شراب بسيل: بمعنى متروك، وكذلك المبسل بالجريرة، وهو المرتهن بها، قيل له مبسل لأنه محرّم من كلّ شيء إلا مما رهن فيه وأسلم به ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي:

وإبْسالي بَنِيَّ بغَيْرِ جُرْمٍ ... بَعَوْناهُ وَلا بدَمٍ مُرَاقِ[٢]

وقال الشَّنْفَرَى:

هُنالِكَ لا أرْجُو حَياةً تَسُرُّني ... سَمِيرَ اللَّيالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[٣]

فتأويل الكلام إذن: وذكِّر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرَهم ممن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله. ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاءها، ولا شفيع يشفع لها، لوسيلة له عنده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنها﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ﴾ النفس التي أبسلت بما كسبت، يعني وإن تعدل ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾يعني: كلّ فداء، يقال منه: عَدَلَ يعدِلُ: إذا فدى، عَدْلاً. ومنه قول الله تعالى ذكره: أَوْ عَدْلُ ذلكَ صِياماً وهو ما عادله من غير نوعه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنها﴾ قال: لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يُقبل منها.

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: وجنابي أسد باسل: يراد به الخ.

(٢) البيت لعوف بن الأحوص بن جعفر الكلابي «اللسان» بسل قال عن أبي الهيثم: أبسلته بجريرته: أي أسلمته بها، قال: ويقال: جزيته بها. وروايته: «بدم قراض» قال: وفي الصحاح: بدم مراق. قال الجوهري: وكان حمل عن غنى لبنى قشير دم ابني السجيفة، فقالوا: لا نرضى بك، فرهنهم بنيه، طلباً للصلح. وأورده أيضاً في (بعا) منسوباً لعوف بن الأحوص. وقال ابن بري: البيت لعبد الرحمٰن بن الأحوص. قال ابن الأعرابي: بعوت عليهم شراً: سقته واجترمته. قال: ولم اسمعه في الخير.

(٣) البيت للشنفري، أورده صاحب «اللسان» في (بسل) وقال: ابسلت فلاناً: إذا أسلمته للهلكة، فهو مبسل. وسمير الليلالي: آخرها. واستشده عليه «اللسان» بيت الشنفري أيضاً.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنها﴾ فما يَعْدِلها، لو جاءت بملء الأرض ذهباً لتفتدى به ما قُبِل منها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها﴾ قال: وأن تعدل: وإن تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدي بها لا يؤخذ منه عَدَلاً عن نفسه، لا يقبل منه.

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى: وإن تَقْسِط كلّ قِسْط لا يُقبل منها وقال إنها التوبة في الحياة. وليس لما قال من ذلك معنى، وذلك أن كلّ تائب في الدنيا فإن الله تعالى يقبل توبته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كلّ فداء لم يؤخذ منهم، هم ﴿الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ يقول: أسلموا لعذاب الله، فرُهنوا به جزاء بما كسبوا في الدنيا من الآثام والأوزار. ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ والحميم: هو الحارّ في كلام العرب، وإنما هو محموم صُرف إلى فعيل، ومنه قيل للحمّام: حمام، لإسخانه الجسم ومنه قول مرقش:

فِـي كُـلِّ مُـمْـسًـى لَـهَـا مِـقْـطَـرَةٌ ... فِـيـهـا كِـبـاءٌ مُـعَـدٌّ وحَـمِـيـمُ(١)

يعني بذلك ماءً حارّاً ومنه قول أبي ذويب الهُذلي في صفة فرس:

تَـأْبَـى بِـدِرّتِـهـا إذَا مـا اسْـتُـغْـضِـبَـتْ ... إلاَّ الـحَـمِـيـمَ فـإنَّـهُ يَـتَـبَـضَّـعُ(٢)

---

(١) البيت للمرقش الأصغر «اللسان» (قطر) بلفظ في كل يوم لها مقطرة، واستشهد به على أن المقطرة بوزن اسم الآلة: المجمر والحميم: الماء الحار تحم به. والكباء بالمد: هو البخور. أو هو ضرب من العود والدخنة.

وأورده أيضاً في (حمم) بلفظ «كل عشاء» في موضع «كل ممسى». شاهداً على أن الحميم: الماء الحار. ثم قال: وحكى شمر عن ابن الأعرابي: الحميم إن شئت كان ماء حاراً، وإن شئت كان جمراً تتبخر به. قال الأزهري: الحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد، يكون الماء البارد، ويكون الماء الحار.

(٢) البيت لأبي ذؤيب في عينيته المشهورة، أنشده صاحب «اللسان» في (بضع) شاهداً على أن معنى تبضع الشيء: سال. يقال: جبهته تبضع وتتبضع: أي تسيل عرقاً، وأنشد لأبي ذؤيب... البيت. وقال يتبضع: يتفتح بالعرق، ويسيل منقطاً. قال: وكان أبو ذؤيب لا يجيد في وصف الخيل، وظن أن هذا مما توصف به. قال ابن بري: يقول: تأبى هذه الفرس أن تدر لك بما عندها من جرى إذا استغضبتها؛ لأن الفرس=

يعني بالحميم: عرق الفرس. وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شراباً من حميم، لأن الحارّ من الماء لا يُروِي من عطش، فأخبر أنهم إذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم، ولكن بما يزيدون به عطشاً على ما بهم من العطش، ﴿وعَذَابٌ أليمٌ﴾ يقول: ولهم أيضاً مع الشراب الحميم من الله العذاب الأليم والهوان المقيم. ﴿بِمَا كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يقول: بما كان من كفرهم في الدنيا بالله وإنكارهم توحيده وعبادتهم معه آلهة دونه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ قال: يقال: أسلِموا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ قال: فضحوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ قال: أخذوا بما كسبوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

= الجواد إذا أعطاك من الجري عفواً، فأكرهته على الزيادة، حملته عزة النفس على ترك العدو. يقول: هذه تأبى بدرتها عند إكراهها. ولا تأبى العرق. قال: ووقع في نسخة ابن القطاع: إذا ما استغضبت، وفسره بفزعت، لأن الضاغب هو الذي يختبىء في الخمر ليفزع بمثل صوت الأسد. والضغاب: صوت الأرنب.

قلت: ورواية ابن القطاع مثل رواية المؤلف، فهي إذن صحيحة. وأنشد البيت صاحب «اللسان» مرة ثانية في (بصع) بلفظ يتبصع، بالصاد المهملة، وقال: تبصع نبع من أصول الشعر قليلاً قليلاً، والبضيع: العرق إذا رشح. وهذه هي رواية ابن دريد، قال الأزهري: وروى الثقات هذا الحرف بالضاد المعجمة، من تبضع الشيء: أي سال. قال: وهكذا رواه الرواة في شعر أبي ذؤيب. وابن دريد أخذ هذا من كتاب ابن المظفر، فمر على التصحيف الذي صحفه. قال صاحب «اللسان». والظاهر أن الشيخ ابن بري ثلثهما في التصحيف، فإنه ذكره في كتابه الذي صنفه على «الصحاح» في ترجمة يتبصع، بالصاد المهملة، ولم يذكره الجوهري في صحاحه في هذه الترجمة، وذكره ابن بري أيضاً موافقاً للجوهري في ذكره في ترجمة بضع، بالضاد المعجمة.

والبيت في شعر أبي ذؤيب في ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية (ص ـ ١٧) وفيه: «استكرهت» في موضع: استغضبت.

وهذا تَنبيه من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان، يقول له تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم، أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضرّنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضرّ والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشرّ، فلا شكّ أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضرّه أحقّ وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضرّه. ﴿**وَنُرَدُّ على أَعْقَابِنَا**﴾ يقول: ونردّ إلى أدبارنا فنرجع القهقري خلفنا لم نظفر بحاجتنا. وقد بينا معنى الردّ على العقب، وأن العرب تقول لكلّ طالب حاجة لم يظفر بها ردّ على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما يراد به في هذا الموضع: ونرد من الإسلام إلى الكفر بعد إذ هدانا الله فوفقنا له، فيكون مَثَلنا في ذلك مَثَل الرجل الذي اسْتتبعه الشيطان يهوى في الأرض حيران. وقوله: ﴿**اسْتَهْوَتْهُ**﴾: استفعلته، من قول القائل: هوى فلان إلى كذا يهوي إليه، ومن قول الله تعالى ذكره: ﴿**فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾ بمعنى: تنزع إليهم وتريدهم. وأما حيران: فإنه فعلان من قول القائل: قد حار فلان في الطريق فهو يحار فيه حَيْرةً وحَيَراناً وحَيْرُورَةً، وذلك إذا ضلّ فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه إلى الهدى، يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه، يقولون له: ائتنا وترك إجراء حيران، لأن «فعلان»، وكل اسم كان على «فعلان» مما أنثاه «فعلى» فإنه لا يُجرى في كلام العرب في معرفة ولا نكرة. وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه المقيمون على الدين الحقّ يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: ائْتنا، فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك، ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل، وخالف في ذلك جماعة.

ذكر من قال ذلك: مثل ما قلنا

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا وَنُرَدُّ على أَعْقابِنا بَعْدَ إذْ هَدَانا اللَّهُ كالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أصحَابٌ يَدْعُونَهُ إلى الهُدَى ائْتِنا**﴾ قال: قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد ﷺ فقال الله تعالى ذكره: ﴿**قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا**﴾ ولا يضرّنا هذه الآلهة ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، يقول: مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق،

فضلّ الطريق، فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم، يقولون ائتنا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم. فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد، ومحمد الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا وَنُرَدُّ على أعْقابِنا**﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله، كمثل رجل ضلّ عن الطريق، إذ ناداه مناد: يا فلان ابن فلان هلمّ إلى الطريق وله أصحاب يدعونه: يا فلان هلمّ إلى الطريق فإن اتبع الداعي الأوّل انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول: مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة. وقوله: ﴿**كالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ**﴾: وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جدّه، فيتبعها فيرى أنه في شيء فيصبح وقد ألقته في الهلكة وربما أكلته، أو تلقيه في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشاً، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عزّ وجلّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿**اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ**﴾ قال: أضلته في الأرض حيران.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا**﴾ قال: الأوثان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿**اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ حَيْرَانَ**﴾ قال: رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق، كذلك مثل من يضلّ بعد إذ هدى.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: ثنا رجل، عن مجاهد، قال: حيران هذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: الكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا**﴾ حتى بلغ: ﴿**لِنُسْلِمَ لِرَبّ العالَمِينَ**﴾ علّمها الله محمداً وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة.

وقال آخرون في تأويل ذلك، بما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾** فهو الرجل الذي لا يستجيب لهدى الله، وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وحار عن الحقّ وضلّ عنه، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس: إن الهدى هدى الله، والضلالة ما تدعو إليه الجنّ.

فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه إنما يدعونه إلى الضلال ويزعمون أن ذلك هدى، وأن الله أكذبهم بقوله: **﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾** لا ما يدعوه إليه أصحابه.

وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذي دعا الحيران إليه أصحاب هدى، وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له إلى ما دعوه إليه، إنهم هم الذين سموه، ولكن الله سماه هدى، وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه إليه. وغير جائز أن يسمي الله الضلال هدى لأن ذلك كذب، وغير جائز وصف الله بالكذب لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته. وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب لو كان ذلك خبراً من الله عن الداعي الحيران أنهم قالوا له: تعال إلى الهدى فأما وهو قائل: يدعونه إلى الهدى، فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه إلى الضلال.

وأما قوله: **﴿ائْتِنا﴾** فإن معناه: يقولون: ائتنا هلمّ إلينا فحذف القول لدلالة الكلام عليه. وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك: «يدعونه إلى الهدى بيناً».

حدثنا بذلك ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: في قراءة عبد الله: «يدعونه إلى الهدى بيناً».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: في قراءة ابن مسعود: «لهُ أصحابٌ يدعونهُ إلى الهدَى بيناً». قال: الهدى: الطريق، أنه بين.

وإذا قرىء ذلك كذلك، كان البين من صفة الهدى، ويكون نصب البين على القطع من الهدى، كأنه قيل: يدعونه إلى الهدى البين، ثم نصب «البين» لما حذفت الألف واللام، وصار

نكرة من صفة المعرفة. وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال: الهدى في هذا الموضع: هو الهدى، على الحقيقة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين لأصحابك: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فإنا على هدى: ليس الأمر كما زعمتم ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُو الهدَى﴾ يقول: إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه وسبيلنا الذي أمرَنا بلزومه ودينه الذي شرعه لنا فبينه، هو الهدى والاستقامة التي لا شكّ فيها، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع، فلا نترك الحقّ ونتبع الباطل. ﴿وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾ يقول: وأمرنا ربنا وربّ كلّ شيء، تعالى وجهه، لنسلم له: لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة. وقد بينا معنى الإسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن إعادته، وقيل: ﴿وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ﴾ بمعنى: وأمرنا كي نسلم، وأن نسلم لربّ العالمين، لأن العرب تضع «كي» واللام التي بمعنى «كي» مكان «أن» و «أن» مكانها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأمرنا أن أقيموا الصلاة. وإنما قيل: ﴿وأنْ أقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ فعطف بـ«أن» على اللام من «لِنُسْلِمَ» لأن قولهِ: «لنسلم»، معناه: أن نسلم، فردّ قوله: ﴿وأنْ أقِيمُوا﴾ على معنى: «لنسلم»، إذ كانت اللام التي في قوله: «لنسلم»، لاماً لا تصحب إلاَّ المستقبل من الأفعال، وكانت «أن» من الحروف التي تدلّ على الاستقبال دلالة اللام التي في «لنسلم»، فعطف بها عليها لاتفاق معنييهما فيما ذكرت فـ «أن» في موضع نصب بالردّ على اللام. وكان بعض نحويي البصرة يقول: إما أن يكون ذلك: أمرنا لنسلم لربّ العالمين، وأن أقيموا الصلاة، يقول: أمرنا كي نسلم، كما قال: وأُمِرْتُ لأنْ أكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ: أي إنما أمرت بذلك، ثم قال: ﴿وأنْ أقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ واتقوه: أي أُمِرْنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصل الفعل باللام، والمعنى: أمرت أن أكون، كما أوصل الفعل باللام في قوله: ﴿هُمْ لرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾. فتأويل الكلام: وأمرنا بإقامة الصلاة، وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ يقول: واتقوا ربّ العالمين الذي أمرنا أن نسلم له، فخافوه واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم والإذعان له بالطاعة وإخلاص العبادة له. ﴿وَهُوَ الَّذِي إلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يقول: وربكم ربّ العالمين هو الذي إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة، فيجازي كلّ عامل منكم بعمله، وتوفّى كل نفس ما كسبت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد، الداعيك إلى عبادة الأوثان: أمرنا لنسلم لربّ العالمين الذي خلق السموات والأرض بالحقّ، لا من لا ينفع ولا يضرّ ولا يسمع ولا يبصر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿بالحَقّ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وهو الذي خلق السموات والأرض حقًّا وصواباً، لا باطلاً وخطأ، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً﴾ قالوا: وأدخلت فيه الباء والألف واللام، كما تفعل العرب في نظائر ذلك، فتقول: فلان يقول بالحقّ، بمعنى أنه يقول الحقّ. قالوا: ولا شيء في قوله بالحقّ غير إصابته الصواب فيه، لا أن الحقّ معنى غير القول، وإنما هو صفة للقول إذا كان بها القول كان القائل موصوفاً بالقول بالحقّ وبقول الحقّ. قالوا: فكذلك خلق السموات والأرض حكمة من حكم الله، فالله موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه، لا أن ذلك حقّ سوًى خَلْقَهُما به.

وقال آخرون: معنى ذلك: خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما: ﴿ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً﴾. قالوا: فالحقّ في هذا الموضع معنيّ به كلامه. واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ﴾ الحقّ هو قوله وكلامه. قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله[1] كما خلق به الأشياء غير المخلوقة. قالوا: فإذ كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق.

وأما قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإن أهل العربية اختلفوا في العامل في «يَوْمَ يَقُولُ» وفي معنى ذلك فقال بعض نحويي البصرة: «اليوم» مضاف إلى «يقول كن فيكون»، قال: وهو نصب وليس له خبر ظاهر، والله أعلم، وهو على ما فسرت لك. كأنه يعني بذلك أن نصبه على: «واذكر يوم يقول كن فيكون» قال: وكذلك: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ،﴾ قال: وقال بعضهم: يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة. وقال بعضهم: يقول كن فيكون، للصُّور خاصة.

---

(١) فيه تحريف من النساخ، ولعل الأصل: والله خلق السماء والأرض بكلامه، كما خلق به الأشياء المخلوقة غيرهما.

فمعنى الكلام على تأويلهم: يوم يقول للصور كن فيكون قوله الحق، يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة فيكون «القول» حينئذٍ مرفوعاً بـ«الحقّ»، والحقّ بالقول. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ صلة «الحقّ».

وقال آخرون: بل قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ معنىّ به كلّ ما كان الله معيده في الآخرة بعد إفنائه ومنشئه بعد إعدامه. فالكلام على مذهب هؤلاء متناه عند قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقوله: ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ﴾ خبر مبتدأ.

وتأويله: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحقّ، ويوم يقول للأشياء: كن فيكون، خلقهما بالحقّ بعد فنائهما. ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حقّ، فقال: قوله هذا الحقّ الذي لا شكّ فيه، وأخبر أن له الملك يوم ينفخ في الصور، فيوم يُنفخ في الصور يكون على هذا التأويل من صلة «المُلك». وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ من صلة «الحقّ».

وقال آخرون: بل معنى الكلام: ويوم يقول لما فني: «كن» فيكون قوله الحقّ، فجعل القول مرفوعاً بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وجعل قوله: «كن[1] فيكون» للقول محلاً، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ من صلة «الحقّ». كأنه وجّه تأويل ذلك إلى: ويومئذ قوله الحقّ يوم يُنْفخ في الصور. وإن جعل على هذا التأويل: يوم ينفخ في الصور، بياناً عن اليوم الأوّل، كان وجهاً صحيحاً، ولو جعل قوله: ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ﴾ مرفوعاً بقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ في الصورِ﴾ محلاً وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ من صلته كان جائزاً.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والأرض دون كلّ ما سواه، معرّفاً من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الأوثان والأصنام وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ولا دفع ضرّ عنها، ومحتجّا عليهم في إنكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء، وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذّر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه، فقال: وهو الذي خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضرّ ولا يقدر على شيء، السمواتِ والأرضَ بالحقّ، حجة على خلقه، ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه، فيخلصوا له العبادة. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يقول: ويوم يقول حين تبدّل الأرض غير الأرض والسموات كذلك: «كن فيكون»، كما شاء تعالى ذكره، فتكون الأرض غير الأرض عند قوله

(١) لعله: يوم يقول كن، كما هو ظاهر.

«كن»، فيكون متناهياً. وإذا كان كذلك معناه وجب أن يكون في الكلام محذوف يدلّ عليه الظاهر، ويكون معنى الكلام: ويوم يقول لذلك كن فيكون تبدّل غير السموات والأرض، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ﴾ ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال: ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ﴾ بمعنى: وعده هذا الذي وعد تعالى ذكره من تبديله السموات والأرض غير الأرض والسموات، الحقّ الذي لا شك فيه، ﴿وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيكون قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ من صلة «الملك»، ويكون معنى الكلام: ولله الملك يومئذ لأن النفخة الثانية في الصور حال تبديل الله السموات والأرض وغيرهما. وجائز أن يكون القول، أعنى قوله: ﴿الحَقُّ﴾ مرفوعاً بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ،﴾ ويكون قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ محلاً للقول مرافعاً. فيكون تأويل الكلام: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحقّ، ويوم يبدّلها غير السموات والأرض فيقول لذلك كن فيكون قوله الحقّ.

وأما قوله: ﴿وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فإنه خَصّ بالخبر عن ملكه يومئذ، وإن كان المُلك له خالصاً في كلّ وقت في الدنيا والآخرة لأنه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعى له، وأنه المنفرد به دون كلّ من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة فأذعن جميعهم يومئذ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل.

واختلف في معنى الصور في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كلّ ميت. واعتلوا لقولهم ذلك بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾ وبالخبر الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه قال إذْ سئل عن الصور: «هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». وقال آخرون: الصور في هذا الموضع: جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا، كقولهم سُور لسور المدينة، وهو جمع سورة، كما قال جرير:

سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ[1]

(١) هذا عجز بيت لجرير الشاعر من قصيدة يهجو بها الفرزدق، ويذكر قتل الزبير بن العوام، أورده صاحب «اللسان» في (سور) وقال: السور حائط المدينة، مذكر وقول جرير:

لَمَّا أتى خَبَرُ الزُّبيرِ تواضعت ... سُورُ المدِينَةِ والجبالُ الخُشَّعُ

فإنه أنث السور، لأنه بعض المدينة، فكأنه قال: تواضعت المدينة. والألف واللام في الخشع زائدة إذ كان خبراً. (وانظر البيت في ديوان جرير طبعة الصاوي ص ـ ٣٤٥) ثم قال في «اللسان»: وقال أبو عبيدة السورة عرق من أعراق الحائط ويجمع سورا. ورده الأزهري وقال: إنما تجمع (فعلة) على (فعل) بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد مثل صوفة وصوف. وسورة البناء وسوره، فالسور جمع سبق وحدان في هذا الموضع.

والعرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصورَ. ومن قولهم: نفخ الصور، قول الشاعر:

لَوْلا ابنُ جَعْدَةَ لم تُفْتَح قُهُنْدُزُكُمْ وَلا خُرَاسانُ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ(١)

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«إنَّ إسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤمَرُ فَيَنْفَخُ»** وأنه قال: **«الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»**. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله: **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾** يعني: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور.

حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: **﴿عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾** يعني: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور.

فكأن ابن عباس تأوّل في ذلك أن قوله: **﴿عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾** اسم الفاعل الذي لم يسمّ في قوله: **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾** وأن معنى الكلام: يوم ينفخ الله في الصور عالم الغيب والشهادة، كما تقول العرب: أُكل طعامُك عبد الله، فتظهر إسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسمّ آكله. وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع، فإن أحسن من ذلك أن يكون قوله: **﴿عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾** مرفوعاً على أنه نعت للذي» في قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ.﴾** ورُوِي عنه أيضاً أنه كان يقول: الصور في هذا الموضع: النفخة الأولى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾** يعني بالصور: النفخة الأولى، ألم تسمع أنه يقول: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾** يعني الثانية، **﴿فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾**.

ويعني بقوله: **﴿عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾** عالم ما تعاينون أيها الناس، فتشاهدونه، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه، وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب، خبير بكلّ ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيء، حافظ ذلك عليهم،

---

(١) البيت في «اللسان» (نفخ) ولم يفصح عن قائله، وهو من شواهد الفراء، على أنه يقال: نفخ الصور، ونفخ في الصور. وفي التاج: قهندز بضم القاف والدال: أربعة مواضع في بلاد العجم. وفي المشترك لياقوت: هو اسم جنس لكل حصن في وسط المدينة العظمى. وقلما يخلو بلد من خراسان وما وراء النهر من قهندز. معرب «كوه أنداز».

ليجازيهم على كل ذلك. يقول تعالى ذكره: فاحذروا أيها العادلون بربكم عقابه، فإنه عليم بكلّ ما تأتون وتذرون، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد لحجاجك الذي تحاجّ به قومك وخصومتك إياهم في آلهتهم وما تراجعهم فيها، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان، والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقية ما نت عليهم محتج، حجاجَ إبراهيم خليلي قومه، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله والرضا به والياً وناصراً دون الأصنام فاتخِذْهُ إماماً واقْتَدِ به، واجعل سيرته في قومك لنفسك مثالاً، إذ قال لأبيه مفارقاً لدينه وعائباً عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر.

ثم اختلف أهل العلم في المعنيّ بآزر، وما هو؟ اسم أم صفة؟ وإن كان اسماً، فمن المسمى به؟ فقال بعضهم: هو اسم أبيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِذْ قالَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾** قال: اسم أبيه آزر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: آزر: أبو إبراهيم. وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلاً من أهل كُوثَى، من قرية بالسواد، سواد الكوفة.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر، قال: هو آزر، وهو تارح، مثل إسرائيل ويعقوب.

وقال آخرون: إنه ليس أبا إبراهيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

حدثني الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا الثوريّ، قال: أخبرني رجل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾ قال: آزر لم يكن بأبيه إنما هو صنم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: آزر: اسم صنم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾ قال: اسم أبيه. ويقال: لا، بل اسمه تارح، واسم الصنم آزر يقول: أتتخذ آزر أصناماً آلهة.

وقال آخرون: هو سبّ وعيب بكلامهم، ومعناه: معوجّ. كأنه تأوّل أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحقّ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾ بفتح «آزر» على إتباعه الأب في الخفض، ولكنه لما كان اسماً أعجمياً فتحوه إذ لم يجرُّوه وإن كان في موضع خفض. وذكر عن أبي زيد المديني والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك: «آزرُ»، بالرفع على النداء، بمعنى: «يا آزرُ». فأما الذي ذكر عن السديّ من حكايته أن آزر إسم صنم، وإنما نصبه بمعنى: «أتتخذ آزر أصناماً آلهة، فقول من الصواب من جهة العربية بعيد وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعل بعد حرف الاستفهام، لا تقول: أخاك أكلمت، وهي تريد: أكلمت أخاك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ بفتح الراء من «آزر»، على إتباعه إعراب «الأب»، وأنه في موضع خفض، ففُتح إذ لم يكن جارياً لأنه اسم عجميّ. وإنما أجيزت قراءة ذلك كذلك لإجماع الحجة من القراء عليه.

وإذ كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوباً بالفعل الذي بعد حرف الإستفهام، صحّ لك فتحه من أحد وجهين: إما أن يكون اسماً لأبي إبراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله، فيكون في موضع خفض ردًّا على الأب، ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسماً أعجميًّا ترك إجراؤه، ففتح كما فتح العرب في أسماء العجم. أو يكون نعتاً له، فيكون أيضاً خفضاً بمعنى تكرير اللام عليه، ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ترك إجراؤه وفعل له كما يفعل بأشكاله. فيكون تأويل الكلام حينئذ: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر: أتتخذ أصناماً آلهة؟ وإن لم يكن به وجهة في الصواب إلاّ أحد هذين الوجهين، فأولى القولين بالصواب منهما عندي، قول من قال: هو اسم أبيه لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه. وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت.

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح، فكيف يكون آزر اسماً له والمعروف به من الإسم تارح؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم. وجائز أن يكون لقباً، والله تعالى أعلم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال: أتتخذ أصناماً آلهة تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذي خلقك فسوّاك ورزقك والأصنام: جمع صنم، والصنم: التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان، وهو الوثن. وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط غيره: صنم ووثن. ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: إني أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة ﴿في ضَلالٍ﴾ يقول: في زوال عن محجة الحق، وعدول عن سبيل الصواب ﴿مُبِين﴾ يقول: يتبين لمن أبصره أنه جور عن قصد السبيل وزوال عن محجة الطريق القويم. يعني بذلك: أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته الذي استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم، دون غيره من الآلهة والأوثان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وكَذَٰلِكَ﴾: وكما أريناه البصيرة في دينه والحقّ في خلاف ما كانوا عليه من الضلال، نريه ملكوت السموات والأرض، يعني ملكه وزيدت فيه التاء كما زيدت في «الجبروت» من الجبر، وكما قيل: رهبوت خير من رحموت، بمعنى: رهبة خير من رحمة. وحكي عن العرب سماعاً: له ملكوت اليمن والعراق، بمعنى: له ملك ذلك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: نريه خلق السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾: أي خلق السموات والأرض.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾: أي خلق السموات والأرض، وليكون من الموقنين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يعني بملكوت السموات والأرض: خلق السموات والأرض.

وقال آخرون: معنى الملكوت: الملك بنحو التأويل الذي أوّلناه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عمر بن أبي زائدة، قال: سمعت عكرمة، وسأله رجل عن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: هو الملك، غير أنه بكلام النبَط «ملكوتًا».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي زائدة، عن عكرمة، قال: هي بالنبطية: «ملكوتا».

وقال آخرون: معنى ذلك: آيات السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: آيات السموات والأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى ذكره: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: آيات.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: تفرّجت لإبراهيم السموات السبع. حتى العرش، فنظر فيهن. وتفرّجت له الأرضون السبع، فنظر فيهنّ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ قال: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات، فنظر إلى مُلك الله فيها حتى نظر إلى مكانه في الجنة وفتحت له الأرضون حتى نظر إلى أسفل الأرض، فذلك قوله: ﴿وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا﴾ يقول: آتيناه مكانه في الجنة. ويقال: أجره: الثناء الحسن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، قوله: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: فرجت له

السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش وفرّجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: كشف له عن أديم السموات والأرض حتى نظر إليهنّ على صخرة، والصخرة على حوت، والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلاَّ الله.

حدثنا هناد وابن وكيع، قالا: ثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض، رأى عبداً على فاحشة، فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك، فقال: أنزلوا عبدي لا يهلك عبادي

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء، قال: لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السموات، أشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه، فنودي: على رَسْلك يا إبراهيم فإنك عبد مستجاب لك وإني من عبدي على ثلاث: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه ذرّية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، وعبد الوهاب، عن عوف، عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرحمن حدّث نفسه أنه أرحم الخلق، وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون بالمعاصي، قال: اللهمّ دمّر عليهم فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويرجعوا

وقال آخرون: بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: الشمس والقمر والنجوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: الشمس والقمر.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة،

عن ابن عباس، قوله: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ يعني به: نريه الشمس والقمر والنجوم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: خُبِىء إبراهيمُ عليه السلام من جبار من الجبابرة، فجُعل له رزقه في أصابعه، فإذا مصّ أصبعاً من أصابعه وجد فيها رزقاً. فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض فكان ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن نبيّ الله إبراهيم عليه السلام فُرّ به من جبار مترف، فجعل في سَرَب، وجعل رزقه في أطرافه، فجعل لا يمُصّ أصبعاً من أصابعه إلاَّ وجد فيها رزقاً فلما خرج من ذلك السَّرَب أراه الله ملكوت السموات، فأراه شمساً وقمراً ونجوماً وسحاباً وخلقاً عظيماً وأراه ملكوت الأرض، فأراه جبالاً وبحوراً وأنهاراً وشجراً ومن كلّ الدواب، وخلقاً عظيماً.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عنى الله تعالى بقوله: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ أنه أراه ملك السموات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدوابّ وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت في كلام العرب فيما مضى قبل.

وأما قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ فإنه يعني: أنه أراه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله، ويعلم حقية ما هداه له وبصره إياه من معرفة وحدانيته وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم الأصنام واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى.

وكان ابن عباس يقول في تأويل ذلك، ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ أنه جلى له الأمر سرّه وعلانيته، فلم يَخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب، قال الله: إنك لا تستطيع هذا، فردّه الله كما كان قبل ذلك.

فتأويل ذلك على هذا التأويل: أريناه ملكوت السموات والأرض، ليكون ممن يوقن علم كلّ شيء حسًّا لا خبراً.

حدثني العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: ثنا أبو جابر، قال: وحدثنا الأوزاعي أيضاً قال: ثني خالد بن الحلاج، قال: سمعت عبد الرحمن بن عياش يقول: صلى

بنا رسول الله ﷺ ذات غداة، فقال له قائل: ما رأيت أسعد منك الغداة قال: «وَمالي وَقَدْ أتانِي رَبي فِي أحْسَنِ صُورَةٍ، فقال: فَفِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعْلَى يا مُحَمَّدُ؟ قُلْتُ: أنْتَ أعْلَمُ فَوضَعَ يَدَهُ بينَ كَتِفَيَّ، فَعَلِمْتُ ما فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ». ﴾ ثم تلا هذه الآية: وكَذَلِكَ نُرِي إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما واراه الليل وجَنَّهُ، يقال منه: جنّ عليه الليل، وجنّه الليل، وأجنّه، وَأَجَنَّ عليه، وإذا ألقيت «على» كان الكلام بالألف أفصح منه بغير الألف، «أجنه الليل» أفصح من «أجن عليه»، و «جنَّ عليه الليل» أفصح من «جنَّه»، وكل ذلك مقبول مسموع من العرب. وجَنَّه الليل في أسد وأجنَّه وجنَّه في تميم، والمصدر من جنّ عليه جَنًّا وجُنُوناً وجَنَاناً، ومن أجنّ إجْناناً، ويقال: أتى فلان في جِنِّ الليل، والجنّ من ذلك، لأنهم استَجنُّوا عن أعين بني آدم فلا يُرَوْن وكلّ ما توارى عن أبصار الناس فإن العرب تقول فيه: قد جَنّ ومنه قول الهُذليّ:

وَمــاءٍ وَرَدْتُ قُــبَــيْــلَ الــكَــرَى ... وَقَــدْ جَــنَّــهُ الــسَّــدَفُ الأدْهَــمُ[1]

وقال عَبِيد:

وَخَرْقٍ تَصِيحُ البومُ فِيهِ معَ الصَّدَى ... مَخُوفٍ إذا ما جَنَّهُ اللَّيْلُ مَرْهُوبِ[2]

ومنه: أجننت الميت: إذا واريته في اللحد، وجننته. وهو نظير جنون الليل في معنى: غطيته. ومنه قيل للترس: مِجَنّ، لأنه يَجُنّ من استجنّ به فيغطيه ويواريه.

وقوله: ﴿رَأى كَوْكَباً﴾ يقول: أبصر كوكباً حين طلع ﴿قالَ هَذَا رَبي.﴾ فرُوي عن ابن عباس في ذلك، ما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي

---

(١) البيت في «اللسان» سدف أنشده ابن بري شاهداً على أن السدف: الليل. وفي روايته «على خيفة» في موضع «قبيل الكرى». واستشهد به أيضاً في (جنن) على أن جنه بمعنى ستره. قال: جن الشيء يجنه جناً: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. وجنه الليل يجنه جنا وجنوناً. وجن عليه يجن بالضم جنوناً وأجنه: ستره. قال ابن بري: شاهد جنه قول الهذلي وماء:...... الخ.

(٢) البيت في ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ـ ٣٣) وفيه تصيح الهام، في موضع: يصيح البوم. والهام: اسم جنس جمعي، واحدته هامة، وهي ذكر البوم، وجنه الليل: غطاه وستره.

طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ يعني به: الشمس والقمر والنجوم. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِي﴾ فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لا أحبّ الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي فعبده حتى غاب فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالِّين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر فعبدها حتى غابت فلما غابت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُ الآفِلِينَ﴾ علم أن ربه دائم لا يزول فقرأ حتى بلغ: ﴿هَذَا رَبِي هَذَا أَكْبَرُ﴾ وأيّ خلقٍ هو أكبر من الخلقين الأوّلين وأنور.

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك، ما:

حدثني به محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني محمد بن إسحاق، فيما ذكر لنا والله أعلم: أن آزر كان رجلاً من أهل كُوثَى من قرية بالسواد سوادِ الكوفة، وكان إذ ذاك مُلْك المشرق لنمرود بن كنعان فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حُجَّة على قومه ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبيّ إلاَّ هود وصالح فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد، أتى أصحابُ النجوم نمرود، فقالوا له: تَعْلَم أنا نجد في عِلْمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا. فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كلّ امرأة حبلى بقريته، فحبسها عنده، إلاَّ ما كان من أمّ إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت امرأة حَدِبَة فيما يُذْكَر لم يعرف الحبل في بطنها. ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كلّ غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة حذَراً على ملكه، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلاَّ أمر به فذُبح فلما وَجَدت أمّ إبراهيم الطَّلْق، خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يُصْنَع مع المولود، ثم سدّت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها. ثم كانت تطالعه في المغارة، فتنظر ما فعل، فتجده حيًّا يمصّ إبهامه، يزعمون والله أعلم أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصه. وكان آزر فيما يزعمون، سأل أمّ إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلاماً فمات. فصدّقها، فسكت عنها. وكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة، فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلاَّ خمسة عشر شهراً، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر فأخرجته عِشاء، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إله غيره ثم

نظر في السماء فرأى كوكباً، قال: هذا ربي ثم أتبعه ينظر إليه ببصره، حتى غاب، فلما أفل قال: لا أحبّ الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغاً، قال: هذا ربي ثم أتبعه بصره حتى غاب، فلما أفَلَ قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أَعْظَمَ الشمس، ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كلّ شيء رآه قبل ذلك، فقال: هذا ربي، هذا أكبر فلما أفلت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه، إلاّ أنه لم يبادئهم بذلك. وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أمّ إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسُرّ بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً. وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها، ثم يعطيها إبراهيمَ يبيعها، فيذهب بها إبراهيم فيما يذكرون، فيقول: من يشتري ما يضرّه ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منه أحد، وإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر فضرب فيه رءوسها، وقال: اشربي استهزاءً بقومه وما هم عليه من الضلالة حتى فشا عيبه إياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته، من غير أن يكون ذلك بلغ نُمرود الملك.

وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي رُوي عن ابن عباس، وعمن رُوِي عنه من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: هذا ربي وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبيّ ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلاّ وهو لله موحد وبه عارف ومن كلّ ما يعبد من دونه بريء. قالوا: ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة، لأنه لا معنى فيه إلاّ وفي غيره من أهل الكفر به مثله، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة. قالوا: وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله في نفسه، فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة. وزعموا أن خبر الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس: «هذا ربي»، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربه وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ربه، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام، إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحْسَنَ وأبهجَ من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلة زائلة غير دائمة، والأصنام التي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم، أحقّ أن لا تكون معبودة ولا آلهة. قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضاً له في قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدّعي فساد الآخر. وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه، وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان. وقال آخرون منهم: وإنما معنى الكلام: أهذا ربي على وجه الإنكار والتوبيخ أي ليس هذا ربي. وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف الألف التي تدلّ على معنى الاستفهام. وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:

رفُونِي وقالُوا يا خُوَيلِدُ لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرْتُ الوُجُوهَ هُمُ هُمُ[(١)]

يعني: «أهم هم»؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنْ كُنْتَ دَارِياً شُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أمْ شُعَيْثُ ابنُ مِنْقَرِ[(٢)]

بمعنى: أشعيث بن سهم؟ فحذف الألف. ونظائر ذلك. وأما تذكير «هذا» في قوله: ﴿فَلَمَّا رأى الشمْسَ بازِغَةً قالَ هَذَا رَبِي﴾ فإنما هو على معنى: هذا الشيء الطالع ربي.

وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: ﴿لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم. وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه والإعراض عما عداه.

وأما قوله ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ فإن معناه: فلما غاب وذهب. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: قال ابن إسحاق: الأفول: الذهاب، يقال منه: أَفَلَ النجم يأفُلُ ويأفِلُ أُفُولاً وأَفْلاً: إذا غاب ومنه قول ذي الرُّمة.

مصابيحُ لَيْسَتْ باللَّوَاتِي يَقُودُها نُجُومٌ وَلا بالآفلاتِ الدَّوَالِكِ[(٣)]

ويقال: أين أفلت عنا؟ بمعنى: أين غبت عنا.

---

(١) البيت لأبي خراش الهذلي: خويلد بن مرة، أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، مات في زمن عمر بن الخطاب نهشته حية. وهو مطلع قصيدة له، يذكر فرة فرها من فائد وأصحابه الخزاعيين انظر ديوان الهذليين، طبعة دار الكتب المصرية ـ القسم الثاني (ص ١٤٢، ١٤٤) ومعنى رفوني: سكنوني. وكان أصلها رفئوني، فترك الهمز. وقوله هم هم: أي هم الذين كنت أخاف. وجعله المؤلف استفهاماً، لا خبراً وأداة الاستفهام محذوفة، أي أهم هم؟

(٢) البيت من شواهد النحويين: «الخزانة» (٤/ ٤٥٠) وهو شاهد على أن همزة الاستفهام قد تحذف قبل أم المتصلة في الشعر. قال السيرافي يهجو هذه القبيلة (شعيث) يقول: إنها لم تستقر على أب، لأن بعضاً يعزوها إلى منقر، فجعلهم أدعياء. وشك في كونهم منهم أو من بني سهم. وسهم حي من قيس عيلان، وهو سهم بن عمرو بن ثعلبة، ينتهي نسبه إلى غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وبنو منقر: حي من تميم. ونسب سيبويه البيت للأسود بن يعفر. وأنشده المبرد في موضعين من الكامل للعين المنقري. وقال الجاحظ في «البيان»: ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغير على إبله، فأتى أوس بن حجر يستنجده، فقال أوس:

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي أمِنْ حَزْنِ مُحْرِزٍ شُعَيْثُ بن سُهَمٍ أم لِحَزْنِ بنِ مِنْقَرِ

وعلى رواية الجاحظ يكون شعيث رجلاً لا قبيلة.

(٣) البيت في ديوانه (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٥) والمصابيح: من الإبل جمع مصباح، وهي التي تصبح في مبركهالا ترعى، حتى يرتفع النهار، وهو مما يستحب من الإبل. وذلك لقوتها وسمنها. =

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما طلع القمر فرآه إبراهيم طالعاً وهو بزوغه، يقال منه: بزغت الشمس تبزُغ بُزوغاً إذا طلعت، وكذلك القمر. ﴿قالَ هَذَا رَبي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ يقول: فلما غاب، ﴿قالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبي﴾ ويوفقني لإصابة الحقّ في توحيده ﴿لأكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: أي من القوم الذين أخطأوا الحقّ في ذلك، فلم يصيبوا الهدى، وعبدوا غير الله. وقد بينا معنى الضلال في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره [بقوله]: ﴿فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بازِغَةً﴾ فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة، ﴿قالَ هَذا﴾ الطالع ﴿رَبي هَذَا أكْبَرُ﴾ يعني: هذا أكبر من الكوكب والقمر، فحذف «ذلك» لدلالة الكلام عليه. ﴿فَلَمَّا أفَلَتْ﴾ يقول: فلما غابت، ﴿قالَ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿يا قَوْمِ إنّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: أي من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهاً مع الله تعالى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه لما تبين له الحقّ وعرفه، شهد شهادة الحقّ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش من قيل الحقّ والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم: يا قوم إني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من

= والآفلات: جمع آفلة، وهي الغائبة في المرعى. والدوالك جمع دالكة، وهي التي دنت للغروب يصف الإبل بأنها لا تخرج للمرعى، ولا تجهد في السري بالليل تقودها النجوم. ولا ترى غادية رائحة، وإنما هي مقيمة في مباركها تعلف لتسمن وتقوى.

آلهتكم وأصنامكم، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السموات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنَى ولا يبقَى ويزول ولا يدوم ولا يضرّ ولا ينفع. ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته بإخلاص العبادة له والاستقامة في ذلك لربه على ما يجب من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضارّه ومهلكه. ﴿وَما أنا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولست منكم أي لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول قوم إبراهيم لإبراهيم: تركت عبادة هذه؟ فقال: ﴿إنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ للَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ﴾ فقالوا: ما جئت بشيء ونحن نعبده ونتوجهه، فقال: لا ﴿حَنِيفاً﴾ قال: مخلصاً، لا أشركه كما تشركون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام وكان جدالهم إياه قولهم: إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه. ﴿قالَ﴾ إبراهيم: ﴿أتُحاجُونِي فِي اللّهِ﴾ يقول: أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة، ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصّرني طريق الحقّ حتى ألِفْتُ أن لا شيء يستحقّ أن يُعْبد سواه. ﴿ولا أخَافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ يقول: ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئاً ينالني في نفسي من سوء ومكروه وذلك أنهم قالوا له: إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من بَرَص أو خَبْل[1]، لذكرك إياها بسوء فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضرّ ولا مكروه، لأنها لا تنفع ولا تَضرّ ﴿إلاَّ أنْ يَشاءَ رَبي شَيْئاً﴾ يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالني به، لأنه القادر على ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن جريج يقول.

(١) البرص: الوضح، مرض جلدي معروف. والخبل بسكون الباء: فساد الأعضاء انظر «اللسان».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج: ﴿وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أتحاجُوني فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ قال: دعا قومه مع الله آلهة، وخوّفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل، فقال إبراهيم: ﴿أتُحاجُونِي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ قال: قد عرفت ربي، ﴿لا أخافُ ما تُشرِكُونَ بِهِ﴾.

وَسِعَ رَبي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ يقول: وعلم ربي كلّ شيء فلا يخفى عليه شيء، لأنه خالق كلّ شيء، وليس كالآلهة التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تفهم شيئاً، وإنما هي خشبة منحوتة وصورة ممثّلة. ﴿أفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أفلا تعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكم صورة مصوّرة وخشبة منحوتة، لا تقدر على ضرّ ولا على نفع ولا تفقه شيئاً ولا تعقله، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كلّ شيء، وبيده الخير وله القدرة على كلّ شيء والعالم لكلّ شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوّفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضرّ ولا ينفع ولو كانت تنفع أو تضرّ لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضرّكم في إشراككم في عبادتكم إياه ﴿ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً﴾ يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة، ولم يضع لكم عليه برهاناً، ولم يجعل لكم به عذراً. ﴿فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأَمْنِ﴾ يقول: أنا أحقّ بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصاً له العبادة حنيفاً له ديني بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهاناً ولا حجة؟ ﴿إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتجّ به عليكم، فقولوا وأخبروني أيّ الفريقين أحقّ بالأمن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، كان محمد بن إسحاق يقول فيما:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سَلَمة، قال: قال محمد بن إسحاق، في قوله: ﴿وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنَّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ﴾ يقول: كيف أخاف وثناً تعبدون من دون الله لا يضرّ ولا ينفع، ولا تخافون أنتم الذي يضرّ وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لا تضرّ ولا تنفع.

﴿فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي بالأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة الذي يعبد، الذي بيده الضرّ والنفع؟ أم الذي يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع؟ يضرب لهم الأمثال، ويصرّف لهم العبر، ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويعبد مما يعبدون من دونه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: أفلج الله إبراهيم عليه السلام حين خاصمهم، فقال: ﴿وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنَّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ ما لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.﴾ ثم قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قول إبراهيم حين سألهم: ﴿أيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ﴾ هي حجة إبراهيم عليه السلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى عن إبراهيم حين سألهم: ﴿فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ﴾ قال: وهي حجة إبراهيم عليه السلام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ﴿فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أمن يعبد رباً واحداً، أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ يقول قومه: الذين آمنوا بربّ واحد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أمن خاف غير الله ولم يخفه؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره؟ فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول، أعني: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ الآية. فقال بعضهم: هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﴿وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنَّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ ما لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَق بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فقال الله تعالى فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدّقوا الله، وأخلصوا له

العبادة، ولم يَخْلِطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم، يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً أحقّ بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سُخْط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا أحمد بن إسحاق، قال: يقول الله تعالى ذكره: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾: أي الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم ﷺ لعبادة الله وتوحيده. ﴿**ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلْمٍ**﴾ أي بشرك، ﴿**أولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ الأمن من العذاب والهدى في الحجة بالمعرفة والاستقامة يقول الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَق بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ قال: فقال الله وقضى بينهم: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ قال: بشرك، قال: ﴿**أولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وهم مُهْتَدُونَ**﴾ فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد.

وقال آخرون: هذا جواب من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم حين قال لهم: أيّ الفريقين أحقّ بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحقّ بالأمن إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**فأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ أمن يعبد رباً واحداً أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ يقول قومه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ بعبادة الأوثان، وهي حجة إبراهيم ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنَ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن، وفصل قضاء منه بين إبراهيم ﷺ وبين قومه، وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله، لكانوا قد أقرّوا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدءاً.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿**ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ فقال بعضهم: بشرك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ألا تَرَوْنَ إلى قَوْلِ لُقْمَانَ: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟». قال أبو كريب، قال ابن إدريس: حدثنيه أولاً أبي عن أبان بن تغلب عن الأعمش، ثم سمعته قيل له: من الأعمش؟ قال: نعم.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال: ثني عمي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ «لَيْسَ بِذَلِكَ، ألا تَسْمَعُونَ إلى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟».

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، وإنَّمَا هُوَ كَمَا قالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: لا تُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ شقّ ذلك على الناس، فقالوا يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: «إنَّهُ لَيْسَ كَمَا تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ إنما هُوَ الشِّرْك».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، في قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ قال: بشرك.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ قال: بشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْم**﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال النبي ﷺ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، ألَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن إدريس، عن الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن الأسود بن هلال، عن أبي بكر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سعيد بن عبيد الطائي، عن أبي الأشعر العبدي، عن أبيه، أن زيد بن صُوْحان سأل سلمان، فقال: يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كلّ مبلغ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾؟ فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى. فقال زيد: ما يسرني بها أني لم أسمعها منك وأن لي مثل كل شيء أمسيت أملكه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سعيد بن عبيد، عن أبي الأشعر، عن أبيه، عن سلمان، قال: بشرك.

حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا نُسير بن ذُعْلوق، عن درسب[1]، عن حذيفة، في قوله: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفيّ، عن رجل، عن عيسى، عن حذيفة، في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عارم أبو النعمان، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير وغيره، أن ابن عباس كان يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ يقول: بكفر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن بن عباس: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ يقول: لم يلبسوا إيمانهم بالشرك، وقال إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

---

(١) درسب، بضم المهملتين الأوليين، ابن زياد العنبري البصري، قال يحيى بن معين: لا شيء. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وقال البخاري: ليس بالقائم: «الخلاصة».

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي، قال: ثني أبي، بن قال: ثنا جرير بن حازم، عن عليّ بن زيد، عن المسيب: أن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فلما قرأها فزع، فأتى أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر قرأت من آية من كتاب الله من يَسلَمْ؟ فقال: ما هي؟ فقرأها عليه فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: غفر الله لك، أما سمعت الله تعالى يقول: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟ إنما هو: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن عمر دخل منزله، فقرأ في المصحف فمرّ بهذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فأتى أُبَيّاً فأخبره، فقال: يا أمير المؤمنين إنما هو الشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مهران عن مهران: أن عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه، فدخل ذات يوم فقرأ، فأتى على هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ فاشتغل وأخذ رداءه، ثم أتى أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر فتلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ وقد ترى أنا نظلم ونفعل ونفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى: ﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما ذلك الشرك.

حدثنا هناد، قال: ثنا ابن فضيل، عن مطرف، عن أبي عثمان عمرو بن سالم، قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فقال عمر: قد أفلح من لم يَلْبس إيمانه بظلم فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين: ذاك الشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أسباط، عن محمد بن مطرف، عن بن سالم، قال: قرأ عمر بن الخطاب فذكر نحوه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، في قوله: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين، عن عليّ، عن زائدة، عن الحسن بن عبد الله، عن إبراهيم: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: أي بشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بعبادة الأوثان.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأعمش، أن ابن مسعود قال لما نزلت: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ كبر ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه فقال النبي ﷺ: «أما سَمِعْتُمْ قَوْلَ لُقْمَان: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: عبادة الأوثان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، عن مسعر، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، قال: بشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: ﴿ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال بشرك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم. وذلك فِعْلُ ما نهى الله عن فعله أو ترك ما أمر الله بفعله وقالوا: الآية على العموم، لأن الله لم يخصّ به معنى من معاني الظلم. قالوا: فإن قال لنا قائل: أفلا أمن في الآخرة إلا لمن لم يعص الله في صغيرة ولا كبيرة، وإلا لمن لقي الله ولا ذنب له؟ قلنا: إن الله عنى بهذه الآية خاصاً من خلقه دون الجميع منهم والذي عنى بها وأراده بها خليله إبراهيم ﷺ، فأما غيره فإنه إذا لقي الله لا يشرك به

شيئاً فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التي لا تبلغ أن تكون كفراً، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه، وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه. قالوا: وذلك قول جماعة من السلف وإن كانوا مختلفين في المعنى بالآية، فقال بعضهم: عنى بها إبراهيم. وقال بعضهم: عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ.

ذكر من قال: عَنَى بهذه الآية: إبراهيم خليل الرحمن ﷺ:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن، عن قيس بن الربيع، عن زياد بن علاقة، عن زياد بن حرملة، عن عليّ، قال: هذه الآية لإبراهيم ﷺ خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء.

وذكر من قال: عُنِيَ بها المهاجرون خاصة:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن، عن قيس بن الربيع، عن سماك، عن عكرمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: هي لمن هاجر إلى المدينة.

وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ، وهو الخبر الذي رواه بن مسعود عنه أنه قال: «الظُّلْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالى فِي هَذَا المَوْضِعِ هُوَ الشِّرْكُ».

وأما قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ فإنه يعني: هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يقول: وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا﴾ قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين: أيّ الفريقين أحقّ بالأمن، أمن يعبد رباً واحداً مخلصاً له الدين والعبادة أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد رباً واحداً أحقّ بالأمن وقضاؤهم له على أنفسهم، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة إبراهيم عليهم، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه كالذي:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان الثوريّ، عن رجل، عن مجاهد:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ﴾ قال: هي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: قال إبراهيم حين سأل: أي الفريقين أحقّ بالأمن؟ قال: هي حجة إبراهيم. وقوله: ﴿وآتَيْنَاها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ﴾ يقول: لقناها إبراهيم وبصرناه إياها وعرفناه على قومه. ﴿نَرْفَعُ درجاتٍ مِنْ نَشاءُ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة: ﴿نَرْفَعُ درجاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾ بإضافة الدرجات إلى من، بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿نَرْفَعُ درجاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ بتنوين «الدرجات»، بمعنى نرفع من نشاء درجات. والدرجات: جمع درجة وهي المرتبة، وأصل ذلك مراقي السلم ودرجه، ثم تستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء متقارب معناهما وذلك أن من رُفِعت درجته فقد رُفع في الدَّرجَ. ومن رُفع في الدرج فقد رُفِعت درجته، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك فمعنى الكلام إذن: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرّفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فآتيناه فيها أجره، وأما في الآخرة فهو من الصالحين، ﴿نَرْفَعُ درجاتٍ مَّنَ نَشَاءُ﴾ أي بما فعل من ذلك وغيره.

وأما قوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فإنه يعني: إن ربك يا محمد حكيم في سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذّبة لهم الجاحدة توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره، عليم بما يؤول إليه أمر رسله، والمرسل إليهم من ثَبات الأمم على تكذيبهم إياهم وهلاكهم على ذلك وإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع إلى طاعته، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: تأسَّ يا محمد في نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلي إبراهيم ﷺ، واصبر على ما ينوبك منهم صبره، فإني بالذي يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم بالتدبير فيك وفيهم حكيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم ﷺ على طاعته إيانا وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولاداً

خصصناهم بالنبوّة، وذريّة شرّفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين، منهم ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب. ﴿كُلاً هَدَيْنَا﴾ يقول: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوفقناهم للحقّ والصواب من الأديان. ﴿وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: وهدينا لمثل الذي هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحقّ والصواب فوفقناه له، نوحاً من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ﴾ والهاء التي في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ من ذكر نوح، وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطاً، فقال: ﴿وإسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ وَيُونُس وَلُوطاً وَكُلاً فَضَّلْنا على العالَمِينَ﴾ ومعلوم أن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم ﷺ أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفاً على أسماء من سمينا من ذرّيته، كان لا شكّ أنه لو أريد بالذرية ذرّية إبراهيم لما دخل يونس ولوط فيهم، ولا شكّ أن لوطاً ليس من ذرّية إبراهيم ولكنه من ذرّية نوح، فلذلك وجب أن تكون الهاء في «الذرّية» من ذكر نوح.

فتأويل الكلام: ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدينا أيضاً من ذرّية نوح داود وسليمان. وداود: هو داود بن إيشا. وسليمان هو ابنه سليمان بن داود وأيوب هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم. ويوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. وهارون: أخو موسى. ﴿وكَذَٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحقّ الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذرّيته مِنْ بعده مَن ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له. وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كلّ محسن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً لمثل الذي هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ذرّيته زكريا[١] بن أزن ابن بركيا ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا، وإلياس.

واختلفوا في إلياس، فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ابن أخي موسى نبيّ الله ﷺ. وكان غيره يقول: هو إدريس وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

(١) في الكتاب المقدس (ذكريا: الإصحاح الأول ١ ـ ٢) زكريا بن برخيا بن عدو.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود، قال: إدريس: هو إلياس، وإسرائيل: هو يعقوب.

وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جدّ نوح بن لمْك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ: هو إدريس بن يرد بن مهلائيل. وكذلك رُوِي عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذرّيته ونوح: ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

وقوله: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين، يعني: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس صلى الله عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً من ذرّية نوح إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم واليسع: هو اليسع بن أخطوب بن العجوز.

واختلف القرّاء في قراءة اسمه، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: ﴿واليَسَعَ﴾ بلام واحدة مخففة. وقد زعم قوم أنه «يفعل»، من قول القائل: وَسِعَ يَسَعُ، ولا تكاد العرب تُدخِلُ الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة، أعني: على «يَفْعل»، لا يقولون: رأيت اليزيد، ولا أتاني التجيب، ولا مررت باليشكر، إلا في ضرورة شعر، وذلك أيضاً إذاً تُحُرّي به المدح، كما قال بعضهم:

وَجَدْنا الوَلِيدَ بْنَ اليَزِيدِ مُبارَكاً شَدِيداً بأعْباءِ الخِلاَفَةِ كاهِلُهْ[1]

فأدخل في «اليزيد» الألف واللام، وذلك لإدخاله إياهما في الوليد، فأتبعه اليزيد بمثل لفظه.

---

(١) البيت للرماح بن أبرد الشاعر، المعروف بابن ميادة، وهي أمه، وكانت أمة سوداء. من قصيدة يمدح بها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. قاله الشيخ الأمير في حاشيته على المغنى في باب (أل). والشاهد فيه أن أل في (اليزيد) زائدة لضرورة الشعر. والأعباء: جمع عبء، وهو الحمل. والكاهل: ما بين الكتفين. وفي رواية الأمير: «رأيت» في موضع: «وجدنا».

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفيين: ﴿واللَّيْسَعَ﴾ بلامين وبالتشديد، وقالوا: إذا قرىء كذلك كان أشبه بأسماء العجم. وأنكروا التخفيف وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسماً على «يفعل» فيه ألف ولام.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد، مع أنه اسم أعجميّ فينطق به على ما هو به. وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على «يفعل»، وأما الاسم الذي يكون أعجميًّا فإنما ينطق به على ما سموا به، فإن غُير منه شيء إذا تكلمت العرب به فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان، واللَّيسع إذا شدّد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد. وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال: اسمه «ليسع»، فيكون مشدّداً عند دخول الألف واللام اللتين تدخلان للتعريف ﴿ويُونُسَ﴾ هو يونس بن متى ﴿ولُوطاً وكلاً فَضَّلنا﴾ من ذرية نوح ونوحاً، لهم بيّنا الحقّ ووفقناهم له. وفضلنا جميعهم ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾ يعني: على عالم أزمانهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرّياتهم وإخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحقّ والدين الخالص الذي لا شرك فيه، فوفقناهم له. ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ يقول: واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالذي اخترنا ممن سمينا يقال منه: اجتبى فلان لنفسه كذا: إذا اختاره واصطفاه يجتبيه اجتباء. وكان مجاهد يقول في ذلك، ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الله تعالى ذكره: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ قال: أخلصناهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾ يقول: وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوّج، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربنا لأنبيائه، وأمر به عباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ، الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة، هو هدى الله، يقول: هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفق به من يشاء ويلطف به لمن أحبّ من خلقه، حتى يُنِيب إلى طاعة الله وإخلاص العمل له وإقراره بالتوحيد ورفض الأوثان والأصنام. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾ يقول: لبطل، فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله نوحاً وذرّيته الذين هداهم لدين الإسلام واختارهم لرسالته إلى خلقه، هم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ يعني بذلك صحف إبراهيم وموسى وزَبور داود وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين. ﴿والحُكْمَ﴾ يعني: الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام. ورُوِي عن مجاهد في ذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا أبان، قال: ثنا مالك بن شدّاد، عن مجاهد: ﴿والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ﴾ قال: الحكم: هو اللبّ.

وعنى بذلك مجاهد إن شاء الله ما قلت لأن اللبّ هو العقل، فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به. وقد بينا معنى النبوّة والحكم فيما مضى بشواهدهما، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بكافِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته إليك، فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم، كالذي:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن

أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ﴾ يقول: إن يكفروا بالقرآن.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهؤلاء، فقال بعضهم: عُني بهم كفار قريش، وعنى بقوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بها قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ الأنصار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قول الله تعالى: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤُلاءِ﴾ قال: أهل مكة، فقد وكلنا بها أهل المدينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ﴾ قال: الأنصار.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن مغراء، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ قال: إن يكفر بها أهل مكة، فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فإنْ يَكفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ يقول: إن يكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بها هَؤلاءِ﴾ أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكافِرِينَ﴾ أهل المدينة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بها بِكافِرِينَ﴾ قال: كان أهل المدينة قد تبوّؤا الدار والإيمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله عليهم الآيات جحد بها أهل مكة، فقال الله تعالى: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾. قال عطية: ولم أسمع هذا من ابن عباس، ولكن سمعته من غيره.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ يعني أهل مكة. يقول: إن يكفروا بالقرآن ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ يعني أهل المدينة والأنصار.

وقال آخرون: معنى ذلك: فإن يكفر بها أهل مكة، فقد وكلنا بها الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن عوف، عن أبي رجاء: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ قال: هم الملائكة.

حدثنا بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عديّ، وعبد الوهاب، عن عوف، عن أبي رجاء، مثله.

وقال آخرون: عني بقوله: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ يعني قريشاً، وبقوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً﴾ الأنبياء الذين سماهم في الآيات التي مضت قبل هذه الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ يعني أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ قال: يعني: قوم محمد، ثم قال: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ يعني: النبيين الذين قصّ قبل هذه الآية قصصهم، ثم قال: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ﴾ كفار قريش، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ يعني به: الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية. وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عنهم ذكر، ففيما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أوْلَى وأحقّ من أن يكون خبراً عن غيرهم.

فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا، وكذّبوا وجحدوا حقيقتها، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذّبون بها، ولكنهم يصدّقون بها ويؤمنون بصحتها. وقد قال بعضهم: معنى قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً﴾: رزقناها قوماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا

﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أُولَئِكَ﴾: هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحقّ، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر الله والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جلّ ثناؤه لذلك. ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم، اقتده يا محمد: أي فاعمل وخذ به واسكله، فإنه عملٌ للّه فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ﴾ أنهم الأنبياء المسَمَّوْنَ في الآيات المتقدمة، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك. وأما على تأويل من تأوّل ذلك أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة، أو أنهم هم الملائكة، فإنهم جعلوا قوله: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بهَا بِكافِرِينَ﴾ اعتراضاً بين الكلامين، ثم ردّوا قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ على قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتَابَ والحُكْمَ والنُّبُوةَ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحاق وَيَعْقُوبَ﴾... إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ يا محمد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يا محمد، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ ولا تقتد بهؤلاء.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ثم رجع إلى النبي ﷺ، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل: اتباع أثره والأخذ بهديه، يقال: فلان يقدو فلاناً إذا نحا نحوه واتبع أثره، قِدَةً وقُدْوَةً وقِدْوَة وقِدْية[1].

---

(١) تكررت كلمة قدوة ثلاث مرات، فلعل الأخيرة محرفة عن (قدية) بكسر القاف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرَى للْعَالمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي أن تَبسل نفس بما كسبت من مشركي قومك يا محمد: لا أسألكم على تذكيري إياكم والهدى الذي أدعوكم إليه والقرآن الذي جئتكم به، عوضاً أعتاضه منكم عليه وأجراً آخذه منكم، وما ذلك مني إلا تذكير لكم ولكلّ من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل بأس الله أن يحلّ بكم وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم، وإنذار لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتذكروا وتنزجروا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وما أجلوا الله حقّ إجلاله، ولا عظموه حقّ تعظيمه. ﴿إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: حين قالوا: لم ينزل الله على آدمي كتاباً ولا وحياً.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفي تأويل ذلك فقال بعضهم: كان قائل ذلك رجلاً من اليهود. ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل، فقال بعضهم: كان اسمه مالك بن الصيف. وقال بعضهم: كان اسمه فَنْحاص. واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قال ذلك. ذكر من قال: كان قائل ذلك مالك بن الصيف:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أنْشُدكَ بالذِي أنْزَلَ التَوْرَاةَ على مُوسَى، أما تَجِد فِي التوْرَاةِ أنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الحَبْر السَّمِينَ؟» وكان حبراً سميناً، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى﴾... الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ﴿وَمَا قَدَروا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: نزلت في مالك بن

الصيف كان من قريظة من أحبار اليهود ﴿قُلْ يا مُحَمَّدُ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ﴾. . . الآية.

ذكر من قال: نزلت في فنحاص اليهودي:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ومَا قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللَّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: قال فنحاص اليهودي: ما أنزل الله على محمد من شيء.

وقال آخرون: بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي ﷺ آيات مثل آيات موسى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس، قال: ثنا أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي، قال: جاء ناس من يهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ، فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله فأنزل الله: ﴿يَسألُكَ أهْلُ الكِتابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سألُوا مُوسَى أكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقالُوا أرِنا اللَّهَ جَهْرَةً. . .﴾ الآية، فجثا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً فأنزل الله: ﴿ومَا قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله ﴿إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللَّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً﴾ فحلّ رسول الله ﷺ حبوته، وجعل يقول: «ولا عَلَى أَحَدٍ».

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ومَا قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللَّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾. . . إلى قوله: ﴿فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ هم اليهود والنصارى، قوم آتاهم الله علماً فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به، فذمهم الله في عملهم ذلك، ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: إنّ من أكثر ما أنا مخاصم به غداً أن يقال: يا أبا الدرداء قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿ومَا قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللَّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزّل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم» قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً. فأنزل الله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للناس﴾. . . إلى قوله: ﴿وَلا آباؤكُمْ﴾ قال: الله أنزله.

وقال آخرون: هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مشركي قريش أنهم قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: ﴿**وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللّهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ قالها مشركو قريش، قال: وقوله: ﴿**قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وهُدًى للنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَها وتُخْفُونَ كَثِيراً**﴾ قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيراً. قال: وقوله: ﴿**وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ**﴾ قال: هذه للمسلمين.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ قال: هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كلّ شيء قدير فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقّ قدره.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**ومَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ يقول: مشركو قريش.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: عني بذلك: ﴿**وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أوّلاً، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود. وإذا لم يكن بما روي من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبر صحيح متصل السند، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع، وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿**وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ موصولاً بذلك غير مفصول منه، لم يجز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلاّ بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولكني أظنّ أن الذين تأوّلوا ذلك خبراً عن اليهود، وجدوا قوله: «قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيراً وعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ» فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرءوه على وجه الخطاب لهم: ﴿**تجعلونه قراطِيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**﴾ فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله: ﴿**وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان، وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم.

والأصوب من القراءة في قوله: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيراً» أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً، ويكون الخطاب بقوله: ﴿قُلْ منْ أنزلَ الكتابَ﴾ لمشركي قريش. وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك، وكذلك كان يقرأ.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيراً».

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿«قُلْ مَنْ أنزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخفُونَ كَثِيراً».

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك القائلين لك: ما أنزل الله على بشر من شيء، قل ﴿مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا﴾ يعني: جلاء وضياء من ظلمة الضلالة ﴿وَهُدًى للنَّاسِ﴾ يقول: بياناً للناس، يبين لهم به الحقّ من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم، يجعلونه قراطيس يبدونها. فمن قرأ ذلك: ﴿تجْعَلُونَهُ﴾ جعله خطاباً لليهود على ما بيَّنت من تأويل من تأوّل ذلك كذلك، ومن قرأه بالياء: «يَجْعَلُونَهُ» فتأويله في قراءته: يجعله أهله قراطيس، وجرى الكلام في «يبدونها» بذكر القراطيس، والمراد منه: المكتوب في القراطيس، يراد يبدون كثيراً مما يكتبون في القراطيس، فيظهرونه للناس ويخفون كثيراً مما يثبتونه في القراطيس فيسرّونه ويكتمونه الناس. ومما كانوا يكتمونه إياهم ما فيها من أمر محمد ﷺ ونبوّته. كالذي:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيراً»: اليهود.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: ﴿قُلْ﴾ يا محمد «مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاء بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدونَها» يعني يهود لما أظهروا من التوراة. ﴿ويُخفُونَ كَثِيراً﴾ مما أخفوا من ذكر محمد ﷺ وما أنزل عليه قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُونَ كَثِيراً» قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيراً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ ولا آباؤُكُم قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وعلَّمكم الله جلّ ثناؤه الكتاب الذي أنزله إليكم ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ومن أنباء من بعدكم وما هو كائن في معادكم يوم القيامة، ﴿وَلا آباؤُكُمْ﴾ يقول:

ولم يُعلمْه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله ﷺ. كالذي:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن مجاهد: ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ معشر العرب ﴿ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول في قوله: ﴿وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ﴾ قال: هذه للمسلمين.

وأما قوله: ﴿قُلِ اللّهُ﴾ فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: «قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُونَ كَثِيراً» بقيله: الله، كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لِئنْ أنجانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ فأمره باستفهام المشركين عن ذلك، كما أمره باستفهامهم ﴿إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللّهُ على بَشَر مِنْ شَيْءٍ﴾ عمن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نُوراً وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: ﴿قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْب ثُمَّ أنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله على موسى. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنَّاسِ﴾ قال: الله أنزله.

ولو قيل: معناه: «قل هو الله» على وجه الأمر من الله له بالخبر عن ذلك لا على وجه الجواب إذ لم يكن قوله: ﴿قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ﴾ مسألة من المشركين لمحمد ﷺ، فيكون قوله: ﴿قُلِ اللّهُ﴾ جواباً لهم عن مسألتهم، فإنما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم: من أنزل الكتاب، فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذي قاله ابن عباس من تأويله كان جائزاً من أجل أنه استفهام، ولا يكون للاستفهام جواب وهو الذي اخترنا من القول في ذلك لما بينا.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم في قيلهم ﴿ما أنْزَلَ اللّهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ بقولك ﴿مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ﴾ وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله الله الذي أنزل عليك كتابه ﴿في خَوْضِهِمْ﴾ يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته، يقول: يستهزءون ويسخرون. وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جلّ ثناؤه: ثم دعهم لاعبين يا محمد، فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد وأذيقهم بأسي، وأحلّ بهم إن تمادوا في غيّهم سخطي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن يا محمد ﴿كِتابٌ﴾ وهو اسم من أسماء القرآن قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. ومعناه: مكتوب، فوضع الكتاب مكان المكتوب. ﴿أنْزَلْناهُ﴾ يقول: أوحيناه إليك، ﴿مُبارَكٌ﴾ وهو مفاعل من البركة، ﴿مُصَدّقُ الَّذِي بينَ يَدَيْهِ﴾ يقول: صدّق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه قبلك، لم يخالفها ولا بنبأ، وهو معنى «نوراً وهدى للناس»، يقول: هو الذي أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركاً مصدّقاً كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله، ولكنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عنه، إذ كان قد تقدّم الخبر عن ذلك ما يدلّ على أنه به متصل، فقال: وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك، ومعناه: وكذلك أنزلت إليك كتابي هذا مباركاً، كالذي أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونوراً.

وأما قوله: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فإنه يقول: أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب مصدّقاً ما قبله من الكتب، ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أمّ القرى وهي مكة ومن حولها شرقاً وغرباً من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد، والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني بأمّ القرى: مكة ومن حولها من القرى إلى المشرق والمغرب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وأمّ القرى: مكة، ومَنْ حَوْلَها: الأرض كلها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى﴾ قال: هي مكة. وبه عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني أن الأرض دُحِيت من مكة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَن حَوْلَهَا﴾ كنا نحدّث أن أمّ القرى: مكة، وكنا نحدّث أن منها دُحيت الأرض.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُم القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أما أمّ القرى: فهي مكة وإنما سميت أمّ القرى، لأنها أول بيت وضع بها. وقد بينا فيما مضى العلة التي من أجلها سميت مكة أمّ القرى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله ويصدق بالثواب والعقاب، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ويصدّق به ويقرّ بأن الله أنزله، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله بإقامتها لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه، وإنما يجحد به وبما فيه ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثواباً، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقاباً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

يعني جلّ ذكره بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً﴾: ومن أخطأُ قولاً وأجهلُ فعلاً ممن افترى على الله كذباً، يعني: ممن اختلق على الله كذباً، فادّعى عليه أنه بعثه نبياً وأرسله نذيراً، وهو في دعواه مبطل وفي قيله كاذب. وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب وتجهيل منه لهم في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح والحنفي مُسَيْلِمة لنبيّ الله ﷺ بدعوى أحدهما النبوّة ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ، ونفي منه عن نبيه محمد ﷺ اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة أخي بني عديّ بن حنيفة فيما كان يسجّع ويتكهن به. ﴿وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، أخي بني عامر بن لؤي، كان يكتب للنبي ﷺ، وكان فيما يُملِي «عزيز حكيم»، فيكتب «غفور رحيم»، فيغيره، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل، فيقول: «نَعَمْ سواء» فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم: لقد كان ينزل عليه «عزيز حكيم»، فأحوّله ثم أقول لما أكتب، فيقول نعم سواء ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة، إذ نزل النبيّ ﷺ بمَرّ.

وقال بعضهم: بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ. . .﴾ إلى قوله: ﴿تُجْزَوْنَ عذَابَ الهُونِ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم، وكان يكتب للنبيّ ﷺ، فكان إذا أملى عليه «سميعاً عليماً»، كتب هو: «عليماً حكيماً» وإذا قال: «عليماً حكيماً» كتب: «سميعاً عليماً». فشكّ وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحيَ إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: «سميعاً عليماً»، فقلت أنا: «عليماً حكيماً». فلحق بالمشركين، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرميّ أو لبني عبد الدار، فأخذوهم فعذّبوا حتى كفروا. وجُدع أذن عمار يومئذ، فانطلق عمار إلى النبيّ ﷺ، فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبيّ ﷺ أن يتولاه، فأنزل الله في شأن ابن أبي سَرح وعمار وأصحابه: مَنْ كَفَرَ باللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا فالذي أُكره عمار وأصحابه، والذي شرح بالكفر صدراً فهو ابن أبي سرح.

وقال آخرون: بل القائل: ﴿أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ﴾ مسيلمة الكذّاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللّهُ﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة. ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «رأيْتُ فِيما يَرَى النَّائمُ كأنَّ فِي يَدِي سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فكَبُرَا عَلَيَّ وأهمَّانِي، فَأُوحِيَ إليَّ أنِ انْفُخْهُما، فنَفَخْتُهُما فَطارَا، فَأوَّلْتُهُما فِي مَنامي الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أنا بَيْنَهُما: كَذَّابُ اليَمامَةِ مُسَيْلِمَةُ، وكذَّابُ صَنْعاءَ العَنْسِيُّ» وكان يقال له الأسود.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ﴿أُوحِيَ إليّ وَلم يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، وزاد فيه: وأخبرني الزهري أن النبيّ ﷺ قال: «بَيْنا أنا نائمٌ رأيْتُ فِي يَدِي سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَ ذلكَ عَليَّ، فَأُوحِيَ إليَّ أنِ انْفُخْهُما، فَنَفَخْتُهُما فطارَا، فَأوَّلْت ذلكَ كَذَّابَ اليَمامَةِ، وكَذَّابَ صَنْعاءَ العَنسِيّ».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله قال: ﴿وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِباً أوْ قالَ أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ولا تَمَانُعَ بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين. فكان لا شكّ بذلك من قيله مفترياً كذباً. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسيّ الكذّابين ادّعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين، وقال كلّ واحد منهما: إن الله أوحى إليه وهو كاذب في قيله.

فإذ كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كلّ من كان مختلقاً على الله كذباً وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله إليه، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً. فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عُني به جميع المشركين من العرب، إذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه، فعيرهم الله بذلك وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك. ومع تركهم نكيره، هُمْ بنبيه محمد ﷺ مكذبون، ولنبوّته جاحدون، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون، فقال لهم جلّ ثناؤه: ومن أظلم ممن ادّعى على النبوّة كاذباً وقال: ﴿أوحيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ومع ذلك يقول: ﴿ما أنْزَلَ اللّهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ فينقض قوله بقوله، ويكذّب بالذي تحققه، وينفي ما يثبته وذلك إذا تدبره العاقل الأريب، علم أن فاعله من عقله عديم.

وقد رُوِي عن ابن عباس، أنه كان يقول في قوله: ﴿وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللّهُ﴾. ما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللّهُ﴾ قال: زعم أنه لو شاء قال مثله يعني الشعر.

فكان ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوّله يوجه معنى قول قائل: سأنزل مثل ما أنزل

الله، إلى: سأنزل مثل ما قال الله من الشعر. وكذلك تأوّله السديّ، وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين، العادلين بربهم الآلهَة والأنداد، والقائلين ما أنزل الله على بشر من شيء، والمفترين على الله كذباً، الزاعمين أن الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: سأنزل مثل ما أنزل الله فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم، كما قال جلّ ثناؤه: فَكَيْفَ إذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهم ذلكَ بأنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أسْخَطَ اللّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ يقولون لهم: أخْرِجُوا أنْفُسَكُمْ والغمرات: جمع غمرة، وغمرة كل شيء: كثرته ومعظمه، وأصله: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه قول الشاعر:

وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلاَّ ... بَرَاكاءُ القِتالِ أو الفِرَارُ[1]

ورُوِي عن ابن عباس في ذلك، ما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾ قال: سكرات الموت.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾ يعني: سكرات الموت.

وأما بسط الملائكة أيديهم فإنه مدّها. ثم اختلف أهل التأويل في سبب بسطها أيديها عند ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ قال: هذا عند الموت. والبسْط: الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم.

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم «اللسان» برك. والغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة في الحرب. والبراكاء بفتح الباء وضمها والبروكاء: الثبات في الحرب والجد، وأصله من البروك، قال بشر بن أبي خازن: ولا ينجي... البيت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي: قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ﴾ يقول: الملائكة باسطوا أيديهم، يضربون وجوههم وأدبارهم. والظالمون في غمرات الموت، وملك الموت يتوفَّاهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ﴾ يضربونهم.

وقال آخرون: بل بسطها أيديها بالعذاب.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ﴾ قال: بالعذاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: ﴿وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ﴾ بالعذاب.

وكان بعض نحويي الكوفيين يتأوّل ذلك بمعنى: باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم.

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿أخْرِجُوا أنْفُسَكُمْ﴾ ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها ربّ العالمين؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار، وأمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم فإن كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي إليه ذهبتَ، وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ على اللهِ غيرَ الحَقّ وكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها: أخرجوا أنفسكم إلى سخط الله ولعنته، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله، وقيلكم عليه الباطل، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوح إليكم شيئاً، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله والانقياد لطاعته. ﴿عَذَابَ الهُونِ﴾ وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيذلهم، حتى يعرفوا صغَار أنفسهم وذلتها. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿عَذَابَ الهُونِ﴾ فالذي يهينهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾ قال: عذاب الهُون في الآخرة بما كنتم تعملون.

والعرب إذا أرادت بالهُون معنى الهوان ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدَّعة وخفة المَئونة فتحت الهاء، فقالوا: هو قليل هَوْن المئونة ومنه قول الله: الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْناً يعني: بالرفق والسكينة والوقار ومنه قول المثنى بن جندل الطُّهَوي.

وَنَقْضُ أيَّامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ   هَوْناً وألْقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخْرَهُ(١)

ومنه قول الآخر:

هَوْنَكُما لا يَرُدُّ الدَّهْرَ ما فاتَا   لا تَهْلِكا أَسَفاً فِي إثْرِ مَنْ ماتَا(٢)

يريد: رَوْداً. وقد حكي فتح الهاء في ذلك بمعنى الهوان، واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جُوَيْن:

تُهِينُ النُّفُوسَ وَهُوْنُ النُّفُو   سِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أعْلَى لَهَا(٣)

والمعروف من كلامهم ضمّ الهاء منه إذا كان بمعنى الهوان والذلّ، كما قال ذو الإصبع العدواني:

اذْهَبْ إلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ   تَرْعى المخاضَ ولا أُغْضِي على الهُونِ(٤)

---

(١) النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء. والمراد هنا أن مر الأيام، يضعف القوى ويهدمه. والأسر: شدة الخلق ورجل مأسور مأطور: شديد عقد المفاصل والأوصال، وكذلك الدابة. وفي التنزيل؛ ﴿نحن خلقناكم وشددنا أسرهم﴾: أي شددنا خلقهم. وقيل أسرهم: مفاصلهم. والهون: الرفق والدعة. أي شيئاً بعد شيء. يقول: إن الأيام أضعفن ما كان موثقاً من خلقه شيئاً فشيئاً وترك الشيخ فخره بالفتوة والشباب. ولم أجد الرجز في كتب اللغة.

(٢) البيت منسوب للشاعر «اللسان» هون، وأنشده ابن بري في حواشيه على الصحاح شاهداً على أن الهون: الرفق. وفيه «من ماتا» في موضع «من فاتا».

(٣) في «اللسان» هون جاء الشطر الأول من البيت مبدوءاً بتاء الخطاب. ونسبه للخنساء، وقال: الهون (بالضم) الهوان والشدة، أصابه هون شديد: أي شدة ومضرة وعوز، قالت خنساء: تهين... الخ، تريد إهانة النفوس. ابن بري: الهون بالضم: الهوان، ولعل رواية المؤلف له بفتح الهاء رواية كوفية.

(٤) البيت لذي الإصبع العدواني «اللسان» هون. قال ابن بري: الهون بالضم: الهوان. قال ذو الإصبع: اذهب... البيت. والمخاض: الإبل الحوامل، يتفاءل لها بأنها تصير إلى ذلك وتستمخض بولدها إذا نتجت. واحدتها: خلفة، على غير قياس وأغضى: أغمض عيني أو أقارب ما بين جفنيها.

يعني على الهوان. وإذا كان بمعنى الرفق ففتحها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد، يخبر عباده أنه يقول لهم عند ورودهم عليه: ﴿لقد جئتمونا فرادى﴾ ويعني بقوله: فرادى»: وحداناً لا مال معهم ولا أثاث ولا رفيق ولا شيء مما كان الله خوّلهم في الدنيا. ﴿كَمَا خَلَقْناكُمْ أَوَّل مَرَّة﴾ عُراة غُلْفاً غُرْلاً حفاة كما ولدتهم أمهاتهم، وكما خلقهم جلّ ثناؤه في بطون أمهاتهم، لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به في الدنيا. وفرادى: جمع، يقال لواحدها: فرد، كما قال نابغة بني ذُبيان:

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طاوِي المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَل الفَرَدِ[1]

وفَرَد وفَرِيد، كما يقال: وَحَد ووَحِد ووَحِيد في واحد «الأوحاد»، وقد يجمع الفَرْد الفُراد، كما يجمع الوَحْد الوُحَاد، ومنه قول الشاعر:

تـرَى الـنُّعَـراتِ الـزُّرْقَ فـوقَ لَـبـانـه فُـرادَ وَمَثْنَـى أصْعَقَتْها صَوَاهِلُهْ[2]

وكان يونس الجرميّ[3] فيما ذكر عنه يقول: فراد: جمع فرد، كما قيل: توأم وتؤام للجيمع، ومنه الفرادى والرُّدَافى والغوانى[4]. ويقال: رجل فرد، وامرأة فَرْد، إذا لم يكن لها أخ، وقد فَرَدَ الرجل فهو يَفْرُد فُروداً، يراد به تفرد، فهو فارد.

---

(١) البيت في ديوان النابغة مختار الشعر الجاهلي طبعة الجلبي (ص ـ ١٥٠) من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر. وجرة: مكان بين مكة والبصرة فيه وحوش كثيرة. وموسى الأكارع: صفة للثور في البيت قبله، يصفه بأنه أبيض في قوائمه نقط سود. وطاوى: ضامر. والمصير: واحد المصران، كنى به عن ضمور بطنه كسيف الصيقل: أي يلمع ويلوح بياضه كبياض السيف المجلو والصيقل: جلاء السيوف، والفرد، الذي لامثيل له في الجودة، وهو من صفة السيف.

(٢) البيت لتميم بن أبي بن مقبل «اللسان» نعر قال الأحمر: النعرة: ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها. قال ابن مقبل: ترى. . . . البيت. وفيه «الخضر» و«أحاد» في موضع: «الزرق» و«فراد». ثم قال: أي قتلها صهيله. ولبانه: صدره.

(٣) لا نعلم يونس الجرمي من النحويين ولعله يريد يونس الضبي، فتصحف اللفظ على الناسخ.

(٤) كذا في الأصول. وفيه تحريف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: أخبرني عمرو أن ابن أبي هلال حدثه أنه سمع القرطبي يقول: قرأت عائشة زوج النبيّ ﷺ قول الله: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرَادَى كمَا خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ فقالت: واسوأتاه، إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض فقال رسول الله ﷺ: «لِكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ، لا يَنْظُرُ الرّجالُ إلى النِّساءِ ولا النِّساءُ إلى الرّجالِ، شُغِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ».

وأما قوله: ﴿**وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ فإنه يقول: خَلَّفتم أيها القوم ما مكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم في الدنيا، فلم تحملوه معكم. وهذا تعبير من الله جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم، وكلّ ما مَلَّكته غيرَك وأعطيته فقد خوّلته، يقال منه: خال الرجل يخال أشدّ الخيال بكسر الخاء، وهو خائل، ومنه قول أبي النجم:

أعْطَى فلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرَا مِنْ خَوَلِ المُخَوَّلِ[(١)]

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بين زهير:

هنالكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلُوا وَإنْ يُسألُوا يُعْطُوا وَإنْ يَيْسَرُوا يُغلُوا[(٢)]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ**﴾ من المال والخدم ﴿**وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما نَرَى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة: ما نرى معكم شفعاءكم الذين

(١) ورد البيت الثاني من هذين البيتين في «اللسان» خول منسوباً لأبي النجم. ولم يبخل: بتشديد الخاء: أي لم ينسب إلى البخل، لأنه أعطى عطاء جزلاً. وكوم: جمع كوماء، وهي الناقة الضخمة السنام: والذرا: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، والمقصود بالذرا هنا: الأسنمة. والخول: ما أعطى الله الإنسان من العبيد والخدم، هذا أصله، والمراد هنا أنه أعطى مما ملك وخول من الأموال، وهي الإبل. والمخول: بصيغة اسم المفعول: أي المعطى الذي خوله الله وملكه المال والعبيد. وبصيغة اسم الفاعل، هو المعطى للأموال تفضلاً.

(٢) البيت لزهير كما في «لسان العرب» خيل وخول. ومختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ٢٣٩) ويستخولوا: قال في «اللسان»: والاستخوال، مثل الاستخبال، من أخبلته الماي إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها، أو فرساً يغزو عليه. ومنه قول زهير: هنالك... البيت. وييسروا: يقامروا. ويغلوا: يختاروا سمان الإبل وأحاسنها باذلين فيها غالي الثمن.

كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث لقيله: إن اللات والعُزّى يشفعان له عند الله يوم القيامة. وقيل: إن ذلك كان قول كافة عبدة الأوثان.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما قوله: ﴿وَما نَرَى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ﴾ فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وأن هذه الآلهة شركاء لله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة، قال: قال النضر بن الحرث: سوف تشفع لي اللات والعزّى فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرَادَى كمَا خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ إلى قوله: ﴿شُرَكاءَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ يعني: تواصلَهم الذي كان بينهم في الدنيا، ذهب ذلك اليوم، فلا تواصل بينهم ولا توادَّ ولا تناصر، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون فاضمحلّ ذلك كله في الآخرة، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمدبن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ البين: تواصلهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: تواصلَهم في الدنيا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: وصْلكم.

وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في

قوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: ما كان بينكم من الوصل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ ما كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يعني: الأرحام والمنازل.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ يقول: تقطع ما بينكم.

حدثنا أبو كريب، قال: قال أبو بكر بن عياش: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: التواصل في الدنيا.

واختلفت القرّاء في قوله: ﴿بَيْنَكُمْ.﴾ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة نصباً بمعنى: لقد تقطع ما بينكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء مكة والعراقيين: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ» رفعاً، بمعنى: لقد تقطع وصلكم.

والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب، وذلك أن العرب قد تنصب «بين» في موضع الاسم، ذكر سماعاً منها: إيابى نحوكَ ودُونَك وسواءَك، نصباً في موضع الرفع، وقد ذكر عنها سماعاً الرفع في «بين» إذا كان الفعل لها وجُعلت اسماً وينشد بيت مهلهل:

كَأَنَّ رِماحَهُمْ أَشْطانُ بِئْرٍ بَعيدٍ بَينُ جالَيْها جَرُورِ[1]

برفع «بين» إذا كانت اسماً. غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة وفي حال كونها اسماً.

وأما قوله: ﴿وَضَلَّ عَنكُمْ ما كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فإنه يقول: وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم، وأنه لكم شفيع عند ربكم، فلا يشفع لكم اليوم.

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة «شعراء النصرانية» (١/ ١٧٠) من قصيدته التي مطلعها: «أليلتنا بذي حسم أنيري». وأشطان البئر: جمع شطن بوزن سبب، وهو الحبل الذي يستقى به. والجال الجول والجيل: ناحية البئر وجانبها. يريد: أن جوانبها متباعدة. والجرور من الركايا والآبار: البعيدة القعر. يريد أن رماح هؤلاء القوم تضطرب في أءديهم للدونتها، كما تضطرب الأرشية في الطوى الواسعة البعيدة القعر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

وهذا تنبيه من الله جلّ ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجته عليهم، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه. يقول تعالى ذكره: إن الذي له العبادة أيها الناس دون كلّ ما تعبدون من الآلهة والأوثان، هو الله الذي فلق الحبّ، يعني: شقّ الحبّ من كلّ ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع والنوى من كلّ ما يغرس مما له نواة، فأخرج منه الشجر. والحبّ جمع حبة، والنوى: جمع النواة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إِنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ أما فالق الحبّ والنوى: ففالق الحبّ عن السنبلة، وفالق النواة عن النخلة.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: يفلق الحبّ والنوى عن النبات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: الله فالق ذلك، فلقه فأنبت منه ما أنبت فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة، وفلق الحبة فأخرج نبات الذي خلق.

وقال آخرون: معنى «فالق» خالق.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: خالق الحبّ والنوى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: خالق الحبّ والنوى.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه فلق الشقّ الذي في الحبة والنواة.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: الشقان اللذان فيهما.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا خالد، عن حصين، عن أبي مالك، في قول الله: ﴿إنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ قال: الشقّ الذي يكون في النواة وفي الحنطة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم ابن أبي بزّة، عن مجاهد: ﴿فالِقُ الحَبّ وَالنَّوَى﴾ قال: الشقان اللذان فيهما.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثني عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فالِقُ الحَبّ والنَّوَى﴾ يقول: خالق الحبّ والنوى، يعني: كل حبة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ما قدمنا القول به، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحيّ من الميت والميت من الحيّ، فكان معلوماً بذلك أنه إنما عنى بإخباره عن نفسه أنه فالق الحبّ عن النبات والنوى عن الغروس والأشجار، كما هو مخرج الحيّ من الميت والميت من الحيّ. وأما القول الذي حُكي عن الضحاك في معنى فالق أنه خالق، فقولٌ إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه إياه، لا أعرف له وجهاً، لأنه لا يُعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى: خلق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّتِ ومُخْرِجُ المَيّتِ مِنَ الحَيّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: يخرج السنبل الحيّ من الحبّ الميت، ومخرج الحبّ الميت من السنبل الحيّ، والشجر الحيّ من النوى الميت، والنوى الميت من الشجر الحيّ. والشجر ما دام قائماً

على أصوله لم يجفّ والنبات على ساقه لم ييبس، فإن العرب تسميه حيًّا، فإذا يبس وجفّ أو قطع من أصله سموه ميتاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة، ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ومُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: النخلة من النواة والنواة من النخلة، والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة.

وقال آخرون بما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿إنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ومُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: يخرج النطفة الميتة من الحيّ، ثم يخرج من النطفة بشراً حيًّا.

وإنما اخترنا التأويل الذي اخترنا في ذلك، لأنه عقيب قوله: ﴿إنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾ على أن قوله: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ومُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ وإن كان خبراً من الله عن إخراجه من الحبّ السنبل ومن السنبل الحبّ، فإنه داخل في عمومه ما رُوي عن ابن عباس في تأويل ذلك وكلّ ميت أخرجه الله من جسم حيّ، وكلّ حيّ أخرجه الله من جسم ميت.

وأما قوله: ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ﴾ فإنه يقول: فاعل ذلك كله الله جلّ جلاله. ﴿فَأنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ يقول: فأيّ وجوه الصدّ عن الحقّ أيها الجاهلون تصدّون عن الصواب وتُصرفون، أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحبّ والنوى، فأخرج لكم من يابس الحبّ والنوى زروعاً وحروثاً وثماراً تتغذون ببعضه وتفكهون ببعضه، شريك في عبادته ما لا يضرّ ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

يعني بقوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده. والإصباح: مصدر من قول القائل: أصبحنا إصباحاً.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: إضاءة الصبح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: إضاءة الفجر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: فالق الصبح.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ يعني بالإصباح: ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: فالق الصبح.

حدثنا به ابن حميد مرّة بهذا الإسناد، عن مجاهد، فقال في قوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: إضاءة الصبح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ قال: فلق الإصباح عن الليل.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ يقول: خالق النور، نور النهار.

وقال آخرون: معنى ذلك: خالق الليل والنهار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: «فالقُ الإصباحِ وجاعلُ الليلِ سكَنا» يقول: خلق الليل والنهار، وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ في قوله: ﴿فالِقُ الإَصْباحِ﴾ بفتح الألف كأنه تأوّل ذلك بمعنى جمع صبح، كأنه أراد صبح كلّ يوم، فجعله أصباحاً ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك. والقراءة التي لا نستجيز غيرها بكسر الألف ﴿فالِقُ الإِصْباحِ﴾ لإجماع الحجة من القرَّاء وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه.

وأما قوله: «وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً» فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض البصريين: «وَجاعِلُ اللَّيْلِ» بالألف. على لفظ الاسم ورفعه عطفاً على «فالق»، وخفض «الليل» بإضافة «جاعل» إليه، ونصب «الشمس» و «القمر» عطفاً على موضع «الليل» لأن «الليل» وإن كان مخفوضاً في اللفظ فإنه في موضع النصب، لأنه مفعول «جاعل»، وحَسُن عطف ذلك على معنى الليل لا على لفظه، لدخول قوله: ﴿سَكَناً﴾ بينه وبين الليل قال الشاعر:

قُعُوداً لَدَى الأبْوَابِ طُلاَّبَ حاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الحاجاتِ أوْ حاجَةً بِكْرَا[1]

فنصب الحاجة الثانية عطفاً بها على معنى الحاجة الأولى، لا على لفظها لأن معناها النصب وإن كانت في اللفظ خفضاً. وقد يجيء مثل هذا أيضاً معطوفاً بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه، وإن لم يكن بينهما حائل، كما قال بعضهم:

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أتانَا مُعَلِّقَ شَكْوَةٍ وزِنادَ رَاعِ[2]

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً والشَّمْسَ﴾ على «فَعَلَ» بمعنى الفعل

---

(١) قعوداً: جمع قاعد. والحاجة العوان: الكبيرة. والبكر: الصغيرة. وأصل العوان من الحيوان: النصف في سنها من كل شيء، والبكر: الصغيرة التي لم تتزوج، ولم أعرف قائل البيت.

(٢) رواية البيت في «اللسان» بين:

فبينا نحن نرقبه أتانا معلق وفضة وزناد راع

قال: إنما أراد: بين نحن نرقبه أتانا، فأشبع الفتحة، فحدثت بعدها ألف. وقد شرحنا هذا الشاهد في الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة الحلبي (١/٢٧). والوفضة: خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده، جمعها وفاض. وفي رواية المؤلف كما في الصاحبي لابن فارس (ص ـ ١١٨) «شكوة» في موضع وفضة، وهي: وعاء من أدم يبرد فيه الماء ويحبس فيه اللبن؛ والجمع: شكوات وشكاء. والزناد: مفرد كالزند، ما تقتدح به النار، وقد يكون جمعاً لزند. وأنشد سيبويه البيت في الكتاب (١/٨٧) «بينا نحن نطلبه... الخ» وقال الأعلم: الشاهد فيه: نصب زناد، حملا على موضع الوفضة، لأن المعنى يعلق وفضة وزناد راعي. والوفضة: الكنانة.

الماضي ونصب «الليل». والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب في الإعراب والمعنى. وأخبر جلّ ثناؤه أنه جعل الليل سكناً، لأنه يسكن فيه كلّ متحرك بالنهار ويهدأ فيه، فيستقرّ في مسكنه ومأواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ يعني: عدد الأيام والشهور والسنين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ قال: يجريان إلى أجل جُعِل لهما.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ يقول: بحساب.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ قال: الشمس والقمر في حساب، فإذا خلت أيامهما فذاك آخر الدهر وأوّل الفزع الأكبر ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ قال: يدوران في حساب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن بن جريج، عن مجاهد: ﴿والشَّمْسُ والقَمَرُ حُسْباناً﴾ قال: هو مثل قوله: (كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)، ومثل قوله: (والشَّمْسَ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ).

وقال آخرون: معنى ذلك: وجعل الشمس والقمر ضياء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ أي ضياء.

وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب تأويل من تأوّله: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تعالى ذِكره ذكر قبله أياديه عند خلقه وعظم سلطانه، بفلقه الإصباح لهم وإخراج النبات والغراس من الحبّ والنوى، وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البرّ والبحر، فكان وصفه إجراء الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله: ﴿فالِقُ الإصْباحِ﴾ فلا معنى لتكريره مرّة أخرى في آية واحدة لغير معنى. والحسبان في كلام العرب: جمع حساب، كما الشهبان جمع شهاب وقد قيل: إن الحسبان في هذا الموضع مصدر من قول القائل: حَسَبْتُ الحِساب أحْسُبه حِساباً وحُسْباناً. وحُكي عن العرب على الله حُسْبان فلان وحِسْبَته: أي حسابه. وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء، ذهب إلى شيء يرْوَى عن ابن عباس في قوله: أوْ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ قال: ناراً، فوجه تأويل قوله: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ إلى ذلك التأويل. وليس هذا من ذلك المعنى في شيء. وأما «الحِسْبان» بكسر الحاء: فإنه جمع الحِسبانة: وهي الوسادة الصغيرة، وليست من الأوليين أيضاً في شيء، يقال: حَسِبته: أجلسته عليها، ونصب قوله: ﴿حُسْباناً﴾ بقوله: ﴿وَجَعَلَ﴾. وكان بعض البصريين يقول: معناه: و ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ أي بحساب، فحذف الباء كما حذفها من قوله: هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ: أي أعلم بمن يضلّ عن سبيله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذلك تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾.

يقول تعالى ذكره: وهذا الفعل الذي وصفه أنه فعله، وهو فَلْقُه الإصباح وَجَعْلُه الليل سكَناً والشمس والقمر حُسباناً، تقدير الذي عزّ سلطانه، فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام من الامتناع منه، العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الأصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيئاً ولا تعقله ولا تضرّ ولا تنفع، وإن أريدت بسوء لم تقدر على الامتناع منه ممن أرادها به. يقول جلّ ثناؤه: وأخلِصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الأشياء، ولا تشركوا في عبادته شيئاً غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البرّ والبحر إذا ضللتم

الطريق، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه، وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جلّ ثناؤه: وَعَلاماتٍ وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ: أي من ضلال الطريق في البرّ والبحر، وعنى بالظلمات: ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء. وقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول قد ميزنا الأدلة وفرّقنا الحجج فيكم وبيناها أيها الناس ليتدبرها أولوا العلمَ بالله منكم ويفهمها أولوا الحجا منكم، فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون، ولا يتمادوا في عناد الله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾ قال: يضلّ الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإلهكم أيها العادلون بالله غيره ﴿الَّذِي أَنشأكُمْ﴾ يعني: الذي ابتدأ خلقكم من غير شيء فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: من آدم عليه السلام كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السُّديّ: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال: آدم عليه السلام.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أنشأكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من آدم عليه السلام.

وأما قوله: ﴿مُسْتَقَرّ ومُسْتَوْدَعٌ﴾ فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون فقال بعضهم: معنى ذلك: وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة، فمنكم مستقرّ في الرحم ومنكم مستودع في القبر، حتى يبعثه الله لنشر القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم، عن عبد الله: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها قال: مستقرّها في الأرحام، ومستودعها حيث تموت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل، عن إبراهيم، عن عبد الله أنه قال: المستودع حيث تموت، والمستقرّ: ما في الرحم.

حدثت عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السُّديّ، عن مرّة، عن عبد الله بن مسعود، قال: المستقرّ الرحم، والمستودع: المكان الذي تموت فيه.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا محمد بن فضيل وعليّ بن هاشم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها قال: مستقرّها في الأرحام، ومستودعها في الأرض حيث تموت فيها.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مِقْسِم، قال: مستقرّها في الصلب حيث تأوي إليه، ومستودعها حيث تموت.

وقال آخرون: المستودع: ما كان في أصلاب الآباء، والمستقرّ: ما كان في بطون النساء وبطون الأرض أو على ظهورها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌ ومُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستودَعون ما كانوا في أصلاب الرجال، فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها، فقد استقرّوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن علية، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير: ﴿مُسْتَقَرٌ ومُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستودعون: ما كانوا في أصلاب الرجال، فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض فقد استقروا.

حدثنا محمد بن المثنى،، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها قال: المستودع في الصلب والمستقرّ: ما كان على وجه الأرض أو في الأرض.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فمستقرّ في الأرض على ظهورها ومستوع عند الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن المغيرة، عن أبي الخير تميم بن حَذْلَم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «المستقرّ»: الأرض، و «المستودع» عند الرحمن.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: «المستقرّ» الأرض، و «المستودع»: عند ربك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم، قال: عبد الله: مستقرّها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة يعني: ﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: «المستودع»: في الصلب، و «المستقرّ»: في الآخرة وعلى وجه الأرض.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمستقرّ في الرحم ومستودع في الصلب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي الحرث، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستقرّ في الرحم، ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن يحيى الجابري، عن عكرمة: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقر: الذي قد استقرّ في الرحم، والمستودع: الذي قد استودع في الصلب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير تميم، عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: سَلْ فقلت: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؟ قال: المستقرّ: في الرحم، والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ: الرحم، والمستودع: ما كان عند ربّ العالمين مما هو خالقه ولم يخلق.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها قال: المستقرّ: ما كان في الرحم مما هو حيّ ومما قد مات والمستودع: ما في الصلب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس، وذلك قبل أن يخرج وجهي: أتزوجت يا ابن جبير؟ قال: قلت: لا، وما أريد ذاك يومي هذا. قال: فقال: أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: تزوّجتَ؟ قلت: لا. قال: فضرب ظهري وقال: ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ في الأرحام، والمستودع في الصلب لم يخلق وهو خالقه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ في الرحم، والمستودع: ما استودع في أصلاب الرجال والدواب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: المستقرّ: ما استقرّ في الرحم والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي الخير تميم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بنحوه.

حدثنا هناد، قال: ثنا عبيدة بن حميد، عن عمار الدهني، عن رجل، عن كريب، قال: دعاني ابن عباس، فقال: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله بن عباس إلى فلان حبر تيماء سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، أما بعد» قال: فقلت: تبدؤه تقول: السلام عليك؟ فقال: إن الله هو السلام. ثم قال: اكتب «سلام عليك، أما بعد فحدِّثني عن مستقرّ ومستودع». قال: ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي، فأعطيته إياه فلما نظر إليه قال: مرحباً بكتاب خليلي من المسلمين فذهب بي إلى بيته، ففتح أسفاطاً له كبيرة، فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت إليها. قال: قلت: ما شأنك؟ قال: هذه أشياء كتبها اليهود حتى أخرج سفر موسى عليه السلام، قال: فنظر إليه مرتّين، فقال: المستقرّ: الرحم. قال: ثم قرأ: وَنُقِرُّ فِي

الأرْحَام ما نَشاءُ، وقرأ: وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ ومَتَاعُ قال: مستقرّه فوق الأرض، ومستقره في الرحم، ومستقرّه تحت الأرض، حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار.

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء: ﴿فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ: ما استقرّ في أرحام النساء، والمستودع: ما استودع في أصلاب الرجال.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: المستقرّ: الرحم، والمستودع: في أصلاب الرجال.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا روح بن عبادة، عن ابن جريج، عن عطاء، وعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: المستقرّ: الرحم، والمستودع: في الأصلاب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَمُسْتَقَرّ﴾: ما استقرّ في أرحام النساء ﴿وَمُسْتَوْدَع﴾ ما كان في أصلاب الرجال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: المستقرّ: ما استقرّ في الرحم، والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: المستقرّ: الرحم، والمستودع: الصلب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن ابن عون، قال: أتينا إبراهيم عند المساء، فأخبرونا أنه قد مات فقلنا: هل سأله أحد عن شيء؟ قالوا: عبد الرحمن بن الأسود عن المستقرّ والمستودع فقال: المستقر في الرحم، والمستودع: في الصلب.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا ابن عون، قال: أتيتنا إبراهيم، وقد مات، قال: فحدثني بعضهم أن عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن المستقرّ والمستودع، فقال المستقرّ: في الرحم، والمستودع: في الصلب.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: أتينا منزل إبراهيم، فسألنا عنه، فقالوا: قد توفي، وسأله عبد الرحمن بن الأسود، فذكر نحوه.

حدثني به يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود سأل إبراهيم، عن ذلك، فذكر نحوه.

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، قال: انتهيت إلى منزل إبراهيم حين قبض، فقلت لهم: هل سأله أحد عن شيء؟ قالوا: سأله عبد الرحمن بن الأسود عن مستقرّ ومستودع، فقال: أما المستقرّ: فما استقرّ في أرحام النساء، والمستودع: ما في أصلاب الرجال.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد في ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ: الرحم، والمستودع: الصلب.

حدثني يونس، قال: ثني سفيان، عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: ألا تنكح؟ ثم قال: أما إني أقول لك هذا وإني لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: المستقر في الرحم، والمستودع: في الصلب.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستقر في الرحم، ومستودع: في الصلب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستقرّ: في الرحم، ومستودع: في الصلب.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أما «مستقر»: فما استقرّ في الرحم، وأما «مستودع»: فما استودع في الصلب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستقرّ في الأرحام، ومستودع: في الأصلاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير وأبي حمزة، عن إبراهيم، قالا: «مستقر ومستودع»، المستقرّ: في الرحم، والمستودع: في الصلب.

وقال آخرون: المستقر: في القبر، والمستودع: في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: مستقرّ: في القبر، ومستودع: في الدنيا. وأوشك أن يلحق بصاحبه.

وأولى التأويلات في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ﴿فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع﴾ كلّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقرّاً ومستودعاً، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أن من بني آدم مستقراً في الرحم ومستودعاً في الصلب، ومنهم من هو مستقرّ على ظهر الأرض أو بطنها ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقرّ في القبر مستودع على ظهر الأرض، فكلّ مستقرّ أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله: ﴿فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ومراد به: إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنيّ به معنى دون معنى وخاصّ دون عامّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع﴾ فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: ﴿فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع﴾ بمعنى: فمنهم من استقره الله في مقرّه فهو مستقرّ، ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «فَمُسْتَقِرٌ» بكسر القاف بمعنى: فمنهم من استقر فهو مستودع فيه في مقرّه فهو مستقِرٌ به.

وأولى القراءتين بالصواب عندي وإن كان لكليهما عندي وجه صحيح: ﴿فَمُسْتَقَرٌ﴾ بمعنى: استقرّه الله في مستقرّه، ليأتلف المعنى فيه وفي «المستودع» في أن كلّ واحد منهما لم يسمّ فاعله، وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقرّ هذا والمستودع هذا وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله: ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ بفتح الدال على وجه ما لم يسمّ فاعله، فإجراء الأوّل، أعني قوله: «فمستقرّ» عليه أشبه من عدوله عنه.

وأما قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى: قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويفهمون الآيات والذكر، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه في عبادتهم إياه. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ يقول: قد بينا الآيات لقوم يفقهون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي له العبادة خالصة لا شركة فيها لشيء سواه، هو الإله ﴿الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءَ فَأَخْرَجْنا به نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش، وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما يتغذّون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون.

وإنما معنى قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: فأخرجنا به ما ينبت به كلّ شيء وينمو عليه ويصلح. ولو قيل معناه: فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كلّ شيء هو أصناف النبات، كان مذهباً وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأوّل.

وقوله: ﴿فأخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً﴾ يقول: فأخرجنا منه يعني من الماء الذي أنزلناه من السماء خضراً رطباً من الزرع والخَضِرُ: هو الأخضر، كقول العرب: أرنيها نَمرَةً أُرِكْها مَطِرَةً، يقال: خَضِرَت الأرضُ خَضَراً وَخَضارة، والخضر: رطب البقول، ويقال: نخلة خضيرة: إذا كانت ترمي ببسرها أخضر قبل أن ينضج، وقد اختُضر الرجل واغتضر: إذا مات شابًّا مصححاً، ويقال: هو لك خضراً مضراً: أي هنيئاً مريئاً. قوله: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِباً﴾ يقول: نخرج من الخضر حبًّا، يعني: ما في السنبل، سنبل الحنطة والشعير والأرز، وما أشبه ذلك من السنابل التي حبها يركب بعضه بعضاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿مِنْه خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِباً﴾ فهذا السنبل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن النخل من طلعها قنوان دانية ولذلك رفعت «القنوان». والقنوان: جمع قِنْو، كما الصنوان: جمع صِنْو، وهو العِذْق، يقال للواحد: هو قِنو وقُنْو وقِنا: يثنى

قِنوانِ، ويجمع قِنوانٌ وقُنْوانٌ، قالوا في جمع قليله: ثلاثة أقناء، والقِنْوان: من لغة الحجاز، والقُنوان: من لغة قيس وقال امرؤ القيس:

فَأَثَّتْ أعالِيهِ وآدَتْ أُصُولُهُ وَمالَ بِقِنْوَانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا[(١)]

وقنيان جميعاً[(٢)] وقال آخر:

لَهَا ذَنَبٌ كالْقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ وأَسْحَمَ للتَّخْطارِ بَعْدَ التَّشَذُّرِ[(٣)]

وتميم تقول: قنيان بالياء. ويعني بقوله: «دانية»: قريبة متهدلة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قِنوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ يعني بالقنوان الدانية: قصار النخل لاصقة عذوقها بالأرض.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مِن طَلْعِهَا قِنوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: عذوق متهدلة.

---

(١) كذا روى البيت في «اللسان» (أيد) قال: وقال امرىء القيس يصف نخلا. آدت أصوله: قويت، تئيد أيداً: وأثت أعاليه: أي كثرت فروعه والتفت. والقنون: جمع قنو كحمل وهو الكباسة، وقنا كإلى، وقلنا: كسبب. والجمع من كل ذلك أقناء، وقنوان، وقنيان، بالكسر في الأخيرين. قلبت الواو ياء لقرب الكسرة. وقال الفراء: أهل الحجاز يقولون: قنوان (بالكسر) وقيس قنوان (بالضم) وتميم وضبة: قنيان، (بالضم) وأنشد: «ومال بقنيان من البسر أحمراً». ويجتمعون فيقولون: قنو وقنو (بضم القاف وكسرها)، ولا يقولون: قنى (بالكسر والياء). قال: وكلب تقول: قنيان (بالكسر وبالياء في الجمع).
ورواية البيت في مختار الشعر الجاهلي تبعاً لأصوله:

سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وعالَيْنَ قِنْوَانا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

سوامق: مرتفعات. والجبار: الفتى من النخل، أو الذي قد فات اليد لطوله. والأثيث: الغزير. وعالين: رفعن. والقنوان العذوق. والبسر: ما أحمر من التمر. يريد: أن هذا النخل قد أدرك وأينع، فتمايلت عذوقه، وعالتها فروعه. وإنما قصد إلى تشبيه ما على الهوادج من الصوف الأحمر والأصفر مع ارتفاعها، بهذه النخل الطوال، وما فيها من اختلاف الألوان.

(٢) يعني أنه روى بالوجهين.

(٣) البيت رواه أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص - ١٨٢) وقال بعده: التشذر: إذا لقحت الناقة عقدت ذنبها، ونصبته على عجزها من التخيل، فذاك التشذر. والمذل: ألا تحرك ذنبها. وفي روايته: أسمح بصيغة الفعل الماضي، في موضع «أسحم». أي سهل للتحريك والخطران، بعد أن كان منتصباً معقوداً. والقنو: كباسة النخلة يكون فيها التمر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ يقول: متهدلة.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء، في قوله: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: قريبة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: قريبة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: الدانية لتهدّل العذوق من الطلع.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَمِنَ النَّخلِ مِن طَلْعها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ يعني: النخل القصار الملتزقة بالأرض، والقنوان: طلعه.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿وَجَنَّاتٍ مِن أعْنَابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِهٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وأخرجنا أيضاً جنات من أعناب، يعني: بساتين من أعناب.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه عامة القرّاء: ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ نصباً، غير أن التاء كسرت لأنها تاء جمع المؤنث، وهي تخفض [في] موضع النصب. وقد:

حدثني الحارث، قال: ثنا القاسم بن سلام، عن الكسائي، قال: أخبرنا حمزة، عن الأعمش، أنه قرأ: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنَابٍ﴾ بالرفع، فرفع «جنات» على إتباعها «القنوان» في الإعراب، وإن لم تكن من جنسها، كما قال الشاعر:

ورأيْــتِ زَوْجَــكِ فــي الــوَغَــى مُــتَــقَــلِّــداً سَــيْــفــاً وَرُمْــحَــا[1]

والقراءة التي لا أستجيز أن يُقرأ ذلك إلا بها النصب ﴿وَجَنَّاتٍ مِن أعْنَابٍ﴾ لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها والقراءة بها ورفضهم ما عداها، وبُعْد معنى ذلك من الصواب إذا قرىء

(١) هذا البيت مما تكرر استشهاد المؤلف به، وقد سبق في الجزء الثالث (ص ـ ٢٧٥).

رفعاً. وقوله: ﴿والزَّيتُونَ والرُّمَّانَ﴾ عطف بالزيتون على «الجنات» بمعنى: وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه.

وكان قتادة يقول في معنى ﴿مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِهٍ﴾ ما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أعْنَابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِهٍ﴾ قال: مشتبهاً ورقه، مختلفاً ثمره.

وجائز أن يكون مراداً به: مشتبهاً في الخلق مختلفاً في الطعم ومعنى الكلام: وشجر الزيتون والرمان، فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره، كما قيل: وَاسأل القَرْيَةَ فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: ﴿انظُروا إلى ثَمَرِهِ﴾ بفتح الثاء والميم، وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قرّاء الكوفيين: ﴿إلى ثُمُرِهِ﴾ بضم الثاء والميم. فكأنَّ من فتح الثاء والميم من ذلك وجَّه معنى الكلام: انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر وإن الثَّمَر جمع ثمرة، كما القَصَب جمع قصبة، والخشب جمع خشبة. وكأن من ضمّ الثاء والميم، وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار، كما الحُمُر جمع حمار، والجُرُب جمع جراب. وقد:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن ابن إدريس، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، أنه كان يقرأ: «إلى ثَمَرِهِ» يقول: هو أصناف المال.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال ثنا ابن أبي حماد، قال: ثنا محمد بن عبيد الله، عن قيس بن سعد، عن مجاهد، قال الثُّمُر: هو المال، والثَّمَر: ثمر النخل.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿انْظُرُوا إلى ثُمُرِهِ﴾ بضمّ الثاء والميم، لأن الله جلّ ثناؤه وصف أصنافاً من المال، كما قال يحيى بن وثاب. وكذلك حبّ الزرع المتراكب، وقنوان النخل الدانية، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان، فكان ذلك أنواعاً من الثمر، فجمعت الثمرة ثَمراً ثم جمع الثمر ثماراً، ثم جمع ذلك فقيل: «انظروا إلى ثُمُره»، فكان ذلك جمع الثمار، والثمار جمع الثمرة، وإثماره: عقد الثمر.

وأما قوله: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ فإنه نضجه وبلوغه حين يبلغ. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول في «يَنْعِهِ» إذا فتحت ياؤه: هو جمع يانع، كما التَّجْر: جمع تاجر،

والصَّحْب: جمع صاحب. وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ويرى أنه مصدر، من قولهم: ينع الثمر فهو يَيْنَع يَنْعاً، ويحكى في مصدره عن العرب لغات ثلاثاً: يَنْع، ويُنْعٌ، ويُنُوع، وكذلك في النَّضج النُّضج والنَّضَج.

وأما في قراءة من قرأ ذلك: «ويَانِعِهِ» فإنه يعني به: وناضجه وبالغه وقد يجوز في مصدره يُنُوعاً، ومسموع عند العرب: أينعت الثمرة تونع إيناعاً ومن لغة الذين قالوا يَنَع، قول الشاعر:

فِـي قِـبَـابٍ عِـنْـدَ دَسْـكَـرَةٍ حَـوْلَـهَـا الـزَّيْـتُـونُ قَـدْ يَـنَـعـا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وينْعِهِ﴾ يعني: إذا نضج.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿انظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ قال: ينعه: نضجه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ وينْعِهِ﴾ أي نضجه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ قال: نضجه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وينْعِهِ﴾ يقول: ونضجه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ قال: يعني: نضجه.

(١) البيت في «اللسان» ينع ونسبه للأحوص، أو ليزيد بن معاوية أو لعبد الرحمٰن بن حسان. ونسبه في التاج للأخطل، ثم قال: وقال أبو الحسن الأخفش: الصحيح أن البيت ليزيد بن معاوية. وزعم ابن السيد أنه لأبي دهبل. وقيل لأحوص. والدسكرة: القرية. أو بناء كالقصر، حوله بيوت للخدم والحشم، يكون للملوك. أو هي بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. وينع الثمر يينع، بفتح النون وكسرها في المضارع، ينعا بفتح الياء وضمها، وينوعا: وأينع إيناعاً، كلاهما: أدرك ونضج، والينيع واليانع: مثل النضيج والناضج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ قال: نضجه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن في إنزال الله تعالى من السماء الماء الذي أخرج به نبات كلّ شيء، والخضر الذي أخرج منه الحبّ المتراكب، وسائر ما عدّد في هذه الآية من صنوف خلقه ﴿لآيَاتٍ﴾ يقول: في ذلكم أيها الناس إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره، وعند ينعه وانتهائه، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرّفه في زيادته ونموّه، علمتم أن له مدبراً ليس كمثله شيء، ولا تصلح العبادة إلاَّ له دون الآلهة والأنداد، وكان فيه حجج وبرهان وبيان ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: لقوم يصدّقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء. وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها، دون من قد طبع على قلبه فلا يعرف حقًّا من باطل ولا يتبين هدى من ضلالة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والأنداد لله ﴿شُرَكَاءَ الجِنَّ﴾ كما قال جلّ ثناؤه: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَباً. وفي الجنّ وجهان من النصب: أحدهما أن يكون تفسيراً للشركاء، والآخر: أن يكون معنى الكلام: «وجعلوا لله الجنّ شركاء وهو خالقهم».

واختلفوا في قراءة قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ فقرأته قرّاء الأمصار: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ على معنى أن الله خلقهم منفردًا بخلقه إياهم. وذكر عن يحيى بن يعمر ما:

حدثني به أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن واصل مولى أبي عيينة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، أنه قال: «شُرَكَاءَ الجِنَّ وخَلْقَهُمْ»

بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا: إن الجنّ شركاء لله في خلقه إيانا.

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وأما قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم﴾ فإنه يعني بقوله: ﴿خَرَقُوا﴾ اختلقوا، يقال: اختلق فلان على فلان كذباً واخترقه: إذا افتعله وافتراه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ﴾ والله خلقهم ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ يعني أنهم تخرّصوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم﴾ قال: جعلوا له بنين وبنات بغير علم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم﴾ قال: كذبوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ﴾ كذَبوا، سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذّبون أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان، وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم﴾ قال: خرصوا له بنين وبنات.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم﴾ يقول: قطعوا له بنين وبنات، قالت العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود والنصارى: المسيح وعزيز ابنا الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ

وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ﴾ قال: خرقوا: كذبوا لم يكن لله بنون ولا بنات، قالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله، فكلٌّ خرقوا الكذب. وخرقوا: اخترقوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ﴾ قال: قول الزنادقة. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ قال ابن جريج: قال مجاهد: خرقوا: كذبوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ قال: وصفوا له.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، عن أبي عمر: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ قال: تفسيرها: وكذبوا.

فتأويل الكلام إذن: وجعلوا لله الجنّ شركاء في عبادتهم إياه، وهو المنفرد، بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ يقول: وتخرّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: تنزّه الله وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادّعائهم له شركاء من الجنّ واختراقهم له بنين وبنات وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذّات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيءٌ إلى شيءٍ، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذّة. وقوله: ﴿تَعَالَى﴾ تفاعل من العلوّ والارتفاع. ورُوِي عن قتادة في تأويل قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أنه يكذّبون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يكذبون.

وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك، أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادّعائهم له بنين وبنات، لا أنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجنّ شركاء وخرقوا له بنين وبنات بغير علم، ﴿بَدِيعُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾ يعني مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: هو الذي ابتدع خلقهما جلّ جلاله فخلقهما ولم تكونا شيئاً قبله.

﴿أنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء. يقول: فإذا كان لا شيء إلاَّ الله خلقه، فأنى يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: والله خلق كلّ شيء ولا خالق سواه، وكلّ ما تدّعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده، مَلَكاً كان الذي تدعونه ربًّا وتزعمون أنه له ولد أو جنيًّا أو إنسيًّا.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله الذي خلق كلّ شيء، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، عالم بعددكم وأعمالكم وأعمال من دعوتموه ربًّا أو لله ولداً، وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازي كلاًّ بعمله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: الذي خلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم، هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجنّ شركاء، وآلهتكم التي لا تملك نفعاً ولا ضرًّا ولا تفعل خيراً ولا شرًّا. ﴿لا إله إلاّ هُوَ﴾ وهذا تكذيب من الله جلّ ثناؤه للذين زعموا أن الجنّ شركاء الله، يقول جلّ ثناؤه لهم: أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة إلاَّ الذي خلق كلّ شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات

والأرض إلاَّ له خالصةً بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كلّ شيء وبارئه وصانعه، وحقّ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة. ﴿فاعْبُدُوهُ﴾ يقول: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك. ﴿وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يقول: والله على كلّ ما خلق من شيء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها.

ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾ يقول: لا يحيط بصر أحد بالملك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.

حدثني يونس بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا خالد بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عرفجة، عن عطية العوفي، في قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصرُه يحيط بهم، فذلك قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ...﴾ الآية.

واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن الله قال: «فَلَمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ» قالوا: فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون، ولا شكّ أن الغرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً. قالوا: فمعنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ﴾ بمعنى: لا تراه بعيداً، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه، كما قال جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى ﷺ حين قرب منهم أصحاب فرعون: فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أصْحَابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُون لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﷺ أنهم لا يدركون لقوله: ﴿ولَقَدْ أوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بِعِبادِي فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾. قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ويدركه ولا يراه، فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير

جائزة. قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به. قالوا: ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يُعلم ولا يحاط به، وكما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بَشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شاءَ﴾. قالوا: فنفى جلّ ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلاَّ بما شاء. قالوا: ومعنى العلم في هذا الموضع: المعلوم قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلاَّ بما شاء نفي عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علماً نفي للعلم به، كان كذلك لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر نفي رؤيته له. قالوا: وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علماً، كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم، إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية، وأن معنى الإدراك: إنما هو الإحاطة، كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل.

قالوا: فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنكرنا ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوهاً في القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله ﷺ أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يُرَى القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب. قالوا: فإذ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر وحققت أخبار رسول الله ﷺ بما ذكرنا عنه من قيله ﷺ أن تأويل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ أنه نظر أبصار العيون لله جلّ جلاله، وكان كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخاً للآخر، إذ كان غير جائز في الإخبار لما قد بينا في كتابنا: «كتاب لطيف البيان عن أصول الأحكام» وغيره عُلم أن معنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ غير معنى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله ولا يدركونه بها، تصديقاً لله في كلا الخبرين وتسليماً لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا محمد بن الحسين، [قال:] ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ لا يراه شيء، وهو يرى الخلائق.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة، قالت: من حدّثك أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقد كذب ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾ وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاَّ وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ ولكن قد رأى جبريل في صورته مرّتين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله، لقد قفّ شعري مما قلت ثم قرأت: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى وابن علية، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبيّ، قال: قالت عائشة: من قال: إن أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، قال الله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ**﴾.

فقال قائلو هذه المقالة: معنى الإدراك في هذا الموضع: الرؤية، وأنكروا أن يكون الله يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة. وتأوّلوا قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾ بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه.

وتأوّل بعضهم في الأخبار التي رُوِيت عن رسول الله ﷺ بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات. وأنكر بعضهم مجيئها، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله ﷺ، وردوا القول فيه إلى عقولهم، فزعموا أن عقولهم تُحِيل جواز الرؤية على الله عزّ وجلّ بالأبصار وأتوا في ذلك بضروب من التمويهات، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات. وكان من أجلّ ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئاً إلاّ ما باينها دون ما لاصقها، فإنها لا ترى ما لاصقها. قالوا: فما كان للأبصار مبايناً مما عاينته، فإن بينه وبينها فضاء وفرجة. قالوا: فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما تَرى الأشخاصُ اليوم، فقد وجب أن يكون الصانع محدوداً. قالوا: ومن وصفه بذلك، فقد وصفه بصفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان. قالوا: وأخرى، أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات، ومن شأن المتنشم أن يدرك الأعراف. قالوا: فمن الوجه الذي فسد أن يكون جائزاً أن يقضى للسمع بغير إدراك الأصوات وللمتنشم إلاّ بإدراك الأعراف، فسد أن يكون جائزاً القضاء للبصر إلاّ بإدراك الألوان. قالوا: ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفاً بأنه ذو لون، صحّ أنه غير جائز أن يكون موصوفاً بأنه مرئيّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، وأما في الآخرة فإنها تدركه. وقال أهل هذه المقالة: الإدراك في هذا الموضع: الرؤية.

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: الإدراك وإن كان قد يكون في بعض

الأحوال بغير معنى الرؤية، فإن الرؤية من أحد معانيه وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئاً فيراه وهو لما أبصره وعاينه غير مُدرِك وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية. قالوا: فرؤية ما عاينه الرائي إدراك له دون ما لم يره. قالوا: وقد أخبر الله أن وجوهاً يوم القيامة إليه ناظرة، قالوا: فمحال أن تكون إليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤيةً. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضادّ وتعارض، وجب وصحّ أن قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ على الخصوص لا على العموم، وأن معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾.

وقال آخرون من أهل هذه المقالة: الآية على الخصوص، إلاَّ أنه جائز أن يكون معنى الآية: لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله. قالوا: وجائز أن يكون معناها: لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة وأما بالرؤية فبلى. قالوا: وجائز أن يكون معناها: لا تدركه الأبصار في الدنيا وتدركه في الآخرة، وجائز أن يكون معناها: لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يدرك به القديم أبصار خلقه، فيكون الذي نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه، هو الذي أثبته لنفسه، إذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ إلاَّ فيما قوّاها جلّ ثناؤه على النفوذ فيه، وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء. قالوا: ولا شكّ في خصوص قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم، غير أنَّا لا ندري أيّ معاني الخصوص الأربعة أريد بالآية. واعتلوا بتصحيح القول بأن الله يرى في الآخرة بنحو عِلَل الذين ذكرنا قبل.

وقال آخرون: الآية على العموم، ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها.

واعتلوا لقولهم هذا، بأن الله تعالى ذكره نفى عن الأبصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها. قالوا: وكذلك أخبر في آية أخرى أن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة. قالوا: فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض، وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل.

واعتلوا أيضاً من جهة العقل بأن قالوا: إن كان جائزاً أن نراه في الآخرة بأبصارنا هذه وإن زيد في قواها وجب أن نراه في الدنيا وإن ضعفت، لأن كلّ حاسة خُلقت لإدراك معنى من المعاني فهي وإن ضعفت كل الضعف فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ما لم تعدم. قالوا: فلو كان في البصر أن يدرك صانعه في حال من الأحوال أو وقت من الأوقات ويراه، وجب أن يكون يدركه في الدنيا ويراه فيها وإن ضعف إدراكه إياه. قالوا: فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا في الدنيا، كان غير جائز أن تكون في الآخرة إلاَّ بهيئتها في

الدنيا في أنها لا تدرك إلاَّ ما كان من شأنها إدراكه في الدنيا. قالوا: فلما كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوهاً في الآخرة تراه، علم أنها تراه بغير حاسة البصر، إذ كان غير جائز أن يكون خبره إلاَّ حقًّا.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ كمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، وكمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَها سَحَابٌ» فالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهُ، والكافِرُونَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ كما قال جلّ ثناؤه: **﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾**. فأما ما اعتلّ به منكرو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار، لما كانت لا ترى إلاَّ ما باينها، وكان بينها وبينه فضاء وفرجة، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالأبصار كذلك لأن في ذلك إثبات حدّ له ونهاية، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه، وأنه يقال لهم: هل علمتم موصوفاً بالتدبير سوى صانعكم إلاَّ مماسًّا لكم أو مبايناً؟ فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبيينه، ولا سبيل إلى ذلك. وإن قالوا: لا نعلم ذلك، قيل لهم: أو ليس قد علمتموه لا مماسًّا لكم ولا مبايناً، وهو موصوف بالتدبير والفعل، ولم يجب عندكم إذ كنتم لم تعلموا موصوفاً بالتدبير والفعل غيره إلاَّ مماسًّا لكم أو مبايناً أن يكون مستحيلاً العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل، لا مماسّ ولا مباين؟ فإن قالوا: ذلك كذلك، قيل لهم: فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك لا ترى إلاَّ ما باينها، وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها، ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء، كما لا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلاَّ مماسًّا لها أو مبايناً وقد علمته عندكم لا كذلك؟ وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً لا مماسّاً للعالم به أو مبايناً وأجاز أن يكون موصوفاً برؤية الأبصار لا مماسًّا لها ولا مبايناً فرق؟ ثم يُسألون الفرق بين ذلك، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلاَّ ألزموا في الآخر مثله. وكذلك يسألون فيما اعتلوا به في ذلك، إن من شأن الأبصار إدراك الألوان، كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات، ومن شأن المتنشم درك الأعراف، فمن الوجه الذي فسد أن يقتضي السمع لغير درك الأصوات فسد أن تقتضي الأبصار لغير درك الألوان. فيقال لهم: ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفاً بالتدبير والفعل إلاَّ ذا لون، وقد علمتموه موصوفاً بالتدبير لا ذا لون؟ فإن قالوا نعم، لا يجدوا من الإقرار بذلك بدًّا إلاَّ أن يكذبوا، فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفاً بالتدبير والفعل غير ذي لون، فيكلفوا بيان ذلك، ولا سبيل إليه، فيقال لهم: فإذا كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلاَّ الألوان، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفاً بالتدبير إلاَّ ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفاً بالتدبير غير ذي لون؟ ثم يسألون الفرق بين ذلك، فلن يقولوا في أحدهما شيئاً إلاَّ ألزموا في الآخر مثله. ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها، إذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم، بل قصدنا فيه البيان عن

تأويل آي الفرقان. ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلاَّ إلى ما لبَّس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحقّ البيان عن فساده، وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة ولا رواية عن رسول الله ﷺ صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلمات يخبطون، وفي العمياء يتردّدون، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة

وأما قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ فإنه يقول: والله تعالى ذكره الميسر له من إدراك الأبصار، والمتأتي له من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذّر عليها. ﴿الخَبِيرُ﴾ يقول: العليم بخلقه وأبصارهم والسبب الذي له تعذّر عليها إدراكه فلطف بقدرته، فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه، وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها وما هو أصلح بخلقه. كالذي:

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ قال: اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين نبههم هذه الآيات من قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ على حججه عليهم، وعلى تبيين خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذّبين بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاءهم من عند الله. قل لهم يا محمد: قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذّبون رسوله ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والإيمان من الكفر. وهي جمع بصيرة، ومنه قول الشاعر:

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ على أكْتافِهِمْ ... وبَصِيرَتِي يَعْدُو بِها عَتَدٌ وَأَي[1]

---

(١) البيت في «**اللسان**» (بصر، ولم ينسبه) قال: يعني بالبصائر: دم أبيهم. يقول: تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به، وطلبته أنا. وفي «**الصحاح**»: وأنا طلبت بثأري. وكان أبو عبيدة يقول: البصيرة في هذا البيت: الترس أو الدرع، وكان يرويه: حملوا بصائرهم. وقال ابن الأعربي: راحوا بصائرهم (كرواية اللسان) يعني: ثقل دمائهم على أكتافهم، لم يثأروا بها. والبصيرة الدية. والبصائر: الديات في أول البيت. قال: أخذوا الديات فصارت عاراً، وبصيرتي أي ثأرى، قد حملته على فرسي، لأطالب به، فبينى وبينهم فرق. ورواه «**اللسان**» أيضاً في (عتد) قال: وفرس عتد وعتد، بفتح التاء وكسرها: شديد تام الخلق، سريع الوثبة، =

يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِكُمْ﴾ قال: البصائر: الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرؤوس. وقرأ: فإنَّها ﴿لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصُدُورِ﴾ قال: إنما الذي بصره وسمعه في هذا القلب.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِكُمْ﴾ أي بينة.

وقوله: ﴿فَمَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: فمن تبيَّن حجج الله وعرفها وأقرّ بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظّ نفسه ولنفسه عمل، وإياها بغى الخير. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها﴾ يقول: ومن لم يستدلّ بها ولم يصدّق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدلّ عليها، يقول: فنفسَه ضرّ وإليها أساء لا إلى غيرها.

وأما قوله: ﴿وَما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أُرسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كما صرّفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبينتها، فعرّفتكموها في توحيدي وتصديق رسولي وكتابي ووصيتكم عليها، فكذلك أبين لكم آياتي وحججي في كلّ ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمري ونهيي. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وكَذَلِكَ نُصَرّفُ الآياتِ﴾ لهؤلاء العادلين بربهم، كما صرّفتها في هذه السورة، ولئلا يقولوا: درست.

= معه للجري، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. قيل) هو العتيد الحاضر المعد للركوب، الذكر والأنثى فيه سواء، قال الأسعر الجعفي: راحو.... البيت. وأورده أيضاً في وأي. قال: والوأى من الدواب: السريع المشدد الخلق. وأنشد أبو عبيدة للأسعر الجعفي: راحو.... البيت.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ يعني قرأت أنت يا محمد بغير ألف. وقرأ ذلك جماعة من المتقدّمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه، وغيره وجماعة من التابعين، وهو قراءة بعض قرّاء أهل البصرة: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» بألف، بمعنى: قارأت وتعلمتَ من أهل الكتاب. ورُوِي عن قتادة أنه كان يقرؤه: «دُرِسَتْ» بمعنى: قرئت وتليت. وعن الحسن أنه كان يقرؤه: «دَرَسَتْ» بمعنى: انمحت.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ بتأويل: قرأت وتعلمت لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبيّ ﷺ وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدونَ إِلَيْهِ أعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌ مُبِينٌ فهذا خبر من الله ينبيء عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره. فإذ كان ذلك كذلك، فقراءة: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ يا محمد، بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب، أشبه بالحقّ وأولى بالصواب من قراءة من قرأه: «دَارَسْتَ» بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم، وغير ذلك من القراءات.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراءة في قراءته.

ذكر من قرأ ذلك ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ من المتقدمين، وتأويله بمعنى: تعلمت وقرأت.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، قال: ثنا علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ قالوا: قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ قال: قرأت وتعلمت.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل وافقه، عن أبي إسحاق عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ قال: قرأت وتعلمت.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ يقول: قرأت الكتب.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنى عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿دَرَسْتَ﴾ يقول: تعلمت وقرأت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: قلت لابن عباس: أرأيت قوله: ﴿دَرَسْتَ﴾؟ قال: قرأت وتعلمت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، مثله.

ذكر من قرأ ذلك ﴿دَارَسْتَ﴾ وتأوّله بمعنى: جادلت من المتقدمين.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، عن حميد، عن مجاهد، عن ابن عباس: «دارَسْتَ» يقول: قارأت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» أحسبه قال: قارأت أهل الكتاب.

حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت وتعلمت.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت التميمي يقول: سألت ابن عباس عن قوله: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت وتعلمت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن علية، عن أبي المعلى، عن سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس يقرؤها: «دَارَسْتَ».

حدثنا المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: كان ابن عباس يقرأ: «دَارَسْتَ» بالألف، بجزم السين ونصب التاء.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: أخبرني عمرو بن كيسان، أن ابن عباس كان يقرأ: «دَارَسْتَ» تلوت، خاصمت، جادلت.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن كيسان، قال ابن عباس في: «دَارَسْتَ» قال: تلوت، خاصمت، جادلت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت.

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، أنه قرأ: «دَارَسْتَ» بالألف أيضاً منتصبة التاء، وقال: قارأت.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «دَارَسْتَ» أي ناسخت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: «دَارَسْتَ» قال: فاقهت: قرأت على يهود وقرءوا عليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت، قرأت على يهود وقرءوا عليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: «دَارَسْتَ» يعني: أهل الكتاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «دَارَسْتَ» قال: قرأت على يهود، وقرءوا عليك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ﴾ قال: قالوا دارست أهل الكتاب، وقرأت الكتب وتعلمتها.

ذكر من قرأ ذلك «دُرِسَتْ» بمعنى: نبئت وقرئت، على وجه ما لم يسمّ فاعله:

حدثنا عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا الحسين المعلم وسعيد، عن قتادة: «وكَذَلِكَ نُصَرّفُ الآياتِ وَلِيَقُولُوا دُرِسَتْ» أي قرئت وتُعلِّمت.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال قتادة: «دُرِسَتْ» قرئت. وفي حرف ابن مسعود: «درس».

ذكر من قرأ ذلك: «دَرَسَتْ» بمعنى: انمحت وتقادمت أي هذا الذي تتلوه علينا قد مرّ بنا قديماً وتطاولت مدّته:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقرأ: «وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ»: أي انمحت.

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو إسحاق الهمداني، قال في قراءة ابن مسعود: «دَرَسَتْ» بغير ألف، بنصب السين ووقف التاء.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن الزبير يقول: إن صبياناً ههنا يقرءون: «دَارَسْتَ» وإنما هي «دَرَسَتْ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال الحسن: «وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ» يقول: تقادمت وانمحت.

وقرأ ذلك آخرون: «دَرَس»، من درس الشيء: تلاه.

حدثنا أحمد بن يوسف الثعلبي، قال: ثنا أبو عبيدة، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: هي في حرف أبيّ بن كعب وابن مسعود: «وَلِيَقُولُوا دَرَسَ» قال يعني النبيّ ﷺ قرأ.

وإنما جاز أن يقال مرّة دَرَسَتْ، ومرّة دَرَس، فيخاطب مرّة ويخبر مرّة، من أجل القول.

وقد بينا أولى هذه القراءات في ذلك بالصواب عندنا، والدلالة على صحة ما اخترنا منها.

وأما تأويل قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما صرّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرّف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب، فينزجروا عن تكذيبهم إياه وتقوّلهم عليه الإفك والزور، ولنبين تصريفنا الآيات الحقّ لقوم يعلمون الحقّ إذا تبين لهم، فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه ﴿لا إله إلاَّ هُوَ﴾ يقول: لا معبود يستحقّ عليك إخلاص العبادة له إلا الله

الذي هو فالق الحبّ والنوى وفالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: ودع عنك جدالهم وخصومتهم. ثم نسخ ذلك جلّ ثناؤه بقوله في براءة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾... الآية. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، أما قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين، فإنه نسخ ذلك قوله: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: أعرض عن هؤلاء المشركين بالله، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابّتهم. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ يقول: لو أرادوا بك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئاً ولا آمنوا بك فاتبعوك وصدّقوا ما جئتهم به من الحقّ من عند ربك. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإنما بعثتك إليهم رسولاً مبلغاً، ولم نبعثك حافظاً عليهم ما هم عاملوه وتحصي ذلك عليهم، فإن ذلك إلينا دونك. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يقول: ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم، ولا بحفظهم فيما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ يقول سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به: ولا تسبّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسبّ المشركون الله جهلاً منهم بربهم واعتداء بغير علم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي

طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَسُبوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾ قال: قالوا: يا محمد لتنتهينّ عن سبّ آلهتنا أو لنهجونّ ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبّوا الله عَدْواً بغير علم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تَسُبوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾ كان المسلمون يسبون أوثان الكفار، فيردّون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسِبُّوا لربهم، فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تَسُبوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾ قال: لما حضر أبا طالب الموت، قالت قريش: انطلقوا بنا، فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحرث، وأمية وأُبَيّ ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البختريّ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب، قالوا: استأذن على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك، يريدون الدخول عليك. فأذن لهم، فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحبّ أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولنَدعَه وإلهه. فدعاه، فجاء النبيّ ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك. قال رسول الله ﷺ: «ما تُرِيدُونَ؟» قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك. قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك، فاقبل منهم فقال النبيّ ﷺ: «أرأيْتُمْ إنْ أعْطَيْتُكُمْ هَذَا هَلْ أنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إنْ تَكَلَّمْتُمْ بِها مَلَكْتُمُ العَرَبَ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِها العَجَمُ بالخَرَاجِ؟» قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟ قال: «قُولُوا: لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ» فَأَبَوْا واشمأزوا. قال أبو طالب: يا ابن أخي قل غيرها، فإن قومك قد فزعوا منها قال: «يا عَمِّ ما أنا بالَّذِي أقُولُ غيرَها حتى يأْتُوا بالشمْسِ فَيَضَعُوها فِي يَدِي، وَلَوْ أتَوْنِي بالشمْسِ فَوَضَعُوها فِي يَدِي ما قُلْت غيرَها». إرادة أن يؤيسهم. فغضبوا وقالوا: لتكفنّ عن شتمك آلهتنا، أو لنشتمنك ولنشتمنّ من يأمرك فذلك قوله ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسبّ الكفار الله عدواً بغير علم، فأنزل الله: ﴿وَلا تَسُبوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ﴾ قال: إذا سببت إلهه سبّ إلهك، فلا تسبوا آلهتهم.

وأجمعت الجمعة من قرّاء الأمصار على قراءة ذلك: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْم﴾ بفتح العين وتسكين الدال، وتخفيف الواو من قوله: ﴿عَدْوًا﴾ على أنه مصدر من قول القائل: عدا فلان على فلان: إذا ظلمه واعتدى عليه، يَعْدُو عَدْوًا وعدوّاً وعدواناً، والاعتداء: إنما هو افتعال من ذلك. رُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «عدوًّا» مشددة الواو.

حدثني بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن عثمان بن سعد: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عُدُوًّا﴾ مضمومة العين مثقلة.

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك: «فَيَسُبوا اللّهَ عَدُوّاً» يوجه تأويله إلى أنهم جماعة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلاَّ رَبَّ العالَمِينَ﴾، وكما قال: ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ﴾ ويجعل نصب «العدوّ» حينئذ على الحال من ذكر المشركين في قوله: ﴿فَيَسُبوا﴾. فيكون تأويل الكلام: ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله، فيسبّ المشركون الله أعداءً الله بغير علم. وإذا كان التأويل هكذا كان العدوّ من صفة المشركين ونعتهم، كأنه قيل: فيسبّ المشركون أعداء الله بغير علم، ولكن العدوّ لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال.

والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك، وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن، كذلك زينا لكلّ جماعة اجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذي هم عليه مجتمعون، ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون، يقول: فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا، ثم يجازيهم بها إن كان خيراً فخير وإن كان شرّاً فشرّ، أو يعفو بفضله ما لم يكن شركاً أو كفراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم، وذلك أوكد ما عقدوا عليه

من الأيمان وأصعبها وأشدّها: ﴿لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ يقول: قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدّق ما تقول يا محمد مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم. ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِها﴾ يقول: قالوا: لنصدقنّ بمجيئها بك، وأنك لله رسول مرسل، وأن ما جئتنا به حقّ من عند الله. وقيل: «ليؤمننّ بها»، فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجيء الآية. يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو القادر على إتيانكم بها دون كلّ أحد من خلقه. ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ﴾ يقول وما يدريكم ﴿أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾. وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من إيمانهم من مشركي قومه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها﴾ إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ سألت قريش محمداً ﷺ أن يأتيهم بآية، واستحلفهم ليؤمننّ بها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح: ﴿لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها﴾ ثم ذكر مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كلم رسولُ الله ﷺ قريشاً، فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة؟ فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدّقك فقال النبيّ ﷺ: «**أيُّ شَيْءٍ تُحِبونَ أنْ آتِيَكُمْ بِهِ؟**» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: «**فإنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي؟**» قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعون فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: لك ما شئت إن شئت أصبح ذهباً، ولئن أرسل آية فلم يصدّقوا عند ذلك لنعذّبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال: «**بَلْ يَتُوبَ تائِبُهُمْ**». فأنزل الله تعالى: ﴿وأقْسَمُوا باللهِ﴾... إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فقال بعضهم: خوطب بقوله: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ﴾ المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمننّ، وانتهى الخبر عند قوله: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَما يُشْعِرُكُمْ**﴾ قال: ما يدريكم. قال: ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَما يُشْعِرُكُمْ وما يدريكم**﴾ أنَّها إذَا جاءَتْ؟ قال: أوجب عليهم أنها إذا جاءت ﴿**لا يُؤْمِنُونَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن زيد يقول: إنما الآيات عند الله، ثم تستأنف فيقول: ﴿**أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَما يُشْعِرُكُمْ**﴾: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ثم استقبل يخبر عنهم فقال: ﴿**إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾.

وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف: «إنَّها» على أن قوله: «أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ» خبر مبتدأ منقطع عن الأوّل، وممن قرأ ذلك كذلك بعض قرّاء المكيين والبصريين.

وقال آخرون منهم: بل ذلك خطاب من الله نبيه ﷺ وأصحابه، قالوا: وذلك أن الذين سألوا رسول الله ﷺ أن يأتي بآية، المؤمنون به. قالوا: وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك أن المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت آمنوا، واتبعوا رسول الله ﷺ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: سل يا رسول الله ربك ذلك فسأل، فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك، قل للمؤمنين بك يا محمد: إنما الآيات عند الله، وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ففتحوا الألف من «أن». وممن قرأ ذلك كذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة، وقالوا: أدخلت «لا» في قوله: ﴿**لا يُؤْمِنُونَ**﴾ صلة، كما أدخلت في قوله: ﴿**ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ**﴾، وفي قوله: ﴿**وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ وإنما المعنى: وحرام عليهم أن يرجعوا، وما منعك أن تسجد.

وقد تأوّل قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من: ﴿**أنَّها**﴾ بمعنى: لعلها، وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبَيّ بن كعب. وقد ذُكر عن العرب سماعاً منها: اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئاً، بمعنى: لعلك تشتري وقد قيل: إن قول عديّ بن زيد العبادي:

أعــاذِلَ مــا يُــدْرِيــك أنَّ مَــنِــيَّــتِــي ... إلى ساعَةٍ فِي اليَوْمِ أوْ فِي ضُحَى الغَدِ[1]

---

(١) البيت في قصيدة له مطلعها: «أتعرف رسم الدار من أم معبد» أوردها صاحب شعراء النصرانية (ص ـ ٤٦٥) وفي البيت «ضحى غد» في موضع «ضحى الغد». والمنية: الموت.

بمعنى: لعلّ منيتي وقد أنشدوني بيت دُرَيد بن الصِّمة:

ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلادِ لأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[(١)]

بمعنى: لعلني. والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء: «لعلني أرى ما ترين». وقد أنشد أيضاً بيت توبة بن الحُمَيِّر:

لَعَلَّكَ يا تَيْساً نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَذِّبَ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا[(٢)]

«لَهَنَّكَ يا تيساً»، بمعنى: لأنك التي في معنى لعلك وأنشد بيت أبي النجم العجلي:

قُلْتُ لِشَيْبَانَ ادْنُ مِنْ لِقَائِهِ إنَا نُغَدِّي القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ[(٣)]

يعني: لعلنا نغدي القوم.

وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله، أعني قوله: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾، وأن قوله «أنها» بمعنى: «لعلها».

---

(١) هذا البيت من الطويل، وهو مركب من شطرين من بيتين مختلفين. فأما الشطر الأول فمن بيت لعروة بن الورد، أنشده ابن الأنباري في كتاب الإنصاف طبعة القاهرة (ص ـ ١٣٩)، وهو شاهد على أن لعلِ تجيء معها نون الوقاية قليلاً، وهو:

دَعِينِي أُطَوِّفُ فِي البِلادِ لَعَلَّنِي أُفِيدُ غِنَى فِي لِذِي الحَقِّ مَحْمِلُ

وأما البيت الثاني فهو قول حاتم الطائي يخاطب زوجته، وكانت تنهاه عن الإسراف في ماله، وهو:

أَرِينِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّداً

أنشده صاحب «اللسان» في (علل) مرتين، والثانية عن يعقوب بن السكيت وفيها «لأنني» في موضع «لعلني». وأوضح ابن بري ما قيل في نسبة البيت، فقال: ذكر أبو عبيدة أن هذا البيت لحطائط بن يعفر. وذكر الحوفي أنه لدريد. وهذا البيت في قصيدة لحاتم معروفة مشهورة. ا هـ. وانظره في شعر حاتم «شعر النصرانية» (ص ـ ١٢٠) وقال يعقوب بن السكيت، وهو من الكوفيين: وسمعت أبا الصقر ينشد: «أريني جواداً مات هزلاً لأنني». يريد أنها لغة في لعلني. و «الخلاصة»: أن رواية المؤلف للبيت تجمع شطراً من بيت عروة، وشطراً من بيت حاتم. فلتحرر.

(٢) المريرة: الحبل المفتول على أكثر من طاق واحد. ويقال: استمرت مريرته على كذا: إذا استحكم أمره عليه، وقويت شكيمته فيه.

(٣) البيتان لأبي النجم العجلي الراجز المشهور في العصر الأموي، وهما من مشطور الرجز، أوردهما ابن قتيبة في كتابه «المعاني الكبير» طبع الهند (ص ـ ٣٦٣)، وأورده قبلهما كثيراً من أبيات الأرجوزة، في «صحائف متفرقة». ورواية البيت الثاني فيه: «كما نغدى» في موضع: «إنا نغدى»..... الخ. ثم قال بعده: شيبان: ابنه. قلت له: اركب في طلبه: (الظليم)، كما: بمعنى كيما يقول، كيما نصيده، فتغذى القوم به مشوياً، وأورده بهذه الرواية نفسها البغدادي في «الخزانة» (٣/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) شاهداً على أن «كما» بمعنى «كيما»، تحت الكلام على الشاهد ال (٦٥٧) وهو: «لا تظلموا الناس كما لا تظلموا».

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة في قرّاء الأمصار بالياء من قوله: ﴿**لا يُؤْمِنُونَ**﴾ ولو كان قوله: ﴿**وَما يُشْعِرُكُمْ**﴾ خطاباً للمشركين، لكانت القراءة في قوله: ﴿**لا يُؤْمِنُونَ**﴾ بالتاء، وذلك وإن كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك، فقراءة خارجة عما عليه قرّاء الأمصار، وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها وشذوذها.

وإنما معنى الكلام: وما يدريكم أيها المؤمنون لعلّ الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجَلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخَّروا به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أوّل مرّة، لأن الله حال بينهم وبين ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأبْصارَهُمْ كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوَّلَ مَرَّة**﴾... الآية، قال: لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ورُدّت عن كلّ أمر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَنُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصارَهُمْ**﴾ قال: نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أوّل مرّة. وقرأ: ﴿**كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوَّلَ مَرَّة**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**وَنُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصارَهُمْ**﴾ قال: نحول بينهم وبين الإيمان، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أوّل مرّة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو ردّوا من الآخرة إلى الدنيا، فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك، فلم يؤمنوا في الدنيا. قالوا: وذلك نظير قوله: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل

أن يعملوه، قال: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً فأكُونَ مِنَ المُحْسِنينَ يقول: من المهتدين. فأخبر الله سبحانه، أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصَارَهُمْ كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال: لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أوّل مرّة وهم في الدنيا.

وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها، أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرّفها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء ويزيغه إذا أراد، وأنّ قوله: ﴿كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل على محذوف من الكلام، وأن قوله «كما» تشبيه ما بعده بشيء قبله. وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحقّ ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرّة قبل ذلك. وإذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله: ﴿كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ كناية ذكر التقليب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها عند مجيئها في تمرّدهم على الله واعتدائهم في حدوده، يتردّدون لا يهتدون لحقّ ولا يبصرون صواباً، قد غلب عليهم الخذلان واستحوذ عليهم الشيطان.

محتوى الجزء السابع من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٢	لتجدنّ أشدّ الناس عداوة	٥
٨٣	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول	٩
٨٤	وما لنا لا نؤمن بالله	١١
٨٥	فأثابهم الله بما قالوا جنات	١٢
٨٦	والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا	١٢
٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات	١٢
٨٨	وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً	١٧
٨٩	لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم	١٨
٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر	٤٠
٩١	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم	٤١
٩٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	٤٤
٩٣	ليس على الذين آمنوا	٤٥
٩٤	يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله	٤٨
٩٥	يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد	٤٩
٩٦	أحلّ لكم صيد البحر وطعامه	٧٦
٩٧	جعل الله الكعبة البيت الحرام	٩١
٩٨	اعلموا أن الله شديد العقاب	٩٥
٩٩	ما على الرسول إلا البلاغ	٩٥
١٠٠	قل لا يستوي الخبيث والطيب	٩٥
١٠١	يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا	٩٦
١٠٢	قد سألها قوم من قبلكم	١٠٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٣	ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة	١٠٣
١٠٤	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله	١١١
١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم	١١٢
١٠٦	يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم	١١٩
١٠٧	فإن عثر على أنهما استحقا إثماً	١٣٣
١٠٨	ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة	١٤٥
١٠٩	يوم يجمع الله الرسل فيقول	١٤٧
١١٠	إ قال الله يا عيسى ابن مريم	١٥٠
١١١	وإذ أوحيت إلى الحواريين	١٥١
١١٢	إذ قال الحواريون يا عيسى	١٥٢
١١٣	قالوا نريد أن نأكل منها	١٥٥
١١٤	قال عيسى ابن مريم اللهمّ ربنا	١٥٥
١١٥	قال الله إني منزلها عليكم	١٦٠
١١٦	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم	١٦١
١١٧	ما قلت لهم إلا ما أمرتني به	١٦٣
١١٨	إن تعذّبهم فإنهم عبادك	١٦٥
١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين	١٦٥
١٢٠	لله ملك السموات والأرض	١٦٧

سورة الأنعام

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الحمد لله خلق السموات	١٦٨
٢	هو الذي خلقكم من طين	١٧١
٣	وهو الله في السموات وفي الأرض	١٧٤
٤	وما تأتيهم من آية من آيات ربهم	١٧٥
٥	فقد كذبوا بالحق لما جاءهم	١٧٥
٦	ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم	١٧٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس	١٧٦
٨	وقالوا لولا أنزل عليه ملك	١٧٧
٩	ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً	١٧٨
١٠	ولقد استهزىء برسل من قبلك	١٨٠
١١	قل سيروا في الأرض ثم انظروا	١٨١
١٢	قل لمن ما في السموات والأرض	١٨١
١٣	وله ما سكن في الليل والنهار	١٨٥
١٤	قل أغير الله أتخذ ولياً	١٨٦
١٥	قل إني أخاف إن عصيت ربي	١٨٧
١٦	من يصرف عنه يومئذٍ فقد رحمه	١٨٨
١٧	وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له	١٨٨
١٨	وهو القاهر فوق عباده	١٨٩
١٩	قل أيّ شيء أكبر شهادة	١٨٩
٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه	١٩٢
٢١	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	١٩٣
٢٢	ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول	١٩٣
٢٣	ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا	١٩٤
٢٤	انظر كيف كذبوا على أنفسهم	١٩٦
٢٥	ومنهم من يستمع إليك	١٩٨
٢٦	وهم ينهون عنه وينأون عنه	٢٠١
٢٧	ولو ترى إذ وقفوا على النار	٢٠٤
٢٨	بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل	٢٠٦
٢٩	وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا	٢٠٧
٣٠	ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم	٢٠٧
٣١	قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله	٢٠٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٢	وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو	٢١٠
٣٣	قد نعلم إنه ليحزنك	٢١١
٣٤	ولقد كذّبت رسل من قبلك	٢١٣
٣٥	وإن كان كبر عليك إعراضهم	٢١٤
٣٦	إنما يستجيب الذين يسمعون	٢١٦
٣٧	وقالوا لولا نزل عليه آية	٢١٧
٣٨	وما من دابة في الأرض	٢١٨
٣٩	والذين كذّبوا بآياتنا صمّ وبكم	٢٢١
٤٠	قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله	٢٢٢
٤١	بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون	٢٢٣
٤٢	ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك	٢٢٣
٤٣	فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا	٢٢٤
٤٤	فلما نسوا ما ذكروا به	٢٢٥
٤٥	فقطع دابر القوم الذين ظلموا	٢٢٨
٤٦	قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم	٢٢٩
٤٧	قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله	٢٣٠
٤٨	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين	٢٣١
٤٩	والذين كذّبوا بآياتنا يمسهم	٢٣١
٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله	٢٣١
٥١	وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا	٢٣٢
٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم	٢٣٣
٥٣	وكذلك فتنا بعضهم ببعض	٢٣٩
٥٤	وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا	٢٤٠
٥٥	وكذلك نفصل الآيات	٢٤٣
٥٦	قب إني نهيت أن أعبد	٢٤٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٧	قل إني على بينة من ربي	٢٤٤
٥٨	قل لو أن عندي ما تستعجلون	٢٤٦
٥٩	وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو	٢٤٦
٦٠	وهو الذي يتوفاكم بالليل	٢٤٨
٦١	وهو القاهر فوق عباده	٢٥٠
٦٢	ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق	٢٥٣
٦٣	قل من ينجيكم من ظلمات البرّ	٢٥٤
٦٤	قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب	٢٥٤
٦٥	قل هو القادر على أن يبعث عليكم	٢٥٥
٦٦	وكذّب به قومك وهو الحقّ	٢٦٣
٦٧	لكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون	٢٦٣
٦٨	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا	٢٦٤
٦٩	وما على الذين يتقون	٢٦٦
٧٠	وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً	٢٦٧
٧١	قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا	٢٧٢
٧٢	وأن أقيموا الصلاة واتقوه	٢٧٦
٧٣	وهو الذي خلق السموات	٢٧٧
٧٤	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر	٢٨١
٧٥	وكذلك نرى إبراهيم ملكوت	٢٨٣
٧٦	فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً	٢٨٧
٧٧	فلما رأى القمر بازغاً	٢٩١
٧٨	فلما رأى الشمس بازغة	٢٩١
٧٩	إني وجهت وجهي	٢٩١
٨٠	وحاجه قومه قال أتحاجوني	٢٩٢
٨١	وكيف أخاف ما أشركتم	٢٩٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم	٢٩٤
٨٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم	٣٠٠
٨٤	ووهبنا له إسحاق ويعقوب	٣٠١
٨٥	وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس	٣٠٢
٨٦	وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً	٣٣
٨٧	ومن آبائهم وذرّياتهم	٣٠٤
٨٨	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء	٣٠٥
٨٩	أولئك الذين آتيناهم الكتاب	٣٠٥
٩٠	أولئك الذين هدى الله	٣٠٨
٩١	وما قدروا الله حقّ قدره	٣٠٩
٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك	٣١٤
٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	٣١٥
٩٤	ولقد جئتمونا فرادى	٣٢١
٩٥	إن الله فالق الحبّ والنوى	٣٢٥
٩٦	فالق الإصباح وجعل الليل سكناً	٣٢٧
٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم	٣٣١
٩٨	وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة	٣٣٢
٩٩	وهو الذي أنزل من السماء ماء	٣٣٩
١٠٠	وجعلوا لله شركاء الجنّ	٣٤٤
١٠١	بديع السموات والأرض	٣٤٧
١٠٢	ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو	٣٤٧
١٠٣	لا تدركه الأبصار	٣٤٨
١٠٤	قد جاءكم بصائر من ربكم	٣٥٣
١٠٥	وكذلك نصرّف الآيات	٣٥٤
١٠٦	اتبع ما أوحي إليك من ربك	٣٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٧	ولو شاء الله ما أشركوا	٣٥٨
١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	٣٥٩
١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	٣٦١
١١٠	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم	٣٦٥

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثامن

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٦ ـ سورة الأنعام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين لك: لئن جئتنا بآية لنؤمننّ لك، فإننا لو ﴿**نَزَّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ**﴾ حتى يروها عياناً ﴿**وكَلَّمَهُمُ المَوْتَى**﴾ بإحيائنا إياهم حجة لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقّ من عند الله ﴿**وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فجعلناهم لك ﴿**قُبُلاً**﴾ ما آمنوا ولا صدّقوك، ولا اتبعوك ﴿**إلاَّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ**﴾ ذلك لمن شاء منهم، ﴿**وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾ يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته.

وقيل: إن ذلك نزل في المستهزئين برسول الله ﷺ، وما جاء به من عند الله، من مشركي قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبيّ ﷺ الآية، فقال: قل: يا محمد إنما الآيات عند الله، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، ونزل فيهم: ﴿**وَلَوْ أنَّنا نَزَّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً**﴾.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿**ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا**﴾ يراد به أهل الشقاء، وقيل: ﴿**إلاَّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ**﴾ فاستثنى ذلك من قوله: ﴿**لِيُؤْمِنُوا**﴾ يراد به أهل الإيمان والسعادة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا**﴾ وهم أهل الشقاء، ثم قال: ﴿**إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ**﴾ وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس، لأن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ﴿**ما كانُوا لِيُؤْمِنوا**﴾ القوم الذين تقدّم ذكرهم في قوله: ﴿**وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها**﴾. وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج: إنهم عنوا بهذه الآية، ولكن لا دلالة في ظاهر التنزيل على ذلك، ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك. والخبر من الله خارج مخرج العموم، فالقول بأن ذلك عُني به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً**﴾ فقرأته قرّاء أهل المدينة: «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى معاينة، من قول القائل: لقيته قِبَلاً: أي معاينة ومجاهرة. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين: ﴿**وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً**﴾ بضم القاف والباء.

وإذا قرىء كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون القُبُل: جمع قَبِيل كالرُّغُف التي هي جمع رغيف، والقُضُب التي هي جمع قضيب، ويكون القُبُل: الضمناء والكفلاء، وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام: وحشرنا عليهم كلّ شيء كفلاء يكفلون لهم بأن الذي نعدُهم على إيمانهم بالله إن آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم، ما آمنوا إلا أن يشاء الله.

والوجه الآخر: أن يكون «القُبُل» بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل: أتيتك قُبُلاً لا دُبُراً، إذا أتاه من قِبَل وجهه.

والوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كلّ شيء قبيلة قبيلة، صنفاً صنفاً، وجماعة جماعة. فيكون القُبُل حينئذٍ جمع قَبيل، الذي هو جمع قبيلة، فيكون القُبل جمع الجمع. وبكلّ ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال: معنى ذلك: معاينة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً**﴾ يقول: معاينة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ حتى يعاينوا ذلك معاينة ﴿ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ﴾.

ذكر من قال: معنى ذلك: قبيلة قبيلة صنفاً صنفاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن يزيد، من قرأ: ﴿قُبُلاً﴾ معناه: قبيلاً قبيلاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿قُبُلاً﴾ أفواجاً، قبيلاً قبيلاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أحمد بن يونس، عن أبي خيثمة، قال: ثنا أبان بن تغلب، قال: ثني طلحة أن مجاهداً قرأ في الأنعام: ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ قال: قبائل، قبيلاً وقبيلاً وقبيلاً. ذكر من قال: معناه: مقابلة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ أنَّنا نَزَّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ يقول: لو استقبلهم ذلك كله لَمْ يُؤْمِنُوا إلاَّ أنْ يَشاءَ اللّهُ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ قال: حشروا إليهم جميعاً، فقابلوهم وواجهوهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن يزيد، قرأ عيسى: ﴿قُبُلاً﴾ ومعناه: عياناً.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ: ﴿وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ بضمّ القاف والباء، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بينا من المعاني، وأن معنى القِبَلِ داخل فيه، وغير داخل في القِبَلِ معاني القُبُل. وأما قوله: ﴿وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ﴾ فإن معناه: وجمعنا عليهم، وسقنا إليهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسلِّيه بذلك عما لقي من كفرة قومه في

ذات الله، وحاثّاً له على الصبر على ما نال فيه: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يقول: وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ﴾ ليصدّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك، والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات، يقول: فهذا الذي امتحنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أُولي العزم منهم من غيرهم يقول: فاصبر أنت كما صبر أُولو العزم من الرسل. وأما شياطين الإنس والجنّ فإنهم مردتهم. وقد بيّنا الفعل الذي منه بني هذا الاسم بما أغنى عن إعادته. ونصب العدوّ والشياطين بقوله: ﴿جَعَلْنا﴾.

وأما قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾ فإنه يعني: أنه يُلقي الملقي منهم القول الذي زيّنه وحسّنه بالباطل إلى صاحبه، ليغترّ به من سمعه، فيضلّ عن سبيل الله.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ﴾ فقال بعضهم: معناه: شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجنّ التي مع الجنّ وليس للإنس شياطين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوّاً شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ﴾ أما شياطين الإنس: فالشياطين التي تضلّ الإنس، وشياطين الجنّ الذين يضلون الجنّ يلتقيان فيقول كلّ واحد منهما: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا، فيُعلم بعضُهم بعضاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو نعيم، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة: ﴿شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ﴾ قال: ليس في الإنس شياطين ولكن شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجنّ.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن السديّ، في قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾ قال: للإنسان شيطان، وللجنيّ شيطان، فيَلْقَى شيطان الإنس شيطان الجنّ فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

قال أبو جعفر: جعل عكرمة والسديّ في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ أولاد إبليس دون أولاد آدم، ودون الجنّ، وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول غروراً، وِلْدَ إبليس، وأن

مَنْ مع ابن آدم من ولد إبليس يوحي إلى من مع الجنّ من ولده زخرف القول غروراً. وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم، فكلّ ولده لكلّ ولده عدوّ. وقد خصّ الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السديّ، الذين هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداءً وجهٌ. وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم، ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه معنيّ به أنه جعل مردة الإنس والجنّ لكلّ نبيّ عدوّاً يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن حميد بن هلال، قال: ثني رجل من أهل دمشق، عن عوف بن مالك، عن أبي ذرّ: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذرّ، هَلْ تَعَوَّذْتَ باللّهِ مِنْ شَرّ شَياطِينِ الإنْسِ والجِنّ؟» قال: قلت: يا رسول الله، هل للإنس من شياطين؟ قال: «نَعَمْ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة، عن ابن عائذ، عن أبي ذرّ، أنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس، قال: فقال: «يا أبا ذَرّ، هَلْ صَلَّيْتَ؟» قال: قلت: لا يا رسول الله، قال: «قُمْ فارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ». قال: ثم جئت فجلست إليه، فقال: «يا أبا ذَرّ هَلْ تَعَوَّذْتَ بالله مِنْ شَرّ شَياطِين الإنْس والجِنّ؟» قال: قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نَعَمْ، شَرّ مِنْ شَياطِين الجِنّ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني أن أبا ذرّ قام يوماً يصلي، فقال له النبيّ ﷺ: «تَعَوَّذْ يا أبا ذَرّ مِنْ شَياطِين الإنْس والجِنّ» فقال: يا رسول الله: أوَ إنّ من الإنس شياطين؟ قال: «نعم».

وقال آخرون في ذلك بنحو الذي قلنا من ذلك إنه إخبار من الله أنَّ شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿شَياطِينَ الإنْس والجِنّ﴾ قال: من الجنّ شياطين، ومن الإنس شياطين يوحي بعضهم إلى بعض. قال قتادة: بلغني أن أبا ذرّ كان يوماً يصلي، فقال له النبيّ ﷺ: «تَعَوَّذْ يا

أبا ذَرّ مِنْ شَياطِين الإنْسِ والجِنّ» فقال: يا نبيّ الله، أو إنّ من الإنس شياطين؟ فقال النبيّ ﷺ: «نَعَمْ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدوّاً شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ﴾**... الآية، ذكر لنا أبا ذرّ قام ذات يوم يصلي، فقال له نبي الله: «تَعَوَّذْ بالله مِنْ شَياطِينَ الجِنّ والإنْس» فقال: يا نبيّ الله أو للإنس شياطين كشياطين الجنّ؟ قال: «نَعَمْ، أوَ كَذَبْتُ عَلَيْهِ؟».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسن، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: **﴿وكذلكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدوّاً شَياطِينَ الإنْس والجِنّ﴾** فقال: كفار الجنّ شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غروراً.

وأما قوله: **﴿زخْرُفَ القَوْل غُروراً﴾** فإنه المزين بالباطل كما وصفت قبل، يقال منه: زخرف كلامه وشهادته إذا حسن ذلك بالباطل ووشّاه. كما:

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبو نعيم، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة قوله: **﴿زخْرُفَ القَوْل غُروراً﴾** قال: تزيين الباطل بالألسنة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما الزخرف، فزخرفوه: زيَّنوهُ.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿زُخْرُفَ القَوْل غُرُوراً﴾** قال: تزيين الباطل بالألسنة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿زُخْرَفَ القَوْل غُرُوراً﴾** يقول: حسَّن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم في فتنتهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿زُخْرُفَ القَوْل غُرُوراً﴾** قال: الزخرف: المزيَّن، حيث زيَّن لهم هذا الغرور، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه لمن الناصحين. وقرأ: **﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾** قال: ذلك الزخرف.

وأما الغرور: فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصده عن الصواب إلى الخطأ ومن الحقّ إلى الباطل. وهو مصدر من قول القائل: غررت فلاناً بكذا وكذا، فأنا أغرُّه غروراً وغرّاً. كالذي:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿غُروراً﴾ قال: يغرّون به الناس والجنّ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ﴾:

يقول تعالى ذكره: ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم فعلت ذلك، ولكني لم أشأ ذلك لأبتلي بعضهم ببعض فيستحقّ كلّ فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يقول: فدعهم، يعني الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجنّ، ﴿وَما يَفْتَرُونَ﴾ يعني: وما يختلقون من إفك وزور، يقول له ﷺ: اصْبر عَلَيْهِمْ فإنّي مِنْ وَرَاءِ عِقابِهِمْ على افْتِرَائِهِمْ على اللّهِ وَاخْتِلاقِهِمْ عَلَيْهِ الكَذِبَ والزُّورَ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾ ﴿وَلِتَصْغَى إلَيْهِ﴾** يقول جلّ ثناؤه: يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيَّن من القول بالباطل، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء، فيفتنوهم عن دينهم **﴿وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾** يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. وهو من صغوتَ تَصْغَى وتَصْغُو، والتنزيل جاء بتَصْغَى صَغْواً وصُغُوًّا، وبعض العرب يقول صَغَيْت بالياء حُكي عن بعض بني أسد: صَغَيْتُ إلى حديثه، فأنا أصْغَى صُغِيًّا بالياء، وذلك إذا ملت، يقال: صَغْوِي معك: إذا كان هواك معه وميلك، مثل قولهم: ضِلَعِي معك، ويقال: أصغيت الإناء: إذا أملته ليجتمع ما فيه، ومنه قول الشاعر:

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ وَفِيهِ إلى التَّشْبِيهِ إصْغاءُ[1]

(١) البيت أنشده صاحب «**اللسان**»: صغا، ولم ينسبه، وقال: أنشد ابن بري شاهداً على الإصغاء بالسمع لشاعر: ترى... البيت. وقال مصححه في هامشه: ولعلها وفيه إلى التسفيه ا هـ.

وقد أورده القرطبي في تفسيره (٧/ ٦٩) كرواية المؤلف وفيه «مكرمة» في مكان «محكمة». ولعل كلمة «التشبيه» في البيت بمعنى التخليط. قال في «**تاج العروس**» «وشبه عليه الأمر تشبيها: لبس عليه وخلط». يريد أن السفيه لا يعنيه السماع للكلام الواضح الذي لا لبس فيه، وإنما همه الإصغاء إلى الكلام المختلط، الذي يلبس الأمور على من يسمعه، ويوقعه في الشبهة والحيرة.

ويقال للقمر إذا مال للغيوب: صَغَا وأصْغَى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ﴾ يقول: تزيغ إليه أفئدة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْه أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾ قال: لتميل.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾ يقول: تميل إليه قلوب الكفار ويحبونه ويرضون به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾ قال: ولتصغى: وليهووا ذلك وليرضوه، قال: يقول الرجل للمرأة: أصغَيْتُ إليها: هويتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون. حُكي عن العرب سماعاً منها: خرج يقترف لأهله، بمعنى يكسب لهم، ومنه قيل: قارف فلان هذا الأمر: إذا واقعه وعمله. وكان بعضهم يقول: هو التهمة والادّعاء، يقال للرجل: أنت قرفتني: أي اتهمتني، ويقال: بئسما اقترفت لنفسك. وقال رؤبة:

أعْيَا اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِ   تَقْوَى التَّقِيِّ وَعِفَّةَ العَفِيفِ[١]

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ وليكتسبوا ما هم مكتسبون.

---

(١) لم أجد هذين البيتين في ديوان رؤبة، مع أن له أرجوزة على هذه القافية. ولم أجده في ديوان أبيه العجاج، ولا في ملحقاتهما. وقرف الذنب وغيره يقرفه قرفاً واقترفه: اكتسبه. والاقتراف: اكتساب. وقرفه بكذا: أي أضافه إليه، واتهمه به واقترف المال: اقتناه «اللسان» قرف.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾** قال: ليعملوا ما هم عاملون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾** قال: ليعملوا ما هم عاملون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، القائلين لك كفّ عن آلهتنا ونكفّ عن إلهك: إن الله قد حكم عليّ بذكر آلهتكم بما يكون صدّاً عن عبادتها، **﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغي حَكَماً﴾** أي قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه. **﴿وهُوَ الّذي أنْزَلَ إلَيْكُمُ الكِتابَ مُفَصَّلاً﴾** يعني: القرآن مفصلاً، يعني مبيناً فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم. وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبك بالحَقّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيدَ الله، وأشركوا معه الأنداد، وجحدوا ما أنزلته إليك، وأنكروا أن يكون حقّاً، وكذّبوا به. فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والإنجيل من بني إسرائيل، **﴿يَعْلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾** يعني: القرآن وما فيه **﴿بالحَقِّ﴾** يقول: فصلاً بين أهل الحقّ والباطل، يدلّ على صدق الصادق في علم الله، وكذب الكاذب المفتري عليه. **﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾** يقول: فلا تكوننّ يا محمد من الشاكين في حقية الأنباء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمّنه، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحقّ. وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله: **﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾** بِمَا أغْنَى عن إعادته مع الرواية المروية فيه. وقد:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: **﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾** يقول: لا تكوننّ في شكّ مما قصصنا عليك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكملت كلمة ربك، يعني القرآن. سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان. ﴿**صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾ يقول: كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة، كما يقال: عندي عشرون درهماً. ﴿**لا مُبَدِّلَ لِكَلَماتِهِ**﴾ يقول: لا مغيِّر لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه. وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه: ﴿**يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ**﴾ فكانت إرادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبيّ الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين: ﴿**ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ**﴾ بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم تعالى ذكره في كتابه بقوله: ﴿**فإنْ رَجَعَكَ اللّهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فاسْتأذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً...**﴾ الآية، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبيّ الله في غزاة، ولن يقاتلوا معه عدوّاً بقولهم لهم: ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: يريدون أن يبدّلوا بمسألتهم إياهم ذلك كلام الله وخبره: ﴿**قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ**﴾. فكذلك معنى قوله: ﴿**لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ**﴾ إنما هو: لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه، على ما أخبر جلّ ثناؤه لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها وذلك أن اليهود والنصارى لا شكّ أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، وقد أخبر جلّ ثناؤه أنهم يحرّفون غير الذي أخبر أنه لا مبدّل له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّك صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ**﴾ يقول: صدقاً وعدلاً فيما حكم.

وأما قوله: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ فإن معناه: والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله، المقسمون بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها، وغير ذلك من كلام خلقه، العليم بما تؤول إليه أيمانهم من برّ وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم، وأهلّوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال، فإنك

إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله ومحجة الحقّ والصواب فيصدّوك عن ذلك. وإنما قال الله لنبيه: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ من بني آدم، لأنهم كانوا حينئذٍ كفاراً ضلالاً، فقال له جلّ ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم، فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ فأخبر جلّ ثناؤه أنهم من أمرهم على ظنّ عند أنفسهم، وحسبان على صحة عزم عليه وإن كان خطأ في الحقيقة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يقول: ما هم إلا متخرّصون يظنون ويوقعون حزراً لا يقين علم، يقال منه: خَرَصَ يَخْرُصُ خَرْصاً وخِرْصاً: أي كذب وتخرّص بظنّ وتخرّص بكذب، وخرصتُ النخل أخْرُصُه، وخَرِصتْ إبلك: أصابها البرد والجوع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان، لئلا يضلوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه، أيّ خلقه يضلّ عن سبيله بزخرف القول الذي يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض، فيصدّوا عن طاعته واتباع ما أمر به. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ﴾ يقول: وهو أعلم أيضاً منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد. يقول: واتبع يا محمد ما أمرتك به، وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضلّ من خلقي منك.

واختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾. فقال بعض نحويي البصرة: موضعه خفض بنية الباء، قال: ومعنى الكلام: إن ربك هو أعلم بمن يضلّ. وقال بعض نحويي الكوفة: موضعه رفع، لأنه بمعنى أيّ، والرافع له «يضلّ».

والصواب من القول في ذلك: أنه رفع بـ«يضلّ» وهو في معنى أيّ. وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيراً. وقد زعم بعضهم أن قوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ في هذا الموضع بمعنى «يعلم»، واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائي:

فحالَفَتْ طَيِّىءٌ مِنْ دونِنا حِلِفاً ... واللّهُ أعلمُ ما كُنا لَهُمْ خُذُلا[1]

(١) لم أجد في ديوان حاتم المطبوع، وحالفت: عاهدت. والحلف بكسر الحاء وسكون اللام: العهد والميثاق، حرك لامه بالكسر للشعر. وخذلا: جمع خذول للرجل والمرأة، لأنه بمعنى خاذل، وهو تارك النصرة والعون.

وبقول الخنساء:

القَوْمُ أعْلَمُ أنَّ جَفْنَتَهُ ... تَغْدُو غَداةَ الريحِ أوْ تَسْرِي[(١)]

وهذا الذي قاله قائل هذا التأويل وإن كان جائزاً في كلام العرب فليس قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ منه، وذلك أنه عطف عليه بقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فأبان بدخول الباء في «المهتدين» أن أعلم ليس بمعنى يعلم، لأن ذلك إذ كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء، كما لا يقال هو يعلم بزيد، بمعنى يعلم زيداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وعباده المؤمنين به وبآياته: فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بينت لكم أنه تحلّ به الذبيحة لكم، وذلك ما ذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحقّ، أو ذبحه من دان بتوحيدي من أهل الكتاب، دون ما ذبحه أهل الأوثان ومن لا كتاب له من المجوس. ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم بحجج الله التي أتتكم وإعلامه بإحلال ما أحللت لكم وتحريم ما حرّمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدّقين، ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غروراً. كان عطاء يقول في ذلك ما:

حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح، وكلّ شيء يدلّ على ذكره يأمر به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾.

اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويل قوله: ﴿وَما لَكُمْ أَنْ لا تَأْكُلُوا﴾ فقال بعض

---

(١) البيت في «**أنيس الجلساء**»، في شرح ديوان الخنساء، للأب لويس شيخو طبع بيروت سنة ١٨٩٦ (ص - ١٠٤) وقال في شرحه (م): لأنه أطعمهم ونحر لهم، فهو أعلم. تغدو: أي تغدو عليهم نهاراً. أو تسرى: أي ليلاً. وفي (ح، ب): الحي يعلم. و(مم): القوم يعلم.

نحويي البصريين: معنى ذلك: وأيّ شيء لكم في أن لا تأكلوا؟! قال: وذلك نظير قوله: ﴿وَما لَنا أَنْ لا نُقاتِلَ﴾ يقول: أيّ شيء لنا في ترك القتال؟ قال: ولو كانت «لا» زائدة لا يقع الفعل، ولو كانت في معنى: وما لنا وكذا، لكانت: وما لنا وأن لا نقاتل. وقال غيره: إنما دخلت «لا» للمنع، لأن تأويل «ما لك»، و«ما منعك» واحد، ما منعك لا تفعل ذلك؟ وما لك لا تفعل؟ واحد، فلذلك دخلت «لا». قال: وهذا الموضع تكون فيه «لا» وتكون فيه «أن» مثل قوله: يُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا و«أن لا تضلّوا»: يمنعكم من الضلال بالبيان.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى قوله: ﴿وَما لَكُمْ﴾ في هذا الموضع: وأيّ شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وذلك أن الله تعالى ذكره تقدّم إلى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة، وتحريم ما أهلّ به لغيره من الحيوان، وزجرهم عن الإصغاء لما يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض من زخرف القول في الميتة، والمنخنقة، والمتردية، وسائر ما حرّم الله من المطاعم. ثم قال: وما يمنعكم من أكل ما ذبح بديني الذي ارتضيته، وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تَطعمون، وبينته لكم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلحمُ الخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غيرَ مُتَجانِفٍ لإثْم﴾ فلا لبس عليكم في حرام ذلك من حلاله، فتمتنعوا من أكل حلاله حذراً من مواقعة حرامه. فإذ كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأوّلي ذلك: وأيّ شيء لكم في أن لا تأكلوا، لأن ذلك إنما يقال كذلك لمن كان كفّ عن أكله رجاء ثواب بالكفّ عن أكله، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ فكفّ اتباعاً لأمر الله وتسليماً لحكمه، ولا نعلم أحداً من سلف هذه الأُمة كفّ عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك، واعتقاداً منه أن الله حرّمه عليه. فبَيِّنٌ بذلك إذ كان الأمر كما وصفنا أن أولى التأويلين في ذلك بالصواب ما قلنا.

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله: «فصّل»، و«فصلنا» و«فُصِّل»: بيَّن، أو بُيِّن، بما يغني عن إعادته في هذا الموضع. كما:

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: قد بَيَّن لكم ما حرّم عليكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد مثله.

واختلفت القرّاء في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من «فصّل» و«حَرّم»: أي فصَّل ما حرّمه من مطاعمكم، فبينه لكم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بفتح فاء فصَّل وتشديد صاده، «ما حُرِّم» بضم حائه وتشديد رائه، بمعنى: وقد فصَّل الله لكم المحرّم عليكم من مطاعمكم. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض

البصريين: «وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ» بضمّ فائه وتشديد صاده «ما حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» بضمّ حائه وتشديد رائه، على وجه ما لم يسمّ فاعله في الحرفين كليهما. ورُوِي عن عطية العوفي أنه كان يقرأ ذلك: «وَقَدْ فَصَلَ» بتخفيف الصاد وفتح الفاء، بمعنى: وقد أتاكم حكم الله فيما حرِّم عليكم.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن كلّ هذه القراءات الثلاث التي ذكرناها سوى القراءة التي ذكرنا عن عطية قراءات معروفة مستفيضة القراءة بها في قرّاء الأمصار، وهن متفقات المعاني غير مختلفات، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب فيه الصواب.

وأما قوله: ﴿إلاَّ ما اضْطُرِرتُمْ إلَيْهِ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التي بيَّن تحريمها لنا في غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا إليه مضطرّين، حتى تزول الضرورة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إلاَّ ما اضْطُرِرْتُمْ إلَيْهِ﴾ من الميتة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بأهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بالمُعْتَدِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وإنَّ كَثِيراً﴾ من الناس الذين يجادلونكم في أكل ما حرّم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ أتباعهم ﴿بأهْوَائِهِمْ بغير عِلْم﴾ منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوباً منهم لأهوائهم، واتباعاً منهم لدواعي نفوسهم، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين. ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بالمُعْتَدِينَ﴾ يقول: إن ربك يا محمد الذي أحلّ لك ما أحلّ وحرّم عليك ما حرّم هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها، وهو لهم بالمرصاد.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ فقرأته عامة أهل الكوفة: ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ بمعنى: أنهم يضلون غيرهم. وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين: «لَيَضِلُّونَ» بمعنى: أنهم هم الذين يضلون عن الحقّ فيجورون عنه.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءة من قرأ: ﴿وإنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بأهْوَائِهِمْ﴾ بمعنى: أنهم يضلون غيرهم، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ عن إضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يدعونه إليه، فقال: ﴿وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه، فقال لهم: ﴿وَإنَّ كَثِيراً﴾ منهم ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ كم ﴿بأهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ﴾ نظير الذي قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: ودعوا أيها الناس علانية الإثم وذلك ظاهره، وسرّه وذلك باطنه. كذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** أي قليله وكثيره وسرّه وعلانيته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** قال: سرّه وعلانيته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله: **﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** يقول: سره وعلانيته، وقوله: **﴿ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** قال: سرّه وعلانيته.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس في قوله: **﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** قال: نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يُعمل به سرّاً، أو علانية، وذلك ظاهره وباطنه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** معصية الله في السرّ والعلانية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: **﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾** قال: هو ما ينوي مما هو عامل.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالظاهر من الإثم والباطن منه في هذا الموضع، فقال بعضهم: الظاهر منه: ما حرّم جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾**، قوله: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمّهاتُكُمْ...﴾** الآية، والباطن منه الزنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن

سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾ قال: الظاهر منه: ﴿لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾ والأمهات، والبنات والأخوات. والباطن: الزنا.

وقال آخرون: الظاهر: أُولات الرايات من الزواني. والباطن: ذوات الأخدان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾ أما ظاهره: فالزواني في الحوانيت. وأما باطنه: فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرّاً.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثني عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ﴾ كان أهل الجاهلية يستسرّون بالزنا، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرّاً، فحرّم الله السرّ منه والعلانية. ما ظهر منها: يعني العلانية، وما بطن: يعني السرّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي مكين وأبيه، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿لا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ قال: ما ظهر منها: الجمع بين الأُختين، وتزويج[1] الرجل امرأة أبيه من بعده. وما بطن: الزنا.

وقال آخرون: الظاهر: التعرّي والتجرّد من الثياب وما يستر العورة في الطواف. والباطن: الزنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ قال: ظاهره العُرْيَةُ التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت. وباطنه: الزنا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدّم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه وذلك سرّه وعلانيته، والإثم: كلّ ما عصى الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سرّ الزنا وعلانيته، ومعاهرة أهل الرايات وأُولات الأخدان منهنّ، ونكاح حلائل الآباء والأُمهات

(١) يريد تزويج الرجل نفسه امرأة أبيه، أي أن يتزوجها هو.

والبنات، والطواف بالبيت عرياناً، وكلّ معصية لله ظهرت أو بطنت. وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميع ذلك إثماً، وكان الله عمّ بقوله: ﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ﴾ جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء إلا بحجة للعذر قاطعة. غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان، كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع: ما حرّم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بين الله تحريمه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾... إلى آخر الآية أوْلى، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه في سياقها، ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك، وأدخل فيها الأمر باجتناب كلّ ما جانسه من معاصي الله، فخرج الأمر عامّاً بالنهي عن كلّ ما ظهر أو بطن من الإثم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإثمَ سَيُجزَوْنَ بِمَا كانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويركبون معاصي الله ويأتون ما حرّم الله، ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾: لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له في كتاب منزّل فإنه حرام عليكم، ولا ما أهلّ به لغير الله مما ذبحه المشركون لأوثانهم، فإن أكْلَ ذلك فسق، يعني: معصية كفر. فكنى بقوله: «وإنه» عن «الأكل»، وإنما ذكر الفعل، كما قال: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً﴾ يراد به: فزاد قولهم ذلك إيماناً، فكنى عن القول، وإنما جرى ذكره بفعل. ﴿وَإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْليائهِمْ﴾: اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿وَإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْليائهِمْ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: شياطين فارس ومن علىَ دينهم من المجوس ﴿إلى أوْلِيَائِهِمْ﴾ من مَرَدةِ مشركي قريش، يوحون إليهم زخرف القول، ليصل إلى نبيّ الله وأصحابه في أكل الميتة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، قال: ثنا موسى بن عبد العزيز القنباري، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، لما نزلت هذه الآية بتحريم الميتة، قال:

أوحت فارس إلى أوليائها من قريش أن خاصِموا محمداً ـ وكانت أولياءهم في الجاهلية ـ وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال، وما ذبح الله قال ابن عباس: بشمشار من ذهب[١] فهو حرام، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ قال: الشياطين: فارس، وأولياؤهم: قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عمرو بن دينار، عن عكرمة: أن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم، وكاتبتهم فارس، وكتبت فارس إلى مشركي قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنه يتبعون أمر الله، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة، وأما ما ذبحوا هم يأكلون. وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فنزلت: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾... الآية، ونزلت: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾.

وقال آخرون: إنما عني بالشياطين الذين يغرون بني آدم أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سماك، عن عكرمة، قال: كان مما أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس: كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون مما قتل، وتأكلون أنتم ما قتلتم؟ فرُوي الحديث حتى بلغ النبيّ ﷺ، فنزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ قال: إبليس الذي يوحي إلى مشركي قريش. قال ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس، يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم. قال ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، قال: سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا: ما الذي يموت وما الذي تذبحون إلا سواء يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمداً ﷺ، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قال: قول المشركين: أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون، وأما ما ذبحتم بأيديكم فحلال.

---

(١) الشمشار: لعله يريد به السكين، وقد جاء تفسيره في رواية الحديث الذي بعده.

حدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: ثنا سعيد بن سليمان، قال: ثنا شريك، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن المشركين قالوا للمسلمين: ما قتل ربكم فلا تأكلون، وما قتلتم أنتم تأكلونه فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما حرّم الله الميتة أمر الشيطانُ أولياءه، فقال لهم: ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم، فقال الله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**.

حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جادل المشركون المسلمين، فقالوا: ما بال ما قتل الله لا تأكلونه وما قتلتم أنتم أكلتموه، وأنتم تتبعون أمر الله فأنزل الله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾**... إلى آخر الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ﴾** يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة: أن ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «اللّهُ قَتَلَها». قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنتَ وأصحابُك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحضرميّ: أن ناساً من المشركين، قالوا: أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه!

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ بآياته مؤمِنِينَ﴾** قال: قالوا: يا محمد، أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه، وأما ما قتل ربكم فتحرّمونه فأنزل الله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾** وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه، إنكم إذن لمشركون.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك،

قال: قال المشركون: ما قتلتم فتأكلونه، وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قول المشركين: أما ما ذَبَحَ الله للميتة فلا تأكلون منه، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ﴾ قال: جادلهم المشركون في الذبيحة، فقالوا: أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون: الميتة. فكانت هذه مجادلتهم إياهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا ممَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنَّه لَفِسْقٌ﴾... الآية، يعني: عدوّ الله إبليس أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلهاً آخر، أو يسجد لغير الله، أو يُسمّي الذبائحَ لغير الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾ إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله، وما ذبح الله فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟ فقال الله: ﴿لَئِنْ أطَعْتُمُوهُمْ﴾ فأكلتم الميتة ﴿إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ﴾ قال: كانوا يقولون: ما ذُكِرَ الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنَّهُ لَفِسْقٌ وَإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلا تَأكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾... إلى قوله: ﴿لِيُجادِلُوكُمْ﴾ قال: يقول: يوحي الشياطين

إلى أوليائهم: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون مما قتل الله؟ فقال: إن الذي قتلتم يذكر اسم الله عليه، وإن الذي مات لم يذكر اسم الله عليه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، في قوله: **﴿وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ﴾** هذا في شأن الذبيحة، قال: قال المشركون للمسلمين: تزعمون أن الله حرّم عليكم الميتة، وأحلّ لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم، وحرّم عليكم ما ذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية: **﴿وَلا تأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**... إلى قوله: **﴿لَمُشْرِكُونَ﴾**.

وقال آخرون: كان الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ذلك قوماً من اليهود.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع، قالا: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال ابن عبد الأعلى: خاصمت اليهود النبيّ ﷺ وقال ابن وكيع: جاءت اليهود إلى النبيّ ﷺ فقالوا: نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله فأنزل الله: **﴿وَلا تأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنَّهُ لَفِسْقٌ﴾**.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم إياهم. وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: **﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾**، بل ذلك الأغلب من تأويله عندي، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجنّ والإنس، كما جعل لأنبيائه مِن قبله يوحي بعضهم إلى بعض المزيَّنَ من الأقوال الباطلة، ثم أعلمه أن أُولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرّم الله من الميتة عليهم.

واختلف أهل التأويل في الذي عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه، فقال بعضهم: هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما قوله: **﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾**؟ قال: يأمر بذكر اسمه

على الشراب والطعام والذبح. قلت لعطاء: فما قوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾؟ قال: ينهى عن ذبائح كانت في الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش.

وقال آخرون: هي الميتة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لِمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهُ عَلَيْهِ﴾ قال: الميتة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك كلَّ ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن حميد بن يزيد، قال: سئل الحسن، سأله رجل قال له: أُتيت بطير كذا، فمنه ما ذبح، فذكر اسم الله عليه، ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير، فقال الحسن: كلْه كلَّه قال: وسألت محمد بن سيرين، فقال: قال الله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، عن عبد الله بن يزيد الخطميّ، قال: كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن أشعث، عن ابن سيرين، عن عبد الله بن يزيد، قال: كنت أجلس إليه في حلقة، فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم، فإذا جاء سائل فإنما يسأله ويسكتون. قال: فجاءه رجل فسأله، فقال: رجل ذبح فنسي أن يسمي، فتلا هذه الآية: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾ حتى فرغ منها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عنى بذلك: ما ذبح للأصنام والآلهة، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته. وأما من قال: عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله، فقول بعيد من الصواب، لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله، وكفى بذلك شاهداً على فساده. وقد بيَّنا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى «لطيف القول في أحكام شرائع الدين» فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله ﴿لَفِسقٌ﴾ فإنه يعني: وإنّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أُهلّ به لغير الله لفسق.

واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: المعصية. فتأويل الكلام على هذا: وإنَّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾ قال: الفسق: المعصية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الكفر.

وأما قوله: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ**﴾ فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنيِّ بقوله: ﴿**وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ**﴾. والصواب من القول فيه. وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه، إما بقول، وإما برسالة، وإما بكتاب. وقد بيَّنا معنى الوحي فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا عكرمة، عن أبي زميل، قال: كنت قاعداً عند ابن عباس، فجاءه رجل من أصحابه، فقال: يا أبا عباس، زعم أبو إسحاق أنه أُوحي إليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس: صدق فنفرت فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله، ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم. ثم قال: ﴿**وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ**﴾.

وأما الأولياء: فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع.

ويعني بقوله: ﴿**لِيُجادِلُوكُمْ**﴾ ليخاصموكم، بالمعنى الذي قد ذكرت قبل.

وأما قوله: ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ فإنه يعني: وإن أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ**﴾ يقول: وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ**﴾ فأكلتم الميتة.

وأما قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ يعني: إنكم إذاً مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً، فإذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين.

واختلف أهل العلم في هذه الآية: هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: لم

ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عُنيت به، وعلى هذا قول عامة أهل العلم. ورُوي عن الحسن البصري وعكرمة، ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصريّ قالا: قال: **﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾** فنسخ واستثنى من ذلك، فقال: **﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾**.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن هذه الآية محكمة فيما أُنزلت لم ينسخ منها شيء، وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية. وذلك مما حرّم الله على المؤمنين أكله بقوله: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾** بمعزل، لأن الله إنما حرّم علينا بهذه الآية الميتة وما أُهلّ به للطواغيت، وذبائح أهل الكتاب ذكية سَمّوْا عليها أو لم يسموا، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها، يذبحون الذبائح بأديانهم كما ذبح المسلم بدينه، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل، أو بعبادة شيء سوى الله، فيحرم حينئذٍ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسمّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذٍ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافراً، فهداه جلّ ثناؤه لرشده ووفّقه للإيمان، فقال لهم: إطاعة من كان ميتاً، يقول: من كان كافراً. فجعله جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة **﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه في معاده، فجعل إبصاره الحقّ تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضيء به، فيمشي على قصد السبيل ومنهج الطريق في الناس. **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾** لا يدري كيف يتوجه وأيّ طريق يأخذ لشدّة ظلمة الليل وإضلاله الطرّيق، فكذلك هذا الكافر الضالّ في ظلمات الكفر لا يبصر رشداً ولا يعرف حقاً، يعني في ظلمات الكفر. يقول: أفطاعة هذا الذي

هديناه للحقّ وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد لا يعرف المخرج منها في دعاء هذا إلى تحريم ما حرّم الله وتحليل ما أحلّ، وتحليل هذا ما حرّم الله وتحريمه ما أحلّ؟.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما معروفين، أحدهما مؤمن، والآخر كافر.

ثم اختلف أهل التأويل فيهما، فقال بعضهم: أما الذي كان ميتاً فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها: فأبو جهل بن هشام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا سليمان بن أبي هوذة، عن شعيب السراج، عن أبي سنان عن الضحاك، في قوله: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ﴾** قال: أبو جهل بن هشام.

وقال آخرون: بل الميت الذي أحياه الله عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها: فأبو جهل بن هشام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن بشر بن تيم، عن رجل، عن عكرمة: **﴿أَوْ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَاسِ﴾** قال: نزلت في عمار بن ياسر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن بشر، عن تيم، عن عكرمة: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** عمار بن ياسر. **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ﴾** أبو جهل بن هشام.

وبنحو الذي قلنا في الآية قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ﴾** قال: ضالاً فهديناه، **﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** قال: هدى، **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾** قال: في الضلالة أبداً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ﴾ هديناه، **﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ﴾** في الضلالة أبداً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ﴾** قال: ضالاً فهديناه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ﴾** يعني: من كان كافراً فهديناه، **﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** يعني بالنور: القرآن من صدّق به وعمل به، **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ﴾** يعني بالظلمات: الكفر والضلالة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** يقول: الهدى يمشي به في الناس، يقول: فهو الكافر يهديه الله للإسلام، يقول: كان مشركاً فهديناه، **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾**.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ﴾** هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ، وإليها ينتهي، كتاب الله. **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾** وهذا مثل الكافر في الضلالة متحير فيها متسكع، لا يجد مخرجاً ولا منفذاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ: **﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** يقول: من كان كافراً فجعلناه مسلماً وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وهو الإسلام، يقول: هذا كمن هو في الظلمات، يعني الشرك.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾** قال: الإسلام الذي هداه الله إليه. **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ﴾** ليس من أهل الإسلام. وقرأ: **﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظلُماتِ إلى النُّورِ﴾** قال: والنور يستضيء به ما في بيته ويبصره، وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ويعمل به في فوره كما يستضيء صاحب هذا السراج. قال: **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ﴾** لا يدري ما يأتي ولا ما يقع عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ للكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم عن الحقّ، فزينت له سوء عمله، فرآه حسناً ليستحقّ به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال.

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به. وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جلّ ثناؤه أنه زين لكلّ عامل منهم عمله ما ينبىء عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصّ أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون، كذلك جعلنا بكلّ قرية عظماءها مجرميها، يعني: أهل الشرك بالله والمعصية له ﴿لِيَمْكُرُوا فِيها﴾ بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه. ﴿وَما يَمْكُرُونَ﴾: أي ما يحيق مكرهم ذلك، ﴿إلاَّ بأنْفُسِهِمْ﴾، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله. وهم لا يشعرون، يقول: لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه، فهم في غيّهم وعتوّهم على الله يتمادون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أكابِرَ مُجْرِمِيها﴾ قال: عظماءها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**أكابِرَ مُجْرِمِيها**﴾ قال: عظماءها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: نزلت في المستهزئين. قال ابن جريج: عن عمرو، عن عطاء، عن عكرمة: ﴿**أكابِرَ مُجْرِمِيها**﴾... إلى قوله: ﴿**بِمَا كانُوا يَمْكُرُونَ**﴾ بدين الله وبنبيه عليه الصلاة والسلام وعباده المؤمنين.

والأكابر: جمع أكبر، كما الأفاضل: جمع أفضل. ولو قيل: هو جمع كبير، فجمع أكابر، لأنه قد يقال أكبر، كما قيل: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أعْمالاً**﴾ واحدهم الخاسر لكان صواباً. وحُكي عن العرب سماعاً: الأكابرة والأصاغرة، والأكابر والأصاغر بغير الهاء على نية النعت، كما يقال: هو أفضل منك. وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على «أفعل» إذا أخرجوها إلى الأسماء، مثل جمعهم الأحمر والأسود: الأحامر والأحامرة، والأساود والأساودة ومنه قول الشاعر:

إنَّ الأحامِرَةَ الثَّلاثَةَ أهْلَكَتْ ... مالي وكنتُ بِهِنَّ قِدْماً مُولَعَا
الخَمْرُ واللَّحْمُ السَّمِينُ أدِيمُهُ ... والزَّعفرانُ فلَنْ أزالَ مُبَقَّعَا[1]

وأما المكر: فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورِّطه الماكر به مكروهاً من الأمر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرّم الله عليهم ليصدّوا عن سبيل الله ﴿**آيَةٌ**﴾ يعني: حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد ﷺ من عند الله وحقيقته، قالوا لنبيّ الله وأصحابه: ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ**﴾ يقول: يقولون: لن نصدّق بما دعانا إليه محمد ﷺ من الإيمان به، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرّمه علينا ﴿**حتى نُؤْتَى**﴾ يعنون: حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق

(١) في «**اللسان**»: (خمر) أن البيتين للأعشى، ولم أجدهما في ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين. وفي رواية «**اللسان**» «وكنت بها قديماً مولعاً». و «أطلى» في موضع: «أديمه» وأشار إلى رواية المؤلف. والشاهد أن الأحمر جمع على الأحامرة، لأنه خرج من باب الصفات إلى باب الأسماء.

البحر، وعيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. يقول تعالى ذكره: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**﴾ يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن آيات الأنبياء والرسل لم يعطَها من البشر إلاّ رسول مرسل، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها. يقول جلّ ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك عليّ أنتم، لأن تخير الرسول إلى المرسِل دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمرّدين عليه: سيصيب يا محمد الذي اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره ﴿**صَغَارٌ**﴾ يعني: ذلة وهوان. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ**﴾ قال: الصغار: الذلة.

وهو مصدر من قول القائل: صَغِرَ يَصْغُرُ صَغاراً وَصَغَراً، وهو وأشدّ الذلّ.

وأما قوله: ﴿**صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ**﴾ فإن معناه: سيصيبهم صغارٌ من عند الله، كقول القائل: سيأتيني رزقي عند الله، بمعنى: من عند الله، يراد بذلك: سيأتيني الذي لي عند الله. وغير جائز لمن قال: «سيصيبهم صغار عند الله» أن يقول: «جئت عند عبد الله» بمعنى: جئت من عند عبد الله، لأن معنى «سيصيبهم صغار عند الله»: سيصيبهم الذي عند الله من الذلّ بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير «جئت من عند عبد الله».

وقوله: ﴿**وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ**﴾ يقول: يصيب هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله المستحلين ما حرّم الله عليهم من الميتة مع الصغار، عذاب شديد بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غروراً لأهل دين الله وطاعته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ**﴾ للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه له ﴿**يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ**﴾ يقول: فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول. كالذي جاء الأثر به

عن رسول الله ﷺ، الذي:

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدّث، عن عبد الله بن مرّة، عن أبي جعفر، قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** قالوا: كيف يشرح الصدر؟ قال: «إذا نَزَلَ النُّورُ في القَلْبِ انْشَرَحَ له الصَّدْرُ وانْفَسَحَ». قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: «نَعَمْ، الإنابَةُ إلى دَار الخُلُودِ، والتَّجَافي عن دَارِ الغُرُورِ، والاسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ الفَوْتِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرّة، عن أبي جعفر، قال: سئل النبيّ ﷺ: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكْثَرُهُمْ للْمَوْت ذكْراً، وأحْسَنُهُمْ لمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَاداً». قال: وسئل النبيّ ﷺ عن هذه الآية: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نُورٌ يُقْذَفُ فِيهِ فَيَنْشَرِحُ لَهُ ويَنْفَسِحُ» قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: «الإنابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ، والتَّجافِي عَنْ دَار الغُرور، وَالاسْتِعْدادُ للْمَوْت قَبْلَ المَوْت».

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن عمرو بن مرّة، عن رجل يكنّى أبا جعفر كان يسكن المدائن، قال: سئل النبيّ ﷺ عن قوله: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** قال: «نُورٌ يُقْذَفُ فِي القَلْبِ فَيَنْشَرِحُ ويَنْفَسِحُ». قالوا: يا رسول الله، هل له من أمارة يُعرف بها؟ ثم ذكر باقي الحديث مثله.

حدثني محمد بن العلاء، قال: ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني، قال: قال: ثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قيل لرسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾**؟ قال: «إذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ» قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: «الإنابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ، والتَّنَحِّي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والاِسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ المَوْتِ».

حدثني سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن خالد بن أبي كريمة، عن عبد الله بن المسور، قال: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** ثم قال رسول الله ﷺ: «إذَا دَخَلَ النورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ». قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك من علامة تُعرف؟ قال: «نَعَمْ، الإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، والتَّجافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وَالاِسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ».

حدثني ابن سنان القزاز، قال: ثنا محبوب بن حسن الهاشمي، عن يونس، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ، قال: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** قالوا: يا رسول الله، وكيف يشرح صدره؟ قال: «يُدْخَلُ فيهِ النُّورُ فَيَنْفَسِحُ». قالوا: وهل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: «التَّجافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادَ للمَوْتِ قَبْلَ أنْ يَنْزِلَ المَوْتُ».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** أما يشرح صدره للإسلام: فيوسع صدره للإسلام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿فَمَنْ يَرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** بـ«لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ».

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءة: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾** بـ«لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ» يَجْعَلُ لَهَا فِي صَدْرِهِ مُتَّسَعاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره وصدّه عن سبيله، يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجاً. والحرج: أشدّ الضيق، وهو الذي لا ينفذ من شدّة ضيقه، وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة ولا يدخله نور الإيمان لرَيْنِ الشرك عليه. وأصله من الحرج، والحَرَجُ جمع حَرَجة: وهي الشجرة الملتفّ بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدّة التفافها بها. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن، عن أبي الصلت الثقفي: أنَّ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ «ضَيِّقاً حَرِجاً». قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعياً، وليكن مدلجيّاً قال: فأتوه به، فقال له عمر: يا فتى ما الحَرَجة؟ قال: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجاء التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال

عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** يقول: من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً والإسلام واسع، وذلك حين يقول: **﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: شاكّاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا حميد، عن مجاهد: **﴿ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** قال: شاكّاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** أما حرجاً: فشاكّاً.

وقال آخرون: معناه: ملتبساً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** قال: ضيقاً: ملتبساً.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن الحسن، عن قتادة أنه كان يقرأ: **﴿ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** يقول: ملتبساً.

وقال آخرون: معناه أنه من شدّة الضيق لا يصل إليه الإيمان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير: **﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** قال: لا يجد مسلكاً إلا صُعُداً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عطاء الخراساني: **﴿ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** قال: ليس للخير فيه منفذ.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن عطاء الخراساني مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قوله: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** بلا إله إلا الله لا يجد لها في صدره مساغاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءة، في قوله: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً﴾** بلا إله إلا الله، حتى لا يستطيع أن تدخله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: **﴿ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** بفتح الحاء والراء من **﴿حَرَجاً﴾**، وهي قراءة عامة المكيين والعراقيين، بمعنى: جمع حَرَجة على ما وصفت. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «ضَيقاً حَرِجاً» بفتح الحاء وكسر الراء.

ثم اختلف الذين قرأوا ذلك في معناه، فقال بعضهم: هو بمعنى الحَرَج، وقالوا: الحَرَج بفتح الحاء والراء، والحَرِج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد، وهما لغتان مشهورتان، مثل الدَّنَف والدَّنِف، والوَحَد والوَحِد، والفَرَد والفَرِد.

وقال آخرون منهم: بل هو بمعنى الإثم من قولهم: فلان آثمٌ حَرِجٌ. وذكر عن العرب سماعاً منها: حَرِجٌ عليك ظلمي، بمعنى: ضِيقٌ وإثم.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد، وبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب لاتفاق معنييهما، وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب في الوحَد والفَرَد بفتح الحاء من الوَحَد والراء من الفَرَد وكسرهما بمعنى واحد. وأما الضَّيِّق، فإن عامة القرّاء على فتح ضاده وتشديد يائه، خلا بعض المكيين فإنه قرأه: «ضَيْقاً» بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه. وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان: أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوي معنى التحريك والتشديد، كما قيل: هَيْن لَين، بمعنى: هَيِّن لَيِّن. والآخر أن يكون سكّنه بنية المصدر من قولهم: ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقاً، كما قال رؤبة:

وَقَدْ عَلِمْنا عِنْدَ كُلِّ مَأْزِقِ ضَيْقٍ بِوَجْهِ الأمرِ أيّ مَضْيَقِ[1]

---

(١) لم أجد البيت في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣، ولم أجده في ديوان أبيه العجاج، ولكني وجدت أرجوزة للعجاج من هذه القافية، وبينها وبين البيت مناسبة؛ وأولها: «يا رب رب البيت والمشرق»، فلعل البيت منها.

وفي «**اللسان**» (أزق): المأزق: المكان الضيق يقتتلون فيه. و(في «**اللسان**»: ضيق): أبو عمرو: الضيق: الشيء الضيق. والضيق أيضاً: تخفيف الضيق. ومضيق على مفعل مصدر ميمي بمعنى الضيق، وكان حقه أن يكون أي مضاق، ولكنه جاء على الأصل شذوذاً.

ومنه قول الله: وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. وقال رؤبة أيضاً:

وشَـفَّـهـا الـلَّـوْحُ بِـمـأزُولٍ ضَـيَـقْ[1]

بمعنى: ضيق. وحُكي عن الكسائي أنه كان يقول: الضيق بالكسر: في المعاش والموضع، وفي الأمر الضيق.

وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذي به توصل إلى الإيمان والطاعة غير السبب الذي به توصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً عن الإسلام حرجاً، كأنما يصعد في السماء. ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان خلاف تضييقه له، وأنه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق، ولكان من ضيق صدره عن الإيمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه، إذ كان موصولاً بكلّ واحد منهما، أعني من التضييق والشرح إلى ما يوصل به إلى الآخر[2]. ولو كان ذلك كذلك وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهل للإيمان به وضيَّق صدر رسول الله ﷺ عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله. وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون، وأن كلا السببين من عند الله وبيده، لأنه أخبر جلّ ثناؤه أنه هو الذي يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾.

وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر في شدّة تضييقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأن ذلك ليس في وسعه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لرؤبة (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ـ ١٠٥ وهو البيت ٤٢ من أرجوزة في وصف المفازة) وشفها: أحرق أكبادها، والضمير عائد على الإبل في أبيات قبل البيت. واللوح: شدة العطش. والمأزول: المضيق. والضيق، بفتح الضاد والياء، قال في «اللسان» عن الأزهري: الضيق: الشك، ولا يناسب الغرض هنا، واستشهد به المؤلف على أنه بمعنى الضيق. قال العيني في تفسير البيت (المقاصد النحوية. على هامش الخزانة ١/ ٥٤) شفها: أي جهدها. واللوح: العطش. بمأزول: أي بموضع أزل يعني خشن ضيق.

(٢) لعله: إلى ما يوصل لد بالآخر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عطاء الخراساني: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ**﴾ يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن عطاء الخراساني، مثله.

وبه قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءة: ﴿**يجعل صدره ضيِّقاً حرجاً**﴾ بلا إله إلا الله، حتى لا يستطيع أن تدخله ﴿**كأنما يصّعّد في السماء**﴾ من شدّة ذلك عليه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّد فِي السَّمَاءِ**﴾ من ضيق صدره.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والعراق: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ**﴾ بمعنى: يتصعدُ، فأدغموا التاء في الصاد، فلذلك شدّدوا الصاد. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «يَصَّاعَدُ» بمعنى: يتصاعد، فأدغم التاء في الصاد وجعلها صاداً مشدّدة. وقرأ ذلك بعض قراء المكيين: «كأنَّمَا يَصْعَد» من صَعِدَ يَصْعَد. وكل هذه القراءات متقاربات المعاني وبأيها قرأ القارىء فهو مصيب، غير أني أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ**﴾ بتشديد الصاد بغير ألف، بمعنى: يتصعد، لكثرة القراء بها، ولقِيلِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما تصعَّدني شيء ما تصعَّدني خُطْبَة النكاح».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرِّجْسَ على الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حَرَجاً، كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان، فيجزيه بذلك، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحقّ.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الرجس، فقال بعضهم: هو كلّ ما لا خير فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمر، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الرجس: ما لا خير فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**يَجْعَلِ اللَّهُ الرِّجْسَ على الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ قال: ما لا خير فيه.

وقال آخرون: الرجس: العذاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرِّجْسَ على الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ قال: الرجس: عذاب الله.

وقال آخرون: الرجس: الشيطان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الرِّجْسَ**﴾ قال: الشيطان.

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفين يقول: الرِّجْس والنَّجْس لغتان. ويحكى عن العرب أنها تقول: ما كان رِجْساً، ولقد رَجُسَ رجاسة، ونَجُس نَجَاسة. وكان بعض نحويي البصريين يقول: الرِّجْس والرِّجْز سوَاء، وهما العذاب.

والصواب في ذلك من القول عندي ما قاله ابن عباس، ومن قال: إن الرجس والنجس واحد، للخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول إذا دخل الخلاء: «اللَّهُمَّ إنّي أعُوذ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجْسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ».

حدثني بذلك عبد الرحمن بن البختريّ الطائي، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن وقتادة، عن أنس، عن النبيّ ﷺ.

وقد بَيَّن هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر الذي لا خير فيه، وأنه من صفة الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، هو صراط ربك، يقول: طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه ديناً وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه، فاثبت عليه وحرّم ما حرمته عليك وأحلل ما أحللته لك، فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذّكّرون، يقول: لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر،

فيعتبر بها. وخصّ بها الذين يتذكرون، لأنهم هم أهل التمييز والفهم وأُولو الحجا والفضل، فقيل: يذَّكَّرون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَهَذَا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً**﴾ يعني به الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: «لهم» للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله، ومن نبوّة نبيه محمد ﷺ، وغير ذلك، فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذلك. وأما دار السلام، فهي دار الله التي أعدّها لأوليائه في الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله وهي جنته. والسلام: اسم من أسماء الله تعالى، كما قال السديّ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ الله هو السلام، والدار: الجنة.

وأما قوله: ﴿**وَهُوَ وَلِيُّهُمْ**﴾ فإنه يقول: والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله. ﴿**بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يعني جزاء بما كانوا يعملون من طاعته الله، ويتبعون رضوانه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً**﴾: ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غروراً ليجادلوا به المؤمنين، فيجمعهم جميعاً في موقف القيامة. يقول للجنّ: ﴿**يا مَعْشَرَ**

الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ﴾ وحذف «يقول للجنّ» من الكلام اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه.

وعنى بقوله: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ يعني: أضللتم منهم كثيراً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ قال: قد أضللتم كثيراً من الإنس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ قال: كثر من أغويتم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الحسن: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ يقول: أضللتم كثيراً من الإنس.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقالَ أوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: فيجيب أولياء الجنّ من الإنس، فيقولون: ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا. فأما استمتاع الإنس بالجنّ، فكان كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾ قال: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي فذلك استمتاعهم، فاعتذروا يوم القيامة.

وأما استمتاع الجنّ بالإنس، فإنه كان فيما ذكر، ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعاذتهم بهم، فيقولون: قد سدنا الجنّ والإنس.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنا أجَلَنا الَّذِي أجَّلْتَ لَنا﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا: وبلغنا الوقت الذي وقّت لموتنا. وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك أنهم قالوا: استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ،

وأما قوله: ﴿وَبَلَغْنا أجَلَنا الَّذِي أجَّلْتَ لَنا﴾ فالموت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قال النَّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فِيها إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به في الدنيا الأوثان ولقرنائهم من الجنّ، فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدّم الكلام قبله بمعناه والمراد منه، فقال: قال الله لأولياء الجنّ من الإنس الذين قد تقدم خبره عنهم: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ يعني نار جهنم مثواكم الذي تثوون فيه: أي تقيمون فيه. والمثوى: هو المفعل، من قولهم: ثَوَى فلان بمكان كذا، إذا أقام فيه. ﴿خالدينَ فِيها﴾ يقول: لابثين فيها، ﴿إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ﴾ يعني: إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار. ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله. ﴿عَلِيمٌ﴾ بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائر أمرُهم من خير وشرّ. ورُوي عن ابن عباس أنه كان يتأوّل في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فِيها إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا ناراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ﴿نُوَلّي﴾ فقال بعضهم: معناه: نجعل بعضهم لبعض وليّاً على الكفر بالله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: ثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وكذلكَ نُوَلّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وإنما يولّي الله بين الناس بأعمالهم. فالمؤمن وليّ المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر وليّ الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلّي.

وقال آخرون: معناه: نُتْبع بعضهم بعضاً في النار من الموالاة، وهو المتابعة بين الشيء والشيء، من قول القائل: واليت بين كذا وكذا: إذا تابعت بينهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وكذلكَ نُوَلّي بعَضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً**﴾ في النار يتبع بعضهم بعضاً.

وقال آخرون: معنى ذلك: نسلط بعض الظلمة على بعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وكذلكَ نُوَلّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً**﴾ قال: ظالمي الجن وظالمي الإنس. وقرأ: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ قال: نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس.

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء. لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال جلّ ثناؤه: ﴿**وَقالَ أوْلِياؤُهُم مِنَ الإنْسِ رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ**﴾، وأخبر جلّ ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقَّب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجنّ والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كلّ الأُمور بما كانوا يكسبون من معاصي الله ويعملونه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجنّ، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذٍ: ﴿**يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي**﴾ يقول: يخبرونكم بما أُوحي إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي وتعريفي لكم أدلتي على توحيدي، وتصديق أنبيائي، والعمل بأمري والانتهاء إلى حدودي. ﴿**وَيُنْذِرُونَكُم لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾ يقول: يحذّرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وعقابي على معصيتكم إياي، فتنتهوا عن معاصيي. وهذا من الله جلّ ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي، ومعناه: قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطإ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا.

واختلف أهل التأويل في الجنّ، هل أرسل منهم إليهم أم لا؟ فقال بعضهم: قد أرسل إليه رسل كما أرسل إلى الإنس منهم رسل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سئل الضحاك عن الجنّ: هل كان فيهم نبيّ قبل أن يبعث النبيّ ﷺ؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله: ﴿**يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي**﴾ يعني بذلك: رسلاً من الإنس ورسلاً من الجنّ؟ فقالوا: بلى.

وقال آخرون: لم يرسل منهم إليهم رسول، ولم يكن له من الجنّ قطّ رسول مرسل، وإنما الرسل منَ الإنس خاصة. فأما من الجنّ فالنُّذُر. قالوا: وإنما قال الله: ﴿**ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ**﴾ والرسل من أحد الفريقين، كما قال: ﴿**مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ**﴾ ثم قال: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ**﴾ وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من المِلح دون العذب منهما وإنما معنى ذلك: يخرج من بعضهما أو من أحدهما. قال: وذلك كقول القائل لجماعة أدؤر: إن في هذه الدور لشرّاً، وإن كان الشرّ في واحدة منهنّ، فيخرج الخبر عن جميعهنّ والمراد به الخبر عن بعضهنّ، وكما يقال: أكلت خبزاً ولبناً: إذا اختلطا ولو قيل: أكلت لبناً، كان الكلام خطأ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**﴾ قال: جمعهم كما جمع قوله: ﴿**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها**﴾ ولا يخرج من الأنهار حلية. قال ابن جريج: قال ابن عباس: هم الجن لَقُوا قومهم، وهم رسل إلى قومهم.

فعلى قول ابن عباس هذا، أن من الجنّ رسلاً للإنس إلى قومهم.

فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوّله ابن عباس: ألم يأتكم أيها الجنّ والإنس رسل منكم؟ فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم، وأما رسل الجنّ فرسل رسل الله من بني آدم، وهم الذين إذ سمعوا القرآن ولَّوا إلى قومهم منذرين.

وأما الذين قالوا بقول الضحاك، فإنهم قالوا: إن الله تعالى ذكره أخبر أن من الجنّ رسلاً أُرسلوا إليهم، كما أخبر أن من الإنس رسلاً أُرسلوا إليهم. قالوا: ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجنّ بمعنى أنهم رسل الإنس جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رسل الجنّ. قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدلّ على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم

رسل الله، لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنا على أَنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا على أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول مشركي الجنّ والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أنهم يقولون ﴿شَهِدْنا على أَنْفُسِنا﴾ بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا، فكذّبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها. قال الله خبراً مبتدأ: وغرّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وأولياءهم من الجنّ، ﴿الحَيَاةُ الدُّنْيا﴾ يعني: زينة الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله، فاستكبروا وكانوا قوماً عالين. فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرّتهم وخدعتهم فيها، إذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره، يقول الله تعالى: ﴿وَشَهِدُوا على أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله، لتتمّ حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾: أي إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره، وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجنّ يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إليّ، من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم.

وقد يتجه من التأويل في قوله: «بظلم» وجهان: أحدهما: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾: أي بشرك من أشرك، وكُفْر من كفر من أهلها، كما قال لقمان: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. ﴿وأَهْلُها غافِلُونَ﴾ يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

والآخر: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بظُلْمٍ﴾ يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام للعبيد.

وأولى القولين بالصواب عندي القول الأوّل، أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم والإعذار بينه وبينهم، وذلك أن قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾ عقيب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي﴾ فكان في ذلك

الدليل الواضح على أن نص قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْم﴾ إنما هو إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القُرَى بغير تذكير وتنبيه. وأما قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ فإنه يجوز أن يكون نصباً، بمعنى: فعلنا ذلك، ويجوز أن يكون رفعاً بمعنى الابتداء، كأنه قال: ذلك كذلك. وأما «أن» فإنها في موضع نصب بمعنى: فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مُهْلِكَ القرى، فإذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكلّ عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله، يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً. ﴿وَما رَبُّكَ بغافلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وكلّ ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١٣٣)﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وربك يا محمد الذي أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية، الغنيّ عن عباده، الذين أمرهم بما أمر ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه، لأنه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرّهم، يقول عز ذكره: فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وأنههم عما نهيتهم عنه، لحاجة لي إليهم ولا إلى أعمالهم، ولكن لأتفضّل عليهم برحمتي وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرأفة والرحمة.

وأما قوله: ﴿إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ﴾ فإنه يقول: إن يشأ ربك يا محمد الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ﴾ يقول: ويأت بخلق غيركم، وأمم سواكم يخلفونكم في الأرض من بعدكم، يعني: من بعد فنائكم وهلاككم. ﴿كَمَا أنْشَأكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلقٍ آخرين كانوا قبلكم. ومعنى «مِنْ» في هذا الموضع: التعقيب، كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوباً، بمعنى: مكان الدينار ثوباً، لا أن الثوب من الدينار بعض، كذلك الذين خوطبوا بقوله: ﴿كَمَا أنْشأكُمْ﴾ لم يرد

بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أُنشئوا مكان خَلْقٍ خَلْفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم. والذرية الفُعيلة من قول القائل: ذرأ الله الخلق، بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم، ثم ترك الهمزة فقيل: ذرا الله، ثم أخرج الفُعيلة بغير همز على مثال العُلِّية. وقد رُوي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ: «مِنْ ذَرِيئَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» على مثال فَعِيلَة. وعن آخر أنه كان يقرأ: «وَمِنْ ذُرْيَةٍ» على مثال عُلْيَة. والقراءة التي عليها القرّاء في الأمصار: ﴿ذُرِّيَّة﴾ بضمّ الذال وتشديد الياء على مثال عُلِّية. وقد بيَّنا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته ههنا. وأصل الإنشاء: الإحداث، يقال: قد أنشأ فلان يحدّث القوم، بمعنى: ابتدأ وأخذ فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم واقع بكم ﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، يقول: لن تعجزوا ربكم هرباً منه في الأرض فتفوتوه، لأنكم حيث كنتم في قبضته، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر، يقول: فاحذروه، وأنيبوا إلى طاعته قبل نزول البلاء بكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقومك من قريش، الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر: ﴿اعْمَلُوا على مَكانَتِكُمْ﴾ يقول: اعملوا على حيالكم وناحيتكم. كما:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكانَتِكُمْ﴾ يعني على ناحيتكم.

يقال منه: هو يعمل على مكانته ومكينته. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «على مَكاناتِكُمْ» على جمع المكانة. والذي عليه قرّاء الأمصار: ﴿على مَكانَتِكُمْ﴾ على التوحيد. ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: قل لهم: اعملوا ما أنتم عاملون، فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم، أينا كان المحقّ في عمله والمصيب سبيل الرشاد، أنا أم أنتم؟ وقوله تعالى ذكره لنبيه: قل لقومك ﴿يا قَوْمِ اعْمَلُوا

على مَكانَتِكُمْ﴾ أمر منه له بوعيدهم وتهديدهم، لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: **﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ﴾** فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب، من الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم، يقول: من الذي يعقب دنياه ما هو خير له منها أو شرّ منها بما قدّم فيها من صالح أعماله أو سيئها. ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه فقال: **﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمونَ﴾** يقول: إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل في الدنيا، وذلك معنى ظلم الظالم في هذا الموضع. وفي «مَنْ» التي في قوله: **﴿مَنْ تَكُونُ﴾** له وجهان من الإعراب: الرفع على الابتداء، والنصب بقوله: **﴿تَعْلَمُونَ﴾** لإعمال العلم فيه، والرفع فيه أجود، لأن معناه: فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار، فالابتداء في أن من أصحّ وأفصح من إعمال العلم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم **﴿ممَّا ذَرَأَ﴾** خالقهم، يعني: مما خلق من الحرث والأنعام، يقال منه: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْأً وَذَرْواً[1]: إذا خلقهم. **﴿نصيباً﴾**: يعني قسماً وجزءاً.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان، فقال بعضهم: كان ذلك جزءاً من حروثهم وأنعامهم يقرّرونه لهذا، وجزءاً آخر لهذا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: ثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن عكرمة عن ابن عباس: **﴿فَمَا كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إلى الله﴾**... الآية، قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُزَماً جعلوا منها لله سهماً وسهماً لآلهتهم، وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه لله ردّوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم وإذا هبت الريح

(١) كذا في الأصول: وليس في المعاجم مصدر لذرأ إلا (الذرء) ولعل الثاني مصدر (ذرا) مخفف الهمز.

من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي جعلوه لآلهتم أقرّوه ولم يردّوه، فذلك قوله: ﴿**ساءَ ما يَحْكُمُونَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً فقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكائِنا**﴾ قال: جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردّوه إلى نصيب الشيطان. وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء. وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام، فهو قول الله: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ**﴾... الآية، وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احترثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منها جزءاً وللوثَن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه، فإن سقط منه شيء فيما سمّي لله ردّوه إلى ما جعلوا للوثن، وإن سبقهم الماء إلى الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله، جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله فاختلط بالذي جعلوا للوثن، قالوا: هذا فقير، ولم يردّوه إلى ما جعلوا لله. وإن سبقهم الماء الذي جعلوا لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن. وكانوا يُحَرِّمون من أنعامهم: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرّمونه لله، فقال الله في ذلك: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً**﴾... الآية.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً**﴾ قال: يسمون لله جزءاً من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزءاً. فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردّوه وقالوا: الله عن هذا غنيّ. والأنعام: السائبة والبحيرة التي سَمَّوْا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً﴾**. . . الآية، عمد ناس من أهل الضلالة، فجزّأوا من حروثهم ومواشيهم جزءاً لله وجزءاً لشركائهم. وكانوا إذا خالط شيء مما جزّأوا لله فيما جزّأوا لشركائهم خلوه، فإذا خالط شيء مما جزّأوا لشركائهم فيما جزّأوا لله ردّوه على شركائهم. وكانوا إذا أصابتهم السَّنة استعانوا بما جزّأوا لله وأقرّوا ما جزأوا لشركائهم، قال الله: **﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً﴾** قال: كانوا يجزئون من أموالهم شيئاً، فيقولون: هذا لله، وهذا للأصنام التي يعبدون. فإذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردّوه، وإن ذهب مما جعلوه لله فخالط شيئاً مما جعلوه لشركائهم تركوه. وإن أصابتهم سنة، أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم، فقال الله: **﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾**.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْث والأنْعامِ نَصِيباً﴾**. . . إلى: **﴿يَحْكُمُونَ﴾** قال: كانوا يقسمون من أموالهم قسماً فيجعلونه لله، ويزرعون زرعاً فيجعلونه لله، ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك، فما خرج للآلهة أنفقوه عليها، وما خرج لله تصدّقوا به. فإذا هلك الذي يصنعون لشركائهم وكثر الذي لله، قالوا: ليس بدّ لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذي لله فأنفقوه على آلهتهم وإذا أجدب الذي لله وكثر الذي لآلهتهم، قالوا: لو شاء أزكى الذي له فلا يردّون عليه شيئاً مما للآلهة. قال الله: لو كانوا صادقين فيما قسموا لبئس إذاً ما حكموا أن يأخذوا مني ولا يعطوني. فذلك حين يقول: **﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾**.

وقال آخرون: النصيب الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً﴾**. . . حتى بلغ: **﴿وَما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكائِهِمْ﴾** قال: كلّ شيء جعلوه لله من ذِبْح يذبحونه لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة، وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه. وقرأ الآية حتى بلغ: **﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾**.

وأولى التأويلين بالآية، ما قال ابن عباس، ومن قال بمثل قوله في ذلك لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسماً مقدّراً، فقالوا: هذا لله، وجعلوا مثله لشركائهم،

وهم أوثانهم بإجماع من أهل التأويل عليه، فقالوا: هذا لشركائنا وإن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله، بمعنى: لا يصل إلى نصيب الله، وما كان لله وصل إلى نصيب شركائهم. فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية كان أعيان ما أخبر الله عنه أنّه لم يصل جائزاً أن تكون قد وصلت، وما أخبر عنه أنه قد وصل لم يصل، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام لأن الذبيحتين تذبح إحداهما لله والأخرى للآلهة، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوهما، إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحاً للآلهة دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض.

وأما قوله: **﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾** فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم. يقول جلّ ثناؤه: وقد أساءوا في حكمهم إذ أخذوا من نصيبي لشركائهم ولم يعطوني من نصيب شركائهم. وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحقّ بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرّهم ولا ينفعهم، حتى فضلوه في إقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكما زيَّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زيَّنوا لهم، من تصييرهم لربهم من أموالهم قسماً بزعمهم، وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم، وردّهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله إلى قسم شركائهم، **﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ﴾** من الشياطين، فحسنوا لهم وأد البنات، **﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾** يقول: ليهلكوهم، **﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾** فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرّم عليهم الله. ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه، بأن كان يهديهم للحقّ ويوفّقهم للسداد، فكانوا لا يقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم. يقول الله لنبيه متوعداً لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها هذا لله وهذا لشركائنا وفي قتلهم أولادهم: ذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقوّلون عليّ من الكذب والزور، فإني لهم بالمرصاد، ومن وراء العذاب والعقاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ**﴾: زيَّنوا لهم، من قتل أولادهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ**﴾ شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العَيْلة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ**﴾... الآية، قال: شركاؤهم زينوا لهم ذلك. ﴿**وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ**﴾ قال: شياطينهم التي عبدوها، زينوا لهم قتل أولادهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ**﴾ أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات.

وأما ﴿**لِيُرْدُوهُمْ**﴾: فيهلكوهم. وأما ﴿**لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**﴾ فيخلطوا عليهم دينهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته قرّاء الحجاز والعراق: ﴿**وكَذَلِكَ زَيَّنَ**﴾ بفتح الزاي من «زَيَّن» ﴿**لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ**﴾ بنصب القتل، ﴿**شُرَكاؤُهُمْ**﴾ بالرفع. بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم، فيرفعون الشركاء بفعلهم، وينصبون القتل لأنه مفعول به. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام: «وكذلكَ زُيِّنَ» بضم الزاي «لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلُ» بالرفع «أوْلادَهُمْ» بالنصب «شُرَكائِهِمْ» بالخفض، بمعنى: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم. ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم، وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح. وقد رُوِي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرتُ من قراءة أهل الشام، رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه، وذلك قول قائلهم:

فَــزَجَــجْــتُــهُ مُــتَــمَــكِّــنــا زَجَّ الــقَــلُــوصَ أبِــي مَــزَادَهْ(١)

والقراءة التي لا أستجيز غيرها: ﴿**وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ**﴾ بفتح الزاي من «زيَّن» ونصب «القتل» بوقوع «زيَّن» عليه وخفض «أولادهم» بإضافة «القتل» إليهم، ورفع «الشركاء» بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل.

وإنما قلت: لا أستجيز القراءة بغيرها لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة. ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارىء: «وكذلك زُيِّنَ لِكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكينَ قَتْلُ أوْلادِهِمْ شُرَكائِهِمْ» بضم الزاي من «زيَّن» ورفع «القتل» وخفض «الأولاد» «والشركاء»، على أن «الشركاء» مخفوضون بالردّ على «الأولاد» بأن «الأولاد» شركاء آبائهم في النسب والميراث كان جائزاً. ولو قرأه كذلك قارىء، غير أنه رفع «الشركاء» وخفض «الأولاد» كما يقال: ضُرِب عبد الله أخوك، فيظهر الفاعل بعد أن جرى الخبر بما لم يسمّ فاعله، كان ذلك صحيحاً في العربية جائزاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرّمون ويحلِّلون من قِبَل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك. يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلاً منهم، لأنعام لهم وحرث: هذه أنعام، وهذا حرث

---

(١) البيت من شواهد النحويين، أورده ابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف (الجزء الأول المسألة الـ ٦٠ طبعة محمود توفيق بمطبعة الاستقامة). ورواية الشطر الأول فيه: «فزججتها بمزجة»ورواه العيني في شواهده الصغرى «**فرائد القلائد**» في باب الإضافة (ص - ٢٤٥)، وروايته: «فزججته» بتذكير الضمير. والبيت شاهد على الخلاف بين البصريين والكوفيين في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور، فيأباه البصريون، ويجيزه الكوفيون مطلقاً، ومنه هذا البيت، فقد فصل فيه بين المضاف «زج»، والمضاف إليه «أبي مزادة» بالقلوص، وهو مفعول وليس ظرفاً ولا جاراً ومجروراً، والتقدير زج أبي مزادة القلوص. والمزجة، بكسر الميم:) رمح قصير كالمزراق. وفي «**اللسان**»: المزج، بلا تاء لهذا الرمح. والقلوص: الناقة الشابة الفتية. وأبو مزادة: كنية رجل.

حجر، يعني بالأنعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه. وقيل: إن الأنعام: السائبة والوَصيلة والبحيرة التي سَمَّوْا.

حدثني بذلك محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الأنعام: السائبة والبحيرة التي سموا.

والحِجْر في كلام العرب: الحرام، يقال: حجرت على فلان كذا: أي حرّمت عليه، ومنه قول الله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾. ومنه قول المتلمس:

حَنَّتْ إلى النَّخلَةِ القُصْوَى فقُلْتُ لهَا   حِجْرٌ حَرامٌ ألا ثَم الدَّهاريسُ[(١)]

وقول رُؤبة:

وجارَةُ البَيْتِ لهَا حُجْرِيُّ[(٢)]

يعني: المحرم. ومنه قول الآخر:

فَبِتُّ مُرْتَفِقاً والعَيْنُ ساهِرَةٌ   كأنّ نَوْمي عليَّ اللَّيْلَ مَحْجُورُ[(٣)]

أي حرام، يقال: حِجْر وحُجْر، بكسر الحاء وضمها. وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسين وقتادة.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن الحسين، عن قتادة، أنه كان يقرؤها: «وحَرْثٌ حُجْرٌ» يقول: حرام، مضمومة الحاء.

---

(١) البيت للمتلمس من أبيات له، وبعده:

إلى شَامِيَةٍ إذْ لا عِرَاقَ لَنا   قَوْمٌ نَودُّهُمُ إذْ قَوْمُنا شُوسُ

قال البكري في «معجم ما استعجم» في رسم نخلة عن ابن ولاد: هما نخلتان: نخلة الشامية، ونخلة اليمانية. فالشامية: واد ينصب من الغمير، واليمانية: واد ينصب من بطن قرن المنازل، وهو طريق اليمن إلى مكة، وهو المراد في قول الشاعر: النخلة القصوى، التي حنت إليها ناقته، وأراد: هو السير إلى نخلة الشامية، كما في البيت الذي بعده. وحجر مثلث الحاء، ويروى بسل، وكلاهما بمعنى حرام. والدهاريس: الدواهي. واحدها دهرس، مثلث الدال، ساكن الهاء.

(٢) البيت في «لسان العرب» حجر قال: وقول الشاعر: «وجارة البيت لها حجري» فمعناه: لها خاصة. ووجدت البيت في ديوان العجاج، طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ (ص ـ ٦٨) وهو البيت ٤٩ وبعده: «ومَحْرُ ماتٌ هَتْكُها بُجْرِيُّ».

وقال السيد محمد توفيق البكري في شرحه للبيتين، في كتابه أراجيز العرب (ص ـ ١٧٧) والحجري: الحرمة. والبجري: الأمر الفظيع يريد رؤبة أن جارة بيته لها حرمة، من انتهكها، فقد فعل أمراً فظيعاً مستنكراً.

(٣) البيت لأعشى باهلة، كما قال ابن بري «اللسان» رفق. ومرتفقاً: (متكئاً على مرفق يدي. ومحجور: ممنوع).

وأما القرّاء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها، لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وأنها اللغة الجُودَى من لغات العرب.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: «وحَرْثٌ حِرْجٌ» بالراء قبل الجيم.

حدثني بذلك الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها كذلك.

وهي لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد، وهذا كما قالوا: جذب وجبذ، وناء ونأى، ففي الحجر إذن لغات ثلاث: «حِجْر» بكسر الحاء والجيم قبل الراء، و«حُجُر» بضم الحاء والجيم قبل الراء، و«حِرْجٌ» بكسر الحاء والراء قبل الجيم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل الحجر قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمران بن موسى القزّاز، قال: ثنا عبد الوارث، عن حميد، عن مجاهد وأبي عمرو: ﴿**وحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾ يقول: حرام.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾ فالحجر: ما حرّموا من الوصيلة، وتحريم ما حرّموا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وَحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾ قال: حرام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**هَذِهِ أنعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾... الآية، تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد، وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما قوله: ﴿**وقالُوا هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾ فيقولون: حرام أن نطعم إلا من شئنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾ نحتجرها على من نريد وعمن لا نريد، لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، قال: إنما احتجروا ذلك لآلهتهم، وقالوا: ﴿**لا يَطْعَمُها إلّا مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ**﴾ قالوا: نحتجرها عن النساء، ونجعلها للرجال.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿أَنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾** أما حجر، يقول: محرّم. وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها، ويعزلون من حرثهم شيئاً معلوماً لآلهتهم، ويقولون: لا يحلّ لنا ما سمينا لآلهتنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: **﴿أَنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾** ما جعلوه لله ولشركائهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها وأَنْعامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض أنعامهم، فلا يركبون ظهورها، وهم ينتفعون برَسْلها[1] ونِتاجها، وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب، وحرّموا من أنعامهم أنعاماً أُخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حلبوها ولا إن حملوا عليها.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها؟ قال: قلت: لا، قال: أنعام لا يحجون عليها.

حدثنا محمد بن عباد بن موسى، قال: ثنا شاذان، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما قوله: **﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُها وأَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّه عَلَيْها﴾**؟ قال: قلت: لا، قال: هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها.

حدثنا أحمد بن عمرو البصريّ، قال: ثنا محمد بن سعيد الشهيد، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي وائل: **﴿وأَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها﴾** قال: لا يحجون عليها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ،

---

(١) الرسل بوزن سهم: اللبن.

أما: ﴿أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها، قال: إذا ولدوها، ولا إن نحروها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها﴾ قال: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهورُها﴾ قال: لا يركبها أحد، ﴿وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها﴾.

وأما قوله: ﴿افْتِرَاءً﴾ على الله، فإنه يقول: فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرّموا، وقالوا ما قالوا من ذلك، كذباً على الله، وتخرّصاً الباطلَ عليه لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك على ما وصفه عنهم جلّ ثناؤه في كتابه إلى أن الله هو الذي حرّمه، فنفى الله ذلك عن نفسه، وأكذبهم، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يزعمون. ثم قال عزّ ذكره: ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ يقول: سيثيبهم ربهم، ﴿بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله الكذب ثوابهم، ويجزيهم بذلك جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك اللبن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن ابن عباس: ﴿وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾ قال: اللبن.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن ابن أبي الهذيل، عن ابن عباس مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَقالُوا ما فِي بُطُونِ

هٰذِهِ الأنْعام خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحَرَّمٌ على أزْوَاجِنا﴾ ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿خالِصَةٌ لِذُكُورنا ومُحَرَّمٌ على أزْوَاجِنا﴾** قال: ما فِي بُطون البحائر: يعني ألبانها، كانوا يجعلونه للرجال دون النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن زكريا، عن عامر، قال: البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورنا﴾**... الآية، فهو اللبن كانوا يحرّمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أُنثى تركب فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء. فنهى الله عن ذلك.

وقال آخرون: بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورنا ومُحَرَّمٌ على أزْوَاجِنا وَإنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ﴾** فهذه الأنعام ما ولد منها من حيّ فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن مجاهد: **﴿ما في بُطُونِ هَذِهِ الأنعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا﴾** السائبة والبحيرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا. واللبن مما في بطونها، وكذلك أجنتها، ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهنّ دون بعض. وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يقال: إنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حلّ لذكورهم خالصة دون إناثهم، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم، إلا أن يكون الذي في بطونها من الأجنة ميتاً فيشترك حينئذٍ في أكله الرجال والنساء.

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أنثت الخالصة، فقال بعض نحويي البصرة وبعض الكوفيين: أنثت لتحقيق الخلوص، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة، فجرى مجرى راوية ونسّابة. وقال بعض نحويي الكوفة: أنثت لتأنيث الأنعام، لأن ما في بطونها مثلها، فأنثت لتأنيثها. ومن ذكَّره فلتذكير «ما» قال: وهي في قراءة عبد الله: «خالصٌ» قال: وقد تكون الخالصة في تأنيثها مصدراً، كما تقول العافية والعاقبة، وهو مثل قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أُريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام التي كانوا حرّموا ما في بطونها على أزواجهم، لذكورهم دون إناثهم، كما فعل ذلك بالراوية والنسّابة والعلاّمة، إذا أُريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته، كما يقال: فلان خالصة فلان وخُلْصانه.

وأما قوله: ﴿ومُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بالأزواج، فقال بعضهم: عنى بها النساء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿ومُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا﴾ قال: النساء.

وقال آخرون: بل عنى بالأزواج البنات.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿ومُحَرَّمٌ على أَزْوَاجنا﴾ قال: الأزواج: البنات. وقالوا: ليس للبنات منه شيء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام، يعني أنعامهم: هذا محرّم على أزواجنا. والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شكّ بنات من هن أولاده، وحلائل من هنّ أزواجه. وفي قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَحَرَّمٌ على أزواجِنا﴾ الدليل الواضح على أن تأنيث «الخالصة» كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوصة للذكور، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل: ومحرّمة على أزواجنا، ولكن لما كان التأنيث في الخالصة لما ذكرت، ثم لم يقصد في المحرّم ما قصد في الخالصة من المبالغة، رجع فيها إلى تذكير «ما»، واستعمال ما هو أولى به من صفته.

وأما قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ﴾ فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه

يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرِّف في آخرين: «وَإنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ» بالتاء في «تكن» ورفع «ميتة»، غير أن يزيد كان يشدّد الياء من ميتة، ويخففها طلحة.

حدثني بذلك المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي حماد، قال: ثنا عيسى، عن طلحة بن مصرف.

وحدثنا أحمد بن يوسف، عن القاسم، وإسماعيل بن جعفر، عن يزيد.

وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء. وكأنّ من قرأ: ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب، أرادوا إن يكن ما في بطون تلك الأنعام، فذكَّر «يكن» لتذكير «ما»، ونصب «الميتة» لأنه خبر «يكن». وأما من قرأ: «وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ» فإنه إن شاء الله أراد وإن يكن ما في بطونها ميتة، فأنث «تكن» لتأنيث «ميتة».

وقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ فإنه يعني أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله لا يحرّمونه على أحد منهم، كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ قال: تأكل النساء مع الرجال، إن كان الذي يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء، وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيباً وإن شئنا لم نجعل.

وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوّله ابن زيد، لأن ظاهرها يدلّ على أنهم قالوا: إن لم يكن ما في بطونها ميتة، فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة. وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: سيجزي: أي سيثيب ويكافىء هؤلاء المفترين عليه الكذب في تحريمهم ما لم يحرّمه الله، وتحليلهم ما لم يحلله الله، وإضافتهم كذبهم في ذلك إلى الله. وقوله: ﴿وَصْفَهُمْ﴾ يعني بوصفهم الكذب على الله، وذلك كما قال جلّ ثناؤه في موضع آخر من كتابه: وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ الكَذِبَ، والوصف والصفة في كلام العرب واحد، وهما مصدران مثل الوزن والزنة.

وبنحو الذي قلنا في معنى «الوصف» قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ قال: قولهم الكذب في ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**﴾: أي كذبهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**﴾: أي كذبهم.

وأما قوله: ﴿**حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ فإنه يقول جلّ ثناؤه: إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه، حكيم في سائر تدبيره في خلقه، عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب، العادلون به الأوثان والأصنام، الذين زيَّن لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم ما حرّمت عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرّموا ما أحلّ الله لهم، وجعله لهم رزقاً من أنعامهم سفهاً منهم، يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم، ونقص عقول، وضعف أحلام منهم، وقلة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم. ﴿**افْتِرَاءً على الله**﴾ يقول: تكذيباً على الله وتخرّصاً عليه الباطل. ﴿**قَدْ ضَلُّوا**﴾ يقول: قد تركوا محجة الحقّ في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل. ﴿**وَما كانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، «وَلا كانُوا مُهْتَدِينَ» للصواب فيها ولا موفقين له. ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات، من قوله: ﴿**وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً**﴾ الذين كانوا يبحرون البحائر، ويسيبون السوائب، ويئدون البنات. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة، قوله: ﴿**الَّذِينَ قَتَلُوا أوْلادَهُمْ سَفَهاً بغيرِ عِلْمٍ**﴾ قال: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد اخرى، فإذا كانت الجارية التي تُوأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن رجعت إليك ولم

تئديها فتخدّ لها في الأرض خَدّاً، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها، ثم يتداولنها، حتى إذا أبصرته راجعاً دسّتها في حفرتها، ثم سوّت عليها التراب.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم، فقال: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بغيرِ عِلْمٍ وحَرَّموا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بغير عِلْم﴾** فقال: هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويَغْذُو كلبه. وقوله: **﴿وَحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ﴾**... الآية، وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً، تحكُّماً من الشياطين في أموالهم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام، قوله: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بغيرِ عِلْمٍ﴾**... الآية.

وكان أبو رزين يتأوّل قوله: **﴿قَدْ ضَلُّوا﴾** أنه معنيّ به قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال من قتل الأولاد وتحريم الرزق الذي رزقهم الله بأمور غير ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي رزين، في قوله: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ﴾**... إلى قوله: **﴿قَدْ ضَلُّوا﴾** قال: قد ضلوا قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾.

وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله، وتنبيه منه لهم على موضع إحسانه، وتعريف منه لهم ما أحلّ وحرّم وقسمَ في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقّاً. يقول تعالى ذكره: وربكم أيها الناس **﴿أنْشَأ﴾**: أي أحدث وابتدع خلقاً، لا الآلهة والأصنام، **﴿جَنَّاتٍ﴾** يعني: بساتين، **﴿مَعْرُوشاتٍ﴾** وهي ما عرش الناس من الكروم، **﴿وغيرَ مَعْرُوشاتٍ﴾**: غير مرفوعات مبنيات، لا ينبته الناس ولا يرفعونه، ولكن الله يرفعه وينبته وينميه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن

ابن عباس، قوله: ﴿مَعْرُوشاتٍ﴾ يقول: مسموكات.

وبه عن ابن عباس: ﴿وَهُوَ الَّذِي أنْشأَ جَنَّاتٍ مَعرُوشاتٍ وغيْرَ مَعْرُوشاتٍ﴾ فالمعروشات: ما عَرَش الناس وغير معروشات: ما خرج في البرّ والجبال من الثمرات.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما «جنات» فالبساتين وأما «المعروشات»: فما عُرِش كهيئة الكرم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أنْشأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ﴾ قال: ما يُعْرَش من الكروم. ﴿وغيرَ مَعْرُوشاتٍ﴾ قال: ما لا يعرش من الكرم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشابهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَره إذَا أثْمَرَ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وأنشأ النخل والزرع مختلفاً أكله، يعني بالاكل: الثمر، يقول: وخلق النخل والزرع مختلفاً ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحبّ والزيتون والرمان، متشابهاً وغير متشابه في الطعم، منه الحلو والحامض والمزّ كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿مُتَشابِهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ﴾ قال: متشابهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم.

وأما قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ﴾ فإنه يقول: كلوا من رطبه ما كان رطباً ثمره. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو همام الأهوازي، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَره إذَا أثْمَرَ﴾ قال: من رطبه وعنبه.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن الزبرقان، قال: ثنا موسى بن عبيدة في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ﴾ قال: من رطبه وعنبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَاده﴾ قال: الزكاة.

حدثنا عمرو، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا يزيد بن درهم، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَاده﴾ قال: الزكاة المفروضة.

حدثنا عمرو، قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا الحجاج بن أُرطاة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: العشر ونصف العشر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هانىء بن سعيد، عن حجاج، عن محمد بن عبيد الله، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: العشر ونصف العشر.

حدثنا عمرو بن عليّ وابن وكيع وابن بشار، قالوا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم بن نافع المكيّ، عن ابن عباس، عن أبيه، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة.

حدثنا عمرو، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو هلال، عن حيان الأعرج، عن جابر بن زيد: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: هي الصدقة. قال: ثم سئل عنها مرّة اخرى، فقال: هي الصدقة من الحبّ والثمار.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الله، عن عمرو بن سليمان وغيره، عن سعيد بن المسيب، أنه قال: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الصدقة المفروضة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: هي الصدقة من الحبّ والثمار.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يعني بحقه: زكاته المفروضة، يوم يُكال أو يُعلم كيله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده، وهو أن يعلم ما كيله وحقه، فيخرج من كلّ عشرة واحداً، وما يلتقط الناس من سنبله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وحقه يوم حصاده: الصدقة المفروضة، ذُكِر لنا أن نبيّ الله ﷺ سنّ فيما سقت السماء أو العين السائحة، أو سقاه الطلّ ـ والطلّ الندى ـ أو كان بعلاً العشر كاملاً وإن سقى برشاء: نصف العشر. قال قتادة: وهذا فيما يكال من الثمرة، وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسة أوسق، وذلك ثلاثمائة صاع، فقد حقّ فيها الزكاة، وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وطاوس: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قالا: هو الزكاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن الحجاج، عن سالم المكيّ، عن محمد بن الحنفية، قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: يوم كيله، يعطي العشر أو نصف العشر.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم المكيّ، عن محمد ابن الحنفية، قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: العشر، ونصف العشر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، وعن قتادة: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْم حَصَادِهِ﴾ قالا: الزكاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو معاوية الضرير، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: العشر ونصف العشر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك، عن الحكم بن عتيبة، عن ابن عباس، مثله.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ﴾ يعني: يوم كيله ما كان من برّ أو تمر أو زبيب. وحقه: زكاته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ، وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: كل منه، وإذا حصدته فآت حقه. وحقه: عشوره.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن أنه قال في هذه الآية: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة إذا كِلْته.

حدثنا عمرو، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ فقلت له: هو العشور؟ قال: نعم، فقلت له: عن أبيك؟ قال: عن أبي وغيره.

وقال آخرون: بل ذلك حقّ أوجبه الله في أموال أهل الأموال، غير الصدقة المفروضة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن أبيه: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: شيئاً سوى الحقّ الواجب. قال: وكان في كتابه «عن عليّ بن الحسين».

حدثنا عمرو، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: القبضة من الطعام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جرير، عن عطاء: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: من النخل والعنب والحبّ كله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أرأيت ما حصدت من الفواكه؟ قال: ومنها أيضاً تؤتي. وقال: من كلّ شيء حصدت تؤتي منه حقه يوم حصاده، من نخل أو عنب أو حبّ أو فواكه أو خضر أو قصب، من كلّ شيء من ذلك. قلت لعطاء: أواجب على الناس ذلك كله؟ قال: نعم ثم تلا: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: قلت لعطاء: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ هل في ذلك شيء مؤقت معلوم؟ قال: لا.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: يعطي من حصاده يومئذٍ ما تيسر، وليس بالزكاة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حصَادِهِ﴾ قال: ليس بالزكاة، ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حَصَده.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن العلاء بن المسيب، عن حماد: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: كانوا يعطون رطباً.

حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وآتُوا حَقَّهُ

﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: إذا حضرك المساكين طرحتَ لهم منه، وإذا أنقيته وأخذت في كيله حثوت لهم منه، وإذا علمت كيله عزلت زكاته، وإذا أخذت في جذاذ النخل طرحت لهم من التفاريق وإذا أخذت في كيله حثوت لهم منه، وإذا علمت كيله عزلت زكاته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: سوى الفريضة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: يُلقي إلى السُّؤال عند الحصاد من السنبل، فإذا طبن[1] أو طين الشكّ من أبي جعفر ألقى إليهم. فإذا حمله فأراد أن يجعله كُدْساً ألقى إليهم، وإذا داس أطعم منه، وإذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته. وقال: في النخل عند الجَذَاذ يطعم من الثمرة والشماريخ، فإذا كان عند كيله أطعم من التمر، فإذا فرغ عزل زكاته.

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن بشار، قالا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: إذا حصد الزرع ألقى من السنبل، وإذا جذّ النخل ألقى من الشماريخ، فإذا كاله زكّاه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: عند الحصاد، وعند الديّاس، وعند الصرام يقبض لهم منه، فإذا كاله عزل زكاته.

وبه عن سفيان، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: سوى الزكاة.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: شيء سوى الزكاة في الحصاد والجذاذ، إذا حصدوا وإذا جدّوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، في قول الله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: واجب حين يصرم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال: قال في هذه الآية: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: إذا حصد أطعم، وإذا أدخله البيدر، وإذا داسه أطعم منه.

---

(١) كذا في أصله وحرر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أشعث، عن ابن عمر، قال: يطعم المُعترَّ سوى ما يعطي من العشر ونصف العشر.

وبه عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قبضة عند الحصاد، وقبضة عند الجَذَاذ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن ابن سيرين، قال: كانوا يعطون من اعترَّ بهم الشيء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، قال: الضِّغْث.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، قال: يعطي مثل الضغث.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا حماد، عن إبراهيم: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: مثل هذا من الضغث. ووضع يحيى إصبعه الإبهام على المفصل الثاني من السبَّابة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، قال: نحو الضعث.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، عن سفيان، عن حماد، عن إبراهيم، قال: يعطي ضغثاً.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا كثير بن هشام، قال: ثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصمّ، قال: كان النخل إذا صُرم يجيء الرجل بالعِذق من نخله فيعلقه في جانب المسجد، فيجيء المسكين فيضربه بعصاه، فإذا تناثر أكل منه. فدخل رسول الله ﷺ ومعه حسن أو حسين، فتناول تمرة، فانتزعها من فيه، وكان رسول الله ﷺ لايأكل الصدقة، ولا أهل بيته. فذلك قوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا خالد بن حيان، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، ويزيد بن الأصمّ، قالا: كان أهل المدينة إذا صَرموا يجيئون بالعذق فيضعونه في المسجد، ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه، فيسقط منه، وهو قوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد وميمون، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قالا: كان الرجل إذا جذّ النخل يجيء بالعذق فيعلقه في جانب المسجد، فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه، فيأكل ما يتناثر منه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: لَقَطُ السنبل.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزريّ، عن مجاهد، قال: كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام، فيأكل منه الضعيف.

وبه عن معمر، قال: قال مجاهد: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يطعم الشيء عند صرامه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الضغث وما يقع من السنبل.

وبه عن سالم، عن سعيد: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: العلف.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: كان هذا قبل الزكاة للمساكين، القبضة والضغث لعلف دابته.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا محمد بن رفاعة، عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: ما قلّ منه أو كثر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: عند الزرع يعطي القبض، وعند الصرام يعطي القبض، ويتركهم فيتتبعون آثار الصرام.

وقال آخرون: كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة، ثم نسخته الصدقة المعلومة، فلا فرض في مال كائناً ما كان زرعاً كان أو غرساً، إلا الصدقة التي فرضها الله فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: نسخها العشر ونصف العشر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن الحجاج، عن الحكم، عن ابن عباس، قال: نسخها العشر ونصف العشر.

وبه عن حجاج، عن سالم، عن ابن الحنفية، قال: نسخها العشر، ونصف العشر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: هذا قبل الزكاة، فلما نزلت الزكاة نسختها، فكانوا يعطون الضغث.

حدثنا ابن حميد وأبو وكيع، قالا: ثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: كانوا يفعلون ذلك حتى سنّ العشر ونصف العشر فلما سنّ العشر ونصف العشر ترك.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: هي منسوخة، نسختها العشر ونصف العشر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: نسختها العشر ونصف العشر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم، قال: نسختها العشر ونصف العشر.

وبه عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، قال: نسختها الزكاة.

وبه عن سفيان، عن السديّ، قال: نسختها الزكاة: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر، قلت: عمن؟ قال: عن العلماء.

وبه عن سفيان، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم، قال: نسختها العشر ونصف العشر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ فكانوا إذا مرّ بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه، فنسخها الله عنهم بالزكاة، وكان فيما أنبتت الأرض العشر ونصف العشر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن يونس، عن الحسن، قال: كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ قال: نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون إذا حصدوا وإذا ذروا، فنسختها العشر ونصف العشر.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة، والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف. فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله جلّ ثناؤه: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ ينبىء عن أنه أمر من الله جلّ ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده، وكان يوم حصاده هو يوم جذّه وقطعه والحبّ لا شكّ أنه في ذلك اليوم في سنبله، والثمر وإن كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه، وكانت الصدقة من الحبّ إنما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلاً، والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلاً عُلم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حصاده.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون ذلك إيجاباً من الله في المال حقاً سوى الصدقة المفروضة. قيل: لأنه لا يخلو أن يكون ذلك فرضاً واجباً أو نفلاً، فإن يكن فرضاً واجباً فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرَّط في أدائها إلى أهلها كان بربه آثماً ولأمره مخالفاً، وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبىء عن أن ذلك ليس كذلك. أو يكون ذلك نفلاً، فإن يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار في إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر، وفي إيجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبىء عن أن ذلك ليس كذلك. وإذا خرجت الآية من أن يكون مراداً بها الندب، وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت، علم أنها منسوخة. ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلاً على صحته، أنه جلّ ثناؤه أتبع قوله: ﴿**وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ ﴿**وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ**﴾ ومعلوم أن من حكم الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر، أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم. وإذا كان ذلك كذلك، فما وجه نهي ربّ المال عن الإسراف في إيتاء ذلك، والآخذ مجبرٌ، وإنما يأخذ الحقّ الذي فرض الله فيه؟.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك إنما هو نهي من الله القيم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدّي في مال

ربّ المال والتجاوز إلى أخذ ما لم يبح له أخذه، فإن آخر الآية، وهو قوله: **﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾** معطوف على أوّله وهو قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**. فإن كان المنهي عن الإسراف القيم بقبض ذلك، فقد يجب أن يكون المأمور بإيتانه المنهي عن الإسراف فيه، وهو السلطان. وذلك قولٌ إن قاله قائل كان خارجاً من قول جميع أهل التأويل ومخالفاً المعهود من الخطاب، وكفى بذلك شاهداً على خطئه.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون معنى قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**: وآتوا حقه يوم كيله، لا يوم فَصْله وقطعه، ولا يوم جَذَاذه وقطافه، فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل. وذلك ما:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: يوم كيله.

وحدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن الحجاج، عن سالم المكيّ، عن محمد ابن الحنفية، قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: يوم كيله يعطي العشر ونصف العشر.

مع آخرين، قد ذُكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك. قيل: لأن يوم كيله غير يوم حصاده. ولن يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين: إما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد إلى معنى الكيل، فذلك ما لا يعقل في كلام العرب لأن الحصاد والحصد في كلامهم الجذّ والقطع، لا الكيل. أو يكونوا وجهوا تأويل قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** إلى وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه. فذلك خلاف ظاهر التنزيل، وذلك أن الأمر في ظاهر التنزيل بإيتاء الحقّ منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده. ولا فرق بين قائل: إنما عنى الله بقوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** بعد يوم حصاده، وآخر قال: عنى بذلك قبل يوم حصاده، لأنهما جميعاً قائلان قولاً دليل ظاهر التنزيل بخلافه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية، ومن المنهي عنه. فقال بعضهم: المنهيّ عنه: ربّ النخل والزرع والثمر والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف بربّ المال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا عاصم، عن أبي العالية، في قوله: **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا﴾**... الآية، قال: كانوا يعطون شيئاً سوى

الزكاة، ثم تسارفوا، فأنزل الله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفينَ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً سوى الزكاة، ثم تباروا فيه وأسرفوا، فقال الله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفينَ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً، ثم تسارفوا، فقال الله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جَذَّ نخلاً فقال: لا يأتينّ اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فقال الله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ يقول: لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد، أم في كلّ شيء؟ قال: بلى في كلّ شيء ينهى عن السرف. قال: ثم عاودته بعد حين، فقلت: ما قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفينَ﴾؟ قال: ينهى عن السرف في كل شيء. ثم تلا: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا﴾.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن أبي بشر، قال: أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة، فسألوه: ما السرف؟ فقال: ما تجاوز أمر الله فهو سرف.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء.

وقال آخرون: الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع: منع الصدقة والحقّ الذي أمر الله ربّ المال بإيتائه أهله بقوله: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الله، عن عمرو بن سليم وغيره، عن سعيد بن المسيب، في قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن الزبرقان، قال: ثنا محمد بن عبيدة، عن

محمد بن كعب: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ والسرف: أن لا يعطي في حقّ.

وقال آخرون: إنما خوطب بهذا السلطان: نهي أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ قال: قال للسلطان: لا تسرفوا، لا تأخذوا بغير حقّ فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس، يعني قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ . . . الآية.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: ﴿ولاَ تُسْرِفُوا﴾ عن جميع معاني الإسراف، ولم يخصص منها معنى دون معنى. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الإسرف في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحقّ في العطية، إما بتجاوز حدّه في الزيادة وإما بتقصير عن حدّه الواجب كان معلوماً أن المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما كيفته له، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله ﷺ بسبب خاص من الأُمور والحكم بها على العامّ، بل عامة آي القرآن كذلك، فكذلك قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الإسراف أنه على ما قلنا قول الشاعر:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدوها ثَمانِيَةٌ ... ما في عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[1]

يعني بالسرف: الخطأ في العطية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

---

(١) البيت لجرير. وقد تقدم الكلام عليه في الجزء الرابع من هذا التفسير (ص ـ ٢٥٤).

يقول تعالى ذكره: وأنشأ من الأنعام حَمولة وفرشاً، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات. والحمولة: ما حمل عليه من الإبل وغيرها، والفرش: صغار الإبل التي لم تدرك أن يحمل عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: الحمولة: ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانها والفرش: صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ﴿**حَمُولَةً وفَرْشاً**﴾ قال: الحمولة: الكبار من الإبل وفَرْشاً: الصغار من الإبل.

وقال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: الحمولة هي الكبار، والفرش: الصغار من الإبل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل.

وبه عن إسرائيل، عن خصيف، عن مجاهد: الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَفَرْشاً**﴾ قال: صغار الإبل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ﴿**حَمُولَةً وَفَرْشاً**﴾ قال: الحمولة: الكبار، والفرش: الصغار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود في قوله: ﴿**حَمُولَةً وَفَرْشاً**﴾ الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: هنّ الصغار.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن عبد الله، أنه قال في هذه الآية: ﴿**حَمُولَةً وفَرْشاً**﴾ قال: الحمولة: ما

حمل عليه من الإبل، والفرش: الصغار. قال ابن المثنى، قال محمد، قال شعبة: إنما كان حدثني سفيان عن ابن إسحاق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال الحسن: الحمولة من الإبل والبقر.

وقال بعضهم: الحمولة من الإبل، وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن: **﴿حَمُولَةً وفَرْشاً﴾** قال: الحمولة: ما حمل عليه، والفرش: حواشيها، يعني صغارها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وفَرْشاً﴾** فالحمولة ما حمل من الإبل، والفرش: صغار الإبل، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل.

ويقال: الحمولة: من البقر والإبل، والفرش: الغنم.

وقال آخرون: الحمولة: ما حمل عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك، والفرش: الغنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾** فأما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير، وكلّ شيء يحمل عليه وأما الفرش: فالغنم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: الحمولة من الإبل: والبقر، وفرشاً: المعز والضأن.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وفَرْشاً﴾** قال: أما الحمولة: فالإبل والبقر. قال: وأما الفرش: فالغنم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، كان غير الحسن يقول: الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾** أما الحمولة: فالإبل. وأما الفرش: فالفُصلان والعجاجيل والغنم، وما حمل عليه فهو حمولة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ الحمولة: الإبل، والفرش، الغنم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن: ﴿وفَرْشاً﴾ قال: الفرش: الغنم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿حَمُولَةً وفَرْشاً﴾ قال: الحمولة: ما تركبون، والفرش: ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها، وتتخذون من أصوافها لحافاً وفرشاً.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الحمولة: هي ما حمل من الأنعام، لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها كالإبل والخيل والبغال فإذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل فالواجب أن يكون كلّ ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة، وهي جمع لا واحد لها من لفظها، كالرَّكوبة والجَزُورة. وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، ويقال له الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس. فأما الحُمولة بضمّ الحاء: فإنها الأحمال، وهي الحُمُول أيضاً بضم الحاء.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم، إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، وللشيطان مثله، فقالوا: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا. ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ﴾ كما اتبعها باحرو البحيرة ومسيبو السوائب، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه، فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾: لا تتبعوا طاعته، هي ذنوب لكم، وهي طاعة للخبيث.

إن الشيطان لكم عدوّ يبغي هلاككم وصدّكم عن سبيل ربكم، ﴿مُبِينٌ﴾ قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة، حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه، وحسداً منه له وبغياً عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

وهذا تقريع من الله جلّ ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذي بحّروا البحائر وسيَّبوا السوائب ووصلوا الوصائل، وتعليم منه نبيه ﷺ والمؤمنين به، الحجة عليهم في تحريمهم ما حرّموا من ذلك، فقال للمؤمنين به وبرسوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغيرَ مَعْرُوشاتٍ﴾ ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشاً. ثم بين جلّ ثناؤه الحمولة والفرش، فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أزْوَاجٍ﴾ وإنما نصب الثمانية، لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كأن معنى الكلام: ومنَ الأنعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدَّم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد، فقال: ﴿ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ﴾ على ذلك المعنى ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَينِ وَمِنَ المعَزِ اثْنَيْنِ﴾ فذلك أربعة، لأن كلّ واحد من الاثنين من الضأن زوج، فالأُنثى منه زوج الذكر، والذكر منه زوج الأنثى، وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جلّ ثناؤه: ﴿ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ﴾ كما قال: ﴿وَمِنْ كلِّ شيءٍ خلقْنَا زَوْجينِ﴾ لأن الذكر زوج الأنثى والأُنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَجعلَ مِنهَا زَوْجهَا لِيَسْكُنَ إليهَا﴾ وكما قال: ﴿أمْسِكْ عليْكَ زَوْجكَ﴾. وكما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأُنثى، ﴿وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأُنثى.

ويقال للاثنين: هما زوج كما قال لبيد:

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ ... زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا[1]

---

(١) البيت من معلقة لبيد (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات) (من) بيانية تبين قوله في البيت قبله: «فتكنسوا قطنا»: أي اتخذوا للضغائن هوادج من قطن، تشبه كنس الظباء، و«كل محفوف» يريد به الهودج قد حف بالثياب، أي جعلت على أحفته، وهي جوانبه، الواحد حفاف. وعصيه: خشبه، والزوج: قال الزوزني: النمط من الثياب. وقال التبريزي: الزوج النمط الواحد. وقال الفيومي في المصباح المنير: الزوج: الشكل يكون له نظير، كالأصناف والألوان، أو يكون له نقيض، كالرطب واليابس، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والحلو والمر. قال ابن دريد: والزوج: كل اثنين، ضد الفرد. وتبعه الجوهري فقال: ويقال للاثنين المتزاوجين: زوجان، وزوج أيضاً، تقول: عندي زوج نعال: تريد اثنين. وزوجان: تريد أربعة. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً، ويكون اثنين. وقوله تعالى: ﴿من كل زوجين اثنين﴾: هو هنا واحد، وقال أبو عبيدة، وابن فارس كذلك. وقال الأزهري: وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين، والزوج عندهم: الفرد. وهذا هو الصواب. وقال ابن الأنباري: والعامة تخطىء: فتظن أن الزوج اثنان، =

ثم قال لهم: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم، واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرّم هؤلاء الجهلة بغير أمري إياهم بذلك. قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا من الحرث والأنعام، اتباعاً للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرّم عليهم ما هم محرّمون من ذلك: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز، فإنهم إن ادّعوا ذلك وأقرّوا به، كذّبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم، لأنهم إذا قالوا: يحرّم الذكرين من ذلك، أوجبوا تحريم كلّ ذكرين من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها، وفي ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم. ﴿أمِ الأُنْثَيَيْنِ﴾ فإنهم إن قالوا: حرّم ربنا الأُنثيين، أوجبوا تحريم لحوم كل أُنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها، وفي ذلك أيضاً تكذيب لهم، ودحض دعواهم أن ربهم حرّم ذلك عليهم، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره. ﴿أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾ يقول: أم حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأُنثيين، يعني أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال: أرحام الأُنثيين. وفي ذلك أيضاً لو أقرّوا به فقالوا: حرّم علينا ما اشتملت عليه أرحام الانثيين، بطُول قولهم وبيان كذبهم، لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك أن الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها، و«ما» التي في قوله: ﴿أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾ نصب عطفاً بها على «الأُنثيين». ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ يقول: قل لهم: خبروني بعلم ذلك على صحته، أيّ ذلك حرّم ربكم عليكم وكيف حرّم، ﴿إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تنحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه إليه من تحريمكم؟ وإنما هذا إعلام من الله جلّ ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك وأضافوه إلى الله، فهو كذب على الله، وأنه لم يحرّم شيئاً من ذلك، وأنهم إنما اتبعوا في ذلك خطوات الشيطان، وخالفوا أمره.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ

= وليس ذلك من مذهب العرب، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً، في مثل قولهم زوج حمام، وإنما يقولون: زوجان من حمام، وزوجان من خفاف. ولا يقولون للواحد من الطير: زوج، بل للذكر: فرد، وللأنثى فردة.

والكلة: الستر الرقيق لا يحجب ما وراءه، والقرام: الستر الذي يلقى فوق الهودج، أو على بعض جوانبه، لئلا تؤذي الشمس صاحبته يصف الهودج بأن عليه كلة وقراماً، فكأن بعضه مغطى بالقرام لحجب الشمس، وبعضه مغطى بالكلة فقط للانتفاع بالضوء.

مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ . . . الآية، إن كلّ هذا لم أُحرّم منه قليلاً ولا كثيراً ذكراً ولا أُنثى.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ومِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ قال: سلهم ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾: أي لم أُحرّم من هذا شيئاً. ﴿بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ في شأن ما نهى اللهعنه من البحيرة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهدَ، قوله: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ قال: هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب. قال ابن جريج: يقول: من أين حرّمت هذا من قبل الذكرين أم من قِبَل الأُنثيين، أما اشتملت عليه أرحام الأُنثيين؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أُنثى، فمن أين جاء التحريم؟ فأجابوا هم: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَينِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾، يقول: أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عددت ذكر وأُنثى، فالذكرين حرّمت عليكم أم الأُنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين؟ يقول: أي ما اشتملت عليه أرحام الأُنثيين ما تشتمل إلا على ذكر أو أُنثى، فما حرّمت عليكم ذكراً ولا أُنثى من الثمانية، إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾ قال: ما حملت الرحم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ﴾ قال: هذا لقولهم: ﴿ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورنا ومُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا﴾. قال: وقال ابن زيد في قوله: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنِينَ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ قال: الأنعام: هي الإبل والبقر والضأن والمعز، هذه الأنعام التي قال الله ثمانية أزواج. قال: وقال في قوله: ﴿هَذِهِ أَنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ نحتجرها على من نريد وعمن نريد، وقوله: ﴿وأَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ قال: لا يركبها أحد، ﴿وأَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ الله عَلَيْها﴾ فقال:

﴿آلذَّكَرَيْن حَرَّم أم الأُنْثَيَيْنِ﴾ أيّ هذين حرّم على هؤلاء، أي أن تكون لهؤلاء حلاًّ وعلى هؤلاء حراماً[١].

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿ثمانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعز اثْنَيْن قُلْ الذَّكَريْن حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْن أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْه أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾** يعني: هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أُنثى، فهم يحرّمون بعضاً ويحلون بعضاً؟

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿ثمانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْن اثْنَيْن وَمِنَ المَعْز اثْنَيْن﴾** فهذه أربعة أزواج، **﴿وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَر اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ﴾** يقول: لم أُحرّم شيئاً من ذلك. **﴿نَبِّئُونِي بِعِلم إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** يقول: كله حلال.

والضأن: جمع لا واحد له من لفظه، وقد يجمع الضأن: الضَّئين والضِّئين، مثل الشَّعير والشِّعير، كما يجمع العبد على عَبيد وعِبيد. وأما الواحد من ذكوره فضائن، والأُنثى ضائنة، وجمع الضائنة: ضوائن، وكذلك المعز جمع على غير واحد، وكذلك المعزى[٢] وأما الماعز، فجمعه مواعز.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾.

وتأويل قوله: **﴿وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾** نحو تأويل قوله: **﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ﴾** وهذه أربعة أزواج، على نحو ما بينا من الأزواج الأربعة قبل من الضأن والمعز، فذلك ثمانية أزواج كما وصف جلّ ثناؤه.

وأما قوله: **﴿أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء إذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ﴾** فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين

---

(١) في الأصل: أي أن تكون لهؤلاء حل، وعلى هؤلاء حرام، بالرفع فيهما.

(٢) في الأصل الماعزي تحريف.

قصّ قصصهم في هذه الآيات التي مضت، يقول له عزّ ذكره: قل لهم يا محمد، أيّ هذه سألتكم عن تحريمه حرّم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك، فقل لهم: أخبراً قلتم إن الله حرّم هذا عليكم أخبركم به رسول عن ربكم، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذي تقول وتردّون على الله؟ فإن هذا الذي تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون، لا يُعلم إلا بوحي من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه، أو بسماع منه، فبأيّ هذين الوجهين علمتم أن الله حرّم ذلك كذلك برسول أرسله إليكم؟ فأنبئوني بعلم إن كنتم صادقين أم شهدتم ربكم، فأوصاكم بذلك وقال لكم: حرّمت ذلك عليكم، فسمعتم تحريمه منه وعهده إليكم بذلك؟ فإنه لم يكن واحد من هذين الأمرين. يقول جلّ ثناؤه: **﴿فمنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افترَى عَلى اللّهِ كذباً﴾** يقول: فمن أشدّ ظلماً لنفسه وأبعد عن الحقّ ممن تخرّص على الله قيل الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم وتحليل ما لم يحلل. **﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْم﴾** يقول: ليصدّهم عن سبيله: **﴿إنَّ اللّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ﴾** يقول: لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم كفراً بالله وجحوداً لنبوّة نبيه محمد ﷺ. كالذي:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا﴾** الذي تقولون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كانوا يقولون يعني الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب: إن الله أمر بهذا. فقال الله: **﴿فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله والقائلين **﴿هَذِهِ أنعامٌ وحرْثٌ حِجْرٌ لا يطْعَمُها إلاَّ مَنْ نشاءُ بِزَعمِهِمْ﴾** والمحرّمين من أنعام أُخَر ظهورها، والتاركين ذكر اسم الله على أُخَر منها، والمحرّمين بعض ما في بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم ومحلّيه لذكورهم، المحرّمين ما رزقهم الله افتراء على الله، وإضافة منهم ما يحرّمون من ذلك إلى أن الله هو

الذي حرّمه عليهم: أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم، فأنبئونا به، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرّمتموه؟ فإنكم كذبة إن ادّعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه، لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم، فإني لا أجد فيما أُوحي إليّ من كتابه وآي تنزيله شيئاً محرّماً على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريم ما حرّم عليكم منها بزعمكم، إلا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دماً مسفوحاً وهو المنصبّ أو إلا أن يكون لحم خنزير. **﴿فإنّه رِجْسٌ أو فِسْقاً﴾** يقول: أو إلا أن يكون فسقاً، يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحاً ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه، فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك، لأنه ميتة. وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبيّ الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذي حرّمه الله، وأن الذي زعموا أن الله حرّمه حلال قد أحله الله، وأنهم كذبة في إضافتهم تحريمه إلى الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، في قوله: **﴿قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرَّماً﴾** قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون أشياء ويحلون أشياء، فقال: قل لا أجد مما كنتم تحرّمون وتستحلون إلا هذا **﴿إلاَّ أنْ يكونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مَسْفُوحاً أوْ لحمَ خِنزِيرٍ فإنَّهُ رِجْسٌ أوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغيرِ اللّهِ بِهِ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، في قوله: **﴿قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرَّماً﴾**... الآية، قال: كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرّمون أشياء، فقال الله لنبيه: **﴿قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرَّماً﴾** مما كنتم تستحلون إلا هذا وكانت أشياء يحرّمونها فهي حرام الآن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه: **﴿قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾** قال: ما يؤكل. قلت: في الجاهلية؟ قال: نعم وكذلك كان يقول: **﴿إلاَّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾**. قال ابن جريج: وأخبرني إبراهيم بن أبي بكر، عن مجاهد: **﴿قُلْ لا أجدُ فيما أُوحِيَ إليّ مُحَرَّماً﴾** قال: مما كان في الجاهلية يأكلون، لا أجد محرّماً من ذلك على طاعم يطعمه، إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً.

وأما قوله: ﴿أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾ فإن معناه: أو دماً مسالاً مُهَراقاً، يقال منه: سفحت دمه: إذا أرقته، أسفحه سَفْحاً، فهو دم مسفوح، كما قال طرفة بن العبد:

إنّي وَجَدِّكَ ما هَجَوْتُكَ والـ ... أنْصَابِ يُسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمُ[1]

وكما قال عبيد بن الأبرص:

إذَا ما عادَهُ مِنَّا نِسَاءٌ ... سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بعدِ الرَّنِينِ[2]

يعني: صببن، وأسلن الدمع. وفي اشتراطه جلّ ثناؤه في الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه المسفوح منه دون غيره، الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحاً فحلال غير نجس. وذلك كالذي:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة: ﴿أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾ قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة بنحوه، إلا أنه قال: لاتَّبع المسلمون.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة بنحوه.

حدثنا أبو كريب، قال: أخبرنا وكيع، عن عمران بن حدير، عن أبي مجلز، في القِدر يعلوها الحمرة من الدم، قال: إنما حرّم الله الدم المسفوح.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن عمران بن حدير،

---

(١) البيت في شعر طرفة «مختار الشعر الجاهلي» طبعة الحلبي (ص ـ ٣٤٧) وفيه: «بينهن» في موضع «فوقهن». وقوله و«الأنصاب» أقسم بالأوثان التي تقرب لها القرابين ويسفح: يصب ويراق.

(٢) البيت في ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ بإشراف لجنة جب التذكارية ص ـ ٤٥، وهو البيت الـ ١٧ من القصيدة) وفيه: (منها) في موضع (منا) و(صفحن) في موضع (سفحن). ولم يشرحه. وسفحن: أرقن. والرنين هنا: البكاء بصوت.

وقوله منها: الضمير راجع إلى الطعنة في البيت قبله:

وأسمر قد نصبت لذي سناء ... يرى مني محافظة اليقين

يحاول أن يقوم وقد مضته ... مُغابنة بذي خرصٍ قَتينِ

أي يحاول أن يقوم الرجل من طعنة أماتته وقد مضته: أي نفذت منه الطعنة. والمغابنة: الطعنة التي تغبن من لحمه، كما يغبن الثوب: أي يثنى، ويروى معاينة: أي وهو يرى ذلك ويعاينه. ويروى معاندة. والخرص: السنان. وقتين: محدد الرأس. والقتين أيضاً: القليل الطعم.

عن أبي مجلز، قال: سألته عن الدم، وما يتلطخ بالمذبح من الرأس، وعن القدر يرى فيها الحمرة، قال: إنما نهى الله عن الدم المسفوح.

حدثنا محمدبن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**أَوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾ قال: حرّم الدم ما كان مسفوحاً وأما لحم خالطه دم فلا بأس به.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلْ لا أَجِدُ فِيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلاَّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾ يعني مُهَراقاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، أخبرني ابن دينار، عن عكرمة: ﴿**أوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾ قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً، والحمرة والدم يكونان على القدر بأساً. وقرأت هذه الآية: ﴿**قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ**﴾. . . الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن يحيى بن سعيد، ثني القاسم بن محمد، عن عائشة قالت[1]، وذكرت هذه الآية ﴿**أوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾ قلت: وإن البُرْمة ليرى في مائها الصفرة.

وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا، وأنه النجس والنتن، وما يعصى الله به، بشواهده، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وكذلك القول في معنى الفسق، وفي قوله: ﴿**أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ بِهِ**﴾ قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره وإعادته.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**إلاَّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً**﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة: ﴿**إلاَّ أنْ يَكُونَ**﴾ بالياء ﴿**مَيْتَةً**﴾ مخففة الياء منصوبة على أن في يكون مجهولاً، والميتة فعل له فنصبت على أنها فعل يكون، وذكروا يكون لتذكير المضمر في «يكون». وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والكوفة: «إلاَّ أنْ تَكُونَ» بالتاء «مَيْتَةٌ» بتخفيف الياء من

(١) فيه اختصار يعلم ممّا قبله.

الميتة ونصبها. وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الأوّلين، وأنثوا «تكون» لتأنيث الميتة، كما يقال: إنها قائمة جاريتك، وإنه قائم جاريتك، فيذكر المجهول مرّة ويؤنث أُخرى لتأنيث الاسم الذي بعده. وقرأ ذلك بعض المدنيين: «إلاَّ أنْ تَكُونَ مَيِّتَةٌ» بالتاء في «تكون»، وتشديد الياء من «ميتة» ورفعها، فجعل «الميتة» اسم «تكون»، وأنث «تكون» لتأنيث «الميتة»، وجعل «تكون» مكتفية بالاسم دون الفعل، لأن قوله: «إلاَّ أنْ تَكُونَ مَيْتَةٌ» استثناء، والعرب تكتفي في الاستثناء بالأسماء عن الأفعال، فيقولون: قام الناس إلا أن يكون أخاك، وإلا أن يكون أخوك، فلا تأتي ليكون بفعل، وتجعلها مستغنية بالاسم، كما يقال: قام القوم إلا أخاك وإلا أخوك، فلا يعتد الاسم الذي بعد حرف الاستثناء نفلاً.

والصواب من القراءة في ذلك عندي: ﴿إلاَّ أنْ يَكُونَ﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾ بتخفيف الياء ونصب الميتة، لأن الذي في «يكون» من المكنّى من ذكر المذكر، وإنما هو: قُلْ لا أجد فيما أُوحي إليّ محرّماً على طاعم يطعمه، إلا أن يكون ذلك ميتة أو دماً مسفوحاً. فأما قراءة «ميتةٌ» بالرفع، فإنه وإن كان في العربية غير خطأ فإنه في القراءة في هذا الموضع غير صواب، لأن الله يقول: ﴿أوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾ فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب، وكذلك هو في مصاحف المسلمين، وهو عطف على «الميتة». فإذ كان ذلك كذلك لا فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله «أو فسقاً» مرفوعين، ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ وَلا عادٍ فإنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ وَلا عادٍ﴾. والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وأن معناه: فمن اضطرّ إلى أكل ما حرّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير، أو ما أُهلّ لغير الله به، غير باغ في أكله إياه تلذّذاً، لا لضرورة حالة من الجوع، ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حدّه الله وأباحه له من أكله، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه، فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك. ﴿فإنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ فيما فعل من ذلك، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه، ولو شاء عاقبه عليه. ﴿رَحِيمٌ﴾ بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه، ولوشاء حرمه عليه ومنعه منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وحرّمنا على اليهود كلّ ذي ظفر، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ﴾** وهو البعير والنعامة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قال: البعير والنعامة ونحو ذلك من الدوابّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قال: هو ليس الذي بمنفرج الأصابع.

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قال: كل شيء متفرّق[(١)] الأصابع، ومنه الديك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: **﴿كُلّ ذِي ظُفُرٍ﴾**: النعامة والبعير.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** فكان يقال: البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: **﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قال: الإبل والنعام، ظفر يد البعير ورجله، والنعام أيضاً كذلك، وحرّم عليهم أيضاً من الطير البط وشبهه، وكلّ شيء ليس بمشقوق الأصابع.

---

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله وما يأتي بعده.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما كلّ ذي ظفر: فالإبل والنعام.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا شيخ، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قل: النعامة والبعير شقّاً شقّاً، قال: قلت: «ما شقّاً شقّاً؟» قال، كل ما لم تفرّج قوائمه لم يأكله اليهود، البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: **﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** قال: النعامة والبعير شقّاً شقّاً، قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه: «ما شقّاً شقّاً؟» قال: كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم،قال: وما انفرج أكلته اليهود، قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير، فيهود تأكلها. قال: ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خفّ النعامة ولا قائمة الوزّين، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزين ولا كلّ شيء لم تنفرج قائمته، وكذلك لا تأكل حمار وحش. وكان ابن زيد يقول في ذلك بما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** الإبل فقط.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه حرّم على اليهود كلّ ذي ظُفُر، فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر إلا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه. وإذا كان ذلك كذلك، وكان النعام وكلّ ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلاً في ظاهر التنزيل، وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية خبر عن الله ولا عن رسوله، وكانت الأُمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل.

القول في تاويل قوله تعالى:
﴿وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما﴾.

اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله تعالى أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم، فقال بعضهم: هي شحوم الثروب خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ**

شُحُومَهُما﴾ الثروب. ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «قاتل الله اليهود حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ الثُّرُوبَ ثُمَّ أكَلُوا أثمَانَها».

وقال آخرون: بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريح، قوله: **﴿حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما﴾** قال: إنما حرّم عليهم الثَّرْب، وكلّ شحم كَدْن[1] كذلك ليس في عظم.

وقال آخرون: بل ذلك شحم الثَّرْب والكُلى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: **﴿حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما﴾** قال: الثرب وشحم الكليتين. وكانت اليهود تقول: إنما حرّمه إسرائيل فنحن نحرّمه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما﴾** قال: إنما حرّم عليهم الثروب والكليتين. هكذا هو في كتابي عن يونس، وأنا أحسب أنه الكلى.

والصواب في ذلك من القول أن يقال: إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، فكلّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم، فإنه كان محرّماً عليهم.

وبنحو ذلك من القول تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وذلك قوله: «قاتَلَ اللّهُ اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَّلُوها ثُمَّ باعُوها وأكَلُوا أثمَانها».

وأما قوله: **﴿إلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما﴾** فإنه يعني: إلا شحوم الجنب وما علق بالظهر، فإنها لم تحرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) الكدن. بوزن نمر: السمين الكثير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**إلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما**﴾ يعني: ما علق بالظهر من الشحوم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ما حملت ظهورهما: فالأليات.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: الألية مما حملت ظهورهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أوِ الحَوَايا﴾.

قال أبو جعفر: والحوايا جمع، واحدها حاوياء وحاوية وحَوِيَّة: وهي ما تحوّى من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى المرابض، وفيها الأمعاء. ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا، فالحوايا رفع عطفاً على الظهور، و«ما» التي بعد «إلاَّ»، نصب على الاستثناء من الشحوم.

وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**أوِ الحَوَايا**﴾ وهي المبعر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**أوِ الحَوَايا**﴾ قال: المبعر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الحوايا: المبعر والمَرْبض.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أو الحَوَايا**﴾ قال: المبعر.

١٠٨٩٠ــ **حدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿**أوِ الحَوَايا**﴾ قال: المباعر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿**أوِ الحَوَايا**﴾ قال: المباعر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ قال: المبعر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ قال: المبعر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة والمحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: المبعر.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ يعني: البطون غير الثروب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ هو المبعر.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ قال: المباعر. وقال ابن زيد في ذلك، ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَوِ الحَوَايا**﴾ قال: الحوايا: المرابض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها، وهي بنات اللبن، وهي في كلام العرب تُدعى المرابض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن البقر والغنم حرّمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما، أو ما حملت حواياهما، فإنا أحللنا ذلك لهم، وإلا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضاً حلال. فردّ قوله: ﴿**أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ على قوله: ﴿**إلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما**﴾ ف«ما» التي في قوله: ﴿**أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ في موضع نصب عطفاً على «ما» التي في قوله: ﴿**إلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما**﴾. وعنى بقوله: ﴿**أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ شحم الألية والجنب وما أشبه ذلك. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ قال: شحم الألية بالعُصْعُص، فهو حلال، وكلّ شيء في القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم، فهو حلال.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ مما كان من شحم على عظم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير، ذوات الأظافير غير المنفرجة، ومن البقر والغنم، ما حرّمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية، حرّمناه عليهم عقوبة منا لهم، وثواباً على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنَّا لَصَادِقُونَ﴾** إنما حرّم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾** فعلنا ذلك بهم ببغيهم.

وقوله: **﴿وَإنَّا لَصَادِقُونَ﴾** يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التي ذكرنا أنا حرّمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فإن كذّبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرّمنا عليهم وحللنا لهم كما بينا في هذه الآية، فقل: ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمناً من عباده وبغيرهم من خلقه، واسعة، تسع جميع خلقه المحسن والمسيء، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحْرِمه ثواب عمله، رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه، وذلك سطوته وعذابه، لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء. والمجرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فإنْ كَذَّبُوكَ﴾** اليهود.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فإنْ كَذَّبوكَ﴾** اليهود، **﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾**.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كانت اليهود يقولون: إنما حرّمه إسرائيل يعني: الثرب وشحم الكليتين فنحن نحرّمه، فذلك قوله: ﴿**فإنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بأْسُهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أشْرَكُوا**﴾ وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش: ﴿**لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا**﴾ يقول: قالوا احتجازاً من الإذعان للحقّ بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحقّ، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام، على ما قد بَيَّن تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك: ﴿**وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمَّا ذَرأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً**﴾ وما بعد ذلك: لو أراد الله منا الإيمان به وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة وتحليل ما حرّم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكاً، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قَبلنا: ولا حرّمنا ما نحرّمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون لأنه قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك، حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل، إما بأن يضطرّنا إلى الإيمان وترك الشرك به وإلى القول بتحليل ما حرّمنا وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير إلى الإقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام، وإلى تحليل ما حرّمنا. ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام، واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد، وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام، فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك. قال الله مكذّباً لهم في قيلهم: إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرّم، ورادّاً عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك: ﴿**كذلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يقول: كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحقّ والبيان، كذّب من قبلهم من فَسقة الأُمم الذين طغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه، وردّوا عليهم نصائحهم. ﴿**حتى ذَاقُوا بَأْسنا**﴾ يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة، يقول: وهؤلاء الآخرون، مسلوك بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدّقوا بما جئتهم به من عند ربهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا**﴾ وقال: ﴿**كذلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾، ثم قال: ﴿**وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا**﴾ فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهة تقرّبنا إلى الله زلفى. فأخبرهم الله أنها لا تقربهم، وقوله: ﴿**وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا**﴾ يقول الله سبحانه: لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ**﴾ قال: قول قريش، يعني: إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ**﴾ قول قريش بغير يقين: إن الله حرّم هذه البحيرة والسائبة.

فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذّب من قيل هؤلاء المشركين قوله: رضي الله منا عبادة الأوثان، وأراد منا تحريم ما حرّمنا من الحروث والأنعام، دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم: ﴿**لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ**﴾ وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون؟ قيل له: الدلالة على ذلك، قوله: ﴿**كذلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمداً ﷺ فيما آتاهم به من عند الله من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى، وتحريم غير ما حرّم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الأُمم الخالية المكذّبة الله ورسولَه. والتكذيب منهم إنما كان لمكذَّب، ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم في قيلهم: ﴿**لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا**﴾ لقال: «كذلكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بتخفيف الذال، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله لا إلى التكذيب. مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْم فَتُخْرِجُوهُ لَنا إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وإنْ أنْتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام المحرّمين ما هم له محرّمون من الحروث والأنعام، القائلين: ﴿**لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلاَ حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ**﴾ ولكنه رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرّم: هل عندكم بدعواكم ما تدّعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم

ما تحرّمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر، أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا؟ يقول: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع. ﴿**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ**﴾ يقول له: قل لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون وتحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون إلا ظنّاً وحسباناً أنه حقّ وأنكم على حق وهو باطل، وأنتم على باطل. ﴿**وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ**﴾ يقول: وإن أنتم، وما أنتم في ذلك كله إلا تخرُصون، يقول: إلا تتقوّلون الباطل على الله ظنّاً بغير يقين علم ولا برهان واضح.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرّموا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم: هل عندكم من علم بما تدّعون على ربكم فتخرجوه لنا، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شكّ عن ذلك عجزة، وعن إظهاره مقصّرون، لأنه باطل لا حقيقة له. ﴿**فَلِلَّهِ**﴾ الذي حرّم عليكم أن تشركوا به شيئاً، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام، ﴿**الحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾ دونكم أيها المشركون. ويعني بالبالغة: أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه، وقَطْعِ عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه. ﴿**فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أجمَعينَ**﴾ يقول: فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والآلهة والدينونة، بتحريم ما حرّم الله وتحليل ما حلله الله، وترك اتباع خطوات الشيطان، وغير ذلك من طاعاته. ولكنه لم يشأ ذلك، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده. وقال: ﴿**فَلَوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أجمَعِينَ**﴾ قال: ﴿**لا يُسئلُ عَمَّا يفْعَلُ وَهُمْ يُسْئلُونَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أن الله حرّم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرّم عليكم ما تزعمون أنه حرّمه عليكم. وأهل العالية من تهامة توحد «هلمّ» في الواحد والاثنين والجمع، وتذكر في المؤنث والمذكر، فتقول للواحد: هلمّ يا فلان وللاثنين والجمع كذلك، وللأنثى مثله ومنه قول الأعشى:

وكَـــانَ دَعَـــا قَـــوْمَـــهُ دَعْـــوَةً هَـلُـــمَّ إلـــى أمْـرِكُـــمْ قَـــدْ صُـــرِمْ(١)

يُنشد «هلمّ» و«هلمّوا». وأما أهل السافلة من نجد فإنهم يوحدون للواحد ويثنون للاثنين ويجمعون للجميع، فيقال للواحد من الرجال: هلمّ، وللواحدة من النساء: هلمّي، وللاثنين: هلمّا، وللجماعة من الرجال هلمّوا، وللنساء: هَلْمُمْن.

قال الله لنبيه: ﴿فإنْ شَهِدُوا﴾ يقول: يا محمد، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرّم ما يزعمون أن الله حرّمه عليهم. ﴿فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله. وخاطب بذلك جلّ ثناؤه نبيه ﷺ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به. ﴿وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾ يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرّم وتحليل ما أحلّ لهم، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾ يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذّب بما هم به مكذّبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره إياهم بعد فنائهم. ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يقول: وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجحودهم قيام الساعة بالله يعدلون الأوثان والأصنام، فيجعلونها له عِدلاً، ويتخذونها له نِدّاً يعبدونها من دونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

(١) البيت في ديوان الأعشى (طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ـ ٤٣) وفي روايته: «رهطه» في موضع «قومه». وهو البيت ٦٤ من قصيدة له يمدح بها قيس بن معدي كرب. والبيت مرتبط بأبيات قبله في قصة ذكرها الشاعر، معتبراً بما آل إليه «الحضر»، وهو قصر كان حيال تكريت بين دجلة والفرات بناه الضيزن، وهو رجل قيل من قضاعة، تملك على الجزيرة، ، وغزا بلاد الفرس، وأخذ أُخت ملكها سابور، فغزاه سابور بجنوده، وأخذوا يضربون القصر بفؤسهم حولين، وحاول صاحبه استنقاذه فهجم عليه ليلاً وأخذ يدعو قومه ويحمسهم ويذكرهم بسالف أيامهم إذ كانوا ناعمين في ظل القصر وصاحبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَذَا**﴾ يقول: قل أروني الذين يشهدون أن الله حرّم هذا مما حرّمت العرب، وقالوا: أمرنا الله به. قال الله لرسوله: ﴿**فإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَذَا**﴾ قال: البحائر والسَّيَّب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أن الله حرّم عليهم ما هم محرّموه من حروثهم وأنعامهم، على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرّم ربكم حقّاً يقيناً، لا الباطل، تخرّصاً كخرصكم على الله الكذب والفرية ظنّاً، ولكن وحياً من الله أوحاه إليّ، وتنزيلاً أنزله عليّ، ألا تشركوا بالله شيئاً من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ولا تعبدوا شيئاً سواه. ﴿**وَبالوَالِدَيْنِ إحْساناً**﴾ يقول: وأوصى بالوالدين إحساناً. وحذف «أوصى» وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه، وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب.

وأما «أن» في قوله: ﴿**أنْ لا تُشْركُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ فرفع، لأن معنى الكلام: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم، هو أن لا تشركوا به شيئاً. وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله: ﴿**تُشْركُوا**﴾ وجهان: الجزم بالنهي، وتوجيه «لا» إلى معنى النهي. والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر، ونصب «تشركوا» بـ«ألاّ» كما يقال: أمرتك أن لا تقوم. وإن شئت جعلت «أن» في موضع نصب ردّاً على «ما» وبياناً عنها، ويكون في قوله: ﴿**تُشْرِكُوا**﴾ أيضاً من وجهي الإعراب نحو ما كان فيه منه، و«أن» في موضع رفع، ويكون تأويل الكلام حينئذٍ: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم، أتْلُ أن لا تشركوا به شيئاً.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون قوله ﴿**تُشْرِكُوا**﴾ نصباً بـ«أن لا»، أم كيف يجوز

توجيه قوله: ﴿أن لا تشركوا به﴾، على معنى الخبر، وقد عطف عليه بقوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إملاقٍ﴾ وما بعد ذلك من جزم النهي؟ قيل: جاز ذلك كما قال تعالى ذكره: ﴿قُلْ إِنّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ فجعل «أن أكون» خبراً و«أنْ» إسماً، ثم عطف عليه، وكما قال الشاعر:

حَجَّ وأوْصَى بِسُلَيْمَى الأعْبُدَا ... أنْ لا تَرَى وَلا تُكَلِّمْ أحَدَا
وَلا يَزَلْ شَرابُها مُبَرَّدَا[1]

فجعل قوله «أن لا ترى» خبراً، ثم عطف بالنهي، فقال: «ولا تكلم»، «ولا يزل».

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ﴾ ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم. والإملاق: مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد، فأنا أُمْلِقُ إملاقاً، وذلك إذا فني زاده وذهب ماله وأفلس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ﴾ الإملاق: الفقر، قتلوا أولادهم خشية الفقر.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ﴾ أي خشية الفاقة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ﴾ قال: الإملاق: الفقر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ﴿مِنْ إمْلاقٍ﴾ قال: شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، في قوله: ﴿مِنْ إمْلاقٍ﴾ يعني: من خشية فقر.

---

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، ولم أقف على قائلها؛ والشاهد فيها أن «لا» في قوله (لا ترى) لا نافية، وقد عطف عليها الفعل بعدها مجزوماً بلا الناهية، كما قال أبو جعفر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرّمة عليكم التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها، والباطن منها الذي تأتونه سرّا في خفاء لا تجاهرون به، فإن كلّ ذلك حرام. وقد قيل: إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضاً. وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كلّ فاحشة وباطنها، ولا خبر يقطع العذر بأنه عُنس به بعضٌ دون جميع، وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها.

ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاصّ المعنى:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** أما ما ظهر منها: فزواني الحوانيت، وأما ما بطن: فما خفي.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** كان أهل الجاهلية يستسرّون بالزنا، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرّاً، فحرّم الله السرّ منه والعلانية **﴿ما ظَهَرَ مِنْها﴾** يعني: العلانية **﴿وَما بَطَنَ﴾** يعني: السرّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السرّ ويستقبحونه في العلانية، فحرّم الله الزنا في السرّ والعلانية.

وقال آخرون في ذلك بمثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾**: سرّها وعلانيتها.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، نحوه.

وقال آخرون: ماظهر نكاح الأمهات وحلائل الآباء، وما بطن: الزنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن خصيف، عن مجاهد: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** قال: ما ظهر: جمع بين الأختين، وتزويج الرجل[١] امرأة أبيه من بعده وما بطن: الزنا. وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني إسحاق بن زياد العطار البصري، قال: ثنا محمد بن إسحاق البلخي، قال: ثنا تميم بن شاكر الباهلي، عن عيسى بن أبي حفصة، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَلا تَقْرَبوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** قال: ما ظهر الخمر، وما بطن: الزنا.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾** **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حرّم الله إلاَّ بالحَقّ﴾** يعني بالنفس التي حرّم الله قتلها: نفس مؤمن أو معاهَد. وقوله: **﴿إلا بالحَقّ﴾** يعني: بما أباح قتلها به من أن تقتل نفساً فتقتل قوداً بها، أو تزني وهي محصنة فترجم، أو ترتدّ عن دينها الحقّ فتُقتل فذلك الحقّ الذي أباح الله جلّ ثناؤه قتل النفس التي حرّم على المؤمنين قتلها به. **﴿ذَلِكُمْ﴾** يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه، هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به. **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿ولاَ تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاَّ بالتي هي أحْسَن﴾** ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد: **﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: التجارة فيه.

(١)) يريد: أن يتزوج الرجل... الخ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ﴾** فليثمِّر ماله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا فضيل بن مرزوق العنزي، عن سليط بن بلال، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: **﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: يبتغي له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاَّ بالتي هيَ أحْسَنُ﴾** قال: التي هي أحسن: أن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى فلا يأكل قال الله: **﴿وَمَنْ كانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيأْكُلْ بالمَعْرُوف﴾**. قال: وسئل عن الكسوة فقال: لم يذكر الله الكسوة إنما ذكر الأكل.

وأما قوله: **﴿حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ﴾** فإن الأشدّ جمع شدّ، كما الأضرّ جمع ضرّ، وكما الأشرّ جمع شرّ. والشدّ: القوّة، وهو استحكام قوّة شبابه وسنه، كما شدّ النهار ارتفاعه وامتداده، يقال: أتيته شدّ النهار ومدّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنترة:

عَهْدِي بِه شَدَّ النَّهار كأنَّما خُضِبَ اللَّبانُ ورأسُهُ بالعِظْلِم(١)

ومنه قول الآخر:

يُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهار ظَعِينَةٌ طَويلَةُ أنْقاء اليَدَيْن سَحُوقُ(٢)

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشدّ اسم مثل الآنك. فأما أهل التأويل فإنهم مختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل بلغ أشدّه، فقال بعضهم: يقال ذلك له إذا بلغ الحلم.

---

(١) البيت لعنترة في معلقته (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ـ ٣٧٧) يصف بطلاً من أبطال الحرب أصابه عنترة بطعنة من رمحه فخر صريعاً، وشد النهار: ارتفاعه. ويروى معه النهار، وهو امتداده واللبان: صدر الفرس، ويظهر أنه محرف عن البنان، كما في شرح الزوزني وشرح التبريزي على المعلقات، وكما في مختار الشعر الجاهلي. والبنان: الأصابع. والعظلم: نبت يختضب به، وهو الوسمة. يقول: رأيته عند ارتفاع النهار بعد قتلي إياه، وقد جف الدم عليه، كأن أصابعه ورأسه قد خضبت بالعظلم. وفي «اللسان»: شد النهار: أي أشد النهار. يعني أعلاه وأمتعه.

(٢) البيت في «اللسان» سحق عن ابن الأعرابي. وشد النهار: أعلاه وأرفعه. والظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، وقيل مطلقاً. والانقاء: جمع نقو، وهو كل عظم فيه مخ، يريد قصب اليدين والرجلين. والسحوق: الطويلة، وأصله من صفات النخلة، واستعار بعضهم السحوق للمرأة الطويلة، وأنشد ابن الأعرابي: يطيف.... الخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمي، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن عمرو بن الحرث، عن ربيعة، في قوله: ﴿حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ﴾ قال: الحلم.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمي، قال: ثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، مثله. قال ابن وهب: وقال لي مالك مثله.

حُدثت عن الحماني، قال: ثنا هشيم، عن مجاهد، عن عامر: ﴿حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ﴾ قال: الأشدّ: الحلم، حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات.

وقال آخرون: إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ﴾ قال: أما أشدّه: فثلاثون سنة، ثم جاء بعدها: حتى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ.

وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف. وذلك أن معنى الكلام: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشدّه، فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشداً فادفعوا إليه ماله. لأنه جلّ ثناؤه لم ينه أن يُقرَب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه ويحلّ لوليه بعد بلوغه أشدّه أن يقربه بالتي هي أسوأ، ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظاً عليه ليسلموه إليه إذا بلغ أشدّه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ بالقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾.

يقول تعالى ذكره: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن أوفوا الكيل والميزان، يقول: لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم والوزن إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم وإيفاؤهم ذلك: إعطاؤهم حقوقهم تامَّة بالقسط، يعني: بالعدل. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بالقِسْطِ﴾ بالعدل.

وقد بيَّنا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا إعادته.

وأما قوله: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلَّا وُسْعَها﴾ فإنه يقول: لا نكلف نفساً من إيفاء الكيل والوزن إلا ما يسعها، فيحلّ لها، ولا تحرَج فيه. وذلك أن الله جلّ ثناؤه علم من عباده أن كثيراً منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له، فأمر المعطي بإيفاء ربّ الحقّ حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر الذي له الحقّ بأخذ حقه

ولم يكلفه الرضا بأقلّ منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه، فلم يكلف نفساً منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق، فلذلك قال: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾. وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده في موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا﴾: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم، فقولوا الحقّ بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه. ﴿وَبِعَهْدِ اللّهِ أوْفُوا﴾ يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله.

وأما قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأُمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها، لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد ووأد البنات واتباع خطوات الشيطان. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أمركم بهذه الأُمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقب أمركم بهذه الأُمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقب أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا إلى طاعة ربكم. وكان ابن عباس يقول: هذه الآيات هنّ الآيات المحكمات.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عليّ بن صالح، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن قيس، عن ابن عباس، قال: هنّ الآيات المحكمات، قوله: ﴿قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار، قالا: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت يحيى بن أيوب، يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله، عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار، قال: سمع كعب الأحبار رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فقال: والذي نفس كعب بيده، إن هذا لأوّل شيء في التوراة «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق، عن رجل، عن

الربيع بن خيثم أنه قال لرجل: هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات: ﴿**قُلْ تَعالَوا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق الرازي، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرّة، قال: قال الربيع: ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله ﷺ؟ لم يفلّ خاتمها. فقرأ هذه الآيات: ﴿**قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: جاء إليه نفر فقالوا: قد جالست أصحاب محمد فحدّثنا عن الوحي فقرأ عليهم هذه الآيات من الأنعام: ﴿**قُلْ تعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فما عندنا وحي غيره.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال: هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا**﴾ قال: قولوا الحقّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله: ﴿**قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ وأمركم بالوفاء به، هو صراطه، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده. ﴿**مُسْتَقِيماً**﴾ يعني: قويماً لا اعوجاج به عن الحقّ. ﴿**فاتَّبِعُوهُ**﴾ يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه فاتبعوه. ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ يقول: ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تركبوا منهجاً غيره، ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات. ﴿**فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ يقول: فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان، اتباعكم عن سبيله، يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصَّى به الأنبياء وأمر به الأُمم قبلكم. ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم: ﴿**إنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ وصاكم به ﴿**لعلكم تتقون**﴾ يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحلّ بكم نقمته وعذابه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ قال: البدع والشبهات.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾: البدع والشبهات.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾، وقوله: ﴿**وأقِيمُوا الدّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ يقول: لا تتبعوا الضلالات.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا حماد، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطّاً، فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللّهِ» ثم خطّ عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطاً، فقال: «هَذِهِ سُبُلٌ على كُلّ سَبِيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُوا إلَيْها». ثم قرأ هذه الآية: ﴿**وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُم عَنْ سَبِيلِهِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ قال: سبيله: الإسلام، وصراطه: الإسلام. نهاهم أن يتبعوا السبل سواه، ﴿**فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾: عن الإسلام.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان: أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادّ، وعن يساره جوادّ، وثمّ رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿**وَأن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**﴾... الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿وأَنَّ﴾ بفتح الألف من «أن» وتشديد النون، ردّاً على قوله: ﴿أَنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ بمعنى: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: «وَإِنَّ» بكسر الألف من «إن»، وتشديد النون منها على الابتداء وانقطاعها عن الأول، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار وعوامّ المسلمين صحيح معنياهما، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فهو مصيب الحقّ في قراءته. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله، كما أمر عباده بالأشياء. وإن أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وما أمركم به، ففتح على ذلك «أن» فمصيب. وإن كسرها إذ كانت «التلاوة» قولاً وإن كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله: «أتل»، وهو يريد إعمال ذلك فيه فمصيب. وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأوّل والتلاوة، وأن ما أمر النبيّ ﷺ بتلاوته على من أُمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك، فمصيب. وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحاق البصريّ[1]: «وأنْ» بفتح الألف من «أن»، وتخفيف النون منها، بمعنى: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن هذا صراطي فخففها إذ كانت «أن» في قوله: ﴿أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ مخففة، وكانت «أن» من قوله: ﴿وأنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ معطوفة عليها، فجعلها نظيرة ما عطفت عليه. وذلك وإن كان مذهباً، فلا أُحبّ القراءة به لشذوذها عن قراءة قرّاء الأمصار وخلاف ما هم عليه في أمصارهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ﴾ ثم قل بعد ذلك يا محمد: آتى ربك موسى الكتاب. فترك ذكر «قل»، إذ كان قد تقدم في أوّل القصة ما يدلّ على أنه مراد فيها، وذلك قوله: ﴿قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فقصّ ما حرّم عليهم وأحلّ، ثم قال: ثم قل: آتينا موسى، فحذف «قل» لدلالة قوله: «قل» عليه، وأنه مراد في الكلام.

---

(١) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي، من أوائل نحاة البصرة، ومن شويخ القراء بها. توفي سنة ١١٧.

وإنما قلنا ذلك مراد في الكلام، لأن محمداً ﷺ لا شكّ أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه إنما أُمر بتلاوة هذه الآيات على من أُمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه، ومعلوم أن موسى أُوتي الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أُمر بتلاوتها عليه، و«ثم» في كلام العرب حرف يدلّ على أنّ ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: **﴿تَماماً على الَّذِي أحْسَنَ﴾** فقال بعضهم: معناه: تماماً على المحسنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿تماماً على الَّذِي أحْسَنَ﴾** قال: على المؤمنين.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن نجيح، عن مجاهد: **﴿تَماماً على الَّذي أحْسَنَ﴾** المؤمنين والمحسنين.

وكأن مجاهداً وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده.

فإن قال قائل: فكيف جاز أن يقال: **﴿على الَّذِي أحْسَنَ﴾** فيوحد «الذي»، والتأويل على الذين أحسنوا؟ قيل: إن العرب تفعل ذلك خاصة في الذي وفي الألف واللام إذا أرادت به الكلّ والجميع، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَالعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾** وكما قالوا: أكثر الذي هم فيه في أيدي الناس. وقد ذُكِر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك: «تَماماً على الَّذِينَ أحْسَنُوا» وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد. وإذا كان المعنى كذلك، كان قوله: «أحْسَنَ» فعلاً ماضياً، فيكون نصبه لذلك. وقد يجوز أن يكون «أحسن» في موضع خفض، غير أنه نصب، إذ كان «أفعل»، و«أفعل» لا يجري في كلامها. فإن قيل: فبأيّ شيء خفض؟ قيل: ردّاً على «الذي» إذ لم يظهر له ما يرفعه. فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي هو أحسن، ثم حذف «هو»، وجاور «أحسن» «الذي»، فعرف بتعريفه، إذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه، «والذي» مثله، كما تقول العرب: مررت بالذي خير منك وشرّ منك، وكما قال الراجز:

إنَّ الزُّبَيْرِيَّ الَّذِي مِثْلُ الحَلَمْ ... مَشَّى بأسْلابِكُمْ أهْلَ العَلَمْ[1]

(١) لم نقف على الرجز، ولا قائله.

فأتبع «مثل» «الذي» في الإعراب. ومن قال ذلك لم يقل: مررت بالذي عالم، لأن «عالماً» نكرة «والذي» معرفة، ولا تتبع نكرة معرفة.

وقال آخرون: معنى ذلك: تماماً على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الكَتابَ تَمَاماً على الَّذِين أحْسَنَ﴾** فيما أعطاه الله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ تَمَاماً على الَّذِي أحْسَنَ﴾** قال: من أحسن في الدنيا تمم الله له ذلك في الآخرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: **﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسى الكِتابَ تَمَاماً على الَّذِي أحْسَنَ﴾** يقول: من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة.

وعلى هذا التأويل الذي تأوّله الربيع تماماً على ما أحسن موسى، أي آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة تماماً على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته.

وقال آخرون في ذلك: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ تَمَاماً على الَّذِي أحْسَنَ﴾** قال: تماماً من الله وإحسانه الذي أحسن إليهم وهداهم للإسلام، وآتاهم ذلك الكتاب تماماً لنعمته عليه وإحسانه.

«وأحسن» على هذا التأويل أيضاً في موضع نصب على أنه فعل ماض. «والذي» على هذا القول والقول الذي قاله الربيع بمعنى: «ما». وذكر عن يحيى بن يعمُر أنه كان يقرأ ذلك: «تَمَاماً على الَّذِي أحْسَنُ» رفعاً، بتأويل: على الذي هو أحسن.

حدثني بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا الحجاج، عن هارون، عن أبي عمرو بن العلاء، عن يحيى بن يعمُر.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح،

لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة، فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة. ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسنَّا، أو: ثم آتى الله موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن. وفي وصفه جلّ ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله: «أحسن» إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين، الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد. وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه «الذي» إلى معنى الجميع فلا دليل في الكلام يدلّ على صحة ما قال من ذلك، بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه. وإذا تنوزع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيّ به غير ذلك.

وأما قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فإنه يعني: وتبييناً لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به.

فتأويل الكلام إذن: ثم آتينا موسى التوراة تماماً لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله، تتمّ به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه، وتبييناً لكلّ ما لقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم. كما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فيه حلاله وحرامه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى الكتاب تماماً وتفصيلاً لكلّ شيء. ﴿وَهُدًى﴾ يعني بقوله «وهدى»: تقويماً لهم على الطريق المستقيم، وبياناً لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا. ﴿وَرَحْمَةً﴾ يقول: ورحمة منا بهم، ورأفة، لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة.

وأما قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنه يعني: إيتائي موسى الكتاب تماماً لكرامة الله موسى على إحسان موسى، وتفصيلاً لشرائع دينه، وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالّاً، لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به، وبلقائه بعد مماته، فيطيع ربه، ويصدّق بما جاءه به نبيه موسى ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَهَذا كِتابٌ أنْزَلْناهُ مُبارَكٌ﴾ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ. كتاب أنزلناه مبارك. ﴿فاتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاجعلوه إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس. ﴿وَاتَّقُوا﴾ يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدّوا حدوده، وتستحلوا محارمه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهَذَا كِتابٌ أنْزَلْناهُ مُبارَكٌ﴾ وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿فاتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾.

اختلف أهل العربية في العامل في «أن» التي في قوله: ﴿أنْ تَقُولُوا﴾ وفي معنى هذا الكلام، فقال بعض نحوِّيي البصرة[1]: معنى ذلك: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن كراهية أن تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: بل ذلك في موضع نصب بفعل مضمر، قال: ومعنى الكلام: فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا أن تقولوا. قال: ومثله بقول الله ﴿أن تَحْبَطَ أعْمَالُكُمْ وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾.

وقال آخرون منهم: هو في موضع نصب. قال: ونصبه من مكانين، أحدهما «أنزلناه لئلا يقول: إنما أنزل الكتاب على». والآخر من قوله: ﴿اتَّقوا﴾ قال: ولا يصلح في موضع «أن» كقوله: يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نصب «أن» لتعلقها بالإنزال، لأن معنى الكلام: وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا. فأما

(١) الذي في الفخر، «أنزلناه» أي القرآن: كراهة أن تقولوا ا هـ. وهو الظاهر من المقام.

الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد، لئلا يقول المشركون: لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نؤمر ولم ننه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، فإنهما اليهود والنصارى.

وكذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا**﴾ وهم اليهود والنصارى.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا**﴾ اليهود والنصارى نخاف أن تقوله قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿**أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا**﴾ قال: اليهود والنصارى قال: أن تقول قريش.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**أنْ تَقُولُوا إنَّما أُنْزِلَ الكِتابُ على طائفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا**﴾ وهم اليهود والنصارى.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا**﴾ أما الطائفتان: فاليهود والنصارى.

وأما ﴿**وَإنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لغَافِلِينَ**﴾ فإنه يعني: أن تقولوا: وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم غافلين، لا ندري ما هي، ولا نعلم ما يقرأون وما يقولون وما أُنزل إليهم في كتابهم، لأنهم كانوا أهله دوننا، ولم نعن به، ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا، فيتخذوا ذلك حجة. فقطع الله بإنزاله القرآن على نبيه محمد ﷺ حجتهم تلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**وَإنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغافِلِينَ**﴾ يقول: وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾ أي عن قراءتهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾ قال: الدراسة: القراءة والعلم وقرأ: ﴿**وَدَرَسُوا ما فِيهِ**﴾ قال: علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾ يقول: وإن كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهذا كتاب أنزلناه مبارك، لئلا يقول المشركون من عبدة الأوثان من قريش: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، أو لئلا يقولوا: ﴿**لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكِتابُ**﴾ كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأمرنا فيه ونهينا، وبيّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه. ﴿**لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ**﴾: أي لكنا أشدّ استقامة على طريق الحقّ واتباعاً للكتاب، وأحسن عملاً بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا. يقول الله: ﴿**فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ يقول: فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربيّ مبين، حجة عليكم واضحة بينة من ربكم. ﴿**وَهُدًى**﴾ يقول: وبيان للحقّ، وفرقان بين الصواب والخطأ. ﴿**وَرَحْمَةٌ**﴾ لمن عمل به واتبعه. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكَتابُ لَكُنَّا أهدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ يقول: قد جاءكم بينة لسان عربيّ مبين، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين، وحين قلتم: لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكِتابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ**﴾ فهذا قول كفار العرب، ﴿**فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بآياتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْها سَنَجْزِي الَّذِينَ

يَصْدِفُونَ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: فمن أخطأ فعلاً وأشدّ عدواناً منكم أيها المشركون، المكذّبون بحجج الله وأدلته وهي آياته. ﴿وَصَدَفَ عَنْها﴾ يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها ولم يصدّق بحقيقتها. وأخرج جلّ ثناؤه الخبر بقوله: ﴿فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بآياتِ اللّهِ﴾ مخرج الخبر عن الغائب، والمعنيّ به المخاطبون به من مشركي قريش.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْها﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْها﴾ يقول: أعرض عنها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا﴾: يعرضون عنها، والصدف: الإعراض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَصَدَفَ عَنْها﴾ أعرض عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ العَذَابِ بِمَا كانُوا يَصْدِفُونَ﴾ أي يعرضون.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَصَدَفَ عَنْها﴾ فصدّ عنها.

وقوله: ﴿سَنَجزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ العَذَابِ﴾ يقول: سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرّفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوّة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم ﴿سُوءَ العَذَاب﴾ يقول: شديد العقاب، وذلك عذاب النار التي أعدّها الله لكفرة خلقه به. ﴿بِمَا كانُوا يَصْدِفُونَ﴾ يقول: يفعل الله ذلك بهم، جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة ﴿أوْ يَأْتِي

بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها. ذكر من قال من أهل التأويل ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿إلاَّ أنْ تَاتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾** يقول: عند الموت حين توفاهم، أو يأتي ربك ذلك يوم القيامة. **﴿أوْ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾** بالموت، **﴿أوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾** يوم القيامة، **﴿أوْ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** قال: آية موجبة طلوع الشمس من مغربها، أو ما شاء الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾** يقول: بالموت، **﴿أوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾** وذلك يوم القيامة، **﴿أوْ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾**.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾** عند الموت، **﴿أوْ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** يقول: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله في قوله: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أوْ يَأْتِي رَبُّكَ أوْ يَأْتِي بعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** قال: يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين. زاد ابن حميد في حديثه: فذلك حين **﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانها خَيْراً﴾** وقال: كالبعيرين المقترنين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾** تقبض الأنفس بالموت، **﴿أوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾** يوم القيامة، **﴿أوْ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً﴾.

يقول تعالى ذكره: يوم يأتي بعض آيات ربك، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية. وقيل: إن تلك الآية التي أخبر الله جلّ ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها: طلوع الشمس من مغربها.

ذكر من قال ذلك وما ذُكِر فيه عن رسول الله ﷺ:

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾** قال: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن فضيل، وجرير عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها» قال: «فإذَا رآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها، فَتِلْكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَت فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليَشْكريّ وإسحاق بن شاهين، قالا: أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان، عن يونس، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: «أتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنَّها تَذْهَبُ إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَة، فَلا تَزَالُ كَذلكَ حتى يُقالَ لَهَا ارْتَفِعي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلَعِها. ثُمَّ تَجْرِي إلى أنْ تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرّ لَهَا تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، فَلا تَزَالُ كذلكَ حتى يقالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلِعِها. ثُمَ تَجْري لا يُنْكِرُ النَّاسُ مِنْها شَيْئاً، حتى تَنْتَهيَ فَتَخِرُّ ساجِدَةً فِي مُسْتَقَرّ لَهَا تَحْتَ العَرْشِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ لا يُنْكِرُونَ مِنْها شَيْئاً، فَيُقال لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَغْرِبِها». قال رسول الله ﷺ: «أتَدْرُونَ أيُّ يَوْم ذلكَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذَاكَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا ابن علية، عن يونس، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ، عن النبيّ ﷺ نحوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن عاصم، عن زرّ، عن صفوان بن عسال، قال: ثنا رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ باباً مَفْتُوحاً للتَّوْبَةِ حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

حدثنا المفضل بن إسحاق، قال: ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامي، عن أبيه،

عن زبيد، عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسال المرادي، قال: ذكرت التوبة، فقال النبيّ ﷺ: «للتَّوْبَةِ بابٌ بالمَغْرِبِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاماً أوْ أرْبَعِينَ عاماً، فَلايَزَالُ كذلكَ حتى يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ».

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسال، أنه قال: «إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً، فإذا طلعت الشمس من مغربها، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها، فإذَا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها، فذلك حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُوم السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها، فَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِن النَّاسُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ، وَذلِكَ حِينَ لا يَنْفَعَ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ، قال: ثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: ثنا ابن عياش، قال: ثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن مالك بن يخامر، عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها، فإذَا طَلَعَتْ طُبِعَ على كُلّ قَلْبٍ بِما فِيهِ، وكُفِيَ النَّاسُ العَمَلَ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون، بنحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي حيان التيمي، عن أبي زرعة، قال: جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة، فسمعوه وهو يحدّث عن الآيات، أن أوّلها خروجاً الدجّال. فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو، فحدثوه بذلك، فقال: لم يقل مروان شيئاً، قد حفظت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً لم أنسه، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُرُوجاً: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها، أوْ خُرُوجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحىً، أيَّتُهُما

كانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِها فالأُخْرَى على أثَرِها قَرِيباً». ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب: أظنّ أوّلهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش، فسجدت واستأذنت في الرجوع، فيؤذن لها في الرجوع، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش، فسجدت واستأذنت في الرجوع، فلم يردّ عليها شيئاً، فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يردّ عليها بشيء، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق، قالت: ما أبعد المشرق ربّ من لي بالناس، حتى إذا صار الأُفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع، فقيل لها: اطلعي من مكانك فتطلع من مغربها. ثم قرأ: **﴿يَوْمَ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾**... إلى آخر الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو ربيعة فهد، قال: ثنا حماد، عن يحيى بن سعيد أبي حيان، عن الشعبيّ، أن ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم، فذكر نحوه، عن عبد الله بن عمرو.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: سمعت عاصم بن أبي النجود يحدّث عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسال، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمَغْرِبِ بابا مَفْتُوحاً للتَّوْبَةِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاماً، لا يُغْلَقُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد، عن حجاج، عن عاصم، عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسال، قال: إذا طلعت الشمس من مغربها، فيؤمئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو ربيعة فهد، قال: ثنا عاصم بن بهدلة، عن زرّ بن حبيش، قال: غدونا إلى صفوان بن عسال، فقال: إن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ بابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ. عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عاماً، فَلا يَزَالُ مَفْتُوحاً حتى تَطْلُعَ مِنْ قِبَلِهِ الشَّمْسُ». ثم قرأ: **﴿هَل يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أوْ يَأْتِي رَبُّكَ أوْ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾**... إلى: **﴿خَيْراً﴾**.

حدثني الربيع بن سليمان، قال: ثنا شعيب بن الليث، قال: ثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، أنه قال: قال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ»، قال: «فإذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ المَغْرِبِ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وذلكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تابَ قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها قُبِلَ مِنْهُ».

حدثني المثنى، قال: ثنا فهد، قال: ثنا حماد، عن يونس بن عبيد، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبي ذرّ، أن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الشَّمْسَ إذَا غَرَبَتْ، أتَتْ تَحْتَ العَرْشِ فَسَجَدَتْ، فَيُقالُ لَهَا: اطلُعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ» ثم قرأ هذه الآية: **﴿هَل يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾**... إلى آخر الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ، قال: كنت ردف النبيّ ﷺ ذات يوم على حمار، فنظر إلى الشمس حين غربت، فقال: «إنَّها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ، تَنْطَلِقُ حتى تَخِرَّ لِرَبِّها ساجِدَةً تَحْتَ العَرْشِ حتى يَأْذَنَ لَهَا، فإذَا أرَادَ أنْ يُطْلِعَها مِنْ مَغْرِبها حَبَسَها، فَتَقُولُ: يا رَبِّ إنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ، فَيَقُولُ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ فذلكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة، عن موسى بن المسيب، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ قال: نظر النبيّ ﷺ يوماً إلى الشمس فقال: «يُوشِكُ أنْ تَجِيءَ حتى تَقِفَ بينَ يَدَيِ اللّهِ، فَيَقُولُ: ارجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَعِنْدَ ذلكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانها خَيْراً﴾** فهو أنه لا ينفع مشركاً إيمانه عند الآيات، وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيراً قبل ذلك. قال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال لهم: «يا عِبادَ الله، تُوبُوا إلى الله فإنَّكُمْ تُوشِكُونَ أنْ تَرَوُا الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ، فإذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ حُبِسَتِ التَّوْبَةُ وطُوِيَ العَمَلُ وخُتِمَ الإيمَانُ». فقال الناس: هل لذلك من آية يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن آيَةَ تِلْكُمُ اللَّيْلَةَ أنْ تَطُولَ كَقَدْرِ ثَلاثِ لَيالٍ، فَيَسْتَيْقِظُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فَيُصَلُّونَ لَهُ، ثُمَّ يَقْضُونَ صَلاَتَهُمْ واللَّيْلُ مَكانَهُ لَمْ يَنْقَضِ، ثمَّ يأتُونَ مَضاجِعَهُمْ فَينامُونَ، حتى إذا اسْتَيْقَظُوا واللَّيْلُ مَكانَهُ، فإذَا رأوْا ذلكَ خافُوا أنْ يَكُونَ ذلكَ بينَ يَدَيْ أمْرٍ عَظِيمٍ، فإذَا أصْبَحُوا وَطالَ عَلَيْهِم طُلُوعُ الشَّمْسِ. فَبَيْنا هُمْ يَنْتَظِرُونها إذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ، فإذَا فَعَلَتْ ذلكَ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن صالح مولى

التوأمة، عن أبي هريرة، أنه سمعه يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فإذَا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها». . . الآية.

وبه قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني ابن أبي عتيق، أنه سمع عبيد بن عمير يتلو: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها**﴾ قال: يقول: نتحدّث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها. قال ابن جريج: وأخبرني عمرو بن دينار، أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن أبي مليكة، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: إن الآية التي ﴿**لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها**﴾ إذا طلعت الشمس من مغربها. قال ابن جريج: وقال مجاهد ذلك أيضاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن مسعود: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها**﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ**﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب بن عوف، عن ابن سيرين، قال: ثني أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، قال: كان عبد الله بن مسعود يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع: طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، والدجال، وخروج يأجوج ومأجوج. والآية التي تختم بها الأعمال: طلوع الشمس من مغربها، ألم تر أن الله قال: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً**﴾! قال: فهي طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله: ﴿**يَوْم يأْتِي بَعْضُ آياتِ ربِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها**﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان.

قال شعبة: وحدثنا قتادة، عن زرارة، عن عبد الله بن مسعود: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ**﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن

عبد الله بن مسعود: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق عن عبد الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين.

وقال: ثنا أبي، عن إسرائيل وأبيه، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن أبيه، عن عبد الله، قال: التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول: لا يزال باب التوبة مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رأى الناس ذلك آمنوا، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا عبد الله بن جعفر، قال: ثنا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها، فإذَا طَلَعَتْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُم، فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

وقال: حدثنا أبي، عن الحسن بن عقبة أبي كيران، عن الضحاك: ﴿يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرني أشعث بن أبي الشعثاء، عن أبيه، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَوْمَ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ

آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: إذا جاءت الآيات لم ينفع نفساً إيمانها، يقول: طلوع الشمس من مغربها.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، الثوريّ، عن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، عن صفوان بن عسال: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبد الله بن عمرو: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** قال: طلوع الشمس من مغربها.

وقال آخرون: بل ذلك بعض الآيات الثلاثة: الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جعفر بن عون، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال عبد الله: التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: ما لم تطلع الشمس من مغربها، أو الدَّابة، أو فتح يأجوج ومأجوج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا المسعوديُّ، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: قال عبد الله: التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن عامر، عن عائشة، قالت: إذا خرج أوّل الآيات طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ إذَا خَرَجَتْ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً: طُلُوع الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأرْضِ».

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا معاوية بن عبد الكريم، قال: ثنا الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «بادِرُوا بالأعْمالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها، وَالدَّجَّالَ، والدُّخانَ، وَدَابَّةَ الأرْضِ، وخُوَيِّصَةَ أحَدِكُمْ، وأمْرَ العامَّةِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر أن نبيّ الله ﷺ كان يقول، فذكر نحوه.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذَلِكَ حِينَ تطلع الشمسُ من مغربها».

وأما قوله: ﴿**أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً**﴾ فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قيله، وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدّق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدّقاً ولفرائض الله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**يَوْمَ يأْتي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً**﴾ يقول: كسبت في تصديقها خيراً عملاً صالحاً، فهؤلاء أهل القبلة. وإن كانت مصدّقة ولم تعمل قبل ذلك خيراً فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها. وإن عملت قبل الآية خيراً ثم عملت بعد الآية خيراً، قُبِل منها.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها**﴾ قال: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام: انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت، فتقبض أرواحكم، أو أن يأتي ربك لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها، فتُطوى صحائف الأعمال، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذٍ إن آمنتم، حتى تعلموا حنيئذٍ المحقّ منا من المبطل، والمسيء من المحسن، والصادق من الكاذب، وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله، ومَن الناجي منا ومنكم ومَن الهالك، إنا منتظرو ذلك، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه،

وإخلاصنا العبادة له، وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه، ويفصل بيننا وبينكم بالحقّ، وهو خير الفاصلين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾.

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَرَّقُوا﴾ فرُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن دينار، أن علياً رضي الله عنه، قرأ: «إنَّ الَّذِينَ فارَقُوا دينَهُمْ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، قال: قال حمزة الزيات، قرأها عليّ رضي الله عنه: «فارَقُوا دِينَهُمْ».

وقال: ثنا الحسن بن عليّ، عن سفيان، عن قتادة: «فارَقُوا دينَهُمْ».

وكأن علياً ذهب بقوله: «فارَقُوا دينَهُمْ» خرجوا فارتدّوا عنه من المفارقة. وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود، كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن رافع، عن زهير، قال: ثنا أبو إسحاق أن عبد الله كان يقرؤها: **﴿فَرَّقُوا دينَهُمْ﴾**.

وعلى هذه القراءة، أعني قراءة عبد الله، قرّاء المدينة والبصرة وعامة قرّاء الكوفيين. وكأن عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد، وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة، ففرّق ذلك اليهود والنصارى، فتهوّد قوم، وتنصّر آخرون، فجعلوه شيعاً متفرّقة.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، قد قرأتْ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه. وذلك أن كلّ ضالّ فلدينه مفارق، وقد فرّق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهوّد بعض، وتنصّر آخرون، وتمجّس بعض، وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعاً متفرّقين غير مجتمعين، فهم لدين الله الحقّ مفارقون وله مفرّقون فبأيّ ذلك قرأ القارىء فهو للحقّ مصيب، غير أنّي أختار القراءة بالذي عليه عظم القرّاء، وذلك تشديد الراء من «فرّقوا».

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله **﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقوا دِينَهُمْ﴾** فقال بعضهم: عني بذلك اليهود والنصارى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وكانُوا شِيَعاً**﴾ قال: يهود.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**فَرَّقُوا دِينَهُمْ**﴾ قال: هم اليهود والنصارى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيعَا**﴾ من اليهود والنصارى.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ هؤلاء اليهود والنصارى.

وأما قوله: ﴿**فَرَّقُوا دِينَهُمْ**﴾ فيقول: تركوا دينهم وكانوا شيعاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً**﴾ وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرّقوا، فلما بعث محمد أنزل الله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينهمْ وكانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً**﴾ يعني: اليهود والنصارى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين بن عليّ، عن شيبان، عن قتادة: «فارَقُوا دِينَهُمْ» قال: هم اليهود والنصارى.

وقال آخرون: عُني بذلك: أهل البدع من هذه الأُمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: ﴿**إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم**﴾ قال: نزلت هذه الآية في هذه الأُمة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة: **﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً﴾** قال: هم أهل الضلالة.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: كتب إليّ عباد بن كثير، قال: ثني ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: **﴿إن الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** وَلَيْسُوا مِنْكَ، هُمْ أهْلُ البِدَعِ وأهْلُ الشُّبُهاتِ وأهْلُ الضَّلالَةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة».

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيه ﷺ أنه بريء ممن فارق دينه الحقّ، وفرّقه، وكانوا فرقاً فيه وأحزاباً شيعاً، وأنه ليس منهم ولاهم منه لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام دين إبراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول: **﴿قُلْ إنَّنِي هدانِي رَبِّي إلى صراطٍ مستقيم دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنيفاً وَمَا كانَ مِنَ المشرِكِينَ﴾** فكان من فارق دينه الذي بعث به ﷺ من مشركٍ ووثنيّ ويهوديّ ونصرانيّ ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم، ملة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد ﷺ ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله: **﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾**.

وأما قوله: **﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنَّمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: نزلت هذه الآية على نبيّ الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم، ثم نسخها الأمر بقتالهم في سورة براءة، وذلك قوله: **﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قوله: **﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنَّمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ﴾** لم يؤمر بقتالهم، ثم نسخت، فأمر بقتالهم في سورة براءة.

وقال آخرون: بل نزلت على النبيّ ﷺ إعلاماً من الله له أن من أمته من يحدث بعده في دينه وليست بمنسوخة، لأنها خبر لا أمر، والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مالك بن مغول، عن عليّ بن الأقمر، عن أبي الأحوص، أنه تلا هذه الآية: **﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** ثم يقول: بريء نبيكم ﷺ منهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي وابن إدريس وأبو أُسامة ويحيى بن آدم، عن مالك بن مغول، بنحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا شجاع أبو بدر، عن عمرو بن قيس الملأ، قال: قالت أُمّ سلمة: ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله ﷺ في شيء ثم قرأت: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** قال عمرو بن قيس: قالها مُرّةَ الطيِّب وتلا هذه الآية.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوله: **﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** إعلام من الله نبيه محمداً ﷺ أنه من مبتدعة أُمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي قومه ومن اليهود والنصارى. وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم، لأنه غير محال أن يقال في الكلام: لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم، فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضّل على من شاء منهم، فيتوب عليه، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافراً، فيقبض روحه، أو يقتله بيدك على كفره، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه. وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: **﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إلى اللّهِ﴾** ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ، كان غير جائز أن يقضي عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بيَّنا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة في كتابنا كتاب «اللطيف عن أُصول الأحكام».

وأما قوله: **﴿إنمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ﴾** فإنه يقول: أنا الذي إليّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً، والمبتدعة من أُمتك الذين ضلوا عن سبيلك، دونك ودون كل أحد إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم. **﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بما كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** يقول: ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم عليّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون فأُجازي كلاً منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون، المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة. ثم أخبر جلّ ثناؤه ما مبلغ جزائه مَن جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة، فقال: **﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَي إلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله، فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها. ويعني بقوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها. ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله، فلا يُجْزَى إلا ما ساءه من الجزاء، كما وافى الله به من عمله السيء. ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: ولا يظلم الله الفريقين: لا فريق الإحسان، ولا فريق الإساءة، بأن يجازي المحسن بالإساءة والمسيء بالإحسان ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له، لأنه جلّ ثناؤه حكيم لا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يستحقّ أن يضعه فيه، ولا يجازي أحداً إلا بما يستحقّ من الجزاء.

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة في هذا الموضع الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والتصديق برسوله، والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله، فللإيمان أمثال فيجازَى بها المؤمن، وإن كان له مثل فكيف يجازَى به، والإيمان إنما هو عندك قول وعمل، والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة في الآخرة، والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم في دار الخلود، وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذّ بها، لا قول يُسمع ولا كسب جوارح؟ قيل: إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه، وإنما معناه: من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعاً، فإن له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها.

فإن قلت: فهل لقول لا إله إلا الله من الحسنات مثل؟ قيل: له مثل هو غيره، وليس له مثل هو قول لا إله إلا الله، وذلك هو الذي وعد الله جلّ ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله، وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك، إلا أن لا يجازي صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المُغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثالِهَا﴾ قال رجل من القوم: فإن «لا إله إلا الله» حسنة؟ قال: نعم، أفضل الحسنات.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش والحسن بن عبيد الله، عن

جامع بن شدّاد، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله: ﴿مَن جاءَ بالحَسَنةِ﴾ لا إله إلا الله.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا حفص، قال: ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله، عن جامع بن شدّاد، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، قال: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنةِ﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، قال: ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عبيد الله، عن جامع بن شدّاد، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاوية بن عمرو المعني عن زائدة، عن عاصم، عن شقيق: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص. ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، وعن عثمان بن الأسود، عن مجاهد والقاسم بن أبي بزّة: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قالوا: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص. ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قالوا: بالشرك وبالكفر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير وابن فضيل، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي المحجّل، عن إبراهيم: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي المحجل، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، قال: كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثني، أن ﴿مَن جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله، ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ من جاء بالشرك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ﴾ قال: كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله. ﴿وَمَن جاءَ بالسَّيِّئَةِ﴾ قال: بالشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، وحدثنا المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو نعيم جميعاً، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي صالح: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿**وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ**﴾ قال: الشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن عثمان بن الأسود، عن القاسم بن أبي بزّة: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ قال: كلمة الإخلاص. ﴿**وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ**﴾ قال: الكفر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة، عن الضحاك: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن أشعث، عن الحسن: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ**﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله. ﴿**وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ**﴾ قال: الشرك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «الأعْمالُ سِتَّةٌ: مُوجِبَةٌ وَمُوجِبَةٌ، وَمُضَعَّفَةٌ وَمُضَعَّفَةٌ، وَمِثْلٌ وَمِثْلٌ. فأمَّا المُوجِبَتانِ: فَمَنْ لَقِيَ اللّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللّهَ مُشْرِكاً بِهِ دَخَلَ النَّارَ وأمَّا المُضَعَّفُ والمُضَعَّفُ: فَنَفَقَةُ المُؤْمِنِ فِي سَبِيلِ اللّهِ سَبْعُ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَنَفَقَتُهُ على أهْلِ بَيْتِهِ عَشْرُ أمْثالِهَا. وأمَّا مِثْلٌ وَمِثْلٌ: فإذَا هَمَّ العَبْدُ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ثُمَّ عَمِلَها كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ».

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شيخ من التيم، عن أبي ذرّ، قال: قلت: يا رسول الله علمني عملاً يقرّبني إلى الجنة ويباعدني من النار قال: «إذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً، فإنَّها عَشْرُ أمْثالِهَا». قال: قلت: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال «هيَ أحْسَنُ الحَسَناتِ».

وقال قوم: عُني بهذه الآية: الأعراب فأما المهاجرون، فإن حسناتهم سبع مئة ضعف أو أكثر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدريّ، في قوله: **﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا﴾** قال: هذه للأعراب، وللمهاجرين سبع مئة.

حدثنا محمد بن نشيط بن هارون الحربيّ، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، قال: ثنا فضيل بن مرزوق. عن عطية العوفي، عن عبد الله بن عمرو، قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: **﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا﴾** قال: قال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: إنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْراً عَظِيماً وإذا قال الله لشيء عظيم، فهو عظيم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، قال: نزلت هذه الآية: **﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا﴾** وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدّون عشر أموالهم، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك: صوم رمضان والزكاة.

فإن قال قائل: وكيف قيل عشر أمثالها، فأُضيف العشر إلى الأمثال، وهي الأمثال، وهل يضاف الشيء إلى نفسه؟ قيل: أُضيفت إليها لأنه مراد بها: فله عشر حسنات أمثالها، فالأمثال حلَّت محلّ المفسر، وأضيف العشر إليها، كما يقال: عندي عشر نسوة، فلأنه أُريد بالأمثال مقامها[1] فقيل: عشر أمثالها، فأُخرج العشر مخرج عدد الآيات، والمِثْل مذكر لا مؤنث، ولكنها لما وضعت موضع الآيات، وكان المثْل يقع للمذكر والمؤنث، فجعلت خلفاً منها، فُعِل بها ما ذكرتُ ومن قال: عندي عشر أمثالها، لم يقل: عندي عشر صالحات، لأن الصالحات فعل لا يعدّ، وإنما تعدّ الأسماء والمِثل اسم، ولذلك جاز العدد به. وقد ذكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: «فَلَهُ عَشْرٌ» بالتنوين «أمْثالُها» بالرفع، وذلك على وجه صحيح في العربية، غير أن القرّاء في الأمصار على خلافها، فلا نستجيز خلافها، فيما هي عليه مجتمعة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

(١) لا يخفى ما فيه. ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات، وأقيمت الأمثال مقامها قيل الخ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ﴿إنَّنِي هَدَانِي رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾ يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقني له. ﴿دِيناً قِيَماً﴾ يقول: مستقيماً. ﴿مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ﴾ يقول: دين إبراهيم. ﴿حَنِيفاً﴾ يقول: مستقيماً. ﴿وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ يقول: وما كان من المشركين بالله، يعني: إبراهيم صلوات الله عليه، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿دِيناً قِيَماً﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين: «دِيناً قَيِّماً» بفتح القاف وتشديد الياء إلحاقاً منهم ذلك بقول الله: ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ وبقوله: ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيين: ﴿دِيناً قِيَماً﴾ بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها، وقالوا: القَيِّمُ والقِيَم بمعنى واحد، وهم لغتان معناهما: الدين المستقيم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فهو للصواب مصيب، غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إليّ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما. ونصب قوله: ﴿دِيناً﴾ على المصدر من معنى قوله: ﴿إنَّنِي هَدَانِي رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾ وذلك أن المعنى هداني ربي إلى دين قويم، فاهتديت له ديناً قيماً، فالدين منصوب من المحذوف الذي هو اهتديت الذي ناب عنه قوله: ﴿إنني هَدَاني رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾. وقال بعض نحويي البصرة: إنما نصب ذلك لأنه لما قال: ﴿هَدَانِي رَبي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قد أخبر أنه عرف شيئاً، فقال: «دِيناً قَيِّماً» كأنه قال: عرفت ديناً قيماً ملة إبراهيم. وأما معنى الحنيف، فقد بينته في مكانه في سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتّبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان: ﴿إنَّ صَلاتي ونُسُكي﴾ يقول: وذبحي. ﴿وَمحْيايَ﴾ يقول: وحياتي. ﴿وَمَماتِي﴾ يقول: ووفاتي. ﴿لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ يعني أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان. ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شَيْءٍ من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصاً. ﴿وبذلكَ أُمِرْتُ﴾ يقول: وبذلك أمرني ربي. ﴿وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ يقول:

وأنا أوّل من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأُمة لربه، بأن ذلك كذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال: النسك في هذا الموضع: الذبح:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد: ﴿**إِنَّ صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: النسك: الذبائح في الحجّ والعُمرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**ونُسُكي**﴾: ذبيحتي في الحجّ والعُمرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**ونُسُكي**﴾: ذبيحتي في الحجّ والعُمرة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، وليس بابن أبي خالد، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: ذبحي.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: ذبيحتي.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن إسماعيل بن جبير، ـ قال ابن مهدي: لا أدري من إسماعيل هذا ـ ﴿**صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: صلاتي وذبيحتي.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا الثوريّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: وذبيحتي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**ونُسُكي**﴾ قال ذبحي.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**ونُسُكي**﴾ قال: ذبيحتي.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**صَلاتي ونُسُكي**﴾ قال: الصلاة: الصلاة، والنسك: الذبح.

وأما قوله: ﴿**وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ**﴾ فإن:

محمد بن عبد الأعلى حدثنا، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن قتادة ﴿**وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ**﴾ قال: أوّل المسلمين من هذه الأمة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: ﴿**أغيرَ اللّهِ أبْغِي رَبّاً**﴾ يقول: أسِوَى الله أطلب سيِّداً يسودني. ﴿**وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يقول: وهو سيد كلّ شيء دونه، ومدبره ومصلحه. ﴿**وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلاَّ عَلَيْها**﴾ يقول: ولا تجترح نفس إثماً إلا عليها أي لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها، بل كلّ ذي إثم فهو المعاقَب بإثمه والمأخوذ بذنبه. ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ يقول: ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أُخرى غيرها، ولكنها تأثم بإثمها وعليه تعاقب دون إثم أُخرى غيرها. وإنما يعني بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يقول هذا القول لهم، يقول: قل لهم: إنا لسنا مأخوذين بآثامكم، وعليكم عقوبة إجرامكم، ولنا جزاء أعمالنا. وهذا كما أمره الله جلّ ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم: لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِينِ. وذلك كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: كان في ذلك الزمان لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خَلَّتين، إحداهما أفضل من صاحبتها: إما أمر ودعاء إلى الحقّ، أو الاعتزال، فلا تشارك أهل الباطل في عملهم، وتؤدّي الفرائض فيما بينك وبين ربك، وتحبّ لله، وتبغض لله، ولا تشارك أحداً في أثم. قال: وقد أنزل في ذلك آية محكمة: ﴿**قُلْ أغيرَ اللّهِ أبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾... إلى قوله: ﴿**فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾، وفي ذلك قال: ﴿**وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ**﴾.

يقال من الوِزْر: وَزِرَ يَوْزَر، فهو وَزِير، ووُزِرَ يُوْزَر فهو مَوْزُور[1].

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

(١) في «**اللسان**» وزر يوزر (كفرح يفرح) ووزر يزر (كوعد يعد) ووزر يؤزر (مبني للمجهول) فهو موزور. وفيه أيضاً: وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة، أي يحمل ذلك.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان: كلّ عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره، فاعملوا ما أنتم عاملوه. ﴿ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ﴾ أيها الناس، ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ﴾ في الدنيا، ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ من الأديان والملل، إذ كان بعضكم يدين باليهودية، وبعض بالنصرانية، وبعض بالمجوسية، وبعض بعبادة الأصنام، وادّعاء الشركاء مع الله والأنداد، ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شرّ، فتعلموا حينئذٍ مَن المحسن منا والمسيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأمته: والله ﴿الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿خَلائِفَ الأرْضِ﴾ بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأُمم الخالية، واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض، تخلفونهم فيها، وتعمرونها بعدهم. والخلائف: جمع خليفة، كما الوصائف جمع وصيفة، وهي من قول القائل: خَلَف فلان فلاناً في داره يَخْلُفُه خلافة فهو خليفة فيها، كما قال الشماخ:

تُصِيبُهُمْ وتُخْطِئُنِي المنَايا وأَخْلُفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ(١)

وذلك كما:

حدثني الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ﴾ قال: أما خلائف الأرض: فأهلك القرون، واستخلفنا فيها بعدهم.

وأما قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾ فإنه يقول: وخالف بين أحوالكم، فجعل بعضكم فوق بعض، بأن ربع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوّله من أسباب الدنيا، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوّة على هذا الضعيف الواهن القُوَى، فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا. وذلك كالذي:

---

(١) البيت في ديوانه طبع السعادة بالقاهرة سنة ٣٢٧ هـ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، كما رواه المؤلف. وهو من قصيدة يخاطب فيها امرأته التي تلومه على تشديده على نفسه في المعيشة، ولزومه الإبل، والتعزب فيها. تصيبهم من الإصابة، وهي ضد الخطأ. والمنايا: جمع منية، وهي الموت: وأخلف: أبقى. وربوع جمع ربع، وهو المنزل. أي تصيبهم المنايا، وأبقى أنا في ديارهم.

وانظر البيت في «اللسان» خلف.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾** يقول: في الرزق.

وأما قوله: **﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيما آتاكُمْ﴾** فإنه يعني: ليختبركم فيما خوّلكم من فضله ومنحكم من رزقه، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي، ومن المؤدّي مما آتاه الحقّ الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقابِ وَإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه، ولمن ابتلي منه فيما منحه من فضله وطوْله، تولياً وإدباراً عنه، مع إنعامه عليه وتمكينه إياه في الأرض، كما فعل بالقرون السالفة. **﴿وَإنَّهُ لَغَفُورٌ﴾**: وإنه لساتر ذنوب من ابتلي منه إقبالاً إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة، واختباره إياه بأمره ونهيه، فمغطّ عليه فيها وتارك فضيحته بها في موقف الحساب. **﴿رَحِيمٌ﴾** بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه.

٧ ـ سورة الأعراف مكية

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ①﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى: ﴿**المص**﴾ فقال بعضهم: معناه: أنا الله أفضل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: ﴿**المص**﴾: أنا الله أفضل.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا عمار بن محمد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**المص**﴾: أنا الله أفضل.

وقال آخرون: هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذي هو المصوّر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**المص**﴾ قال: هي هجاء المصوِّر.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء الله أقسم ربنا به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**المص**﴾ قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**المص**﴾ قال: اسم من أسماء القرآن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: هي حروف هجاء مقطعة.

وقال آخرون: هي من حساب الجمَّل.

وقال آخرون: هي حروف تحوي معاني كثيرة دلّ بها الله خلقه على مراده من ذلك.

وقال آخرون: هي حروف اسم الله الأعظم.

وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه، وتعليل كلّ فريق قال فيه قولاً. وأما الصواب من القول عندنا في ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالىٰ:

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد في كتاب أنزله الله إليك. ورفع «الكتاب» بتأويل: هذا كتاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ منه﴾.

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فلا يضق صدرك يا محمد من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه، ولا تشكّ في أنه من عندي، واصبر بالمضي لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحَمَّلك من عبء أثقال النبوة، كما صبر أُولو العزم من الرسل، فإن الله معك. والحرج: هو الضيق في كلام العرب، وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته في قوله: ﴿**ضَيِّقاً حَرَجاً**﴾ بما أغنى عن إعادته. وقال أهل التأويل في ذلك، ما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ**﴾ قال: لا تكن في شك منه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ قال: شكّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾: شكّ منه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السُّديِّ: ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ قال: أما الحرج: فشكّ.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: سمعت مجاهداً، في قوله: ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ قال: شكّ من القرآن.

قال أبو جعفر: وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ما قلنا في الحرج لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه وجْهته التي هي وجهته الصحيحة. وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب، كما قد بيناه قبل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بإنذاره، ﴿وذِكْرى للمُؤْمِنِينَ﴾ وهو من المؤخَّر الذي معناه التقديم، ومعناه: كتاب أنزل ليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه. وإذا كان ذلك معناه كان موضع قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾ نصباً بمعنى: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به، وتذكِّر به المؤمنين. ولو قيل: معنى ذلك: هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكِّر به المؤمنين، كان قولاً غير مدفوعة صحته. وإذا وجه معنى الكلام إلى هذا الوجه كان في قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾ من الإعراب وجهان: أحدهما النصب بالردّ على موضع لتنذر به، والآخر الرفع عطفاً على الكتاب، كأنه قيل: المص كتاب أنزلَ إليك وذكرى للمؤمنين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم، ﴿**ولاَ تَتَّبِعُوا**﴾ شيئاً ﴿**مِنْ دُونِهِ**﴾ يعني: شيئاً غير ما أنزل إليكم ربكم، يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم.

فإن قال قائل: وكيف قلت: معنى الكلام قل اتبعوا، وليس في الكلام موجوداً ذكر القول؟ قيل: إنه وإن لم يكن مذكوراً صريحاً، فإن في الكلام دلالة عليه، وذلك قوله: ﴿**فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ**﴾، ففي قوله: «لِتُنْذِرَ بِهِ» الأمر بالإنذار، وفي الأمر بالإنذار الأمر بالقول لأن الإنذار قول. فكان معنى الكلام: أنذر القوم وقل لهم: اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم، ولو قيل: معناه: لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم: اتبعوا ما أنزل إليكم كان غير مدفوع. وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله: ﴿**اتَّبِعُوا**﴾ خطاب النبيّ ﷺ، ومعناه: كتاب أُنزل إليك، فلا يكن في صدرك حرج منه، اتبع ما أُنزل إليك من ربك. ويرى أن ذلك نظير قول الله: ﴿**يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ إذ ابتدأ خطاب النبيّ ﷺ، ثم جعل الفعل للجميع، إذ كان أمْرُ الله نبيه بأمر أمراً منه لجميع أُمته، كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته: أما تتقون الله؟ أما تستحيون من الله؟ ونحو ذلك من الكلام. وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع، فالقول الذي اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذي وصفنا عليه.

وقوله: ﴿**قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ**﴾ يقول: قليلاً ما تتعظون وتعتبرون، فتراجعون الحق.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: حذّر هؤلاء العابدين غيري والعادلين بي الآلهة والأوثان سخطي، لأحلّ بهم عقوبتي فأهلكهم كما أهلكتُ من سلك سبيلهم من الامم قبلهم، فكثيراً ما أهلكت قبلهم من أهل قرىً عصوني وكذّبوا رسلي وعبدوا غيري. ﴿**فجاءَها بأْسُنا بَياتاً**﴾ يقول: فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا، أوجاءتهم قائلين، يعني نهاراً في وقت القائلة. وقيل: «وكم» لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الأُمم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله وخلافهم عليه، وكذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد، كما قال الفرزدق:

كَـمْ عَـمَّـةٍ لَـكَ يـا جَـرِيـرُ وخـالَـةٍ فَـدْعـاءَ قَـدْ حَـلَـبَـتْ عَـلـيَّ عِـشـارِي[1]

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره إنما أخبر أنه أهلك قرى، فما في خبره عن إهلاكه القرى من الدليل على إهلاكه أهلها. قيل: إن القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم، ففي إهلاكها اهلاك من فيها من أهلها. وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها. والذي قلنا في ذلك أولى بالحقّ لموافقته ظاهر التنزيل المتلوّ.

فإن قال قائل: وكيف قيل: **﴿وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أهْلَكْناها فَجاءَها بأْسُنا بَيَاتاً أوْ هُمْ قائِلُونَ﴾** وهل هلكت قرية إلا بمجيء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها؟ فكيف قيل «أهلكناها فجاءها» وإن كان مجيء بأس الله إياها بعد هلاكها؟ فما وجه مجيء ذلك قوماً قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم؟ قيل: إن لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه: أحدهما أن يكون معناه: وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا إياها عن اتباع ما أنزلنا إليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها، المُغويها عن طاعة ربها، فجاءها بأسنا إذ فعلت ذلك بياتاً، أو هم قائلون. فيكون إهلاك الله إياها: خذلانه لها عن طاعته، ويكون مجيء بأس الله إياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم. والآخر منهما: أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه. فيكون في ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجيء البأس، وفي ذكر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك. وإذا كان ذلك كذلك، كان سواء عند العرب بُدِئ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس، أو بديء بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك، وذلك كقولهم: زرتني فأكرمتني إذا كانت الزيارة هي الكرامة، فسواء عندهم قدّم الزيارة وأخَّر الكرامة، أو قدّم الكرامة وأخَّر الزيارة فقال: أكرمتني فزرتني. وكان بعض أهل العربية يزعم أن في الكلام محذوفاً، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحاً، وأن معنى ذلك: وكم من قرية أهلكناها، فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا. وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجب التسليم له، وإذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها كان بيِّناً فساده.

وقال آخر منهم أيضاً: معنى الفاء في هذا الموضع معنى الواو، وقال: تأويل الكلام:

---

(١) البيت للفرزدق ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة (ص ـ ٤٥١) من قصيدة يهجو بها جريراً. الفدعاء: صفة من الفدع، وهو اعوجاج الرسغ من اليد والرجل حتى ينقلب الكف والقدم إلى إنسيهما. حلبت عليّ: أي على كره مني. عشاري: جمع عشراء، التي مضى عليها في حملها عشرة أشهر. والشاهد في كم عمة، فإن كم خبرية بمعنى: عدد كثير. وقيل استفهامية تهكمية، ولذلك نصب عمة تمييزاً لها في بعض الروايات. ورواية الشطر الأول في الديوان: «كم عمة لك يا جرير وعمة».

وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتاً. وهذا قول لا معنى له، إذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ما وجد إلى ذلك سبيل أولى من صرفها إلى غيره.

فإن قال: كيف قيل: **﴿فجاءها بأْسُنا بَياتاً أوْ هُمْ قائِلُون﴾**، وقد علمت أن الأغلب من شأن «أو» في الكلام اجتلاب الشكّ، وغير جائز أن يكون في خبر الله شك؟ قيل: إن تأويل ذلك خلاف ما إليه ذهبتَ، وإنما معنى الكلام: وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتاً، وبعضها وهم قائلون. ولو جعل مكان «أو» في هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال، ولصار الأغلب من معنى الكلام: إن القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بياتاً، وفي وقت القائلة وذلك خبر عن البأس أنه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فني، وذلك من الكلام خُلْف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل، إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بياتاً من القرى التي جاءها ذلك قائلة، ولو فصلت لم يخبر عنها إلا بالواو. وقيل: «فجاءها بأسُنا» خبراً عن القرية أن البأس أتاها، وأجرى الكلام على ما ابتدىء به في أوّل الآية ولو قيل: فجاءهم بأسنا بياتاً لكان صحيحاً فصيحاً ردّاً للكلام إلى معناه، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحوٌ من الذي نال سكانها. وقد رجع في قوله: **﴿أوْ هُمْ قائِلُونَ﴾** إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وإن كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها. ولو قيل: «أو هي قائلة» كان صحيحاً إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام.

فإن قال قائل: أو ليس قوله: **﴿أوْ هُمْ قائِلُونَ﴾** خبراً عن الوقت الذي أتاهم فيه بأس الله من النهار؟ قيل: بلى. فإن قال: أو ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت؟ قيل: إن ذلك وإن كان كذلك، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالاً للجمع بين حرفي عطف، إذ كان «أو» عندهم من حروف العطف، وكذلك الواو، فيقولون: لقيتني مملقاً أو أنا مسافر، بمعنى: أو وأنا مسافر، فيحذفون الواو وهم مريدوها في الكلام لما وصفت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها إذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتاً أو هم قائلون، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ولأمره

ونهيه مخالفين. وعنى بقوله جلّ ثناؤه: ﴿دَعْواهُمْ﴾ في هذا الموضع دعاءهم. وللدعوى في كلام العرب وجهان: أحدهما الدعاء والآخر الادّعاء للحقّ. ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ ومنه قول الشاعر:

وَإنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي ... بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِها فَيَهُونُ[1]

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن البأس والبأساء: الشدّة، بشواهد ذلك الدالة على صحته، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله: «ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أنْفُسِهِمْ». وقد تأوّل ذلك كذلك بعضهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أبي سنان، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد، قال: قال عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أنْفُسِهِمْ» قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا كانَ دَعْوَاهُمْ إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا...﴾ الآية

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَمَا كانَ دَعْوَاهُمْ إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا إلاَّ أنْ قالُوا إنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾ وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك وقد جاءهم بأس الله بالهلاك، أقالوا ذلك قبل الهلاك؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك، فإنهم قالوا قبل مجيء البأس، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك، أو قالوه بعد ما جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله؟ قيل: ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوّله وآخره مهل، بل كان منهم من غرق بالطوفان، فكان بين أوّل ظهور السبب الذي علموا أنهم به هالكون وبين آخره الذي عمّ جميعهم هلاكه المدّة التي لا خفاء بها على ذي عقل ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياماً ثلاثة، كقوم صالح وأشباههم، فحينئذٍ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم، دعوا: ﴿يا وَيْلَنا إنَّا كُنَّا ظالِمِين﴾ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ﴾ مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم، فحذّر ربنا جلّ ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه ﷺ من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ما حلّ بمن كان قبلهم من الأمم، إذ عصوا رسله واتبعوا أمر كلّ جبار عنيد.

---

(١) البيت في «اللسان»: مذل، ولم ينسبه. وفيه «بذكراك» في موضع «بدعواك». قال: ومذلت رجله مذلاً (بفتح الذال) ومذلاً (بسكون الذال) وأمذلت: خدرت (بكسر الدال)، وأمذالت (بتشديد اللام). ودعواك في معنى دعائك وذكرك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: لنسألنّ الأُمم الذين أرسلت إليهم رسلي ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي، هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري، أم عصوني، فخالفوا ذلك؟ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول: ولنسألنّ الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم، هل بلغتهم رسالاتي وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليه، أم قصَّروا في ذلك ففرّطوا ولم يبلغوهم؟.

وكذلك كان أهل التأويل يتأوّلونه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾... إلى قوله: ﴿غائِبِينَ﴾ قال: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون.

حدثني محمد بن الحسين، قلا: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول فلنسألن الأُمم ما عملوا فيما جاءت به الرسل، ولنسألنّ الرسل هل بلَّغوا ما أُرسلوا به.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: قال مجاهد: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الأمم، ولنسألنَّ الذين أُرسلنا إليهم عما ائتمناهم عليه، هل بلَّغوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: فلنخبرنّ الرسل ومن أرسلتهم إليه بيقين علم بما عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به، وما كنت نهيتهم عنه، وما كنا غائبين عنهم وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها.

فإن قال قائل: وكيف يسأل الرسل والمرسل إليهم، وهو يخبر أنه يقصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك؟ قيل: إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ولا مسألة تعرّف منهم ما هو به غير عالم، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر، كما يقول الرجل للرجل: ألم أُحسن إليك فأسأت؟ وألم أصلك فقطعت؟ فكذلك مسألة الله المرسل إليهم بأن يقول لهم: ألم يأتكم رسلي بالبينات؟ ألم أبعث إليكم النذر فتنذركم عذابي وعقابي في هذا اليوم من كفر بي وعبد غيري؟ كما أخبر جلّ ثناؤه أنه قائل لهم يومئذٍ: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وأَنِ اعْبُدونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ ونحو ذلك من القول الذي ظاهره ظاهر مسألة، ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتقرير. وأما مسألة الرسل الذي هو قصص وخبر، فإن الأمم المشركة لما سئلت في القيامة قيل لها: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ**﴾ أنكر ذلك كثير منهم وقالوا: ما جاءنامن بشير ولا نذير، فقيل للرسل: هل بلّغتم ما أُرْسلتم به؟ أو قيل لهم: ألم تبلّغوا إلى هؤلاء ما أُرسلتم به؟ كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، وكما قال جلّ ثناؤه لأُمة نبينا محمد ﷺ: وكَذَلِكَ ﴿**جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الأمم وللمرسل إليهم على وجه التقرير والتوبيخ، وكلّ ذلك بمعنى القصص والخبر. فأما الذي هو عن الله منفيّ من مسألته خلقه، فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسؤول، ليعلم السائل علم ذلك من قبله. فذلك غير جائز أن يوصف الله به لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها، وهي المسألة التي نفاها جلّ ثناؤه عن نفسه بقوله: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ**﴾، وبقوله: ﴿**وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ المُجْرِمُونَ**﴾ يعني: لا يسأل عن ذلك أحداً منهم علم مستثبت، ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه، لأنه العالم بذلك كله وبكلّ شيء غيره. وقد ذكرنا ما رُوي في معنى ذلك من الخبر في غير هذا الموضع، فكرهنا إعادته.

وقد رُوِي عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى قوله: ﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ**﴾ أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم. هذا قول غير بعيد من الحقّ، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ، فَيَقُولُ لَهُ: أتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَفَعَلْتَ كَذَا؟ حتى يُذَكِّرَهُ ما فَعَلَ فِي الدُّنْيا». والتسليم لخبر رسول الله ﷺ أولى من التسليم لغيره.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)﴾.

الوزن: مصدر من قول القائل: وَزَنْت كذا وكذا، أَزِنُه وَزْناً وزِنَةً، مثل: وَعَدْته أعِدُه

وَعْداً وعِدَةً، وهو مرفوع بالحقّ، والحقّ به. ومعنى الكلام: والوزن يوم نسأل الذين أُرسل إليهم والمرسلين، الحقّ. ويعني بالحقّ: العدل. وكان مجاهد يقول: الوزن في هذا الموضع: القضاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والوزن يومئذٍ: القضاء.

وكان يقول أيضاً: معنى الحقّ ههنا: العدل. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَق﴾ قال العدل.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾ وزن الأعمال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾ توزن الأعمال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾ قال: قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن جناح بعوضة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾ قال: قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل الطويل العظيم، فلا يزن جناح بعوضة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى، عن بلال بن يحيى، عن حذيفة، قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام، قال: يا جبريل زن بينهم، فرُدَّ على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من سيئات صاحبه فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فقال بعضهم: معناه: فمن كثرت حسناته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ قال: حسناته.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته، قالوا: وذلك هو الميزان الذي يعرفه الناس، له لسان وكفتان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال لي عمرو بن دينار: قوله: ﴿**والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ**﴾ قال: إنا نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك: هو الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جلّ ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾ موازين عمله الصالح، ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ يقول: فاولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺبقوله: «ما وُضِعَ فِي المِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال على ما وصفت. فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عن وجهته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كلّ شيء قبل خلقه إياه وبعده، وهي كل حال، أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة؟ أقيل له في قوله: «وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها»: وَزْن ذلك نظير إثباته إياه في مّ الكتاب، واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به إليه ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جلّ ثناؤه في تنزيله: كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ... الآية، فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع وإما بالتكميل والتتميم. وأما وجه جواز ذلك، فإنه كما:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: ثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمر، قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع في الكفة، فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلاً فيها خطاياه وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنملة، فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ. قال: فتوضع في الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه.

فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان، وكتب سيئاته في الكفة الأُخرى، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتجاجاً من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم، استشهاداً بذلك عليهم، وما أشبه ذلك من حججه. ويسئل من أنكر ذلك، فيقال له: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ويخفف موازين آخرين، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بتحقيق ذلك، فما الذي أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته الذي يتعارفه الناس؟ أحجة عقل؟ فقد يقال: وجه صحته من جهة العقل، وليس في وزن الله جلّ ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم، لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة، ولا دخول في جور في قضية، فما الذي أحال ذلك عندك من حجة أو عقل أو خبر؟ إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل إلى ذلك. وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحقّ في ذلك. وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته، إذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره، ولولا ذلك لقرنّا إلى ما ذكرنا نظائره، وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفّق لفهمه إن شاء الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به وبرسوله واتباع أمره ونهيه، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته **﴿بِمَا كانُوا بآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾** يقول: بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون، فلا يقرّون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها. كالذي:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد: **﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾** قال: حسناته.

وقيل: «فاولئك» و«مَنْ» في لفظ الواحد، لأن معناه الجمع، ولو جاء موحداً كان صواباً فصيحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد وطّأنا لكم أيها الناس في الأرض، وجعلناها لكم قراراً تستقرّون فيها، ومهاداً تمتهدونها، وفراشاً تفترشونها. ﴿وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ﴾ تعيشون بها أيام حياتكم، من مطاعم ومشارب، نعمة مني عليكم وإحساناً مني إليكم. ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري، واتخاذكم إلهاً سواي. والمعايش: جمع معيشة. واختلفت القرّاء في قراءتها، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: ﴿مَعايِشَ﴾ بغير همز، وقرأه عبد الرحمن الأعرج: «مَعائِشَ» بالهمز.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿مَعايِشَ﴾ بغير همز، لأنها مفاعل من قول القائل: عشت تعيش، فالميم فيها زائدة والياء في الحكم متحرّكة، لأن واحدها مَفْعَلَة مَعْيَشَة متحركة الياء، نُقلت حركة الياء منها إلى العين في واحدها فلما جمعت ردّت حركتها إليها لسكون ما قبلها وتحركها. وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا في نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتي على مثال مفاعل، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التي تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل. فإن ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم: هذه مدائن وصحائف ونظائر، لأن مدائن جمع مدينة، والمدينة: فعيلة من قولهم: مدنت المدينة، وكذلك صحائف جمع صحيفة، والصحيفة فعيلة من قولك: صحفت الصحيفة، فالياء في واحدها زائدة ساكنة، فإذا جمعت همزت لخلافها في الجمع الياء التي كانت في واحدها، وذلك أنها كانت في واحدها ساكنة، وهي في الجمع متحركة، ولو جعلت مدينة مَفْعلة من دان يدين، وجمعت على مفاعل، كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء. وربما همزت العرب جمع مفعلة في ذوات الياء والواو وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها، إذا جاءت على مفاعل تشبيهاً منهم جمعها بجمع فعيلة، كما تشبه مَفْعلاً بفَعِيل، فتقول: مَسِيل الماء، من سَال يسيل، ثم تجمعها جمع «فعيل»، فتقول: هي أَمْسِلَة في الجمع تشبيهاً منهم لها بجمع بعير وهو فعيل، إذ تجمعه أبْعِرة، وكذلك يجمع المصير وهو مَفْعِل مُصْران، تشبيهاً له بجمع بعير وهو فعيل، إذ تجمعه بُعران، وعلى هذا همز الأعرج: ﴿مَعائِشَ﴾، وذلك ليس بالفصيح في كلامها. وأولى ما قرىء به كتاب الله من الألسن، أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذّها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويل ذلك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ﴾ في

ظهر آدم أيها الناس، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ في أرحام النساء خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممثَّلاً في صورة آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾، قوله: ﴿خَلَقْناكُمْ﴾ يعني آدم، وأما صوّرناكم فذرّيته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾... الآية، قال: أما خلقناكم فآدم، وأما صوّرناكم: فذرّية آدم من بعده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ﴾ يعني: آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ يعني: في الأرحام.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ يقول: خلقناكم خلق آدم، ثم صوّرناكم في بطون أُمهاتكم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ يقول: خلقنا آدم ثم صوّرنا الذرية في الأرحام.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: خلق الله آدم من طين، ثم صوّرناكم في بطون أُمهاتكم خلقاً من بعد خلق، علقة ثم مضغة ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: خلق الله آدم ثم صوّر ذرّيته من بعده.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمر بن هارون، عن نصر بن مشارس، عن الضحاك: ﴿خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: ذرّيته.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿ولَقَدْ خَلَقْناكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾، يعني: ذرّيته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صوّرناكم في بطون أُمهاتكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُم صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: خلقناكم في أصلاب الرجال، وصوّرناكم في أرحام النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة مثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت الأعمش يقرأ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: خلقناكم في أصلاب الرجال، ثم صوّرناكم في أرحام النساء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿خَلَقْناكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ يعني في ظهره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ﴾ قال: آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: في ظهر آدم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ في ظهر آدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: صورّناكم في ظهر آدم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: سمعت مجاهداً في قوله: ﴿ولقَد خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: في ظهر آدم لما تصيرون إليه من الثواب في الآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولقد خلقناكم في بطون إمهاتكم، ثم صورناكم فيها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عمن ذكره، قال: ﴿خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: خلق الله الإنسان في الرحم، ثم صوّره فشقّ سمعه وبصره وأصابعه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ﴾ ولقد خلقنا آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ بتصويرنا آدم، كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيّ في ذلك سلفه، وكما قال جلّ ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من

اليهود على عهد رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم، ثم صوّرناه.

وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصوّر ذرّيته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلق أمهاتهم، و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: قمت ثم قعدت، لا يكون القعود إذ عطف به بـ«ثم» على قوله: «قمت» إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: قمت وقعدت، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها من غير دلالة منها بنفسها، على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين، أو إن كانا في وقتين أيهما المتقدّم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا: إن قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ لا يصحّ تأويله إلا على ما ذكرنا. فإن ظنّ ظانّ أن العرب إذ كانت ربما نطقت بـ«ثم» في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم:

سَألْتُ رَبِيعَةَ مَنْ خَيْرُها ... أباً ثُمَّ أمّاً فَقالَتْ لِمَهْ[1]

بمعنى: أباً وأماً، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره، فإن ذلك بخلاف ما ظنّ وذلك أن كتاب الله جلّ ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف. وقد وجّه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذي معناه التقديم، وزعم أن معنى ذلك: ولقد خلقناكم، ثم قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، ثم صوّرناكم. وذلك غير جائز في كلام العرب، لأنها لا تدخل «ثم» في الكلام وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر، وإن كانوا قد يقدّمونها في الكلام، إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير، وذلك كقولهم: قام ثم عبد الله عمرو فأما إذا قيل: قام عبد الله ثم قعد عمرو، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله، إذا كان الخبر صدقاً، فقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ نظير قول القائل: قام عبد الله ثم قعد عمرو في أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل. وأما قوله: ﴿لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ فإنه يقول جلّ ثناؤه: فلما صوّرنا آدم وجعلناه خلقاً سويّاً، ونفخنا فيه من روحنا، قلنا للملائكة: اسجدوا

(١) لم نقف على قائل البيت.

لآدم، ابتلاءً منا واختباراً لهم بالأمر، ليعلم الطائع منهم من العاصي ﴿فَسَجَدُوا﴾ يقول: فسجد الملائكة ﴿إلاَّ إبْلِيسَ﴾ فإنه ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود. وقد بيَّنا فيما مضى المعنى الذي من أجله امتحن جلّ جلاله ملائكته بالسجود لآدم، وأمرَ إبليس وقصصه، وبما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس إذ عصاه، فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له، يقول: ﴿قالَ﴾ الله لإبليس: ﴿ما مَنَعَكَ﴾ أيّ شيء منعك ﴿ألاَّ تَسْجُدَ﴾: أن تدع السجود لآدم، ﴿إذْ أمَرْتُكَ﴾ أن تسجد. ﴿قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ يقول: قال إبليس: أنا خير من آدم، ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

فإن قال قائل: أخبرنا عن إبليس، ألحقته الملامة على السجود أم على ترك السجود؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود، فكيف قيل له: ﴿ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ﴾؟ وإن كان النكير على السجود، فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر القرآن، وخلاف ما يعرفه المسلمون. قيل: إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم إذ أمره بالسجود له، غير أن في تأويل قوله: ﴿ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ﴾ بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً أبدأ بذكر ما قالوا، ثم أذكر الذي هو أولى ذلك بالصواب، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ما منعك أن تسجد، و«لا» ههنا زائدة، كما قال الشاعر:

أَبَى جُودُه لا البُخْلَ واستَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ مِنْ فَتىً لا يَمْنَعُ الجُودَ قَاتِلَهْ[1]

وقال: فسرته العرب: أبى جودة البخل، وجعلوا «لا» زائدة حشواً ههنا وصلوا بها الكلام. قال: وزعم يونس أن أبا عمرو كانَ يجرّ «البخل»، ويجعل «لا» مضافة إليه، أراد: أبى

(١) البيت في (مغني اللبيب: باب لا) وفي (شرح شواهده للسيوطي: ٢١٧) وهو غير معزو. و(البخل): مجرور بإضافة (لا) إليه، في حكاية يونس عن أبي عمر بن العلاء. أو منصوب بأبي على المفعولية مع زيادة (لا) عن أبي علي الفارسي. ولفظ للقافية (قاتله) منصوب بيمنع، أي لو أراد سائله قتله ما منعه جوده، على ما أوضحه الأمير. أو القافية (قائله) بالرفع أو النصب وفي توجيه كل منهما غموض. ولذلك قال الزمخشري: البيت غامض المعنى وما رأيت أحداً فسره. وفي تفسير القرطبي: «نائله» بالرفع، وبها يتضح معنى البيت. يريد أن عطاءه وإن كثر جداً لا يمنعه أن يجود لسائله، لأنه لا يخشى الفقر وفي رواية الأصل: الجوع بدل الجود، تحريف.

جوده «لا» التي هي للبخل، ويجعل «لا» مضافة، لأن «لا» قد تكون للجود والبخل، لأنه لو قال له: امنع الحقّ ولا تعط المسكين، فقال «لا» كان هذا جوداً منه.

وقال بعض نحويي الكوفة نحو القول الذي ذكرناه عن البصريين في معناه وتأويله، غير أنه زعم أن العلة في دخول «لا» في قوله: ﴿أَنْ لا تَسْجُدَ﴾ أن في أوّل الكلام جحداً، يعني بذلك قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ فإن العرب ربما أعادوا في الكلام الذي فيه جحد الجحد، كالاستيثاق والتوكيد له قال: وذلك كقولهم:

ما إنْ رأيْنا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرُّؤُوسِ فَوَالِجٌ وَفُيُولُ[1]

فأعاد على الجحد الذي هو «ما» جحداً، وهو قوله «إن» فجمعهما للتوكيد.

وقال آخر منهم: ليست «لا» بحشو في هذا الموضع، ولا صلة، ولكن المنع ههنا بمعنى القول. وإنما تأويل الكلام: من قال لك لا تسجد إذا أمرتك بالسجود؟ ولكن دخل في الكلام «أنْ» إذ كان المنع بمعنى القول لا في لفظه، كما يفعل ذلك في سائر الكلام الذي يضارع القول، وهو له في اللفظ مخالف كقولهم: ناديت أن لا تقم، وحلفت أن لا تجلس، وما أشبه ذلك من الكلام.

وقال بعض من روى: «أبى جوده لا البخل» بمعنى: كلمة البخل، لأن «لا» هي كلمة البخل، فكأنه قال كلمة البخل.

وقال بعضهم: معنى المنع: الحول بين المرء وما يريده، قال: والممنوع مضطرٌّ به إلى خلاف ما منع منه، كالممنوع من القيام وهو يريده، فهو مضطرّ من الفعل إلى ما كان خلافاً للقيام، إذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل إليه وإلى خلافه، فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال: فلما كانت صفة المنع ذلك، فخوطب إبليس بالمنع، فقيل له: ﴿ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ﴾ كان معناه: كأنه قيل له: أيّ شيء اضطرّك إلى أن لا تسجد؟.

قال أبو جعفر: والصواب عندي من القول في ذلك أن يقال: إن في الكلام محذوفاً قد كفى دليل الظاهر منه، وهو أن معناه: ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد؟ فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين. قوله: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أن ذلك معنى

---

(١) لم أقف على قائله. والمعشر: الجماعة، والفوالج: جمع الفالج، ولعل المراد به هنا: الجمل الضخم ذو السنامين، وهو الذي بين البختي والعربي، يحمل من السند للفحلة، سمي بذلك لأن سنامه نصفان. والفيول: جمع فيل، ويجمع أيضاً على أفيال وفيلة، ويقال: ليلة مثل لون الفيل، أي سوداء لا يهتدى لها، ولون الفيلة كذلك، ولعل الفوالج كذلك لونها أسود. انظر «اللسان». يصف إبلاً سوداً ضخاماً فيشبهها بالفوالج السندية وبالأفيال، لضخامتهن وسوادهن.

الكلام من ذكره، ثم عمل قوله﴿ما مَنَعَكَ﴾ في أن ما كان عاملاً فيه قبل أحوجك لو ظهر إذ كان قد ناب عنه.

وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، وأن لكلّ كلمة معنى صحيحاً، فتبين بذلك فساد قول من قال «لا» في الكلام حشو لا معنى لها. وأما قول من قال: معنى المنع ههنا: القول، فلذلك دخلت «لا» مع «أن، فإن المنع وإن كان قد يكون قولاً وفعلاً، فليس المعروف في الناس استعمال المنع في الأمر بترك الشيء، لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادراً على فعله وتركه ففَعَله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله إلا على استكراه للكلام وذلك أن المنع من الفعل حوّل بينه وبينه، فغير جائز أن يكون وهو محُول بينه وبينه فاعلاً له، لأنه إن جاز ذلك وجب أن يكون محولاً بينه وبينه لا محولاً وممنوعاً لا ممنوعاً وبعد، فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله تعالى بالسجود لآدم كِبراً، فكيف كان يأتمر لغيره في ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم، فيجوز أن يقال له: أيّ شيء قال لك لا تسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت: ما منعك من السجود له، فأحوجك، أو فأخرجك، أو فاضطّرك إلى أن لا تسجد له على ما بيّنت؟

وأما قوله: ﴿أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم، فأحوجه إلى أن لا يسجد له، واضطرّه إلى خلافه أمره به وتركه طاعته أن المانع كان له من السجود والداعي له إلى خلافه أمر ربه في ذلك أنه أشدّ منه يداً وأقوى منه قوّة وأفضل منه فضلاً، لفضل الجنس الذي منه خلق وهو النار، من الذي خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدوّ الله وجه الحقّ، وأخطأ سبيل الصواب، إذ كان معلوماً أن من جوهر النار: الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوّاً، والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حمل الخبيثَ بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه، فأورثه العطب والهلاك، وكان معلوماً أن من جوهر الطين: الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت، وذلك الذي في جوهره من ذلك كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته، ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: «أوّل من قاس إبليس»، يعنيان بذلك: القياس الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله وبُعده من إصابة الحقّ في الفضل الذي خصّ الله به آدم على سائر خلقه من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كلّ شيء مع سائر ما خصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحاً، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين، وهو في ذلك أيضاً له غير كفء، لو لم يكن لآدم من الله جلّ ذكره تكرمة شيء غيره،

فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده ويُمِلّ إحصاؤه؟.

حدثني عمرو بن مالك، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفي، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدَتِ الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق، عن الحسن، قوله: **﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** قال: قاس إبليس وهو أوّل من قاس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السماوات: اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر، لما كان حدّث نفسه من كبره واغتراره، فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنّاً، وأقوى خلقاً، خلقتني من نار وخلقته من طين. يقول: إن النار أقوى من الطين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: **﴿خَلَقْتَنِي منْ نارٍ﴾** قال: ثم جعل ذرّيته من ماء.

قال أبو جعفر: وهذ الذي قاله عدوّ الله ليس لما سأله عنه بجواب، وذلك أن الله تعالى ذكره قال له: ما منعك من السجود؟ فلم يجب بأن الذي منعه من السجود: أنه خلقه من نار، وخلق آدم من طين، ولكنه ابتدأ خبراً عن نفسه، فيه دليل على موضع الجواب، فقال: **﴿أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي منْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: قال الله لإبليس عند ذلك: **﴿فاهْبِطْ مِنْها﴾** وقد بيَّنا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. **﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أنْ تَتَكَبَّرَ فِيها﴾** يقول تعالى ذكره: فقال الله له: اهبط منها يعني: من الجنة فما يكون لك، يقول: فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري.

فإن قال قائل: هل لأحد أن يتكبر في الجنة؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ،

وإنما معنى ذلك: فاهبط من الجنة، فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها فإنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته.

وقوله: ﴿فاخْرُجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يقول: فاخرج من الجنة إنك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذلّ والمهانة، يقال منه: صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَراً وصُغْراناً وقد قيل: صَغُر يَصْغُر صَغَاراً وصَغَارَةً. وبنحو الذي قلنا قال السديّ.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فاخْرُجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ والصغار: هو الذلّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾.

وهذه أيضاً جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة، سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه وذلك أنه سأل النظِرَة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق، ولو أعطي ما سأل من النظرة كان قد أعطي الخلود وبقاءً لا فناءَ معه، وذلك أنه لا موت بعد البعث. فقال جلّ ثناؤه له: ﴿إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ وذلك إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لأنه لا شيء يبقى فلا يفنى غير ربنا الحيّ الذي لا يموت، يقول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾. والإنظار في كلام العرب: التأخير، يقال منه: أنْظَرتُه بحقي عليه، أُنْظِرُه به إنْظاراً.

فإن قال قائل: فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يُبعثون: ﴿إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ في هذا الموضع، فقد أجابه إلى ما سأل. قيل له: ليس الأمر كذلك، وإنما كان مجيباً له إلى ما سأل لو كان قال له: إنك من المنظرين إلى الوقت الذي سألت، أو إلى يوم البعث، أو إلى يوم يبعثون، أو ما أشبه ذلك مما يدلّ على إجابته إلى ما سأل من النظرة. وأما قوله: ﴿إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ فلا دليل فيه لولا الآية الأُخرى التي قد بين فيها مدة إنظاره إياه إليها، وذلك قوله: فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ على المدة التي أنظره إليها، لأنه إذا أنظره يوماً واحداً أو أقلّ منه أو أكثر، فقد دخل في عداد المنظرين وتمّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بين قدر مدّة ذلك بالذي ذكرناه، فعلم بذلك الوقت الذي انظر إليه. وبنحو ذلك كان السديّ يقول.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿قالَ رَبِّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ فلم يُنْظِره إلى يوم

البعث، ولكن أنظَرَه إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم ينفخ في الصور النفخة الأُولى، فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض، فمات.

فتأويل الكلام: قال إبليس لربه: أنظرني أي أخرني وأجِّلْني، وأنسىءْ في أجلي، ولا تُمِتْني إلى يوم يُبعثون، يقول: إلى يوم يُبعث الخلق. فقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ إلى يوم ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

فإن قال قائل: فهل أحد منظر إلى ذلك اليوم سوى إبليس فيقال له إنك منهم؟ قيل: نعم، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة، فهم من المنظرين بآجالهم إليه ولذلك قيل لإبليس: ﴿إِنَكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ بمعنى: الساعة، فهم من المنظرين بآجالهم إليه ولذلك قيل لإبليس: ﴿إِنَكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: قال إبليس لربه: ﴿فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾ يقول: فبما أضللتني. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾ يقول: أضللتني.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾ قال: فبما أضللتني.

وكان بعضهم يتأوّل قوله: ﴿فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾: بما أهلكتني، من قولهم: غَوِيَ الفصيل يَغْوَى غَوىً، وذلك إذا فقد اللبن فمات، من قول الشاعر:

مُعَطَّفَةُ الأَثْناءِ لَيسَ فَصِيلُها ... بِرازِئِها دَرّا ولا مَيِّتٍ غَوىً[1]

---

(١) البيت في «اللسان»: غوى قال: وغوى الفصيل والسخلة يغوى غوى، فهو غو: بشم من اللبن، وفسد جوفه. وقيل: هو أن يمتنع من الرضاع، فلا يروى، حتى يهزل، ويضربه الجوع، وتسوء حاله، ويموت هزالا، أو يكاد يهلك. قال: يصف قوساً: معطفة.... الخ، يعني القوس وسهما رمى به عنها، وهذا من اللغز. وقال الليث: غوى الفصيل يغوى غوى: إذا لم يصب ريا من اللبن، حتى كاد يهلك. وقال ابن شميل: غوى الصبي والفصيل إذا لم يجد من اللبن إلا علقة، فلا يروى، وتراه ممتلأ (سيء الغذاء). قال شمر: وهذا هو الصحيح عند أصحابنا. وقال ابن السكيت: هو ألا يروى من لبأ أمه، ولا يروى من اللبن حتى يموت هزالاً. قال ابن بري: الظاهر في هذا البيت قول ابن السكيت، والجمهور على أن الغوى: البشم من اللبن. وقال ابن قتيبة في كتابه «**المعاني الكبير**» (ص ـ ١٠٤٧): أنشد ابن الأعرابي لعامر المجنون: معطفة الأذناب.... الخ يريد: القوس، وفصيلها السهم. والغوى: البشم. وانظره في المخصص (٧/ ١٨٠).

وأصل الإغواء في كلام العرب: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده غارّاً له. وقد حُكي عن بعض قبائل طيء أنها تقول: أصبح فلان غاوياً: أي أصبح مريضاً. وكان بعضهم يتأوّل ذلك أنه بمعنى القسم، كأن معناه عنده: فبإغوائك إياي لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم، كما يقال: بالله لأفعلن كذا. وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى المجازاة، كأن معناه عنده: فلأنك أغويتني، أو فبأنك أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم. وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كلّ من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه، وأن السبب الذي به يصَل المؤمن إلى الإيمان هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله: ﴿فَبِما أغْوَيْتَنِي﴾: فبما أصلحتني، إذ كان سبب الإغواء، هو سبب الإصلاح، وكان في إخباره عن الإغواء إخبار عن الإصلاح، ولكن لما كان سبباهما مختلفين وكان السبب الذي به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك إليه فقال: ﴿فَبِما أغْوَيْتَنِي﴾. وكذلك قال محمد بن كعب القُرَظي، فيما:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا أبو مودود، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: قاتل الله القدرية، لإبليسُ أعلم بالله منهم.

وأما قوله: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ﴾ فإنه يقول: لأجلسنّ لبني آدم صراطك المستقيم، يعني: طريقك القويم، وذلك دين الله الحقّ، وهو الإسلام وشرائعه.

وإنما معنى الكلام: لأصدنّ بني آدم عن عبادتك وطاعتك، ولأغوينهم كما أغويتني، ولأُضِلَّنهم كما أضَلَلْتَني. وذلك كما رُوي عن سَبْرة بن الفاكه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «إن الشَّيْطانَ قَعَد لابْنِ آدَمَ بأطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسْلام، فَقالَ: أتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِك؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَم. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيق الهِجْرَةِ، فَقالَ: أتهاجِرُ وَتَذَرُ أرْضَكَ وَسَماءَكَ، وإنمَا مَثَلُ المُهاجِرِ كالفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاه وَهاجَرَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهادِ، وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ والمَالِ، فقالَ: أتُقاتِلُ فتُقْتَلَ فَتُنْكَحُ المَرأةُ ويُقَسَّمُ المَالُ؟ قالَ: فَعَصَاهُ فَجاهَدَ». ورُوي عن عون بن عبد الله في ذلك، ما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حيوة أبو يزيد، عن عبد الله بن بكير، عن محمد بن سوقة، عن عون بن عبد الله: ﴿لأَقْعُدَنَّ لهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ﴾ قال: طريق مكة.

والذي قاله عون وإن كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله، وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيئاً دون شيء، فالذي رُوي في ذلك عن رسول الله ﷺ أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل، لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصدّ عن كلّ ما كان لهم قربة إلى الله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل في معنى المستقيم في هذا الموضع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ قال: الحقّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدنيّ، قال: سمعت مجاهداً يقول: ﴿**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ قال: سبيل الحقّ، فلأضلنهم إلا قليلاً.

واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: معناه: لأقعدنّ لهم على صراطك المستقيم، كما يقال: توجه مكة: أي إلى مكة، وكما قال الشاعر:

كَـأَنِّـي إِذْ أَسْـعَـى لأَظْـفَـرَ طَـائِـراً مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ(١)

بمعنى: لأظفر بطائر، فألقى الباء وكما قال: ﴿**أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**﴾ بمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم. وقال بعض نحويي الكوفة: المعنى والله أعلم: لأقعدنّ لهم على طريقهم، وفي طريقهم قال: وإلقاء الصفة من هذا جائز، كما تقول: قعدت لك وجه الطريق، وعلى وجه الطريق لأن الطريق صفة في المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام، إذ قيل: آتيك غداً، وآتيك في غد.

وهذا القول هو أولى القولين في ذلك عندي بالصواب، لأن القعود مقتض مكاناً يقعد فيه، فكما يقال: قعدت في مكانك، يقال: قعدت على صراطك، وفي صراطك، كما قال الشاعر:

لَـدْنٍ بِـهَـزِّ الـكَـفِّ يَـعْـسِـلُ مَـتْـنُـهُ فِـيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ(٢)

---

(١) يصوب: أي ينزل. ولم أقف على قائله.

(٢) البيت من شواهد النحويين «**الخزانة**» للبغدادي (١/ ٤٧٤) على أن حذف حرف الجر من الطريق شاذ، والأصل: كما عسل في الطريق الثعلب، واللدن: الناعم اللين، ويعسل: يشتد اهتزازه، عسل الثعلب والذئب في عدوه: إذا اشتد اضطرابه، والمصدر: عسلا وعسلاناً بتحريكهما. والبيت لساعدة بن جؤية الهذلي، مخضرم أسلم، وليست له صحبة. ورواه السكري في أشعار هذيل، «لذ بهز الكف يعسل نصله» وقال: يضطرب نصله كما يضطرب الثعلب في الطريق إذا عدا. والنصل السنان. ا هـ. ورواية المؤلف كرواية سيبويه، وهي الجيدة. وفي «**اللسان**» (عسل) وقول ساعدة بن جؤية: لدن.... البيت كرواية المؤلف. أراد: عسل في الطريق، فحذف وأوصل. كقولهم: دخلت البيت.

وقال الأعلم: استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق، وهو اسم خاص للموضع المستطرق، بغير =

فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان، ولا يكادون يقولون: جلست مكة وقمت بغداد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى قوله: **﴿لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ﴾** من قِبَل الآخرة، **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** من قِبَل الدنيا، **﴿وَعَنْ أيمَانِهِمْ﴾** من قِبَل الحق، **﴿وَعَنْ شَمائِلهمْ﴾** من قِبَل الباطل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ﴾** يقول: أشككهم في آخرتهم، **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** أرغبهم في دنياهم **﴿وَعَنْ أيمانِهِمْ﴾** أشبه عليهم أمر دينهم، **﴿وَعنْ شَمائِلِهِمْ﴾** أشهِّي لهم المعاصي.

وقد رُوي عن ابن عباس بهذا الإسناد في تأويل ذلك خلاف هذا التأويل، وذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ﴾** يعني من الدنيا، **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** من الآخرة، **﴿وَعَنْ أيمَانِهِمْ﴾** من قِبَل حسناتهم، **﴿وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾** من قِبَل سيئاتهم. وتحقق هذه الرواية الأُخرى التي:

حدثني بها محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِم وعن أيمانهم وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾** قال: ما بين أيديهم فمن قبلهم أما ومن خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيمانهم: فمن قِبَل حسناتهم وأما عن شمائلهم: فمن قِبَل سيئاتهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ**

= واسطة حرف جر، قال تشبيها بالمكان، لأن الطريق مكان، وهو نحو قول العرب: ذهبت الشام، إلا أن الطريق أقرب إلى الإبهام من الشام، لأن الطريق تكون في كل موضع يسار فيه، وليس الشام كذلك.

أَيْدِيهِم﴾. . . الآية، أتاهم من بين أيديهم، فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم من أمر الدنيا، فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم: من قِبَل حسناتهم بطَّأهم عنها وعن شمائلهم: زيَّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها، أتاك يا ابن آدم من كلّ وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ﴾ من قِبَلِ دنياهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من قبَل آخرتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ قال: ﴿من بين أيديهم﴾ من قِبَل دنياهم ﴿ومن خلفهم﴾ من قِبَل آخرتهم. ﴿وَعَنْ أيمانِهِمْ﴾ من قِبَل حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾: من قبل سيئاتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن الحكم: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ قال: ﴿من بين أيديهم﴾: من دنياهم ﴿ومن خلفهم﴾: من آخرتهم ﴿وعن أيمانهم﴾: من حسناتهم ﴿وعن شمائلهم﴾: : من قِبَل سيئاتهم.

حدثنا سفيان، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ﴾ قال: من قِبل الدنيا يزينها لهم ﴿ومن خلفهم﴾ من قِبَل الآخرة يبطِّئهم عنها ﴿وعن أيمانهم﴾: من قِبَل الحقّ يصدّهم عنه ﴿وعن شمائلهم﴾ من قِبَل الباطل يرغبهم فيه، ويزينه لهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ أما ﴿من بين أيديهم﴾: فالدنيا أدعوهم إليها وأرغبهم فيها ﴿ومن خلفهم﴾: فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعِّدها عليهم ﴿وعن أيمانهم﴾ يعني الحقّ فأشككهم فيه ﴿وعن شمائلهم﴾: يعني الباطل أخففه عليهم، وأرغبهم فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قوله: ﴿مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم أرغبهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها، ﴿وَعَنْ أيمَانِهِمْ﴾ حسناتهم أزهدهم فيها، ﴿وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ مساوىء أعمالهم أحسِّنها إليهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قول الله: ﴿مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَعَنْ أيمَانِهِمْ﴾ قال: حيث يبصرون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ حيث لا يبصرون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، قال: تذاكرنا عند مجاهد قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ فقال مجاهد: هو كما قال: يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. زاد ابن حميد، قال: يأتيهم من ثَمّ.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: قال مجاهد: فذكر نحو حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحقّ وأحسِّن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقيب قوله: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ﴾ فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الله الحقّ، فيأتيهم في ذلك من كلّ وجوهه من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم، ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزينه لهم ويدعوهم إليه، وذلك من خلفهم وعن شمائلهم. وقيل: ولم يقل: «من فوقهم» لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ ولم يقل: «من فوقهم»، لأن الرحمة تنزل من فوقهم.

وأما قوله: ﴿ولاَ تَجد أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾ فإنه يقول: ولا تجد رب أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به، من إسجادك له ملائكتك، وتفضيلك إياه عليّ، وشكرهم إياه طاعتهم له بالإقرار بتوحيده، واتباع أمره ونهيه. وكان ابن عباس يقول في ذلك بما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ**﴾ يقول: موحدين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن إحلاله بالخبيث عدوّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته، وطرده إياه عن جنته، إذ عصاه وخالف أمره، وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول: قال الله له عند ذلك: ﴿**اخْرُجْ مِنْها**﴾ أي من الجنة ﴿**مَذْءوماً مَدْحُوراً**﴾ يقول: معيباً. والذأم: العيب، يقال منه: ذأمه يذأمه ذأماً فهو مذءوم، ويتركون الهمز فيقولون: ذِمْتُه أذيمه ذيْماً وذاماً، والذأم والذَّيم أبلغ في العيب من الذمّ وقد أنشد بعضهم هذا البيت:

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْنِي عَلَيْها غِشاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أذِيمُها[(١)]

وأكثر الرواة على إنشاده «ألومها». وأما المدحور: فهو المُقْصَى، يقال: دحره يَدْحَره دَحْراً ودُحُوراً: إذا أقصاه وأخرجه ومنه قولهم: ادحر عنك الشيطان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوماً مَدْحُوراً**﴾ يقول: اخرج منها لعيناً منفيّاً.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: مذءوماً: ممقوتاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوماً**﴾ يقول: صغيراً منفيّاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ،

---

(١) في «اللسان» ذأم: ذأم الرجل يذأمه ذأما: حقره وذمه وعابه، وقيل: حقره وطرده، فهو مذموم، أو ذأمه ذأماً: طرده. وفي التنزيل العزيز: ﴿أخرج منها مذءوما مدحوراً﴾ يكون معناه مذموماً، ويكون: مطروداً وقال مجاهد: مذءوماً: منفياً، ومدحوراً مطروداً. وذأمه ذأماً: أخزاه والذأم: العيب، يهمز ولا يهمز. وقال في (ذيم) الذيم والذام: العيب، وقد ذامه يذيمه ذيماً وذاماً: عابه، وذمته أذيمه، وذأمته وذممته، كله بمعنى عن الأخفش.

قوله: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْءوماً مَدْحُوراً﴾: أما مذءوماً: فمنفيّاً، وأما مدحوراً: فمطروداً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿مَذْءوماً﴾ قال: منفياً ﴿مَدْحُوراً﴾ قال: مطروداً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْءوماً﴾ قال: منفيّاً، والمدحور، قال: المُصغَّر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن يونس وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْءوماً﴾ قال: منفيّاً.

حدثني أبو عمرو القرقساني عثمان بن يحيى، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، سأل ابن عباس: ما ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْءوما مَدْحُوراً﴾ قال: مقيتاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿اخْرُجْ مِنْها مَذْءوماً مَدْحُوراً﴾ فقال: ما نعرف المذءوم والمذموم إلا واحداً، ولكن يكون...[1] منتقصة، وقال العرب لعامر: يا عام، ولحارث: يا حار، وإنما أُنزل القرآن على كلام العرب.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أجْمَعِينَ﴾.

وهذا قسم من الله جلّ ثناؤه: أقسم أن من اتبع من بني آدم عدوّ الله إبليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم، يعني من كفرة بني آدم تبّاع إبليس ومن إبليس وذرّيته جهنم، فرحم الله امرءاً كذّب ظنّ عدوّ الله في نفسه، وخيَّب فيها أمله وأمنيته، ولم يكن ممن أطمع فيها عدوّه، واستغشّه ولم يستنصحه. وإن الله تعالى ذكره إنما نبه بهذه الآيات عباده على قِدم عداوة عدوّه وعدوّهم إبليس لهم، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم، وبغيه عليه وعليهم، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديماً في أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، فينزجروا عن طاعة عدوّه وعدوّهم إلى طاعته وينيبوا إليها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾.

---

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة ولعل الساقط كلمة: «المذءوم». أي يكون لفظة المذوم منتقصة من المذموم.

يقول الله تعالى ذكره: وقال الله لآدم: ﴿يا آدَمُ اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما﴾ فأسكن جلّ ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أيّ مكان شاءا منها، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها. وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك وما نرى من القول فيه صواباً في غير هذا الموضع، فكرهنا إعادته. ﴿فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: فتكونا ممن خالف أمر ربه. وفعل ما ليس له فعله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠)﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُما﴾ فوسوس إليهما، وتلك الوسوسة كانت قوله لهما: ﴿ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَة إلاَّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾ وإقسامه لهما على ذلك. وقيل: «وسوس لهما»، والمعنى ما ذكرت، كما قيل: غَرِضْتُ له، بمعنى: اشتقت إليه، وإنما يعني: غَرضت من هؤلاء إليه، فكذلك معنى ذلك: فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من القيل ﴿لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوآتِهِما﴾ كما قال رؤبة:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الفَلَقْ[١]

ومعنى الكلام: فجذب إبليس إلى آدم حوّاء، وألقى إليهما: ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة إلا أن تكونا ملَكين، أو تكونا من الخالدين ليبدي لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما. فغطاه بستره الذي ستره عليهما. وكان وهب بن منبه يقول في الستر الذي كان الله سترهما به ما:

حدثني به حوثرة[٢] بن محمد المنقري، قال ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن ابن منبه، في قوله: ﴿فَبَدَتْ لَهُما سَوآتُهُما﴾ قال: كان عليهما نور لا ترى سوآتهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وقال الشيطان لآدم وزوجته حوّاء: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها إلا لئلا تكونا ملكين. وأُسقطت «لا» من الكلام لدلالة ما ظهر عليها، كما أُسقطت

---

(١) البيت الثالث والخمسون بعد المئة في ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ من أرجوزته المطولة في وصف المفازة (ص ـ ١٠٨).

(٢) هو حوثرة بن محمد المنقري أبو الأزهر البصري الوراق، مات سنة ٢٥٦ وثقه ابن حبان.

من قوله: ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا**﴾ والمعنى: يبين اللهلكم أن لا تضلوا. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين، كما يقال: إياك أن تفعل كراهية أن تفعل، أو تكونا من الخالدين في الجنة الماكثين فيها أبداً فلا تموتا. والقراءة على فتح اللام بمعنى ملَكين من الملائكة. ورُوي عن ابن عباس ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي حماد، قال: ثنا عيسى الأعمى، عن السديّ، قال: كان ابن عباس يقرأ: «إلاَّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ» بكسر اللام. وعن يحيى بن أبي كثير ما:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثني القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون قال: ثنا يعلى بن حكيم، عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأها: «ملكين» بكسر اللام.

وكأن ابن عباس ويحيى وجها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: ﴿**ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ**﴾ من الملوك، وأنهما تأوّلا في ذلك قول الله في موضع آخر: ﴿**قالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها، القراءة التي عليها قرّاء الأمصار، وهي فتح اللام من «مَلَكين»، بمعنى: ملَكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا في أن كلّ ما كان مستفيضاً في قرأة الإسلام من القراءة، فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وَقاسَمَهُما**﴾: وحلف لهما، كما قال في موضع آخر: تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ بمعنى: تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عمّ أبي ذؤيب:

وقاسَمَها باللَّهِ جَهْداً لأَنْتُمُ ... ألَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذَا ما نَشُورُها[1]

---

(١) البيت في «اللسان» سلا منسوباً إلى خالد بن زهير، قال: أي نأخذها من خليتها، يعني العسل. قال الزجاج: أخطأ خالد. إنما السلوى طائر. قال الفارسي: السلوى كلما سلاك، وقيل للعسل: سلوى، لأنه يسليك بحلاوته، وتأتيه عن غيره، مما تلحقك فيه مؤنة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة. يرد بذلك على أبي إسحاق (الزجاج) قال: وقال أبو بكر: قال المفسرون: المن: الترنجبين، والسلوى: السماني، قال: والسلوى عند العرب: العسل. وفي «اللسان» قسم وقاسمه: حلف له:) وتقاسموا بالله: تحالفوا.

بمعنى: وحالفها بالله وكما قال أعشى بني ثعلبة:

رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدْيٍ أُمّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ(١)

بمعنى تحالفا. وقوله: ﴿إنِّي لَكُما لِمَنَ النَّاصِحِينَ﴾: أي لممن ينصح لكما في مشورته لكما، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتما عن أكل ثمرها، وفي خبري إياكما بما أخبركما به من أنكما إن أكلتماه كنتما ملَكين، أو كنتما من الخالدين. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فحلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خُلقت قبلكما وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أُرشدكما. وكان بعض أهل العلم يقول: من خَادَعنا بالله خَدَعنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ﴾ فخدعهما بغرور، يقال منه: ما زال فلان يدلّي فلاناً بغرور، بمعنى: ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ يقول: فلما ذاق آدم وحوّاء ثمر الشجرة، يقول: طعماه. ﴿بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما﴾ يقول: انكشفت لهما سوآتهما، لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطأها، أو المعصية التي ركبا. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ يقول: أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما. كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن

---

(١) البيت للأعشى ميمون: ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص - ٢٢٥) وفيه وفي «اللسان» (تحالفا) في موضع (تقاسما) والرضيعان: هما الندى: أي الكرم والمحلق، وهو الممدوح بالقصيدة، وقد ذكرهما في البيت قبله وذكر نار القرى، قال:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وباتَ على النَّارِ النَّدى والمُحَلَّقُ

يريد أن الكرم وهذا الرجل قد رضعا ثدي أم واحدة، وقد تحالف أنهما لا يفترقان أبداً والأسحم الداجي: قيل هو الليل، وهو مما يقسمون به. وقيل: سواد حلمة الثدي الذي رضعاه معاً. وعوض: ظرف مبني على الضم، ومعناه: ما يستقبل من الزمان: أي أبد الدهر. وانظره في «اللسان» عوض.

عباس: ﴿وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ قال: جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «كانَ آدَمُ كأنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ كَثِيرَ شَعْرِ الرأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ بالخَطِيئَةِ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ وكانَ لا يَرَاها، فانْطَلَقَ فارّاً، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَحَبَسَتْهُ بِشَعْرِهِ، فَقالَ لَهَا: أرْسِلِيني، فَقالَتْ: لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ، فَنادَاهُ رَبُّهُ: يا آدَمُ، أمِنِّي تَفِرُّ؟ قالَ: لا، وَلَكِنِّي اسْتَحَيْتُكَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك، عن الحسن، عن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته: السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما، وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما ﴿وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ ورق التين يلصقان بعضها إلى بعض، فانطلق آدم مولّياً في الجنة، فأخذت برأسه شجرة من الجنة، فناداه: أي آدم أمني تفرّ؟ قال: لا، ولكني استحيتك يا ربّ قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرّمت عليك؟ قال: بلى يا ربّ، ولكن وعزّتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً. قال: وهو قول الله: ﴿وَقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحينَ﴾ قال: فبعزّتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدّاً قال: فأهبط من الجنة، وكانا يأكلان فيها رغداً، فأُهبطا في غير رغد من طعام وشراب، فعلِّم صنعة الحديد، وأُمر بالحرث، فحرث وزرع ثم سقى. حتى إذا بلغ حصده ثم داسه، ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَخْصِفانِ﴾ قال: يرقعان كهيئة الثوب.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما﴾ وكانا قبل ذلك لا يريانها ﴿وطَفِقا يَخْصِفانِ﴾... الآية.

وقال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا الحسن، عن أُبيّ بن كعب: أن آدم عليه السلام كان رجلاً طوالاً، كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس فلما وقع بما وقع به من الخطيئة، بدت

له عورته عند ذلك، وكان لا يراها. فانطلق هارباً في الجنة، فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني قالت: إني غير مرسلتك. فناداه ربه: يا آدم، أمني تفرّ؟ قال: ربّ إني استحيتك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جعفر بن عون، عن سفيان الثوريّ، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾** قال: ورق التين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿وَطَفِقا يَخْصِفان عَلَيْهِما مِنْ وَرَق الجَنَّة﴾** قال: ورق التين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن حسام بن معبد، عن قتادة وأبي بكر عن غير قتادة قال: كان لباس آدم في الجنة ظُفُراً[1] كله، فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته. قال أبو بكر: قال غير قتادة: **﴿فَطَفِقا يَخْصِفان عَلَيْهِما مِنْ وَرَق الجَنَّةِ﴾** قال: ورق التين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿بَدَتْ لَهُما سَوآتُهُما﴾** قال: كانا لا يريان سوآتهما.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: ثنا عمرو، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: كان لباس آدم وحوّاء عليهما السلام نوراً على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا. فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَناداهُمَا رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ وأَقُلْ لَكُما إنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌ مُبِينٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: ونادى آدم وحوّاء ربهما: ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها، وأعلمكما أن إبليس لكما عدوّ مبين؟ يقول: قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسداً وبغياً. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن

(١) في «النهاية» لابن الأثير: كان لباس آدم عليه السلام الظفر: أي شيء يشبه الظفر في بياضه وصفائه وكثافته.

قيس، قوله: ﴿وَنادَاهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ وأقُلْ لَكُما إنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ لِمَ أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ أطعمتني حوّاء قال لحوّاء: لم أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية. قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس. قال: ملعون مدحور أما أنتِ يا حوّاء فكما دَمِيت الشجرة تدْمين كلّ شهر، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلتَ من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حوّاء أمرتني، قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً. قال: فرنَّت حوّاء عند ذلك، فقيل لها: الرنة[1] عليك وعلى ولدك.]

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن آدم وحوّاء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه. ومعنى قوله: ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا﴾ قال: آدم وحوّاء لربهما: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك وبطاعتنا عدوّنا وعدوّك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها. ﴿وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا﴾ يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، وترحمنا بتعطفك علينا، وتركك أخذنا به ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ يعني: لنكوننّ من الهالكين. وقد بيَّنا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال آدم عليه السلام: يا ربّ، أرأيت إن تبت واستغفرتك؟ قال: إذاً ادخلك الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة، وسأل النظِرة، فأعطى كلّ واحد منهما ما سأل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا وَإن لَمْ تَغْفِرْ لَنا﴾... الآية، قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه.

---

(١) رنت: صوتت. والرنة: المرة من الرنين، أي صيحتك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذرّيته وآدم وولده والحية، يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية: اهبطوا من السماء إلى الأرض بعضكم لبعض عدوّ. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السديّ: ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدوّ**﴾ قال: فلعن الحية، وقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، واهبطوا إلى الأرض، آدم وحوّاء وإبليس والحية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أُبو أسامة، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح: ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ**﴾ قال: آدم وحوّاء والحية.

وقوله: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ**﴾ يقول: ولكم يا آدم وحوّاء وإبليس والحية، في الأرض قرار تستقرّونه وفراش تمتهدونه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ**﴾ قال: هو قوله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشاً**﴾. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

حُدثت عن عبيد الله، عن إسرائيل، عن السديّ، عمن حدثه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ**﴾ قال: القبور.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر آدم وحوّاء وإبليس والحية إذ أُهبطوا إلى الأرض، أنهم عدوّ بعضهم لبعض، وأنّ لهم فيها مستقرّاً يستقرّون فيه، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرّاً في حال حياتهم دون حال موتهم، بل عمّ الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرّاً، فذلك على عمومه كما عمّ خبر الله، ولهم فيها مستقرّ في حياتهم على ظهرها وبعد وفاتهم في بطنها، كما قال جلّ ثناؤه: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأمْواتاً.

وأما قوله: ﴿**وَمَتاعٌ إلى حِينٍ**﴾ فإنه يقول جلّ ثناؤه: ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا، وذلك هو الحين الذي ذكره. كما:

حُدثت عن عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السديّ، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿**وَمَتاعٌ إلى حِينٍ**﴾ قال: إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا.

والحين نفسه الوقت، غير أنه مجهول القدر، يدلّ على ذلك قول الشاعر:

وَما مِراحُكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ ... وَقَدْ عَلاكَ مَشِيبٌ حَينَ لا حِينِ[1]

أي وقت لا وقت.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله للذين أهبطهم من سماواته إلى أرضه: **﴿فِيها تَحْيَوْنَ﴾** يقول: في الأرض تحيون، يقول: تكونون فيها أيام حياتكم، **﴿وَفِيها تَمُوتُونَ﴾** يقول في الأرض تكون وفاتكم، **﴿وَمِنْها تُخْرَجُونَ﴾**: يقول: ومن الأرض يخرجكم ربكم، ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرّون للطواف اتباعاً منهم أمر الشيطان وتركاً منهم طاعة الله، فعرّفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به، وأنهم قد سار بهم سيرته في أبَوَيهم آدم وحوّاء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما سِتر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه: **﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً﴾**: يعني بإنزاله عليهم ذلك: خلقه لهم، ورزقه إياهم. واللباس: ما يلبسون من الثياب. **﴿يُوَارِي سَواتِكُمْ﴾** يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم. وكنى بالسوآت عن العورات، واحدتها سَوْأة، وهي فَعْلة من السوء، وإنما سميت سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده، كما قال الشاعر:

خَرَقُوا جَيْبَ فَتاتِهِمْ ... لم يُبالُوا سَوْأَةَ الرَّجُلَهْ[2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) في «اللسان» مرح: المرح شدة الفرح والنشاط، حتى يجاوز قدره، وقد أمرحه غيره. والاسم: المراح بكسر الميم. وفي «اللسان» حين: الحين: الدهر. وقيل وقت من الدهر مبهم، يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت، يكون سنة وأكثر من ذلك. والحين: الوقت. والحين: المدة، وقوله: «حين لا حين»: أي تمرح في وقت غير وقت مرح لمثلك، وقد علت سنك، وشاب رأسك.

(٢) البيت في «اللسان» رجل وقبله بيت آخر، وهو:

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لِباساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ**﴾ قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة، ولا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿**يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً**﴾ قال: أربع آيات نزلت في قريش، كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن عوف، قال: سمعت معبداً الجُهني يقول في قوله: ﴿**يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً**﴾ قال: اللباس الذي يلبسون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ**﴾ قال: كانت قريش تطوف عراة، لا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه، وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف، عن عوف، عن معبد الجهني: ﴿**يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ**﴾ قال: اللباس الذي يواري سوآتكم: هو لبوسكم هذا.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لِباساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ**﴾ قال: هي الثياب.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: ثني من سمع عروة بن الزبير، يقول: اللباس: الثياب.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ**﴾ قال: يعني ثياب الرجل التي يلبسها.

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطاً غيرَ جِيرانِ بني جَبَلَهْ

وهو شاهد على أن أنثى الرجل: رجلة. ثم قال: عنى بجيبها: هنها. وفي رواية «**اللسان**»: لم يبالوا حرمة الرجلة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرِيشاً﴾.

اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَرِيشاً﴾ بغير ألف.

وذُكِر عن زرّ بن حبيش والحسن البصريّ أنهما كانا يقرآنه: «وَرِياشاً».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبان العطار، قال: حدثنا عاصم، أن زرّ بن حبيش قرأها: «وَرِياشاً».

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك قراءة من قرأ: ﴿وَرِيشاً﴾ بغير ألف لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وقد رُوي عن النبيّ ﷺ خبر في إسناده نظر، أنه قرأه: «وَرِياشاً»، فمن قرأ ذلك: «وَرِياشاً» فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش، كما تجمع الذئب ذئاباً والبئر بئاراً، ويحتمل أن يكون أراد به مصدراً من قول القائل: رَاشَهُ الله يَرِيشُه رِيَاشاً ورِيشاً، كما يقال: لَبِسه يلبسه لباساً ولِبْساً وقد أنشد بعضهم:

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ ... بِأطْرَافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلاً مُوشَّما(١)

بكسر اللام من «اللِّبس». والرياش في كلام العرب: الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار. والريش: إنما هو المتاع والأموال عندهم، وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال، يقولون: أعطاه سرجاً بريشه، ورحلاً بريشه: أي بكسوته وجهازه، ويقولون: إنه لحسن ريش الثياب. وقد يستعمل الرياش في الخصب ورفاهة العيش.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال: الرياش المال:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَرِيشاً﴾ يقول: مالاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَرِيشاً﴾ قال: المال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

---

(١) البيت في «اللسان» طفل. قال: وبنان طفل. وإنما جاز أن يوصف البنان وهو جمع، بالطفل وهو واحد، لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، فإنه يوحد ويذكر، ولهذا قال حميد: ...... البيت. أراد بأطراف بنان طفل، فجعل بدلاً عنه والبيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي طبعة دار الكتب المصرية (ص ـ ١٤) وهو الثالث والثلاثون في القصيدة. واللبس بالكسر: ما عليه من الثياب. وبالضم المصدر. والغيل: الساعد الريان. وموشم: به وشم. والبيت في صفة بعير.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: «وَرِياشاً» قال: أما رياشاً: فرياش المال.

حدثني الحرث قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: ثني من سمع عروة بن الزبير يقول: الرياش: المال.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: «وَرِياشاً» يعني: المال.

ذكر من قال: هو اللباس ورفاهة العيش:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَرِياشاً» قال: الرياش: اللباس، والعيش: النعيم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف، عن عوف، عن معبد الجهني: «وَرِياشاً» قال: الرياش: المعاش.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا عوف، قال: قال معبد الجهني: «وَرِياشا» قال: هو المعاش.

وقال آخرون: الريش الجمال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَرِياشاً» قال: الريش: الجمال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: لباس التقوى هو الإيمان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلِباسُ التَّقْوى﴾ هو الإيمان.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾: الإيمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: أخبرني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوى﴾ الإيمان.

وقال آخرون: هو الحياء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف، عن عوف، عن معبد الجهنيّ، في قوله: ﴿وَلِباسُ التَّقوَى﴾ الذي ذكر الله في القرآن هو الحياء.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا عوف، قال: قال معبد الجهنيّ، فذكر مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو اسامة، عن عوف، عن معبد بنحوه.

وقال آخرون: هو العمل الصالح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى ذلِكَ خَيْرٌ﴾ قال: لباس التقوى: العمل الصالح.

وقال آخرون: بل ذلك هو السمت الحسن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا عبد الله بن داود، عن محمد بن موسى، عن الزباء بن عمرو، عن ابن عباس: ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾ قال: السمت الحسن في الوجه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن الحجاج، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن سليمان بن أرقم، عن الحسن، قال: رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قُوهيّ محلول الزِّرّ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام، ثم قال: يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما عَمِلَ أَحَدٌ قطّ سِرّاً إلاَّ أَلْبَسَهُ اللّهُ رِداءَهُ عَلانِيَةً، إنْ خَيْراً فخَيْراً، وَإنْ شَرّاً فَشَرّاً» ثم تلا هذه الآية: «وَرِياشاً»، ولم يقرأها: ﴿وَرِيشاً﴾ ﴿وَلِباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ﴾ قال: السمت الحسن.

وقال آخرون: هو خشية الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد المدني، قال: ثني من سمع عروة بن الزبير يقول: ﴿**لِباسُ التَّقْوى**﴾ خشية الله.

وقال آخرون: ﴿**لِباسُ التَّقْوَى**﴾ في هذه المواضع: ستر العورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلِباسُ التَّقْوَى**﴾ يتقي الله فيواري عورته، ذلك لباس التقوى.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المكيين والكوفيين والبصريين: ﴿**وَلِباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ**﴾ برفع «ولباسُ». وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «ولِباسَ التَّقْوَى» بنصب اللباس، وهي قراءة بعض قراء الكوفيين. فمن نصب: «وَلِباسَ» فإنه نصبه عطفاً على «الريش» بمعنى: قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً، وأنزلنا لباسَ التقوى. وأما الرفع، فإن أهل العربية مختلفون في المعنى الذي ارتفع به اللباس، فكان بعض نحويي البصرة يقول: هو مرفوع على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿**ذلِكَ خَيْرٌ**﴾. وقد استخطأه بعض أهل العربية في ذلك وقال: هذا غلط، لأنه لم يعد على اللباس في الجملة عائد، فيكون اللباس إذاً رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبراً.

وقال بعض نحويي الكوفة: ﴿**وَلِباسُ**﴾ يُرفع بقوله: «ولباس التقوى خير»، ويجعل ذلك من نعته. وهذا القول عندي أولى بالصواب في رافع اللباس، لأنه لاوجه للرفع إلّا أن يكون مرفوعاً بـ«خير» وإذا رفع بـ«خير» لم يكن في ذلك وجه إلا أن يجعل اللباس نعتاً، لا أنه عائد على اللباس من ذكره في قوله: ﴿**ذلكَ خَيْرٌ**﴾ فيكون خير مرفوعاً بذلك وذلك به. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام إذن: رفع لباس التقوى، ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه خير لكم يا بني آدم من لباس الثياب التي تواري سوآتكم، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم فالبسوه. وأما تأويل من قرأه نصباً، فإنه: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم، وريشاً، ولباس التقوى هذا الذي أنزلنا عليكم، من اللباس الذي يواري سوآتكم، والريش، ولباس التقوى خير لكم من التعرّي والتجرّد من الثياب في طوافكم بالبيت، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرّد والتعرّي من الثياب، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة، كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله الذي كان ألبسهما بطاعتهما له في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصياه بأكلها.

وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله: «وَلِباسَ التَّقْوَى»

لصحة معناه في التأويل على ما بينت، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوآتنا والرياش توبيخاً للمشركين الذين كانوا يتجرّدون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كلّ حال مع الإيمان به واتباع طاعته، ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعرّيهم، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض. وما يدلّ على صحة ما قلنا في ذلك الآيات التي بعد هذه الآية، وذلك قوله: **﴿يا بَنِي آدَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَمَا أخْرَجَ أبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوآتِهِما﴾** وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله: **﴿وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾** فإنه جلّ ثناؤه يأمر في كلّ ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرّد والتعرّي وبالإيمان به واتباع أمره والعمل بطاعته، وينهي عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكداً في كل ذلك ما قد أجمله في قوله: **﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباس التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ﴾**.

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: «وَلِباسَ التَّقْوَى» استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن، لأن من اتقى الله كان به مؤمناً وبما أمره به عاملاً ومنه خائفاً وله مراقباً، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحيياً. ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سمته وهديه ورُؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره.

وإنما قلنا: عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لأن اللباس إنما هو ادّراع ما يلبس واحتباء ما يكتسي، أو تغطية بدنه أو بعضه به، فكلّ من ادّرع شيئاً أو احتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه، فهو له لابس ولذلك جعل جلّ ثناؤه الرجال للنساء لباساً وهنّ لهم لباساً، وجعل الليل لعباده لباساً.

ذكر من تأوّل ذلك بالمعنى الذي ذكرنا من تأويله إذا قرىء قوله: **﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾** رفعاً:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾**: الإيمان **﴿ذلكَ خَيْرٌ﴾** يقول: ذلك خير من الرياش واللباس يواري سوآتكم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلِباسُ التَّقْوَى﴾** قال: لباس التقوى خير، وهو الإيمان.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من

الضلالة. ﴿لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُون﴾ يقول جلّ ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلاً على ما وصفت ليذَّكَّروا، فيعتبروا وينيبوا إلى الحقّ وترك الباطل، رحمة مني بعبادي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدْعه من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة. وقد بيَّنا فيما مضى أن معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلف أهل التأويل في صفة اللباس الذي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان، فقال بعضهم: كان ذلك أظفاراً. ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا في ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عكرمة: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾ قال: لباس كلّ دابة منها، ولباس الإنسان: الظُّفُر، فأدركت آدم التوبة عند ظفره، أو قال: أظفاره.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الحميد الحماني، عن نصر بن عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: تركت أظفاره عليه زينة ومنافع في قوله: ﴿**يَنْزِعُ عنهما لِباسَهُما**﴾.

حدثني أحمد بن الوليد القرشيّ، قال: ثنا إبراهيم بن أبي الوزير، قال: أخبرنا مخلد بن الحسين، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾ قال: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما، وتركت الأظفار تذكرة وزينة.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾ قال: كان لباسه الظفر، فانتهت توبته إلى أظفاره.

وقال آخرون: كان لباسهما نوراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن وهب بن منبه: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾: النور.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: ثنا عمرو، قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوآتِهِما**﴾ قال: كان لباس آدم وحوّاء نوراً على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا.

وقال آخرون: إنما عنى الله بقوله: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِباسَهُما**﴾ يسلبهما تقوى الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا مطلب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾ قال: التقوى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما**﴾ قال: التقوى.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد مثله.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى حذّر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحوّاء، وأن يجرّدهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما. واللباس المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس، هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء، أو غطى بدنه أو بعضه. وإذ كان ذلك كذلك، فالحقّ أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحوّاء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظُفُراً، ويجوز أن يكون نوراً، ويجوز أن يكون غير ذلك، ولا خبر عندنا بأيّ ذلك تثبت به الحجة، فلا قول في ذلك أصوب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**يَنْزِعُ عَنهُما لِباسَهُما**﴾. وأضاف جلّ ثناؤه إلى إبليس إخراج آدم وحوّاء من الجنة، ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وإن كان الله جلّ ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه، إذ كان الذي كان منهما في ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه، فأضيف إليه أحياناً بذلك المعنى، وإلى الله أحياناً بفعله ذلك بهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنا الشَّيَاطِينَ أَولِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بذلك: إن الشيطان يراكم هو. والهاء في «إنه» عائدة على الشيطان.

وقبيله: يعني وصنفه وجنسه الذي هو منه، واحد جمعه «قُبُل» وهم الجنّ. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾** قال: الجنّ والشياطين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾** قال: قبيله: نسله.

وقوله: **﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾** يقول: من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيلَه. **﴿إِنَّا جَعَلْنا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾** يقول: جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدّقون رسله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ذكر أن معنى الفاحشة في هذا الموضع، ما:

حدثني عليّ بن سعيد بن مسروق الكنديّ، قال: ثنا أبو محياة عن منصور، عن مجاهد: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها﴾** قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أُمّهاتنا، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسْعة أو الشيء فتقول:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ(١)

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْهَا آباءَنا﴾** فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن مفضل، عن منصور، عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير والشعبيّ: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَة قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا﴾** قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة.

---

(١) البيتان ينسبان لضباعة بنت عامر بن صعصعة، من بني سلمة بن قشير، كما في «**الروض الأنف**» للسهيلي في شرح سيرة ابن هشام (١/ ١٣٤) قال صاحب السيرة: يصف هيئة طواف العرب بالكعبة في الجاهلية: «وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها، إلا درعاً مفرجاً عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهي كذلك تطوف بالبيت. . . .» وذكر البيتين اللذين استشهد بهما المؤلف، وهما من مشطور الرجز. والهاء في كله وأحله: كناية عن الهن.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدنا عَلَيْها أباءَنا وَالله أمَرَنا بِها﴾** قال: كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة، فإذا قيل: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً﴾** قال: طوافهم بالبيت عراة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا﴾** قال: في طواف الحُمْس في الثياب وغيرهم عراة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْهَا آباءَنا﴾** قال: كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم **﴿قُلْ إن الله لا يَأْمُرُ بالفَحْشاءِ﴾**... الآية.

فتأويل الكلام إذن: وإذا فعل الذي لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحاً من الفعل وهو الفاحشة، وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت وتجرّدهم له، فعُذِلوا على ما أتوا من قَبيح فعلهم وعُوتبوا عليه، قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم ونستنّ بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه، يقول الله جلّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: إن الله لا يأمر بالفحشاء، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومَساويها، أتقولون أيها الناس على الله ما لا تعلمون يقول: أتروون على الله أنه أمركم بالتعرّي والتجرّد من الثياب واللباس للطواف، وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: **﴿قُلْ﴾** يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذباً على الله: ما أمر ربي بما تقولون، بل **﴿أَمَرَ رَبي بالقِسْطِ﴾** يعني: بالعدل. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿قُلْ أمَرَ رَبي بالقِسْطِ﴾** بالعدل.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿قُلْ أَمَرَ رَبي بالقِسْطِ﴾** والقسط: العدل.

وأما قوله: **﴿وأقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معناه: وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** إلى الكعبة حيثما صليتم في الكنيسة وغيرها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَأقيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** قال: إذا صليتم فاستقبلوا الكعبة في كنائسكم وغيرها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** هو المسجد: الكعبة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا خالد بن عبد الرحمن، عن عمر بن ذرّ، عن مجاهد في قوله: **﴿وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** قال: الكعبة حيثما كنت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأقيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** قال: أقيموها للقبلة هذه القبلة التي أمركم الله بها.

وقال آخرون: بل عني بذلك: واجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: **﴿وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾** قال: في الإخلاص أن لا تدعوا غيره، وأن تخلصوا له الدين.

قال أبو جعفر: وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع، وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصاً، لا مُكاءً ولا تصدية.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوماً من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيَع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين، فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعة: وجِّه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة.

وأما قوله: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فإنه يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَه الدِّين﴾ قال: أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَما بَدأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلالَةِ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كَما بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فقال بعضهم: تأويله: كما بدأكم أشقياء وسعداء، كذلك تُبعثون يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾ قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً، كما قال جلّ ثناؤه: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، قال: ثنا أصحابنا، عن ابن عباس: ﴿كَمَا بَدأَكُم تَعُودُونَ﴾ قال: يبعث المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يحيى بن الضريس، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن رجل، عن جابر، قال: يُبعثون على ما كانوا عليه، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؟ ألم تسمع قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾؟.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودون﴾ قال: رُدّوا إلى علمه فيهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو همام الأهوازي، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، في قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: من ابتدأ الله خلقه على الشِّقوة صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل السعادة، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى ما ابتدىء عليه خلقه. ومن ابتدىء خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدىء عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدىء عليه خلقهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن وفاء بن إياس أبي يزيد، عن مجاهد: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: يبعث المسلم مسلماً، والكافر كافراً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو دكين، قال: ثنا سفيان، عن أبي يزيد، عن مجاهد: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: يبعث المسلم مسلماً، والكافر كافراً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير: ﴿كَمَا بَداكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: كما كتب عليكم تكونون.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿كَمَا بَداَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهُمْ الضَّلالَةُ﴾ يقول: كما بدأكم تعودون كما خلقناكم، فريق مهتدون وفريق ضالّ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أُمهاتم.

حدثنا ابن بشار، قل: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن سفيان، عن جابر، أن النبيّ ﷺ، قال: «تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ على ما كانَتْ عَلَيْهِ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود الحفري، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿كَمَا بَداكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: كما كُتبَ عليكم تكونون.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ليث، عن مجاهد، قال: يبعث المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿كَمَا بَداكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقيّاً وسعيداً.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً تعودون بعد الفناء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن عوف، عن الحسن: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: كما بدأكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم، كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن عوف، عن الحسن: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال: بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً، ثم ذهبوا ثم يعيدهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى﴾ يقول: كما خلقناكم أوّل مرّة كذلك تعودون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ يحييكم بعد موتكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَمَا بَدأَكُمْ تَعودُونَ﴾ قال: كما خلقهم أوّلاً، كذلك يعيدهم آخراً.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، القول الذي قاله من قال معناه: كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله، يحشركم إلى يوم القيامة لأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يُعْلِمَ بما فِي هذه الآية قوماً مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدّقون بالقيامة، فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ومُثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه، فقال له: قل لهم: أمر ربي بالقسط، وأن أقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد، وأن ادعوه مخلصين له الدين، وأن أقرّوا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر «وأن أقرّوا بأن» كما ترك ذكر «أن» مع «أقيموا»، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه. وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحداً النشور بعد الممات إلى الإقرار بالصفة التي عليها يُنشر من نُشر، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدّقاً، فأما من كان له جاحداً فإنما يُدعى إلى الإقرار به ثم يُعَرَّف كيف شرائط البعث. على أن في الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ الذي.

حدثناه محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثني المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ، قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً

غُرْلاً، وأوّل مَن يُكْسَى إبْرَاهِيمُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ثمَّ قَرأ: ﴿**كَمَا بَدأْنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنَّا كُنَّا فاعِلِينَ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا إسحاق بن يوسف، قال: ثنا سفيان، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن المُغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللّهِ حُفاةً غُرْلاً كَمَا بَدأْنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنَّا كُنَّا فاعِلِينَ».

ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك، من أن معناه: أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقاً أحياء كما بدأهم في الدنيا خلقاً أحياء، يقال منه: بدأ الله الخلق يَبْدَؤهم وأبدأهم يُبْدِئهم إبداء بمعنى خلقهم، لغتان فصيحتان. ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه عما سبق من علمه في خلقه وجرى به فيهم قضاؤه، فقال: هدى الله منهم فريقاً فوفّقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون، وحقّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد، باتخاذهم الشيطان من دون الله وليّاً.

وإذا كان التأويل هذا كان الفريق الأوّل منصوباً بإعمال هدى فيه، والفريق الثاني بوقوع قوله حقّ على عائد ذكره في عليهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً ألِيماً**﴾. ومن وجّه تأويل ذلك إلى أنه كما بدأكم في الدنيا صنفين: كافراً، ومؤمناً، كذلك تعودون في الآخرة فريقين: ﴿**فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ**﴾ نصب «فريقاً» الأوّل بقوله: «تعودون»، وجعل الثاني عطفاً عليه. وقد بيَّنا الصواب عندنا من القول فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نُصَراء من دون الله وظهراء، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحقّ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا. وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذّب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عناداً منه لربه فيها، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلّ وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرقٌ، وقد فرّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرّون عند طوافهم ببيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب، والمحرِّمين منهم أكل ما لم يحرّمه الله عليهم من حلال رزقه تبرّراً عند نفسه لربه: **﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾** من الكساء واللباس، **﴿عِنْدَ كُلْ مَسْجِد وكُلُوا﴾** من طيبات ما رزقتكم، وحللته لكم، **﴿وَاشْرَبُوا﴾** من حلال الأشربة، ولا تحرّموا إلا ما حرّمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد ﷺ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، قال: ثنا خالد بن الحرث، قال: ثنا شعبة، عن سلمة، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنّ النساء كنّ يطفن بالبيت عراة وقال في موضع آخر: بغير ثياب إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف إن شاء الله، وتقول:

الـيَـوْمَ يَـبْـدُوا بَـعْـضُـهُ أوْ كُـلُّـهُ فَـمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلا أُحِـلُّـهُ

قال: فنزلت هذه الآية: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِد.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانوا يطوفون عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تقول:

الـيَـوْمَ يَـبْـدُو بَـعْـضُـهُ أوْ كُـلـهُ فَـمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلا أحِـلُّـهُ

فقال الله: خُذُوا زِينَتَكُمْ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس: **﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾** قال: الثياب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عندر ووهب بن جرير، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، قال: سمعت مسلماً البطين يحدّث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت المرأة

تطوف بالبيت عريانة قال غُنْدَرٌ[١]: وهي عريانة، قال وهب: كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك.

قال غندر: وتقول: من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ ... وَما بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فأنزل الله ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسْجِدٍ﴾... الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة. والزينة: اللباس، وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي وابن فضيل، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمروا أن يلبسوا ثيابهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن عبد الملك، عن عطاء، بنحوه.

حدثني عمرو، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا عبد الملك، عن عطاء، في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: البسوا ثيابكم.

حدثنا يعقوب قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة عن إبراهيم في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمروا أن يلبسوا الثياب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: ما وارى العورة ولو عباءة.

---

(١) غندر: لقب محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري، أبو عبد الله الكرابيس الحافظ، ربيب شعبة، كان من أصح الناس كتاباً. قال أبو داود: مات سنة ١٩٣، وقال ابن سعد: سنة ١٩٤ هـ.

حدثنا عمرو قال: ثنا يحيى بن سعيد، وأبو عاصم، وعبد الله بن داود، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ قال: ما يواري عورتك ولو عباءة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ في قريش، لتركهم الثياب في الطواف.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ قال: الثياب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن إبراهيم، عن نافع، عن ابن طاوس، عن أبيه: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ قال: الشملة من الزينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن طاوس: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ قال: الثياب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سويد وأبو أُسامة، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فطافت امرأة بالبيت وهي عريانة، فقالت:

الـيَـوْمَ يَـبْـدو بَـعْـضُـهُ أوْ كُـلُّـهُ فَـمَـا بَـدَا مِـنْـهُ فَـلا أُحِـلُّـهُ

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ قال: كان حيّ من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجّاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنَّست فيه، فيقول: من يعيرني مئزراً؟ فإن قدر على ذلك، وإلا طاف عرياناً، فأنزل الله فيه ما تسمعون: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال الله: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ﴾ يقول: ما يواري العورة عند كلّ مسجد.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ: أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة، إلا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه

وطاف في ثياب أحمس، فإنه لا يحلّ له أن يلبس ثيابه، فإن لم يجد من يعيره من الحمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عرياناً، وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراماً عليه، فلذلك قال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وبه عن معمر قال: قال ابن طاوس، عن أبيه: الشملة من الزينة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾... الآية، كان ناس من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلاً، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم وَلا يتعرّوا في المسجد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ قال: زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون.

وحدثني به مرة أخرى بإسناده، عن ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ، وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ قال: كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها، فإن وجدوا من يعيرهم ثياباً، وإلا طافوا بالبيت عراة، فقال: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ﴾ قال: ثياب الله التي أخرج لعباده... الآية.

وكالذي قلنا أيضاً، قالوا في تأويل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: أحلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن أبي جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ في الطعام والشراب.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال: كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرّمون عليهم الوَدَك ما أقاموا بالموسم، فقال الله لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ يقول: لا تسرفوا في التحريم.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ قال: أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ لا تأكلوا حراماً ذلك الإسراف.

وقوله ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ يقول: إن الله لا يحبّ المتعدّين حدّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحلّ الله أو حرّم بإحلال الحرام، وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحلّ ويحرّم ما حرّم، وذلك العدل الذي أمر به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرّون عند طوافهم بالبيت، ويحرّمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق: ﴿مَنْ حَرَّمَ﴾ أيها القوم عليكم ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾ التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالطيبات من الرزق بعد إجماعهم على أن الزينة ما قلنا، فقال بعضهم: الطيبات من الرزق في هذا الموضع: اللحم، وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه في حال إحرامهم.

ذكر من قال ذلك منهم:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهو الودك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الذي حرّموا على أنفسهم، قال: كانوا إذا حجوا أو اعتمروا حرّموا الشاة عليهم وما يخرج منها.

وحدثني به يونس مرّة أخرى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾. . . إلى آخر الآية، قال: كان قوم يحرّمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها، فقال الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ قال: والزينة من الثياب.

حدثني المثنى، قال: ثنا حبان بن موسى، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن

رجل، عن الحسن، قال: لما بعث الله محمداً فقال: هذا نبيي هذا خياري، استنّوا به خذوا في سنته وسبيله لم تُغلق دونه الأبواب ولم تُقم دونه الحُجُب، ولم يغد عليه بالجبار[١] ولم يرجع عليه بها. وكان يجلس بالأرض، ويأكل طعامه بالأرض، ويلعق يده، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف عبده، وكان يقول: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». قال الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها، ثم عُلوجاً فسّاقاً، أكلة الربا والغلول، قد سفههم ربي ومقتهم، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت، يتأوّلون هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِن الرّزْقِ﴾ وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان، قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان.

وقال آخرون: بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرّم من البحائر والسوائب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرّزقِ﴾ وهو ما حرّم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرّزْقِ﴾ قال: إن الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها، وهو قول الله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ الله لَكُم مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً وهو هذا، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرّزْقِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ﴾.

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِن الرّزْقِ﴾ إذ عيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك: زينة الله التي أخرج لعباده، وطيبات رزقه للذين صدّقوا الله ورسوله، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك في الدنيا، وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه، وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة، لا يشركهم في ذلك يومئذٍ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

---

(١) كذا في أصله وفي نسخة: بالجباب، بجيم وموحدتين بينهما ألف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ يقول: شارك المسلمون الكفار في الطيِّبات، فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من خيار ثيابها، ونكحوا من صالح نسائها، وخلصوا بها يوم القيامة.

وحدثني به المثنى مرّة أخرى بهذا الإسناد بعينه، عن ابن عباس، فقال: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا**﴾ يعني: يشارك المسلمون المشركين في الطيِّبات في الحياة الدنيا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال الله لمحمد ﷺ: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياة الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القيامةِ**﴾ يقول: قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا، لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة في الدنيا لكلّ بني آدم، فجعلها الله خالصة لأوليائه في الآخرة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا، وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار، فأما في الدنيا فقد شاركوهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ من عمل بالإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة، ومن ترك الإيمان في الدنيا قدم على ربه لا عذر له.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**قُل هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ يشترك فيها معهم المشركون، ﴿**خالِصَةً يَومَ القِيامَةِ**﴾ للذين آمنوا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**قُل مَنْ حَرمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزقِ قُلْ**

هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خالِصَةً يَومَ القِيامَةِ﴾ يقول: المشركون يشاركون المؤمنين في الدنيا في اللباس والطعام والشراب، ويوم القيامة يُخَلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين، وليس للمشركين في شيء من ذلك نصيب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر، ويخلص خير الآخرة للمؤمنين، وليس للكافر فيها نصيب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: **﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ﴾** قال: هذه يوم القيامة للذين آمنوا، لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها في الدنيا، وإذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير. وقال سعيد بن جبير في ذلك، بما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسماعيل بن أبان وحيوية الرازي أبو يزيد عن يعقوب القمي، عن سعيد بن جبير: **﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ﴾** قال: ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم إثمها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله «خالصة»، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة: «خالِصَةٌ» برفعها، بمعنى: قل هي خالصة للذين آمنوا. وقرأه سائر قرّاء الأمصار: **﴿خالِصَةً﴾** بنصبها على الحال من لهم، وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها، على ما قد وصفت في تأويل الكلام أن معنى الكلام: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم الآخرة خالصة. ومن قال ذلك بالنصب جعل خبر «هي» في قوله: **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي بالصحة قراءة من قرأ نصباً، لإيثار العرب النصب في الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة وإن كان الرفع جائزاً، غير أن ذلك أكثر في كلامهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: كما بينت لكن الواجب عليكم في اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها، وميزت بين ذلك لكم أيها الناس، كذلك ابين جميع أدلتي وحججي وأعلام حلالي وحرامي وأحكامي لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما يميز لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت، ويحرمون أكل طيبات ما أحلّ الله لهم من رزقه أيها القوم: إن الله لم يحرّم ما تحرّمونه، بل أحلّ ذلك لعباده المؤمنين وطيّبه لهم. وإنما حرّم ربي القبائح من الأشياء، وهي الفواحش، ما ظهر منها فكان علانية، وما بطن منها فكان سرّاً في خفاء. وقد رُوي عن مجاهد في ذلك ما:

حدثني الحرث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: **﴿ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾** قال: ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة، وما بطن: الزنا.

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت إعادته.

وأما الإثم: فإنه المعصية. والبغي: الاستطالة على الناس. يقول تعالى ذكره: إنما حرّم ربي الفواحش مع الإثم والبغي على الناس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَالإثمَ والبَغْيَ﴾** أما الإثم: فالمعصية، والبغي: أن يبغي على الناس بغير الحقّ.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً في قوله: **﴿ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ﴾** قال: نهى عن الإثم وهي المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿وأنْ تُشْرِكُوا باللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

يقول جل ثناؤه: إنما حرّم ربي الفواحش والشرك به أن تعبدوا مَعَ الله إلهاً غيرَهُ، **﴿ما لَمْ ينزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾** يقول: حرّم ربكم عليكم أن تجعلوا معه في عبادته شركاً لشيء لم يجعل لكم في إشراككم إياه في عبادته حجة ولا برهاناً، وهو السلطان. **﴿وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾** يقول: وأن تقولوا: إن الله أمركم بالتعرّي والتجرّد للطواف بالبيت، وحرّم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرّمتموها وسيّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه أو أمر به أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به، فإن ذلك هو الذي

حرّمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرّمه أو تقولون إن الله أمركم به جهلاً منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مهدّداً للمشركين الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، ووعيداً منه لهم على كذبهم عليه وعلى إصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم، ومذكّراً لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم: **﴿وَلِكُلِّ أمَّةٍ أجَلٌ﴾** يقول: ولكلّ جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردّ نصائحهم، والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم، أجل، يعني: وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثلات بهم على شركهم. **﴿فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ﴾** يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقّته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم **﴿لا يَسْتأخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** يقول: لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان. **﴿وَلا يَسْتَقْدِمُون﴾** يقول: ولا يتقدمون بذلك أيضاً عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتاً للهلاك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره معرّفاً خلقه ما أعدّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله: **﴿يا بَنِي آدَمَ إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾** يقول: إن يجيئكم رسلي الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتي والانتهاء إلى أمري ونهيي. **﴿منكم﴾**، يعني: من أنفسكم، ومن عشائركم وقبائلكم. **﴿يَقُصُّون عَلَيْكُمْ آياتِي﴾** يقول: يتلون عليكم آيات كتابي، ويعرّفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاءوكم به من عندي، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدي. **﴿فَمَنْ اتَّقَى واصْلَحَ﴾** يقول: فمن آمن منكم بما أتاه به رسلي مما قصّ عليه من آياتي وصدّق واتقى الله، فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه، على لسان رسوله. **﴿وأصْلَحَ﴾** يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسداً قبل ذلك من معاصي الله بالتحوُّب منها. **﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه. **﴿وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾** على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنبوها، اتباعاً منهم لنهي الله عنها إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام أبو عبد الله، قال: ثنا هياج، قال: ثنا عبد الرحمن بن زياد، عن أبي سيار السلمي، قال: إن الله جعل آدم وذرّيته في كفه، فقال: ﴿**يا بَنِي آدَمَ إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْهِمْ آياتِي فَمَنِ اتَّقَى وأصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**،﴾ ثم نظر إلى الرسل فقال: ﴿**يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ**﴾ ثم بثهم.

فإن قال قائل: ما جواب قوله: ﴿**إمَّا يأتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**﴾؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعضهم في ذلك: الجواب مضمر، يدلّ عليه ما ظهر من الكلام، وذلك قوله: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وأصْلَحَ**﴾ وذلك لأنه حين قال: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وأصْلَحَ**﴾ كأنه قال: فأطيعوهم.

وقال آخرون منهم: الجواب: «فمن اتقى»، لأن معناه، فمن اتقى منكم وأصلح. قال: ويدلّ على أن ذلك كذلك، تبعيضه الكلام، فكان في التبعيض اكتفاء من ذكر «منكم».

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول جل ثناؤه: وأما من كذب بأنباء رسلي التي أرسلتها إليه وجحد توحيدي وكفر بما جاء به رسلي واستكبر عن تصديق حججي وأدلتي، ﴿**فأُولَئِكَ أصحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خالدون**﴾ يقول: هم في نار جهنم ماكثون، لا يخرجون منها أبداً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلاً وأجهل قولاً وأبعد ذهاباً عن الحقّ والصواب ﴿**مِمَّنِ افْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً**﴾ يقول: ممن اختلق على الله زوراً من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها. ﴿**أوْ كَذَّبَ بآيَاتِهِ**﴾ يقول: أو كذّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها. ﴿**أُولَئِكَ**﴾ يقول: من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذّب بآياته، ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ.

ثـم اختلف أهل التأويل في صفة ذلك النصيب الذي لهم في الكتاب وما هو، فقال بعضهم: هو عذاب الله الذي أعدّه لأهل الكفر به.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مروان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾: أي من العذاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو اسامة، عن إسماعيل، عن أبي صالح مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ يقول: ما كتب لهم من العذاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن كثير بن زياد، عن الحسن في قوله: ﴿**أُولَئِكَ ينالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: من العذاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن جويبر، عن أبي سهل، عن الحسن، قال: من العذاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن رجل، عن الحسن، قال: من العذاب.

وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سعيد: ﴿**أولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: من الشقوة والسعادة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ كشقيّ وسعيد.

حدثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن الحسن، بن عمرو الفقيمي، عن الحكم قال: سمعت مجاهداً يقول: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: هو ما سبق.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾: ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شبل، عن ابن أبي

نجيح، عن مجاهد: ﴿يَنالُهُم نَصيبُهُم مِنَ الكِتابِ﴾: ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة، كشقيّ وسعيد.

قال: حدثنا ابن المبارك، عن شريك، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ﴾ من الشقاوة والسعادة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير وابن إدريس، عن الحسن بن عمرو، عن الحكم، عن مجاهد: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِن الكِتابِ﴾ قال: ما قد سبق من الكتاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ قال: ما سبق لهم في الكتاب.

قال: ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم﴾ قال: من الشقاوة والسعادة.

قال: حدثنا أبو معاوية، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ما قضى أو قدّر عليهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿يَنالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ ينالهم الذي كتب عليهم من الأعمال.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن سميع، عن بكر الطويل، عن مجاهد، في قول الله: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ قال: قوم يعملون أعمالاً لا بدّ لهم أن يعملوها.

وقال آخرون: معنى ذلك: أُولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذي كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشرّ.

ذكر من قال ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ يقول: نصيبهم من الأعمال، من عمل خيراً جزي به، ومن عمل شرّاً جُزي به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ قال: من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ينالهم نصيبهم في الآخرة من أعمالهم التي عملوا وأسلفوا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُم نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ**﴾ أي أعمالهم، أعمال السوء التي عملوها وأسلفوها.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: قال أبي: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ زعم قتادة: من أعمالهم التي عملوا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ**﴾ يقول: ينالهم نصيبهم من العمل، يقول: إن عمل من ذلك نصيب خير جزي خيراً، وإن عمل شرّاً جزي مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: من الخير والشرّ.

قال: حدثنا زيد، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: ما وعدوا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ما وعدوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ما وعدوا فيه من خير أو شرّ.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ليث، عن ابن عباس: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ما وعدوا مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: ما وعدوا فيه من خير أو شرّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ما وعدوا فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ما وعدوا من خير أو شرّ.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن الحكم، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: ينالهم ما سبق لهم من الكتاب.

وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذي كتبه الله على ما افترى عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ يقول: ينالهم ما كتب عليهم، يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسودّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ مما كتب لهم من الرزق.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا محمد بن حرب، عن ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن القرظي: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: عمله ورزقه وعمره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ قال: من الأعمال والأرزاق والأعمال، فإذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها.

قال أبو جعفر، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشرّ في الدنيا ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿**حتى إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ**﴾ فأبان بإتباعه ذلك قوله: ﴿**أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ**﴾ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضياً عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعدّ لهم في الآخرة، لم يكن محدوداً بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لو فاتهم لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه، فبين

بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا وشَهِدُوا على أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿حتى إذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا﴾ إلى أن جاءتهم رسلنا، يقول جلّ ثناؤه: وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب أو كذّبوا بآيات ربهم، ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم وسبق في علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشرّ في الدنيا، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم. ﴿فإذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا﴾ يعني: ملك الموت وجنده. ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقول: يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة. ﴿قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ يقول: قالت الرسل: أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء، وهلاّ يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فأجابهم الأشقياء، فقالوا: ضلّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله يعني بقوله: ﴿ضَلُّوا﴾: جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعُونا. يقول الله جلّ ثناؤه: وشهد القوم حينئذٍ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذّبين آياته يوم القيامة، يقول تعالى ذكره: قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة: ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذّبون رسله في جماعات من ضربائكم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يقول: قد سلفت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار. ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس. وإنما يعني بالأمم: الأحزاب وأهل الملل الكافرة. ﴿كلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ يقول جلّ ثناؤه: كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها، يقول: شتمت الجماعةُ الأخرى من أهل ملتها تبرّياً منها. وإنما عني بالأخت: الأخوّة في الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها، لأنه عني بها أمة وجماعة أخرى، كأنه قيل: كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها**﴾ يقول: كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركونَ المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس، تلعن الآخرةُ الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حتى إذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً﴾.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً، يعني: اجتمعت فيها، يقال: قد ادّاركوا وتداركوا: إذا اجتمعوا، يقول: اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبنا هَؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة، يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فادّاركوا، قالت أخرى أهل كلّ ملة دخلت النار الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفاً وإماماً في الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعوْنا إلى عبادة غيرك وزيّنوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين: ﴿**رَبَّنا هَؤُلاءِ أضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ**﴾.

وأما قوله: ﴿**قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمونَ**﴾ فإنه خبر من الله عن جوابه لهم، يقول: قال الله للذين يدعونه فيقولون: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار لكلّكم، أوّلكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعف، يقول: مكررٌ عليه العذاب. وضعف الشيء: مثله مرّة: وكان مجاهد يقول في ذلك، ما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكلٍّ ضِعْفٌ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال الله: ﴿**لِكُلٍّ ضِعْفٌ**﴾ للأُولى وللآخرة ضعف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: ثني غير واحد، عن السديّ، عن مرّة، عن عبد الله: ﴿**ضِعْفاً مِنَ النَّارِ**﴾ قال: أفاعي.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن مرّة، عن عبد الله: ﴿**فآتهم عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ**﴾ قال: حيات وأفاعي.

وقيل: إن الضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك.

وقوله: ﴿**وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ يقول: ولكنكم يا معشر أهل النار، لا تعلمون ما قدر ما أعدّ الله لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعف منه الأمة الكافرة الأخرى لأختها الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وقالت أولى كلّ أمة وملة سبقت في الدنيا لأخراها الذين جاءوا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها، فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم: ﴿**فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ**﴾ وقد علمتم ما حلّ بنا من عقوبة الله بمعصيتنا إياه وكفرنا به، وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنُّذر، هل انتهيتم إلى طاعة الله، وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم؟ فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جواباً بأن يقولوا فُضّلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدّقنا رسله، قال الله لجميعهم: فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم، بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي، وتجترحون من الذنوب والأجرام

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت عمران، عن أبي مجلز: **﴿وقالَتْ أُولاهم لأُخْرَاهُمْ فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾** قال: يقول: فما فضلكم علينا، وقد بين لكم ما صنع بنا وحُذرتم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وقالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾** فقد ضللتم كما ضللنا.

وكان مجاهد يقول في هذا بما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾** قال: من التخفيف من العذاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾** قال: من تخفيف.

وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له، لأن قول القائلين: فما كان لكم علينا من فضل، لمن قالوا ذلك إنما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال، يدلّ على ذلك دخول «كان» في الكلام، ولو كان ذلك منهم توبيخاً لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم: آتهم عذاباً ضعفاً من النار، لكان التوبيخ أن يقال: فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا. ولم يقل: فما كان لكم علينا من فضل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدّقوا بها ولم يتبعوا رسلنا، **﴿واسْتَكْبَرُوا عَنْها﴾** يقول: وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً، لا تفتح لهم لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، لأن أعمالهم خبيثة. وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلَ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** فقال بعضهم: معناه: لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يعلى، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: عنى بها الكفار أن السماء لا تفتح لأرواحهم وتفتح لأرواح المؤمنين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن أبي سنان، عن الضحاك، قال: قال ابن عباس: تفتح السماء لروح المؤمن، ولا تفتح لروح الكافر.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: إن الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا، فهبط إلى أسفل الأرضين وإذا كان مؤمناً أخذ روحه، وفُتح له أبواب السماء، فلا يمرّ بملك إلاَّ حياه وسلم عليه حتى ينتهي إلى الله، فيعطيه حاجته، ثم يقول الله: ردّوا روح عبدي فيه إلى الأرض، فإني قضيت من التراب خلقه، وإلى التراب يعود، ومنه يخرج.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء إلى الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن سفيان، عن ليث، عن عطاء، عن ابن عباس: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾**: لا يصعد لهم قول ولا عمل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُم أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** يعني: لا يصعد إلى الله من عملهم شيء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** يقول: لا تفتح لخير يعملون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: لا يصعد لهم كلام ولا عمل.

حدثنا مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا عبد الله بن داود، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سعيد: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: **﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماءِ﴾** قال: لأرواحهم ولا لأعمالهم.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا في تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جلّ ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم، ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء مع تأييد الخبر عن رسول الله ﷺ ما قلنا في ذلك. وذلك ما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء: أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: «فَيَصْعَدُونَ بِها فَلا يَمُرُّونَ على مَلإ مِنَ المَلائِكَةِ إلاَّ قالوا: ما هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلانٌ، بأقْبَحِ أسْمائِهِ التي كان يُدعَى بهَا فِي الدُّنْيا. حتى يَنْتَهُوا بِها إلى السَّماءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿لا تُفَتَّح لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماء وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِياطِ﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «المَيِّتُ تَحْضُرُهُ المَلائِكَةُ، فإذَا كانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قالُوا اخْرُجِي أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كانَتْ في الجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وأبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ وَرَبٍّ غيرِ غَضْبانَ قال: فَيَقُولُونَ ذلك حتى يُعْرَجَ بِها إلى السَّماءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلانٌ، فَيُقال: مَرْحَباً بالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ التي كانَتْ في الجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وأبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحان وَرَبٍّ غيرِ غَضْبانَ فَيُقالُ لهَا ذلك حتى تَنْتَهِيَ إلى السَّماءِ التي فِيها اللّهُ. وَإذَا كان الرَّجُلُ السُّوءُ قال: اخْرُجِي أيَّتُها النَّفْسُ الخَبِيثَةُ كانَت في الجَسَدِ الخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ فَيَقُولُونَ ذلَك حتى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِها إلى السَّماءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَها، فَيُقالُ: من هَذَا؟ فَيَقُولُون: فُلانٌ،

فَيَقُولُونَ: لا مَرْحَباً بالنَّفْسِ الخَبِيثَةِ كانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، ارجِعِي ذَمِيمَةً فإنَّهُ لا تُفْتَحُ لِكِ أبْوابُ السَّماءِ فَتُرسَلُ بينَ السماءِ والأرضِ فَتَصِيرُ إلى القَبْرِ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثني ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة: «لا يُفْتَحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ» بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها، بمعنى: لا يفتح لهم جميعها بمرّة واحدة وفتحة واحدة. وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين: ﴿لا تُفَتَّحُ﴾ بالتاء وتشديد التاء الثانية، بمعنى: لا يفتح لهم باب بعد باب وشيء بعد شيء.

قال أبو جعفر: والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرّة واحدة ولا مرّة بعد مرّة وباب بعد باب، فكلا المعنيين في ذلك صحيح، وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح، لأن الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء، لأن الأبواب جماعة، فيخبر عنها خبر الجماعة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ وكذلكَ نَجْزِي المُجْرِمين﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ولا يدخل هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبداً، كما لا يلج الجمل فِي سَمّ الخياط أبداً، وذلك ثقب الإبرة. وكلّ ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه سَمّاً وتجمعه سُموماً وسِماماً، والسّمام في جمع السَّمّ القاتل أشهر وأفصح من السموم، وهو في جمع السَّمّ الذي هو بمعنى الثقب أفصح، وكلاهما في العرب مستفيض، وقد يقال لواحد السُّموم التي هي الثقوب: سَمّ وسُمّ بفتح السين وضمها، ومن السَّمّ الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق:

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حتى تَنَفَّسا ... وَقُلْتُ لهُ لا تَخْشَ شَيْئا وَرَائِيا[1]

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ (ص - ٨٩٥)، من قصيدته التي مطلعها:
ألم تر أنـي يـوم جـو سـويـقـة ... بـكـيـت فـنـادتـنـي هـنـيـدة مـالـيـا
والضمير في سميه عائد على مذكور في البيت قبله، وهو:
دعـانـي ابـن حـمـراء الـعـجـان ولـم يـجـد ... لـه إذ دعـا مـتـسـأخـراً عـن دعـائـيـا
يريد البعث الشاعر. والسمان: هما ثقبا الأنف. يريد أنه كان خائفاً، فاستغاث به يعلوه البهر وتردد النفس، فطمأنه حتى هدأت نفسه، وذهب ما به من خوف.

يعني بسَمِّيه: ثقبي أنفه. وأما الخِياط: فإنه المِخْيَط وهي الإبرة، قيل لها: خِيَاط ومخيط، كما قيل: قِنَاع ومِقْنَع، وإزار ومِئْزَر، وقِرَام ومِقْرَم، ولحاف ومِلْحَف. وأما القرّاء من جميع الأمصار، فإنها قرأت قوله: ﴿فِي سَمِّ الخِياطِ﴾ بفتح السين، وأجمعت على قراءة «الجَمَل» بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك. وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير، فإنه حُكي عنهم أنهم كانوا يقرأون ذلك: «الجُمَّل» بضم الجيم وتشديد الميم، على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس.

فأما الذين قرأوه بالفتح من الحرفين والتخفيف، فإنهم وجهوا تأويله إلى الجمل المعروف وكذلك فسروه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله في قوله: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياطِ**﴾ قال: الجمل: ابن الناقة، أو زوج الناقة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ**﴾ قال: الجمل: زوج الناقة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي حصين، عن إبراهيم، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: الجمل: زوج الناقة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا قرة، قال: سمعت الحسن يقول: الجمل الذي يقوم في المربد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِياطِ**﴾ قال: حتى يدخل البعير في خرق الإبرة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن هشيم، عن عباد بن راشد، عن الحسن، قال: هو الجمل. فلما أكثروا عليه، قال: هو الأشتر.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن عباد بن راشد، عن الحسن مثله.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن يحيى، قال: كان الحسن يقرؤها: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ**﴾ قال: فذهب بعضهم يستفهمه، قال: أشتر أشتر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن شعيب بن الحَبْحاب، عن أبي العالية: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ**﴾ قال: الجمل: الذي له أربع قوائم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن أبي حصين، أو حصين، عن إبراهيم، عن ابن مسعود في قوله: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ**﴾ قال: زوج الناقة، يعني الجمل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: أنه كان يقرأ: ﴿**الجَمَلُ**﴾ وهو الذي له أربع قوائم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد، عن الضحاك: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ**﴾ الذي له أربع قوائم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن الحباب، عن قرة، عن الحسن: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ**﴾ قال: الذي بالمربد.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «حتى يَلجَ الجَمَلُ الأصْفَرُ».

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سليم، قال: ثنا عبد الكريم بن أبي المخارق، عن الحسن، في قوله: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ**﴾ قال: الجمل: ابن الناقة، أو بعل الناقة.

وأما الذين خالفوا هذه القراءة فإنهم اختلفوا، فرُوي عن ابن عباس في ذلك روايتان: إحداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل. ذكر الرواية بذلك عنه:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ**﴾ والجمل: ذو القوائم. وذكر أن ابن مسعود قال ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس: ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ﴾: هو الجمل العظيم لا يدخل في خرق الإبرة من أجل أنه أعظم منها. والرواية الأخرى ما:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس: في قوله: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» قال: هو قَلْس السفينة.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حنظلة السدوسيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» يعني: الحبل الغليظ. فذكرت ذلك للحسن، فقال: ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ﴾ قال عبد الأعلى. قال أبو غسان، قال خالد: يعني البعير.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أسامة، عن فضيل، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأ: «الجُمَّل» مثقلة، وقال: هو حبل السفينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن هشيم، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: «الجُمَّل»: حبال السفن.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن ابن المبارك، عن حنظلة، عن عكرمة، عن ابن عباس: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» قال: الحبل الغليظ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ في سَمّ الخياطِ» قال: هو الحبل الذي يكون على السفينة.

واختلف عن سعيد بن جبير أيضاً في ذلك، فرُوي عنه روايتان إحداهما مثل الذي ذكرنا عن ابن عباس بضمّ الجيم وتثقيل الميم. ذكر الرواية بذلك عنه:

حدثنا عمران بن موسى القزّار، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا حسين المعلم، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، أنه قرأها: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ» يعني: قلوس السفن، يعني الحبال الغلاظ.

والأخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم. ذكر الرواية بذلك عنه:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عمرو، عن سالم بن عجلان الأفطس، قال: قرأت على أبي: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ» فقال: «حتى يَلِجَ الجُمَلُ» خفيفة: هو حبل السفينة، هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير.

وأما عكرمة، فإنه كان يقرأ ذلك: ﴿الجُمَّل﴾ بضمّ الجيم وتشديد الميم، وبتأوّله كما:

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبو تُمَيلة، عن عيسى بن عبيدة، قال: سمعت عكرمة يقرأ «الجُمَّلُ» مثقلة، ويقول: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا كعب بن فَرُّوخ، قال: ثنا قتادة، عن عكرمة، في قوله: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» قال: الحبل الغليظ في خرق الإبرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمّ الخِياط» قال: حبل السفينة في سَمّ الخياط.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: سمعت مجاهداً يقول: الحبل من حبال السفن.

وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضمّ الجيم على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصُّرَد والجُعَل وجهه إلى جماع جملة من الحبال جمعت جُمَلاً، كما تجمع الظلمة ظُلَماً والخربة خُرَباً.

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم، ويقول: إنما أراد الراوي الجُمَل بالتخفيف، فلم يفهم ذلك منه، فشدّده.

وحُدثت عن الفراء، عن الكسائي أنه قال: الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميّاً. وأما من شدّد الميم وضمّ الجيم، فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد: وهو الحبل أو الخيط الغليظ.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار وهو: **﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياطِ﴾** بفتح الجيم والميم من «الجمل» وتخفيفها، وفتح السين من «السَّمّ»، لأنها القراءة المستفيضة في قرّاء الأمصار، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القرّاء، وكذلك ذلك في فتح السين في قوله: **﴿سَمِّ الخِياطِ﴾**.

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك فتأويل الكلام: ولا يدخلون الجنة حتى يلج، والولوج: الدخول من قولهم: وَلَجَ فلان الدار يَلِجُ وُلُوجاً، بمعنى: دخل الجمل في سَمّ الإبرة وهو ثقبها. **﴿وكذلكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ﴾** يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة.

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله: **﴿سَمِّ الخياط﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلبي، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياطِ**﴾ قال: ثقب الإبرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا كعب بن فَرُّوخ، قال: ثنا قتادة، عن عكرمة: ﴿**في سَمِّ الخياطِ**﴾ قال: ثقب الإبرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن، مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**في سَمِّ الخياط**﴾ قال: جحر الإبرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**في سَمّ الخياطِ**﴾ يقول: جحر الإبرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**في سَمِّ الخياطِ**﴾ قال: في ثَقبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: لهؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴿**مِنْ جَهَنَّم مِهادٌ**﴾ وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يُفرش والبساط الذي يُبسط. ﴿**وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ وهو جمع غاشية، وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.

وإنما معنى الكلام: لهم من جهنم مهاد، من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لُحُف، وإنهم بين ذلك.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ**﴾ قال: الفراش، ﴿**وَمِنْ فَوْقِهِمْ غوَاشٍ**﴾ قال: اللحف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك: **﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾** قال: المهاد: الفرش، والغواشي: اللحف.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿لَهُمْ مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾** أما المِهاد لهم: كهيئة الفراش، والغواشي: تتغشاهم من فوقهم.

وأما قوله **﴿وكَذلكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾**: فإنه يقول: وكذلك نثيب ونكافىء من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: والذين صدّقوا الله ورسوله وأقرّوا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله وشرائع دينه، وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه. **﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾** يقول: لا نكلف نفساً من الأعمال إلاَّ ما يسعها فلا تَحْرجَ فيه **﴿أُولَئِكَ﴾** يقول: هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، **﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ﴾** يقول: هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله، وعمل بسيئاتهم **﴿فيها خالِدُونَ﴾** يقول: هم في الجنة ماكثون، دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يُسْلَبون نعيمهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم وأخبر أنهم أصحاب الجنة، ما فيها من حقد وغل وعداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض، فجعلهم في الجنة إذْ أدخلَهموها على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خصّ الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه، تجري من تحتهم أنهار الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ﴾** قال: العداوة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن سعيد بن بشير، عن قتادة: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ﴾** قال: هي الإحِنُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن عيينة، عن إسرائيل أبي موسى، عن الحسن، عن عليّ، قال: فينا والله أهل بدر نزلت: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَاناً على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن إسرائيل، قال: سمعته يقول: قال عليّ عليه السلام: فينا والله أهل بدر نزلت: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَاناً على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾**.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال عليّ رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ﴾** رضوان الله عليهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ﴾** قال: إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة، فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غلّ، فهو الشراب الطهور. واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبداً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي نضرة، قال: يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يُقْضَى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحداً بقلامة ظفر ظلَمها إياه ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحداً بقلامة ظفر ظلمها إياه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانا لِهَذَا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات

حين أدخلوا الجنة، ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته، وما صُرف عنهم من العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسله: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانا لِهَذَا**﴾ يقول: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا. ﴿**وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ**﴾ يقول: وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطَوْله. كما:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أهْلِ النَّارِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَوْ هَدَانا اللّهُ، فَتَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً. وكُلُّ أهْلِ الجَنَّةِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُونَ لَولا أنْ هَدَانا اللّهُ. فَهَذَا شُكْرُهُمْ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عاصم بن ضمرة، عن عليّ، قال: ذكر عمر لشيء لا أحفظه، ثم ذكر الجنة، فقال: يدخلون فإذا شجرة يخرج من تَحْت ساقها عينان، قال: فيغتسلون من إحداهما، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعَث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم، ويشربون من الأخرى، فيخرج كلّ قذى وقذر، أو شيء في بطونهم. قال: ثم يفتح لهم باب الجنة، فيقال لهم: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾ قال: فتستقبلهم الوِلدان، فيحُفُّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته. ثم يأتون فيبشرون أزواجهم، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فيقلن: أنت رأيته؟ قال: فيستخفهنّ الفرح، قال: فيجئن حتى يقفن على أسكفّة الباب. قال: فيجيئون فيدخلون، فإذا أُسّ بيوتهم بجندل اللؤلؤ، وإذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كلّ لون، وسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، فلولا أن الله قدرها لالتُمعت أبصارهم مما يرون فيها. فيعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر، ويقولون: ﴿**الحَمْدُ لِلّه الَّذِي هَدَانا لِهَذَا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقّ...**﴾ الآية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقّ وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُموها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها، وهو أن أعداء الله في النار: والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار رسل ربنا بالحقّ من الأخبار، عن وعد الله أهل طاعته والإيمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به.

وأما قوله: ﴿**وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ فإن معناه: ونادى مناد

هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعدّ لهم من كرامته، أنْ يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها، أورثكموها الله عن الذين كذّبوا رسله، لتصديقكم إياهم وطاعتكم ربكم. وذلك هو معنى قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: ليس من كافر ولا مؤمن إلاَّ وله في الجنة والنار منزل. فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ودخلوا منازلهم، رُفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال: يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري، عن سعيد بن بكر، عن سفيان الثوريّ، عن أبي إسحاق، عن الأغرّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نودوا أن صحّوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا تبأسوا

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن الأغرّ، عن أبي سعيد: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ...﴾ الآية، قال: ينادي مناد: إن لكم أت تصحوا فلا تسقموا أبداً.

واختلف أهل العربية في «أن» التي مع «تلكم»، فقال بعض نحويي البصرة: هي «أنّ» الثقيلة خففت، وأضمر فيها، ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة لأن بعدها اسماً، والخفيفة لا تليها الأسماء، وقد قال الشاعر:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْد قدْ عَلِمُوا ... أنْ هالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ[(١)]

---

(١) البيت لأبي بصير الأعشى ميمون بن قيس (البيت ٣٨ من القصيدة السادسة من ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) يصف ندماءه على الشراب. والشطر الثاني في الديوان: «أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل». والرواية المشهورة، هي التي رواها المؤلف، وهي التي يرددها النحويون شاهداً على أن «أن» في أول الشطر الثاني مخففة من «أنّ» المثقلة، لأنه قد سبقها فعل من أفعال اليقين، وهو علم، وليست هي أن المصدرية، لأنها لا يسبقها يقين ولا شبهة. وقوله «من يحفى»: يريد عامة العرب وفقراءهم و«ينتعل: يلبس النعل» وهم السادات والخواص. يقول: إن الموت لا يفرق بين الرعاع والأشراف. وانظرالكلام على البيت في المقاصد النحوية للعيني بهامش «خزانة» البغدادي (٢/ ٢٨٧، ٢٩٤) واستشهد به سيبويه في الكتاب (١/ ٢٨٢، ٤٤٠، ٤٨٠) كما رواه المؤلف لا كرواية الديوان، على إضمار الهاء مع =

وقال آخر:

أُكَاشِرُهُ وأعْلَمُ أنْ كِلانا عَلى ما ساءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ(١)

قال: فمعناه: أنه كلانا قال، ويكون كقوله: ﴿أنْ قَدْ وَجَدْنا﴾ في موضع «أي»، وقوله: أنْ أقِيمُوا. وَلا تَكُونُ «أن» التي تعمل في الأفعال، لأنك تقول: غاظني أن قام، وأن ذهب، فتقع على الأفعال وإن كانت لا تعمل فيها، وفي كتاب الله: ﴿وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا﴾ أي امشوا. وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة، فقال: غير جائز أن يكون مع «أن» في هذا الموضع «هاء» مضمرة، لأن من قوله هذا بعض أهل الكوفة، فقال: غير جائز أن يكون مع «أن» في هذا الموضع «هاء» مضمرة، لأن «أن» دخلت في الكلام لتقي ما بعدها، قال: و «أن» هذه التي مع «تلكم»، هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية، وليس بلفظ الحكاية، نحو: ناديت أنك قائم، وأن زيد قائم، وأن قمت، فتلي كلّ الكلام، وجعلت «أن» وقاية، لأن النداء يقع على ما بعده، وسلم ما بعد «أن» كما سلم ما بعد القول، ألا ترى أنك تقول: قلت: زيد قائم، وقلت: قام، فتليها ما شئت من الكلام؟ فلما كان النداء بمعنى الظنّ وما أشبهه من القول سلم «ما» بعد «أن»، ودخلت «أن» وقاية. قال: وأما «أي» فإنها لا تكون على أن لا يكون: أي جواب الكلام، وأن تكفي من الاسم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها: يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟ فأجابهم أهل النار بأن نعم، قد وجدنا ما وعد ربنا حقّاً. كالذي:

= أن المخففة. قال في الموضع الأخير: كأنه قال: إنه هالك. قال ومثل ذلك: أول ما أقول أن باسم الله، كأنه قال: أول ما أقوله أنه باسم الله ا هـ.

(١) البيت من شواهد سيبويه الكتاب (١/ ٤٤٠) على أن «أن» المثقلة قد تخفف، ويكون اسمها ضميراً. قال: وتقول: قد علمت أن من يأتني آته، من قبل أن «أن» هاهنا فيها إضمار الهاء، ولا تجيء مخففة هاهنا إلا على ذلك، كما قال: أكاشره. . . . . البيت. قال الأعلم في التعليق على بيت الشاهد: الشاهد في حذف الضمير من «أن» وابتداء ما بعدها، على نية إثبات الضمير. ومعنى أكاشره: أضاحكه. ويقال: كشر عن نابه: إذا كشف عنه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَنادَى أصحَابُ الجَنَّةِ أصحَابَ النَّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنَا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالُوا نَعَمْ﴾** قال: وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب، وأهل النار ما وعدوا من عقاب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَنادَى أصحَابُ الجَنَّةِ أصحَابَ النَّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً﴾** وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكلّ خير علمه الناس أو لم يعلموه، ووعد أهل النار كلّ خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه فذلك قوله: **﴿وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ﴾** قال: فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار **﴿أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالُوا نَعَمْ﴾** يقول: من الخزي والهوان والعذاب، قال أهل الجنة: فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً من النعيم والكرامة. **﴿فأذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعْنَةُ اللّهِ على الظَّالِمينَ﴾**.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: **﴿قالُوا نَعَمْ﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة: **﴿قالُوا نَعَمْ﴾** بفتح العين من «نعم». ورُوي عن بعض الكوفيين أنه قرأ: «قالُوا نَعِمْ» بكسر العين، وقد أنشد بيتاً لبني كلب:

«نَـعِـمْ» إذَا قـالَـهَـا مِـنْـهُ مُـحَـقَّـقَـةٌ وَلا تـجـيءُ «عَسَى» مِنْهُ وَلا «قَمَنُ»[١]

بكسر «نَعِم».

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا: **﴿نَعَمْ﴾** بفتح العين، لأنها القراءة المستفيضة في قرّاء الأمصار واللغة المشهورة في العرب.

وأما قوله: **﴿فَأذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾** يقول: فنادى منادٍ، وأعلم معلم بينهم، **﴿أنْ لَعَنَةُ اللّهِ على الظَّالِمِينَ﴾** يقول: غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به. وقد بيَّنا القول في «أن» إذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية وليس بصريح الحكاية، بأنها تشدّدها العرب أحياناً وتوقع

(١) قائل البيت يمدح إنساناً بأنه إذا أجاب طالباً بقوله: نعم، فإنه يحقق له ما وعده بقوله ذلك، وأن الممدوح لا يجيب طالب الحاجة بقوله «عسى»: أي عسى أن أفعل، ولا بقوله «قمن» أي أنا أو أنت حقيق بأن أفي لك بما وعدتك، لأن هذين اللفظين ليس فيهما عدة مؤكدة مثل نعم. ويقال: فلان قمن أن يفعل بفتح الميم، وهو مصدر يلزم حالة واحدة في التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع. ويقال: قمن أن يفعل، بكسر الميم، وهو حينئذ صفة، فيطابق موصوفه حينئذ، ويكون مثله. على أن اللغويين يقررون أن «قمن» سواء أكان مصدراً أو وصفاً، لأفعل له. وفي «اللسان»: نعم، بفتح النون وكسر العين: لغة في نعم بالفتح التي للجواب وقد قرىء بهما.

الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحياناً، وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الذي يليها فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلك كذلك، فسواء شُدّدت «أن» أو خففت في القراءة، إذ كان معنى الكلام بأيّ ذلك قرأ القارىء واحداً، وكانتا قراءتين مشهورتين في قراءة الأمصار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: إن المؤذّن بين أهل الجنة والنار يقول: أن لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله وصدّوا عن سبيله. **﴿وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾** يقول: حاولوا سبيل الله، وهو دينه، أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامته. **﴿وَهُمْ بالآخِرَةِ كافِرُونَ﴾** يقول: وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون. والعرب تقول للميل في الدين والطريق: «عِوَج»، بكسر العين، وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليه: عاج إليه يَعُوج عِيَاجاً وعَوَجاً وعِوَجاً، بالكسر من العين والفتح، كما قال الشاعر:

قِفَا نَبْكِي مَنازِلَ آلِ لَيْلَى ... عَلى عِوَجٍ إلَيْها وَانْثِناءِ[(١)]

ذكر الفرّاء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين من عِوج فأما ما كان خلقة في الإنسان، فإنه يقال فيه: عَوج ساقه، بفتح العين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وَبَيْنَهُما حِجابٌ﴾** وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال: **﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾** وهو الأعراف التي يقول الله فيها: **﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ.﴾** كذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، وعن ابن جريج، قال: بلغني، عن مجاهد، قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار.

---

(١) البيت في «اللسان» غير منسوب:

قفا نسأل منازل آل ليلى ... متى عوج إليها وانثناء

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَبَيْنَهُما حِجابٌ**﴾ وهو السور، وهو الأعراف.

وأما قوله: ﴿**وَعلى الأعْرَافِ رِجالٌ**﴾ فإن الأعراف جمع واحدها عُرْف، وكلّ مرتفع من الأرض عند العرب فهو عُرْف، وإنما قيل لعرف الديك: عُرْف، لارتفاعه على ما سواه من جسده ومنه قول الشماخ بن ضرار:

وَظَلَّتْ بأعْرَافٍ تَعَالى كأنَّها ... رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرّيحِ رَاكِزُ[(١)]

يعني بقوله: «بأعراف»: بنشوز من الأرض ومنه قول الآخر:

كُلُّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيافُ ... كالعَلَمِ المُوفِي على الأعْرَافِ[(٢)]

وكان السديّ يقول: إنما سمي الأعراف أعرافاً، لأن أصحابه يعرفون الناس.

حدثني بذلك محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت في ديوانه بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة (السعادة سنة ١٣٢٧ هـ ص ـ ٥٣). ورواية الشطر الأول فيه: «وظلت تفالى باليفاع كأنها». تفالى: يحتك بعضها على بعض، وأصله تتفالى. واليفاع: التل المشرف. ويروى: بالستار وهو موضع. ونحاها: وجهها. ووجهة الريح: جهتها. وراكز اسم فاعل من ركز رمحه بالأرض إذا غرزه. وروى: «مسببة قب البطون كأنها... الخ». ومعنى مسببة: ملعنة، لأن من يراها: أي الخمر، قال: قاتلها الله ما أجودها. وقب جمع أقب وقباء: أي ضامرة البطن. المعنى: أنها ظلت يحتك بعضها على بعض، فهي معوجة، كأنها رماح مركوزة في جهة الريح.

(٢) البيت في «اللسان» نيف شاهداً على أن النياف الطويل في ارتفاع، يقال: قصر نياف، وناقة نياف، وجمل نياف. قال ابن بري: وحق النياف أن يذكر في فصل «نوف» يقال: ناف ينوف: أي طال. وإنما قلبت الواو ياء على جهة التخفيف. ومنه قولهم: صوان وصيان، وطوال وطيال. وقال نقلا عن ابن جني: ياء كل ذلك منقلبة عن واو، لأنه من النون، الذي هو العلو والارتفاع، قلبت فيه الواو تخفيفاً، لا وجوباً؛ ألا ترى إلى صحة صوان وخوان وصوار، على أنه قد حكى صيان وصيار، وذلك عن تخفيف، لا عن صنعة ووجوب. وقد يجوز أن يكون نياف مصدراً جارياً على فعل معتل مقدر، فيجري حينئذ مجرى قيام وصيام ووصف به كما وصف بالمصادر، والكناز: المجتمع اللحم القوية، وكل مكتنز مجتمع، والكناز: الناقة الصلبة اللحم، والجمع كنز مثل كتاب وكتب. وكناز أيضاً كالواحد. والعلم: الجبل. والموفى: المشرف. والأعراف: جمع عرف بالضم، وهو كل عال مرتفع. وعرف الرمل والجبل وكل عال: ظهره. والأعراف أيضاً: أعالي سور بين أهل الجنة وأهل النار. واختلف في أصحاب الأعراف، فقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يستحقوا الجنة بالحسنات، ولا النار بالسيئات، فكانوا على الحجاب الذي بالجنة والنار. وقيل غير ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: الأعراف: هو الشيء المشرف.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يقول، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الأعراف: سور كعرف الديك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار سور له باب. قال أبو موسى: وحدثني عبيد الله بن أبي يزيد، أنه سمع ابن عباس يقول: إن الأعراف تلّ بين الجنة والنار حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس، قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿وَعلى الأعْرَاف رجالٌ﴾** يعني بالأعراف: السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار.

حدثنا الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الأعراف: سور له عرف كعرف الديك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثني عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: الأعراف: السور الذي بين الجنة والنار.

واختلف أهل التأويل في صفة الرجال الذين أخبر الله جلّ ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك، فقال بعضهم: هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فجُعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: قال الشعبي: أرسل إليّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش، وإذا هما قد ذَكَرا من أصحاب الأعراف ذِكْراً ليس كما ذَكَرا، فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة. فقالا: هات فقلت: إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك، اطَّلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن الشعبيّ، عن حذيفة، أنه سُئل عن أصحاب الأعراف، قال: فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار. قال: فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وعمران بن عيينة، عن حصين، عن عامر، عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف: قوم كانت لهم ذنوب وحسنات، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن الشعبيّ، عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول: ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي، ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ اليوم ﴿وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن يونس بن أبي إسحاق، عن عامر، عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن أبي بكر الهذليّ، قال: قال سعيد بن جبير، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود، قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار. ثم قرأ قول الله: **﴿فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَمَن خَفَّت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُم﴾**. ثم قال: إن الميزان يخفّ بمثقال حبة ويرجح قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف. فوُقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار، قالوا: رَبَّنا لا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالمينَ فيتعوّذون بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات، فإنهم يُعْطَوْن نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كلّ عبد يومئذٍ نوراً وكلّ أُمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كلّ منافق ومنافقة. فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون، قالوا: ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف، فإن النور كان في أيديهم، فلم ينزع من أيديهم، فهنالك يقول الله: **﴿لَم يَدخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾** فكان الطمع دخولاً. قال: فقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشراً، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلاّ واحدة. ثم يقول: هلك من غلب وُحدانه أعشاره.

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: أخبرني ابن وهب قال: أخبرني عيسى الخياط عن الشعبيّ، عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار، وهم آخر من يدخل الجنة، قد عَرفوا أهل الجنة وأهل النار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا همام، عن قتادة، قال: قال ابن عباس: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير عن منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن الحرث، عن ابن عباس، قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان، حتى إذا بدا لله أن يعافيهم، انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، حتى إذا صلحت ألوانهم أتَى بهم الرحمن، فقال: تمنوا ما شئتم قال: فيتمنون، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرّة. فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يُعرفون بها، يُسمّون مساكين الجنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد، عن

عبد الله بن الحارث، قال: أصحاب الأعراف يؤمر بهم إلى نهر يقال له الحياة، ترابه الورس والزعفران، وحافتاه قضب اللؤلؤ. قال: وأحسبه قال: مكلل باللؤلؤ. وقال: فيغتسلون فيه، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم: تمنوا فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً وإنهم مساكين أهل الجنة. قال حبيب: وحدثني رجل: أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن عبد الله بن الحارث، قال: أصحاب الأعراف يُنْتَهى بهم إلى نهر يقال له الحياة، حافَتاه قضب من ذهب قال سفيان: أراه قال: مكلل باللؤلؤ. قال: فيغتسلون منه اغتسالة، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون، فكلما اغتسلوا ازدادت بياضاً، فيقال لهم: تمنوا ما شئتم فيتمنون ما شاءوا. فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً قال: فهم مساكين أهل الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن حصين، عن الشعبيّ، عن حذيفة، قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فهم على سور بين الجنة والنار **﴿لَم يَدخُلُوها وَهُم يَطْمَعُونَ﴾**.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان ابن عباس يقول: الأعراف بين الجنة والنار، حبس عليه أقوام بأعمالهم. وكان يقول: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال ابن عباس: أهل الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك، قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

وقال: ثنا يحيى بن يمان، عن شريك، عن منصور، عن سعيد بن جبير، قال: أصحاب الأعراف استوت أعمالهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فوقفوا هنالك على السور.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سفيع أو

سميع. قال أبو جعفر: كذا وجدت في كتاب سفيع عن أبي علقمة قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

وقال آخرون: كانوا قُتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أبي مسعر، عن شرحبيل بن سعد، قال: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني خالد، عن سعيد، عن يحيى بن شبل: أن رجلاً من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «هُمْ قَوْمٌ غَزَوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ عُصَاةٌ لآبائِهِمْ، فَقُتِلُوا، فأعْتَقَهُمُ اللّهُ مِنَ النَّارِ بِقَتْلِهِمْ فِي سَبيله، وَحُبِسُوا عَنِ الجَنَّةِ بِمَعْصيَةِ آبائِهِمْ، فَهُمْ آخِرُ مَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةِ».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن أبي معشر، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِمَعْصِيَةِ آبائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ عَنِ النَّارِ، وَمَنَعَتْهُمْ مَعْصِيَةُ آبائِهِمْ أنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ».

وقال آخرون: بل هم قوم صالحون فقهاء علماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد، قال: أصحاب الأعراف قوم صالحون، فقهاء علماء.

وقال آخرون: بل هم ملائكة وليسوا ببني آدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي مجلز، قوله: **﴿وبَيْنَهُما حِجابٌ وَعلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار. قال: **﴿وَنادَوْا أصحَابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ...﴾** إلى قوله: **﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ.﴾** قال: فنادى أصحاب الأعراف رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: **﴿ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أهَؤُلاءِ الَّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ﴾** قال: فهذا حين

دخل أهل الجنة الجنة، ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت عمران، قال: قلت لأبي مجلز: يقول الله: ﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ﴾ وتزعم أنت أنهم الملائكة؟ قال: فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز: ﴿وَعلى الأعْرافِ رِجالٌ﴾ قال: رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم، أهل النار وأهل الجنة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن أبي عديّ، عن التيمي، عن أبي مجلز بنحوه.

وقال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن التيمي، عن أبي مجلز، قال: أصحاب الأعراف الملائكة.

حدثني المثنى، قال: ثنا يعلى بن أسد، قال: ثنا خالد، قال: أخبرنا التيمي، عن أبي مجلز: ﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ﴾ قال: هم الملائكة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عمران بن حدير، عن أبي مجلز: ﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ﴾ قال: هم الملائكة. قلت: يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال، وأنت تقول ملائكة؟ قال: إنهم ذكران ليسوا بإناث.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد عن عمران بن حُدَير، عن أبي مجلز، في قوله: ﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾ قال: الملائكة، قال: قلت: يقول الله رجال، قال: الملائكة ذكور.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاًّ من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصحّ سنده ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيِّناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ما رُوي عن رسول الله ﷺ في ذلك من الأخبار وإن كان في أسانيدها ما فيها. وقد:

حدثني القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني جرير عن عمارة بن القعقاع، عن أبي

زرعة عن عمرو بن جرير، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «هُمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ العِبادِ، وَإذَا فَرَغَ رَبُّ العالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بينَ العِبادِ، قال: أَنْتُمْ قَوْمٌ أَخْرَجَتْكُمْ حَسَنَاتُكُمْ مِنَ النَّارِ وَلَمْ تُدْخِلْكُمُ الجَنَّةُ، وأَنْتُمْ عُتَقائي فَارْعَوْا مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمْ».

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسيماهُمْ وَنادَوْا أصحابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعيم عليها. ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم، وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم: سلام عليكم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: يعرفون أهل النار بسواد الوجوه، وأهل الجنة ببياض الوجوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿بِسِيماهُمْ﴾** قال: بسواد الوجوه وزُرقة العيون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون، وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان حسم أمرهم لله، فأُقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه، فقالوا **﴿رَبَّنَا لا تجعلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه، فذلك قوله: **﴿وَنادَوْا أَصحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَم يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾**.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، في قوله: **﴿وَعَلى الأَعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوباً وكان حَسْمُ أمرهم لله، فجعلهم الله على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه، فتعوّذوا بالله من النار وإذا نظروا إلى أهل الجنة، نادوهم أن سلام عليكم، قال الله: **﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾** قال: وهذا قول ابن عباس.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** يعرفون الناس بسيماهم، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** يعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَعَلى الأَعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه، وأهل النار بسيماهم سود الوجوه. قال: وقوله **﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: أصحاب الجنة وأصحاب النار، ونادوا أصحاب الجنة، قال: حين رأوا وجوههم قد ابيضت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾** قال: بسواد الوجوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن مبارك، عن الحسن: **﴿بِسِيماهُمْ﴾** قال: بسواد الوجوه، وزُرقة العيون.

والسيماء: العلامة الدالة على الشيء في كلام العرب، وأصله من السِّمَةِ نُقلت واوها التي هي فاء الفعل إلى موضع العين، كما يقال: اضمحلّ وامضحلّ. وذُكر سماعاً عن بعض بني عقيل: هي أرض خامة، يعني: وَخِمة ومنه قولهم: له جاه عند الناس، بمعنى: وجه، نُقلت

واوه إلى موضع عين الفعل وفيها لغات ثلاث: «سيما» مقصورة، و «سيماء» ممدودة، و «سيمياء» بزيادة ياء اخرى بعد الميم فيها ومدّها على مثال الكبرياء، كما قال الشاعر:

غُلامٌ رَماهُ اللّهُ بالحُسْنِ إذْ رَمى ... لَهُ سِيمْياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[1]

وأما قوله: ﴿وَنادَوْا أصحَابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي حلّت عليهم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فقال بعضهم: هذا خبر من الله عن أهل الأعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف، غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أهل الأعراف يعرفون الناس، فإذا مرّوا عليهم بزمرة يذهب بها إلى الجنة قالوا: سلام عليكم يقول الله لأهل الأعراف: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلوها.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: تلا الحسن: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلاَّ لكرامة يريدها بهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعونَ﴾ قال: أنبأكم الله بمكانهم من الطمع.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن أبي بكر الهذليّ، قال: قال سعيد بن جبير، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود، قال: أما أصحاب الأعراف، فإن النور كان في أيديهم فانتزع من أيديهم يقول الله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: في دخولها. قال ابن عباس: فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة وعطاء: ﴿لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قالا: في دخولها.

وقال آخرون: إنما عُني بذلك أهل الجنة، وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة: سلام عليكم، وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها، ولم يدخلوها بعد.

---

(١) البيت تقدم استشهاد المؤلف به ج (٩٨/٣) وفيه: «يافعاً» في موضع «إذ رمى». فارجع إلى ما كتبنا عنه هناك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا جرير، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز: ﴿**وَنادَوْا أَصحَابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾ قال: الملائكة يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الأعراف، ينادون أصحاب الجنة: أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا صُرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار يعني: حيالهم ووجاههم فنظروا إلى تشويه الله لهم، ﴿**قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: وإذا مرّوا بهم، يعني بأصحاب الأعراف بزُمْرة يُذهب بها إلى النار، ﴿**قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا: ﴿**رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي مكين، عن أخيه، عن عكرمة: ﴿**وَإِذَا صُرِفَتْ أبْصَارُهُمْ تِلْقاءَ أصحَابِ النَّارِ**﴾ قال: تحرّد وجوههم للنار، فإذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد في قوله: ﴿**وَإِذَا صُرِفَتْ أبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أصحَابِ النَّارِ**﴾ فرأوا وجوههم مُسْوَدّة وأعينهم مُزْرَقَّة، ﴿**قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ﴿وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً﴾ من أهل الأرض ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾ سيما أهل النار، ﴿قالُوا ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا، ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول: وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: فمرّ بهم يعني بأصحاب الأعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال: يقول: قال أصحاب الأعراف: ﴿ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً﴾ قال: في النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ وتكبركم، ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز: ﴿وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة، ﴿أهَؤُلاءِ الَّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ...﴾ الآية. قلت لأبي مجلز: عن ابن عباس؟ قال: لا بل عن غيره.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز: ﴿وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾ قال: نادت الملائكة رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: ﴿ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة، ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾ فالرجال عظماء من أهل الدنيا قال: فبهذه الصفة عرف أهل الأعراف أهل الجنة من أهل النار. وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشرّ يوم القيامة. قال: وقال ابن زيد في قوله: ﴿ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال: على أهل طاعة الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَهَٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الكلام، فقال بعضهم: هذا قيل الله لأهل النار توبيخاً لهم على ما كان من قيلهم في الدنيا لأهل الأعراف عند إدخاله أصحاب الأعراف الجنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: أصحاب الأعراف: رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان حَسْمُ أمرهم لله، يقومون على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوّذوا بالله منها، فأدخلوا الجنة. فذلك قوله تعالى: ﴿**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾ يعني أصحاب الأعراف، ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، قال: قال ابن عباس: إن الله أدخل أصحاب الأعراف الجنة لقوله: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: قال الله لأهل التكبر والأموال: ﴿**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾ يعني أصحاب الأعراف، ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أَهَؤُلاءِ**﴾ الضعفاء ﴿**الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.**﴾ قال: فقال حُذيفَة: «أصحَابُ الأعْرافِ قَوْمٌ تَكافَأتْ أعْمالُهُمْ فَقَصَّرَتْ بِهِمْ حَسَناتُهُمْ عَنِ الجَنَّةِ، وَقَصَّرَتْ بِهِمْ سَيِّئاتُهُمْ عَنِ النارِ، فَجُعِلُوا على الأعْرَافِ يَعْرِفونَ النَّاسَ بِسِيماهُمْ. فَلَمَّا قُضِيَ بينَ العِبادِ، أُذِنَ لَهُمْ فِي طَلَبِ الشَّفاعَةِ، فَأتَوْا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقالُوا: يا آدَمُ أنْتَ أبُونا فاشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ فَقالَ: هَلْ تَعْلَمُونَ أحَداً خَلَقَه اللّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَسَبَقَتْ رَحْمَةُ اللّهِ إلَيْهِ غَضَبَهُ وَسجَدَتْ لَهُ المَلائِكَةُ غيرِي؟ فَيَقُولُونَ لا. قال: فَيَقُولُ: ما عَلِمتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا ابْنِي إبْرَاهِيمَ قال: فَيأْتُونَ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَسألُونَهُ أنْ يَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ اتَّخَذَهُ اللّهُ خَلِيلاً؟ هَلْ تَعْلَمونَ أحَداً أحْرَقَهُ قَوْمُهُ فِي النَّارِ فِي الله غيرِي؟ فَيَقُولونَ: لا فَيَقُولُ: ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا ابني موسى فَيَأْتُونَ مِوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ كَلَّمَهُ اللّهُ تَكْلِيماً وَقَرَّبَهُ نَجِيّاً غيرِي؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيَقُولُ: ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى فَيأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ أحداً خَلَقَهُ اللّهُ مِنْ غيرِ أبٍ غَيرِي؟ فَيَقُولُونَ:

لا، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ كانَ يُبْرِءُ الأكْمَه وَالأبْرَصَ ويُحْيِي المَوْتى بإذْنِ اللّهِ غيري؟ قال: فَيَقُولُونَ: لا، قالَ: فَيَقُولُ: أنا حَجِيجُ نَفْسِي، ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا محمداً رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قال رسول الله ﷺ: «فَيأْتُونِي، فأضْرِبُ بِيَدِي على صَدْرِي ثُمَّ أقُولُ: أنا لَهَا. ثُمَّ أمْشِي حتى أقِفَ بينَ يَدَيِ العَرْشِ، فأُثْنِي عَلى رَبي، فَيَفْتَحُ لي مِنَ الثَّناء ما لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ قَطُّ، ثُمَّ أسْجُدَ فَيُقالُ لي: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأرْفَعُ رأسِي فَأقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي فَيُقالُ: هُمْ لَكَ. فَلا يَبْقَى نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إلاَّ غَبَطَنِي يَوْمَئِذٍ بذلكَ المَقامِ، وَهُوَ المَقامُ المَحْمودُ». قالَ: «فآتي بِهِمْ بابَ الجَنَّةِ فأسْتَفْتِحُ، فَيُفْتَحُ لي ولَهُمْ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ إلى نَهْرٍ يُقالُ لَهُ نَهْرُ الحَياةِ، حافَتاهُ قُضُبٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ باللُّؤْلُؤِ، تُرَابُهُ المِسْكُ، وَحَصْباؤُهُ الياقُوتُ، فَيَغْتَسِلُونَ مِنْهُ، فَتَعُودُ إلَيْهِمْ ألْوَانُ أهْلِ الجَنَّةِ وَرِيحُهُمْ، وَيَصِيرُونَ كأنَّهُمُ الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةِ، وَيَبْقَى فِي صُدُورِهِمْ شاماتٌ بِيضٌ يُعْرَفُونَ بِها، يُقال لَهُمْ مَساكِينُ أهْلِ الجَنَّةِ».

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، قال: إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة، وهو قوله: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحزَنُونَ**﴾ يعني أصحاب الأعراف. وهذا قول ابن عباس.

فتأويل الكلام على هذا التأويل الذي ذكرنا عن ابن عباس، ومن ذكرنا قوله فيه: قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله والإذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين في الدنيا الأموال مكاثرة ورياء: أيها الجبابرة الذين كانوا في الدنيا، أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال: قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة، لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم

وقال أبو مجلز: بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار بعد ما دخلوا النار تعييراً منهم لهم على ما كانوا يقولون في الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته. وأما قوله: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، قال: نادت الملائكة رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال: فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠)﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدّة العطش والجوع، عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة. يقول تعالى ذكره: ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن يا أهل الجنة: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ أي أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ قال: من الطعام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رزَقَكُمُ اللّهُ﴾ قال: يستطعمونهم ويستسقونهم. فأجابهم أهل الجنة: إن الله حرّم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده وكذّبوا في الدنيا رسله.

والهاء والميم في قوله: ﴿إنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما﴾ عائدتان على الماء، وعلى «ما» التي في قوله: ﴿أوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عثمان الثقفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَنادَى أصحَابُ النَّارِ أصحَابَ الجَنَّةِ أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ قال: ينادي الرجل أخاه أو أباه، فيقول: قد احترقتُ، أفض عليّ من الماء فيقال لهم: أجيبوهم فيقولون: ﴿إنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما على الكافِرِينَ﴾.

وحدثني المثنى، قال: ثنا ابن دكين، قال: ثنا سفيان، عن عثمان، عن سعيد بن جبير: ﴿وَنادَى أصحَابُ النَّارِ أصحَابَ الجَنَّةِ أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ قال: ينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول: ﴿إنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما على الكافِرِينَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قالُوا إنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما عَلى الكافِرِينَ﴾ قال: طعام أهل الجنة وشرابها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾.

وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين، يقول تعالى ذكره: فأجاب أهل الجنة أهل النار: **﴿إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما على الكافِرِينَ﴾** الذين كفروا بالله ورسله، **﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾** الذي أمرهم الله به **﴿لَهْواً وَلَعِباً﴾** يقول: سخرية ولعباً. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله **﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً...﴾** الآية. قال: وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزئوا به اغتراراً بالله.

وَغَرَّتْهُمُ الحيَاةُ الدُّنْيا﴾ يقول: وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جلّ ثناؤه: **﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾** أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم، يقول: نتركهم في العذاب المبين جياعاً عطاشاً بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله.

وقد بيَّنا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد: **﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ﴾** قال: نُسوا في العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فالْيَوْمَ نَنْساهُمْ﴾** قال: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿نَنْساهُمْ﴾** قال: نتركهم في النار.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاية، عن عليّ، عن ابن عباس: **﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾** قال: نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا...﴾** الآية: يقول: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشرّ.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً في قوله: **﴿فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾** قال: نؤخرهم في النار.

وأما قوله: **﴿وَما كانُوا بآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾** فإن معناه: اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وكما كانوا بآياتنا يجحدون. فـ«ما» التي في قوله: **﴿وَما كانُوا﴾** معطوفة على «ما» التي في قوله: **﴿كمَا نَسُوا﴾**.

وتأويل الكلام: فاليوم نتركهم في العذاب، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة، وكما كانوا بآيات الله يجحدون، وهي حججه التي احتجّ بها عليهم من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك. يجحدون: يكذّبون ولا يصدّقون بشيء من ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب، يعني القرآن الذي أنزله إليهم، يقول: لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن مفصّلاً مبيناً فيه الحقّ من الباطل، **﴿عَلى عِلْم﴾** يقول: على علم منا بحقّ ما فصل فيه من الباطل الذي ميز فيه بينه وبين الحقّ، **﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾** يقول: بيناه ليهتدي ويرحم به قوم يصدّقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه وأخباره ووعده ووعيده، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى. وهذه الآية مردودة على قوله: **﴿كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى للمُؤْمِنينَ﴾**. **﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ على عِلْم﴾** والهدى في موضع نصب على القطع من الهاء التي في قوله: **﴿فَصَّلْناهُ﴾** ولو نُصب على فعلٍ فصَّلناه، فيكون المعنى: فصّلنا الكتاب كذلك كان صحيحاً ولو قرىء «هُدًى وَرَحْمَةٍ» كان في الإعراب فصيحاً، وكان خفض ذلك بالردّ على الكتاب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذّبون بآيات الله ويجحدون لقاءه، إلاّ تأويله؟ يقول: إلاّ ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله، وصليّهم جحيمه، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به. وقد بيَّنا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾: أي ثوابه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي ثوابه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قال: تأويله: عاقبته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ قال: جزاءه، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قال: جزاؤه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُون إلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ أما تأويله: فعواقبه مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيه من موعد.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقّ﴾ فلا يزال يقع من تأويله أمر حتى يتمّ تأويله يوم القيامة، ففي ذلك أنزل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم، ﴿يَقُولُ﴾ يومئذ ﴿الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقّ...﴾ الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قال: يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قال: يأتي تحقيقه. وقرأ قول الله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: هذا تحقيقها. وقرأ قول الله: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾ قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلاّ الله تعالى.

وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ فإن معناه: يومُ يجيء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذٍ من العذاب من قبل ذلك في الدنيا: ﴿لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقّ﴾ أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحلّ بهم العقاب أنّ رسل الله التي أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة، قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله، وذلك حين لا ينفعهم التصديق ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القيل والقال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يقول الَّذِينَ نَسُوهُ منْ قَبْلُ قَدْ جاءَت رسُلُ رَبِّنا بالحَقّ﴾ أما الذين نسوه فتركوه، فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا: قد جاءت رسل ربنا بالحقّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ قال: أعرضوا عنه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم: هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم، فيشفعوا لنا عند ربنا، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا، أو نردّ إلى الدنيا مرّة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا؟ قال: هذا القول المساكين هنالك، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يقول: وأسلمهم لعذاب الله، وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ويزعمون كذباً وافتراء أنهم أربابهم من دون الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: شروْها بخسران.

وإنما رفع قوله ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ ولم ينصب عطفاً على قوله: ﴿فَيَشْفَعُوا لَنا﴾ لأن المعنى: هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا، أو هل نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل. ولم يرد به العطف على قوله ﴿فَيَشْفَعُوا لَنا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن سيدكم ومصلح اموركم أيها الناس، هو المعبود الذي له العبادة من كلّ شيء، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن مجاهد، قال: بدء الخلق: العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وجمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوّدت اليهود يوم السبت، ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ﴾ وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل لما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ فإنه يقول: يورد الليل على النهار فيلبسه إياه، حتى يذهب نضرته ونوره. ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يقول: يطلب الليل النهار ﴿حَثِيثاً﴾ يعني سريعاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ يقول: سريعاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ قال: يغشي الليل النهار بضوئه، ويطلبه سريعاً حتى يدركه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ألا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبّ العالَمِين﴾.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كلّ ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمره، ألا لله الخلق كله، والأمر الذي لا يخالف ولا يردّ أمره دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر، تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كلّ شيء ربّ العالمين.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام أبو عبد الرحمن، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثني عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاريّ، عن عبد العزيز الشامي، عن أبيه، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَحْمدِ اللّهَ على ما عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وحَمِدَ نَفْسَهُ، قَلَّ شُكْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ. وَمَنْ زَعَمَ أنَّ اللّهَ جَعَلَ للعِبادِ مِنَ الأمْرِ شَيْئاً فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أنْزَلَ اللّهُ على أنْبِيائِهِ لقوله: ألا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ العالَمِينَ».

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ادعوا أيها الناس ربكم وحده، فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام. ﴿تَضَرُّعاً﴾ يقول: تذللاً واستكانة لطاعته. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهاراً مراءاة، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن المبارك فضالة، عن الحسن، قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوّار وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبداً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلاّ همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾** وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً، فرضي فعله فقال: **﴿إذْ نادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى، قال: كان النبيّ ﷺ في غزاة، فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم،

فقال: «أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ، إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ وَلا غائِباً إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً مَعَكُمْ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾ قال: السرّ.

وأما قوله: ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**﴾ فإن معناه: إن ربكم لا يحبّ من اعتدى فتجاوز حدّه الذي حدّه لعباده في دعائه ومسألته ربه، ورفعه صوته فوق الحدّ الذي حدّ لهم في دعائهم إياه ومسألتهم وفي غير ذلك من الأمور. كما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: أنبأنا إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن عباد بن عباد، عن علقمة، عن أبي مجلز: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إنه لا يحِبُّ المُعْتَدِينَ**﴾ قال: لا يسأل منازل الأنبياء عليهم السلام.

حدثني القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ**﴾ في الدعاء ولا في غير. قال ابن جريج: إن من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرّع والاستكانة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ بَعْدَ إصْلاحِها**﴾ لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها. وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى وبيَّنا معناه بشواهده. ﴿**بعدَ إصْلاحِها**﴾ يقول: بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحقّ، وإيضاحه حججه لهم. ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ يَقُولُ: وأخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئاً غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذّبين، لأن من لم يخف عقاب الله ولم يَرْج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه. ﴿**إنَّ رَحمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم. وذلك هو رحمته لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته، إلاَّ أن تفارق أرواحهم أجسادهم ولذلك

من المعنى ذكر قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة، لأنه أريد به القرب في الوقت لا في النسب والأوقات بذلك المعنى، إذا رفعت أخباراً للأسماء أجرتها العرب مجرى الحال فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع وذكَّرتها مع المؤنث، فقالوا: كرامة الله بعيد من فلان، وهي قريب من فلان، كما يقولون: هند قريب منا، والهندان منا قريب، والهندات منا قريب، لأن معنى ذلك: هي في مكان قريب منا، فإذا حذفوا المكان وجعلوا القريب خلفاً منه، ذكروه ووحدوه في الجمع، كما كان المكان مذكراً وموحداً في الجمع. وأما إذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعاً مع الجميع فقالوا: هي قريبة، منا، وهما منا قريبتان، كما قال عروة بن الورد:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو وَلا عَفْراءُ مِنْكَ بَعِيدُ(١)

فأنَّث قريبة، وذكَّر بعيداً على ما وصفت. ولو كان القريب من القرابة في النسب لم يكن مع المؤنث إلاَّ مؤنثاً ومع الجمع إلاَّ مجموعاً. وكان بعض نحويي البصرة يقول: ذُكِّر قريب وهو صفة للرحمة، وذلك كقول العرب: ريح خريق، وملحفة جديد، وشاة سديس. قال: وإن شئت قلت: تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه، فلذلك ذكر كما قال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا﴾ فذكَّر لأنه أراد الناس، وإن شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث، كقول الشاعر:

وَلا أرْضَ أبْقَلَ إبْقَالَهَا(٢)

وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكر قريباً توجيهاً منه للرحمة إلى معنى المطر أن يقول: هند قام، توجيهاً منه لهند وهي امرأة إلى معنى إنسان،

---

(١) البيت أنشده صاحب «اللسان» في (قرب) لكن مع اختلاف في روايته عن رواية المؤلف، وهاكها:

لَيالي لا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدةٌ فَتَسْلَى ولا عَفْراءُ مِنْكَ قَرِيبُ

وقد ذكر صاحب «اللسان» اختلاف اللغويين في دخول التاء في مؤنث قريب وبعيد، وكل ما كان على وزن فعيل، أو عدم دخوله مستقصى. ومنه ما نقله عن ابن السكيت، قال: تقول العرب: هو قريب مني، وهما قريب مني، وهم قريب مني، وكذلك المؤنث: هي قريب مني، وهي بعيد مني، وهما بعيد، وهن بعيد مني وقريب، فتوحد قريباً وتذكره لأنه إن كان مرفوعاً فإنه في تأويل: هو في مكان قريب مني. وقال الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وقد يجوز قريبة وبعيدة بالهاء، تنبيها على قربت وبعدت، فمن أنثها في المؤنث ثنى وجمع، وأنشد...... (بيت الشاهد الذي أورده المؤلف مع اختلاف الرواية).

(٢) هذا عجز بيت لعامر بن جوين الطائي: «اللسان» في بقل والكتاب لسيبويه (١/ ٢٤٠ ـ وصدره فيهما: فلا مزنة ودقت ودقها). قال الأعلم الشنتمري في شرح هذا البيت: الشاهد فيه: حذف التاء من أبقلت، لأن الأرض بمعنى المكان، فكأنه قال: ولا مكان أبقل إبقالها. وصف أرضاً مخصبة لكثرة ما نزل بها من الغيث. والودق: المطر. والمزنة: السحابة. ويروى: «أبقلت إبقالها» بتخفيف الهمزة، ولا ضرورة فيه على هذا. ا هـ. وقال في «اللسان» ولم يقل أبقلت، لأن تأنيث الأرض ليس بتأنيث حقيقي ا هـ.

ورأى أن ما شبه به قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بقوله: ﴿وإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنوا﴾ غير مشبهه، وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف، كما الصيحة والصياح بمعنى، ولذلك قيل: وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره «هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرّياحُ نَشْراً بينَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ». والنشر بفتح النون وسكون الشين في كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشىء السحاب، وكذلك كلّ ريح طيبة عندهم فهي نشر ومنه قول امرىء القيس:

كأنَّ المُدامَ وَصَوْبَ الغَمامِ ... وريحَ الخُزامَى وَنَشْرَ القُطُرْ[1]

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين خلا عاصم بن أبي النجود، فإنه كان يقرؤه: ﴿بُشْراً﴾ على اختلاف عنه فيه، فروى ذلك بعضهم عنه: ﴿بُشْراً﴾ بالباء وضمها وسكون الشين، وبعضهم بالباء وضمها وضمّ الشين، وكان يتأوّل في قراءته ذلك كذلك قوله: وَمِنْ آياتِه أن يُرْسِلَ الرّياحَ مُبَشّراتٍ: تبشر بالمطر، وأنه جمع بشير بُشُراً، كما يجمع النذير نُذُراً. وأما قرّاء المدينة وعامة المكيين والبصريين، فإنهم قرأوا ذلك: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرّيَاحَ نُشْراً» بضم النون والشين، بمعنى جمع نشور جمع نشرا، كما يجمع الصبور صُبُرا، والشكور شُكُرا. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معناها إذا قرئت كذلك أنها الريح التي تهبّ من كلّ ناحية وتجيء من كلّ وجه. وكان بعضهم يقول: إذا قرئت بضمّ النون فينبغي أن تسكن شينها، لأن ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح وقال: العرب تضمّ النون من النشر أحياناً، وتفتح أحياناً بمعنى

(١) البيت في ديوان امرىء القيس مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ١١٧). والمدام: الخمر. والغمام السحاب. وصوبه: وقعه. والخزامي: خيري البر، وهي عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، وحمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. والقطر بضم القاف والطاء: العود الذي يتبخر به والنشر: الرائحة. وخبر كأن في البيت الذي بعده، وهو:

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنْيابِهَا ... إذا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ

ويعل به: يسقى به مرة بعد مرة. وطرب: تغنى ورجع في صوته، وحسنه ومده. والمستحر: المغرد بالسحر. أي هي طيبة ريح الفم في الوقت الذي تتغير فيه الأفواه، وإنما تتغير بعد النوم.

واحد. قال: فاختلاف القرّاء في ذلك على قدر اختلافها في لغتها فيه. وكان يقول: هو نظير الخَسف والخُسف بفتح الخاء وضمها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأ ذلك «نَشْراً» وَ «نُشُراً» بفتح النون وسكون الشين وبضمّ النون والشين قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، فلا أحبّ القراءة بها[1]، وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم في المعنى والإعراب لما ذكرنا من العلة وأما قوله بين يدي رحمته فإنه يقول قدام رحمته وأمامها والعرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه جاء بين يديه لأن ذلك من كلامهم جرى في إخبارهم عن بني آدم وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك في غير ابن آدم وما لا يد له والرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه في هذا الموضع المطر.

فمعنى الكلام إذن: والله الذي يرسل الرياح ليناً هبوبها، طيباً نسيمها، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشىء بها سحاباً ثقالاً، حتى إذا أقلّتها، والإقلال بها: حملها، كما يقال: استقلّ البعير بحمله وأقلّه: إذا حمله فقام به. ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله، فأنزل به المطر وأخرج به من كلّ الثمرات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرّياحَ نُشْراً بينَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال: إن الله يرسل الريح، فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان، فيخرجه من ثم، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء، فيسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك. وأما رحمته: فهو المطر.

وأما قوله: ﴿كذلكَ نُخرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره: كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذي ننزله من السحاب، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام، المكذّبين بالبعث بعد الممات، المنكرين للثواب والعقاب: ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذي ذكرت لكم من إحياء البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب، الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها

---

(١) قوله «فلا أحب الخ» يظهر أن قبله سقطاً، ولعله: وأما قراءة الباء فلا أحب الخ.

لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير في إحياء الموتى بعد فنائها وإعادتها خلقاً سوياً بعد دروسها.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ وكذلك تخرجون، وكذلك النشور، كما نخرج الزرع بالماء.

وقال أبو هريرة: «إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسامهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقي عليهم نومة، فينامون في قبورهم، فإذا نُفخ في الصور الثانية، عاشوا وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿**يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا**﴾ فناداهم المنادي: ﴿**هَذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى**﴾ قال: إذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض، ثم يرسل الأرواح فتعود كلّ روح إلى جسدها، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا بإذنه طيباً ثمره في حينه ووقته. ﴿**وَالَّذِي خَبُثَ**﴾ فردؤت تربته وملحت مشاربه، ﴿**لا يَخْرُجُ**﴾ نباته ﴿**إلاَّ نَكِداً**﴾ يقول: إلاّ عسراً في شدّة، كما قال الشاعر:

لا تُنْجِزُ الوَعْدَ إنْ وَعَدْتَ وَإنْ أعْطَيْتَ أعْطَيْتَ تافِهاً نَكِدَا[1]

---

(١) النكد: العطاء القليل. ونكد عيشهم بكسر الكاف ينكد نكداً: اشتد. ونكد الرجل: قلل العطاء، أو لم يعط البتة. «**اللسان**» نكد.

يعني بالتافه: القليل، وبالنكد، العسر، يقال منه: نَكِدَ يَنْكَدُ نَكَداً ونَكْداً، فهو نَكَدٌ ونَكِدٌ، والنكد المصدر، ومن أمثالهم نَكْداً وجَحْداً ونُكْداً وجُحْداً، والجحد: الشدّة والضيق، ويقال إذا شفه وسئل قد نكدوه ينكَدونه نَكْداً، كما قال الشاعر:

وأعْـطِ مـا أعْـطَـيْـتَـهُ طَـيِّـبـاً لا خـيـرَ فـي الـمَـنْـكُـودِ والـنَّـاكِـدِ[١]

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة: «إلاَّ نَكَداً» بفتح الكاف. وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف: «نَكْداً». وخالفهما بعد سائر القرّاء في الأمصار، فقرأوه: ﴿**إلاَّ نَكِداً**﴾ بكسر الكاف. كأن من قرأه: «نَكَداً» بنصب الكاف أراد المصدر، وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال: هذه فخْذ وكتْد، وكان الذي يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر النون من «نكد» حتى يكون قد أصاب القياس.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: ﴿**نَكِداً**﴾ بفتح النون وكسر الكاف لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وقوله: ﴿**كذلكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ يقول: كذلك نبين آية بعد آية، وندلي بحجة بعد حجة، ونضرب مثلاً بعد مثل، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة، باتباعهم ما أمرهم باتباعه وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه مثل للمؤمن، والذي خبث فلا يخرج نباته إلا نكداً مثل للكافر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح عن عليّ عن ابن عباس قوله: ﴿**وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً**﴾ فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبِخة المالحة التي لا تخرج منها البرَكة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح،

---

(١) البيت في «**اللسان**» نكد والنكد والنكد، بضم النون وفتحها مع سكون الكاف فيهما: قلة العطاء، وأن لا يهنأه من يعطاه، وأنشد: وأعط... البيت. ونكده ما سأله. بفتح الكاف: ينكده، بضمها، نكدا: لم يعطه منه إلا أقله أنشد ابن الأعرابي:

مِنَ البِيضِ تُرْغِينا سُقاطَ حَدِيثِها وتَنْكُدُنا لَهْوَ الحَدِيثِ المُمَنَّعِ

ترغينا: تعطينا منه ما ليس بصريح، ونكده حاجته: منعه إياها.

عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ... والَّذِي خَبُثَ﴾ قال: كلّ ذلك من أرض السباخ وغيرها مثل آدم وذرّيته، فيهم طيب وخبيث.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً﴾ قال: هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، يعني ابن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ﴾ هي السبخة ﴿لا يَخْرُجُ﴾ نباتها ﴿إلاَّ نَكِداً.﴾ والنكِد: الشيء القليل الذي لا ينفع كذلك القلوب لما نزل القرآن، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به، وثبت الإيمان فيه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه، ولم يثبت فيه من الإيمان شيء إلاَّ ما لا ينفع، كما لم يخرج هذا البلد إلاَّ ما لا ينفع من النبات.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: ﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً﴾ قال: الطيب ينفعه المطر فينبت، والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته إلاَّ نكداً، قال: هذا مثل ضربه الله لآدم وذرّيته كلهم، إنما خلقوا من نفس واحدة، فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبُث.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

أقسم ربنا جلّ ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحاً إلى قومه منذرهم بأسه، ومخوّفهم سخطه على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: ﴿يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ الذي له العبادة، وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عظِيم﴾ يعني: عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿غَيْرُهُ﴾ فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة: «ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرِهِ» بخفض «غير» على النعت للإله. وقرأ جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ برفع «غيرُ»، ردّ الهاء على موضع «من» لأن موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعاً، وقيل: ما لكم إله غير الله، فالعرب لما وصفت من أن المعلوم بالكلام[1] أدخلت «من» فيه أو أخرجت، وإنها تدخلها أحياناً في مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحياناً تردّ ما نعتت به الاسم الذي عملت فيه على لفظه، فإذا خفضت فعلى كلام واحد، لأنها نعت للإله وأما إذا رفعت، فعلى كلامين[2]: ما لكم غيره من إله، وهذا قول يستضعفه أهل العربية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠)﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب مشركي قوم نوح لنوح، وهم الملأ والملأ: الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ يا نوح ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعنون: في أمر زائل عن الحقّ، مبين زواله عن قصد الحدّ لمن تأمّله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه مجيباً لهم: يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة زوالاً مني عن محجة الحقّ وضلالاً لسبيل الصواب، وما بي ما تظنون من الضلال، ولكني رسول إليكم من ربّ العالمين بما أمرتكم به من إفراده بالطاعة والإقرار له بالوحدانية والبراءة من الأنداد والآلهة.

---

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠. وفي العبارة قلق واضطراب. ويلوح لي أن «أن» التي بعد من مقحمة، وبحذفها يستقيم الكلام. والذي في «معاني القرآن» للفراء في هذا الموضع: «تجعل غير نعتا للإله، وقد يرفع بجعله تابعاً للتأويل في إله، ألا ترى أن الإله لو نزعت منه «من» كان رفعاً وقد قرىء بالوجهين جميعاً».

(٢) في إملاء ما من به الرحمٰن للعكبري: «غيره: بالرفع يجوز فيه وجهان: أحدهما هو صفة لإله على الموضع، والثاني: هو بدل من الموضع، مثل لا إله إلا الله. ويقرأ بالنصب على الاستثناء، وبالجر صفة على اللفظ» ا هـ. قلت: وعلى تقدير البدلية يكون البدل من جملة أخرى، فيتضح كلام المؤلف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذّبوه: ولكني رسول من ربّ العالمين أرسلني إليكم، فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم إياي وردّكم نصيحتي. **﴿وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾**: من أن عقابه لا يردّ عن القوم المجرمين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وهذا أيضاً خبر من الله عزّ ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم إذْ ردّوا عليه النصيحة في الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيّاً، وقالوا له: **﴿ما نَرَاكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأْيِ وَما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ﴾** **﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** يقول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة، يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم. قيل: معنى قوله: **﴿على رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾** مع رجل منكم **﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾** يقول: لينذركم بأس الله، ويخوّفكم عقابه على كفركم به. **﴿وَلِتَتَّقُوا﴾** يقول: وكي تتقوا عقاب الله وبأسه، بتوحيده وإخلاص الإيمان به والعمل بطاعته. **﴿ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** يقول: وليرحمكم ربكم إن اتَّقيتم الله وخفتموه وحذّرتم بأسه. وفُتحت الواو من قوله: **﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾** لأنها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فكذّب نوحاً قومُه، إذ أخبرهم أنه لله رسول إليهم يأمرهم بخلع الأنداد والإقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته، وخالفوا أمر ربهم ولجوا في طغيانهم يعمهون، فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به. وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة، فيما:

حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: نوح وبنوه الثلاثة: سام، وحام، ويافث وأزواجهم، وستة أناسيّ ممن كان آمن به.

وكان حمل معه في الفُلك من كلّ زوجين اثنين، كما قال تبارك وتعالى: **﴿وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾**. والفُلك: هو السفينة. **﴿وأغْرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾** يقول: وأغرق الله الذين كذّبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته إياهم في الله بالطوفان. **﴿إنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾** يقول: عمين عن الحقّ. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿عَمِينَ﴾** قال: عن الحقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿قَوْماً عَمِينَ﴾** قال: العَمِي: العامي عن الحقّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ولذلك نصب «هوداً»، لأنه معطوف به على نوح عليهما السلام. **﴿قَالَ﴾** هود: **﴿يا قَوْمِ اعْبُدُوا الله﴾** فأفردوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره، فإنه ليس لكم إله غيره. **﴿أفلا تَتَّقُونَ﴾** ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره، وهو خالقكم ورازقكم دون كلّ ما سواه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عما أجاب هوداً به قومه الذين كفروا بالله: **﴿قَالَ الملأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني الذين جحدوا توحيد الله، وأنكروا رسالة هود إليهم: **﴿إنا لَنَرَاكَ﴾** يا هود **﴿في سَفاهَةٍ﴾** يعنون في ضلالة عن الحقّ والصواب، بتركك ديننا وعبادة آلهتنا. **﴿وَإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾** في قِيلك إني رسول من ربّ العالمين. **﴿قالَ يا قَوْمَ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ﴾**: يقول: أي ضلالة عن الحقّ والصواب، **﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ﴾** أرسلني، فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤدّيها إليكم كما أمرني أن أؤديها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يعني بقوله: **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبّي﴾**: أؤدّي ذلك إليكم أيها القوم. **﴿وأنا لَكُمْ ناصِحٌ﴾**: يقول: وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله، ناصحٌ، فاقبلوا نصيحتي، فإني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدّل، بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت. **﴿أوَ عَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ على رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾** يقول: أَوَ عجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة، على رجل منكم، لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه. **﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾** يقول: فاتقوا الله في أنفسكم، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عَصَوا رسولهم وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها، فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حلّ بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم، سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم إياه وكفركم به. **﴿وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾**: زاد في أجسامكم طولاً وعِظَماً على أجسام قوم نوح، وفي قَوامكم على قَوامهم، نعمة منه بذلك عليكم، فاذكروا نعمه وفضله الذي فضَّلكم به عليهم في أجسامكم وقَوامكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له وترك الإشراك به وهجر الأوثان والأنداد. **﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** يقول: كي تفلحوا، فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة، وتنجحوا في طلباتكم عنده.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: **﴿وَاذْكُرُوا إذ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾** يقول: ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾**: أي ساكني الأرض بعد قوم نوح.

وبنحو الذي قلنا أيضاً قالوا في تأويل قوله: **﴿بَسْطَةً﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾ قال: ما لقوام قوم عاد.

وأما الآلاء فإنها جمع، واحدها: «إلَى» بكسر الألف في تقدير مِعًى، ويقال: «أَلَى» في تقدِير قَفًا بفتح الألف. وقد حُكي سماعاً من العرب إلْيٌ مِثْل حِسْيٍ. والآلاء: النعم. وكذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فاذْكُرُوا آلاء اللّهِ﴾ أي نعم الله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أماآلاء اللّهِ﴾ فنعم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ﴾ قال: آلاؤه: نعمه.

قال أبو جعفر: وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث إليهم هوداً يدعوهم إلى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده، هم فيما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

وكانت مساكنهم الشِّحْر من أرض اليمن، وما والى بلاد حضرموت إلى عُمان. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السُّديّ: إن عاداً قوم كانوا باليمن بالأحقاف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مَدَرَة حمراء ذا أراكٍ وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا، ولكني قد حُدثت عنه. فقال الحضرميّ: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود صلوات الله عليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هوداً الأحقاف، قال: والأحقاف: الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله، وكانُوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله: صنم يقال له صُداء، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء. فبعث الله إليهم هوداً، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً، فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس، ولم يأمرهم فيما يُذكر والله أعلم بغير ذلك. فأبوا عليه وكذّبوه، وقالوا: من أشدّ منا قوّة واتبعه منهم ناس وهم يسيرٌ، يكتمون إيمانهم، وكان ممن آمن به وصدّقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير، وكان يكتم إيمانه، فلما عتوا على الله وكذّبوا نبيهم، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبروا وبنوا بكلّ ريع آية عبثاً بغير نفع، كلمهم هود، فقال: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخلُدُونَ وَإذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فاتَّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ **﴿قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إنْ نَقُولُ إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾** أي ما هذا الذي جئتنا به إلاَّ جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب، **﴿قال إنّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أنّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُم لا تُنْظِرُونِ...﴾** إلى قوله: صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون، حتى جهدهم ذلك. وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد، فطلبوا إلى الله الفرج منه، كانت طلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة، مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم، وكلهم معظِّم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله. قال ابن إسحاق: وكان البيت في ذلك الزمان معروفاً مكانه، والحرم قائماً فيما يذكرون، وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا العماليق، لأن أباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان سيدُ العماليق إذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلاً يقال له: معاوية بن بكر، وكان أبوه حيّاً في ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر، وكان ابنه يرأس قومه، وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون في أهل ذلك البيت، وكانت أمّ معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبري رجل من عاد. فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا، قالوا: جهزوا منكم وفداً إلى مكة، فليستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عتر ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صدّ بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر أخو أمه، ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كلّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلاً. فلما قدموا مكة، نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره. فلما نزل وفد

عاد على معاوية بن بكر، أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان، قينتان لمعاوية بن بكر، وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً. فلما رأى معاوية بن بكر طول مُقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون بهم من البلاء الذي أصابهم، شقّ ذلك عليه، فقال: هلك أخوالي وأصهاري، وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون عليّ والله ما أدري كيف أصنع بهم إن أمرتهم بالخروج إلى ما بعثوا له فيظنوا أنه ضيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك مَن وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً. أو كما قال. فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا: قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله، لعلّ ذلك أن يحرّكهم. فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك:

أَلا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللّهَ يُسْقِينا غَمامَا
فَيَسْقِي أَرْضَ عادٍ إِنَّ عاداً ... قَدَ امْسَوْا لا يُبِينُونَ الكَلامَا
مِنَ العَطَشِ الشَّدِيدِ فليسَ نَرْجو ... بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
وقَدْ كانَتْ نِساؤُهُمُ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِساؤُهُمُ عَيامَى
وَإِنَّ الوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جِهاراً ... وَلا يَخْشَى لِعادِيٍّ سِهامَا
وأَنْتُمْ ها هُنا فِيما اشْتَهَيْتُمْ ... نَهارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التَّمامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا[1]

فلما قال معاوية ذلك الشعر، غنتهم به الجرادتان، فلما سمع القوم ما غنتا به، قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوّثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير: إنكم

---

(١) هذه الأبيات السبعة وأمثالها مما ينسبه الرواة إلى العرب القدماء، كالعمالقة وعاد وثمود. وممن ذكر بعضها ابن أبي الخطاب القرشي صاحب جمرة «**أشعار العرب**» (ص ـ ٤١) طبعة الأميرية قال: قال المفضل (؟): وقد قال الأشعار العمالقة وعاد وثمود، قال معاوية بن بكر بن الحبتر بن عتيك بن قرمة بن جلهمة بن عملاق بن لاوذ بن سأم بن نوح عليه السلام، وكان يومئذ سيد العمالقة، وقد قدم إليه «قيل بن عير»، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد ووفداً معهما، ليستسقوا لهم، حين منعوا الغيث؛ فقال معاوية بن بكر: ألا يا قيل. . . . وساق الأبيات (١، ٢، ٣، ٥، ٧) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وذكر الأبيات بتمامها مع اختلاف في بعض الألفاظ، وساق معها قصة الوفد المستسقي المفسر أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بالثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في كتابه «**عرائس المجالس**» المشهور بـ«**قصص الأنبياء**»، طبعة الحلبي سنة ١٩٥١ (ص ـ ٦٢ ـ ٦٣) وما بعدهما.

ونحن نستبعد أن تكون هذه العربية السهلة الواضحة المستقيمة الوزن والقافية، هي عربية تلك القرون الأولى، الممعنة في القدم أيام العمالقة ولقمان بن عاد، ونرجح أن هذه الأخبار والأشعار، من وضع القصاص، والله تعالى أعلم وأحكم.

والله لا تُسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إليه سقيتم. فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جُلهُمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به:

أبا سَعْدٍ فإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ... ذَوِي كَرَمٍ وأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ
فإنَّا لا نُطِيعُكَ ما بَقِينا ... وَلَسْنا فاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأمُرُنا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ ... وَرَمْلٍ والصُّدَاءَ مَعَ الصُّمُود
ونَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ ... ذَوِي رأْيٍ ونَتْبَعُ دِينَ هُودِ[1]

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر: احبسا عنا مرثد بن سعد، فلا يقدمنّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا إلى مكة، خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر، حتى أدركهم بها، فقال: لا أدعو الله بشيء مما خرجوا له فلما انتهى إليهم، قام يدعو الله بمكة، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون، يقول: اللهمّ أعطني سؤلي وحدي، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عير رأس وفد عاد، وقال وفد عاد: اللهمَّ أعط قيلاً ما سألك، واجعل سؤلنا مع سؤله. وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم، قام فقال: اللهمّ إني جئتك وحدي في حاجتي، فأعطني سؤلي وقال قَيْل بن عير حين دعا: يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا، فإنا قد هلكنا فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثاً: بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال: اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء، فناداه مناد: اخترت رماداً[2] رِمْدَدا، لا تبق من آل عاد أحدا، لا والدا تترك ولا ولَدا، إلا جعلته هُمَّدا، إلا بني اللَّوْذية المُهَدَّا. وبني اللوذية: بنو لُقيم بن هزال بن هزيلة بن بكر وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم، فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد. وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عير بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى خرجت

---

(١) روى هذه الأبيات أيضاً الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص - ٦٣) طبعة الحلبي. ونرى فيها ما رأيناه في الأبيات السابقة، أنها من وضع القصاص والأخباريين، وليس لها نسب صحيح، وفيها إقواء في البيت الثاني. وفي تاريخ الطبري (١/ ١/ ٢٣٧) يروى البيت الثالث هكذا:

أتأمرنا لنترك دين رفد ... ورمل وآل ضد والعبود

قال: ورفد ورمل وضد: قبائل من عاد. والعبود منهم.

(٢) في التاج: رماد رمدد، كزبرج ودرهم: كثير دقيق جداً. وهذه العبارات كتبت في بعض المراجع على أنها سجعات وفي أخرى كتبت على هيئة أشطار خمسة كما في «تاريخ الطبري» (١/ ١/ ٢٣٨) طبع أوربة وقال بعدها: وبنو اللوزية: بنو لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيلة ابنة بكر، كانوا سكاناً بمكة.

عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها ﴿وَقَالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا﴾ يقول الله: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شيءٍ بأمر ربِّها﴾: أي كلّ شيء أمرت به. وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون، امرأة من عاد يقال لها مَهْدَد. فلما تيقنت ما فيها، صاحت ثم صُعِقت فلما أن أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مهدد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار، أمامها رجال يقودونها. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، كما قال الله والحسوم: الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك. فاعتزل هود فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذّ به الأنفس، وإنها لتمر على عاد بالظُّعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. وخرج وفد عاد من مكة، حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه، فنزلوا عليه، فبينما هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد، فأخبرهم الخبر، فقالوا له: أين فارقت هوداً وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر، فكأنهم شكوا فيما حدثهم به، فقالت هذيلة بنت بكر: صدق وربّ الكعبة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا عاصم، عن الحارث بن حسان البكريّ، قال: قدمت على رسول الله ﷺ، فمررت على امرأة بالرَّبَذَة، فقالت: هل أنت حاملي إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. فحملتها حتى قدمت المدينة، فدخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ على المنبر، وإذا بلال متقلد السيف، وإذا رايات سود، قال: قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من غزوته. فلما نزل رسول الله ﷺ من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لي، فقلت: يا رسول الله إن بالباب امرأة من بني تميم، وقد سألتني أن أحملها إليك. قال: «يا بِلالُ ائْذَنْ لَهَا» قال: فدخلت، فلما جلست قال لي رسول الله ﷺ: «هَلْ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَيْءٍ؟» قلت: نعم، وكانت لنا الدائرة عليهم، فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزاً فعلت. قال تقول المرأة: فإلى أين يضطرّ مضطرّك يا رسول الله؟ قال: قلت: إن مَثَلي مَثَل ما قال الأوّل: مِعزىً حملت حتفها. قال: قلت: وحملتك تكونين عليّ خصماً؟ أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد فقال رسول الله ﷺ: «وَما وَافِدُ عادٍ؟» قال: قلت: على الخبير سقطتَ، إن عاداً قُحِطت، فبعثت من يستسقي لها، فبعثوا رجالاً، فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الحرادتان شهراً، ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة، فدعوْا، فجاءت سحابات، قال: وكلما جاءت سحابة، قال: اذهبي إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنودي: خذها رمادا رمددا، لا تدع من عاد أحدا. قال: فسمعه وكلمهم، حتى جاءهم العذاب. قال أبو كريب: قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد، قال: فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة، فصعد فقال: اللهمّ إني لم أجئك لأسير فأفاديه، ولا لمريض فأشفيه، فاسْقِ عاداً ما كنت مسقيه قال: فرفعت له

سحابات قال: فنودي منها: اختر قال: فجعل يقول: اذهبي إلى بني فلان، اذهبي إلى بني فلان. قال: فمرّت آخرها سحابة سوداء، فقال: اذهبي إلى عاد. فنودي: منها خذها رمادا رمددا لا تدع من عاد أحدا. قال: وكلمهم، والقوم عند بكر بن معاوية يشربون، قال: وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده وأنهم في طعامه. قال: فأخذ في الغناء وذكّرهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا سلام أبو المنذر النحوي، قال: ثنا عاصم، عن أبي وائل، عن الحارث بن يزيد البكري، قال: خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمررت بالربذة، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم، فقالت: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة، فهل أنت مبلغي إليه؟ قال: فحملتها فقدمت المدينة. قال: فإذا رايات، قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً، قال: فجلست حتى فرغ. قال: فدخل منزله أو قال: رحله فاستأذنت عليه، فأذن لي فدخلت، فقعدت، فقال لي رسول الله ﷺ: «هَلْ كانَ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَيْءٌ؟» قلت: نعم، وكانت لنا الدائرة عليهم، وقد مررت بالربذة فإذا عجوز منهم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب. فأذن لها رسول الله ﷺ، فدخلت فقلت: يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزاً فحميت العجوز واستوفزت وقالت: إلى أين يضطرّ مضطرّك يا رسول الله؟ قال: قلت: أنا كما قال الأول: معزى حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال: «وَما وَافِدُ عادٍ؟» قال: على الخبير سقطت، قال: وهو يستطعمني الحديث، قلت: إن عاداً قحطوا فبعثوا قيلاً وافداً، فنزل على بكر، فسقاه الخمر شهراً، وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان، فخرج إلى جبال مهرة، فنادى: إني لم أجيء لمريض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه، اللهمّ اسق عاداً ما كنت مسقيه فمرّت به سحابات سود، فنودي منها: خذها رمادا رمددا، لا تبق من عاد أحدا. قال: فكانت المرأة تقول: لا تكن كوافد عاد ففيما بلغني أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلاّ قدر ما يجري في خاتمي. قال أبو وائل: فكذلك بلغني.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإلى عادٍ أخاهُم هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ﴾**: إن عاداً أتاهم هود، فوعظهم وذكّرهم بما قصّ الله في القرآن. فكذّبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم العذاب، فقال لهم: **﴿إنّما العِلْمُ عِنْدَ الله وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ﴾**. وإن عاداً أصابهم حين كفروا قحوط المطر، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً، وذلك أن هوداً دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح

العقيم، وهي الريح التي لا تلقح الشجر فلما نظروا إليها قالوا: ﴿هَذَا عارِضٌ مُمْطِرنا﴾ فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تنادوا: البيوتَ فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم في يوم نحس، والنحس: هو الشؤم، ومستمر: استمرّ عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، حسمت كل شيء مرّت به. فلما أخرجتهم من البيوت، قال الله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ من البيوت، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ انقعر من أصوله، خاوية: خوت فسقطت. فلما أهلكهم الله، أرسل إليهم طيراً سوداً، فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، فذلك قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ﴾ ولم تخرج ريح قطّ إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم، فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ﴾ والصرصر: ذات الصوت الشديد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود: أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصاً ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه: قد حلّ بكم عذاب وغضب من الله. وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكر لنا عنه، يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد، وأنها مقلوبة، قُلبت السين زاياً، كما قلبت شنز وهي من شنس بسين، وكما قالوا قربوس وقربوز، وكما قال الراجز:

أَلا لَحَى اللَّهُ بَنِي السِّعْلاتِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ لِئامِ النَّاتِ

لَـيْـسُــوا بِــأَعْــفَــافٍ وَلا أَكْــيَــاتِ[١]

يريد الناس. وأكياس فقُلبت السين تاء، كما قال رؤبة:

كَمْ قَدْ رأَيْنا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزِي حتى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرِّجْزِ[٢]

رُوي عن ابن عباس أنه كان يقول: الرجز: السخط.

حدثني بذلك المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ**﴾ يقول: سخط.

وأما قوله: ﴿**أَتُجادِلُونَنِي في أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وآباؤُكُمْ**﴾ فإنه يقول: أتخاصمونني في أسماء سميتموها أصناماً لا تضرّ ولا تنفع أنتم وآباؤكم ﴿**ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ**﴾ يقول: ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها. لأن العبادة إنما هي لمن ضرّ ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع، فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ، إلاّ أن تتخذ منه آلة، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه لأن الله يأذن بذلك، فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعاً منه أمر الله في عبادته إياه، ولا هو إذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضرّه في عاجل أو آجل، فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضرّه. ﴿**فانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ**﴾ يقول: فانتظروا حكم الله فينا وفيكم، إني معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز، أوردها أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص ـ ١٤٧) طبعة بيروت مع اختلاف في بعض ألفاظ منها، وهي هذه:

يا قاتَلَ اللَّهُ بَني السِّعْلاتِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ شِرارِ النَّاتِ

غَيْرَ أَعِفَّاءَ ولا أَكْياتِ

واستشهد بها النحاة على أن التاء في «النات، وأكيات» بدل من السين، وأصلهما: الناس، وأكياس.

(٢) البيتان من مشطور الرجز، وهما في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣، وروايتهما فيه هكذا:

ما رَامَنا مِنْ ذِي عَديدٍ مُبْزِي حتى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرِّجْزِ

والمبزي: اسم فاعل من أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره، وهو ميز بهذا الأمر: أي قوى عليه، ضابط له. ووقم الرجل وقما: أذله وقهره، وقيل رده أقبح الرد. وكيده: تدبيره وما عزم عليه. والرجز بكسر الراء وضمها. العذاب المقلقل لشدته، وله قلقلة شديدة متتابعة يقول؛ لو رامنا عدو وعز ذو عدد وقهر لأنزلنا به وبتدبيره ما يفسد عليه كيده، وأصليناه عذاباً من سيوفنا.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحاً والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما عاد إليه من توحيد الله وهجر الآلهة والأوثان ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾ يقول: وأهلكنا الذين كذّبوا من قوم هود بحججنا جميعاً عن آخرهم، فلم نبق منهم أحداً. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَطَعْنا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾ قال: استأصلناهم.

وقد بيَّنا فيما مضى معنى قوله: فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِين ظَلَمُوا بشواهده بما أغنى عن إعادته. ﴿وَما كانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمود: هو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عابر، وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. ومعنى الكلام: وإلى بني ثمود أخاهم صالحاً. وإنما منع ثمود، لأن ثمود قبيلة كما بكر قبيلة، وكذلك تميم. قال: ﴿يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ﴾ يقول: قال صالح لثمود: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فما لكم إله يجوز أن تعبدوه غيره، وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما إليه أدعو من إخلاص التوحيد لله وإفراده بالعبادة دون ما سواه وتصديقي على أني له رسول وبينتى على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي، وحجتي عليه هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهضبة دليلاً على نبوتي وصدق مقالتي، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحد إلاّ الله. وإنما استشهد صالح فيما بلغني على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله.

ذكر من قال ذلك، وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، قال: قالت ثمود لصالح: ﴿ائْتِنا بآيَةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هضبة من الأرض فخرجوا، فإذا هي تتمخض كما تتمخض

الحامل. ثم إنها انفرجت، فخرجت من وسطها الناقة، فقال صالح: ﴿هَذِهِ ناقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُل فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذابٌ ألِيمٌ﴾ ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فلما ملوها عقروها، ﴿فَقالَ لَهُمْ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. قال عبد العزيز، وحدثني رجل آخر أن صالحاً قال لهم: إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حمراً، واليوم الثاني صفراً، واليوم الثالث سوداً. قال: فصبحهم العذاب، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدّوا.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحاً﴾ قال: إن الله بعث صالحاً إلى ثمود، فدعاهم فكذّبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، فسألوه أن يأتيهم بآية، فجاءهم بالناقة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وقال: ﴿ذَرُوها تَأْكُلْ فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسُّوها بسُوءٍ﴾ فأقرّوا بها جميعاً، فذلك قوله: ﴿فَهَدَيْناهُمْ فاسْتَحَبوا العَمَى على الهُدَى﴾ وكانوا قد أقرّوا به على وجه النفاق والتَّقية، وكانت الناقة لها شرب، فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيرجمونها، ففيهما أثرها حتى الساعة، ثم تأتي فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيرويهم، فكانت تصبّ اللبن صبّاً، ويوم يشربون الماء لا تأتيهم. وكان معها فصيل لها، فقال لهم صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم وُلد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك شيء، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فإذا مرّ بالتسعة فرأوه، قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح لأنه أمرهم بذبح أبنائهم، فَتَقاسَمُوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِهِ وَإنَّا لَصَادِقُونَ﴾. قالوا: نخرج، فيرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر، فنأتي الغار فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه، ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، يصدّقوننا يعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر. فانطلقوا فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فذلك قوله: ﴿وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ...﴾ حتى بلغ ههنا: ﴿فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجمَعِينَ﴾. وكبر الغلام ابن العاشر، ونبت نباتاً عجباً من السرعة، فجلس مع قوم يصيبون من الشراب، فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتدّ ذلك عليهم وقالوا في شأن الناقة: ما نصنع نحن باللبن؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة، فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا فقال: الغلام ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم. فأظهروا دينهم، فأتاها

الغلام، فلما بصرت به شدّت عليه، فهرب منها فلما رأى ذلك، دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها، فقال: أحيشوها عليّ فأحاشوها عليه، فلما جازت به نادوه: عليكَ فتناولها فعقرها، فسقطت فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعاطَى فَعَقَرَ﴾ وأظهروا حينئذ أمرهم، وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم إلى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت، فقال: عليّ بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الأرض، فطلبوه، فارتفعت به حتى حلَّقت به في السماء، فلم يقدروا عليه. ثم دعا الفصيل إلى الله، فأوحى الله إلى صالح أن مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام، فقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أوّل يوم مصفرّة، والثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودة، والْيوم الرابع فيه العذاب. فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا ولطَّخوا أنفسم بالمرّ، ولبسوا الأنطاع، وحفروا الأسراب، فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة، حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله: ﴿فَدَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجمَعِينَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما أهلك الله عاداً وتقضى أمرها، عمرت ثمود بعدها واستُخلفوا في الأرض، فنزلوا فيها وانتشروا. ثم عتوا على الله، فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله، بعث إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً رسولاً. وكانت منازلهم الحِجر إلى قُرْح، وهو وادي القُرى، وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجاز والشام. فبعث الله إليهم غلاماً شاباً، فدعاهم إلى الله، حتى شمط وكبر، لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فلما ألحّ عليهم صالح بالدعاء، وأكثر لهم التحذير، وخوّفهم من الله العذاب والنقمة، سألوه أن يريهم آية تكون مصداقاً لما يقول فيما يدعوهم إليه، فقال لهم: أيّ آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتنا. فقال لهم صالح: نعم. فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك، وخرج صالح معهم إلى الله، فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل، وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقةً مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة: ما شاكلت البخت من الإبل. وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو فإن فعلت آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو حقّ وأخذ عليهم صالح مواثيقهم: لئن فعلت وفعل الله لتُصدقنّي ولتؤمننّ بي قالوا: نعم، فأعطوه على ذلك عهودهم، فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدث: أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تتمخض بالناقة تمخض النَّتُوج بولدها، فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة، فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وَبْراء نتوج، ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظماً. فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدّقوا، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس، وكانوا من أشراف ثمود، وردّوا أشرافها عن الإسلام، والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة. وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس، فأراد أن يسلم فنهاه اولئك الرهط عن ذلك، فأطاعهم، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها، فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل، وكان مسلماً:

وكانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو ... إلى دينِ النَّبِيّ دَعَوْا شِهابا
عَزِيزَ ثَمودَ كُلَّهُمُ جَميعاً ... فَهَمَّ بِأنْ يُجِيبَ وَلَوْ أجابا
لأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينا عَزِيزاً ... وَما عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابا
وَلكِنَّ الغُوَاةَ مِنْ آلِ حِجْرٍ ... تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمُ ذِئابا[1]

فمكثت الناقة التي أخرجها الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء، فقال لهم صالح عليه السلام: ﴿**هَذِهِ ناقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ وقال الله لصالح: إن الماء قسمة بينهم، كلّ شرب محتضر أي إن الماء نصفان: لهم يوم ولها يوم وهي محتضرة، فيومها لا تدع شربها وقال ﴿**لها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾. فكانت فيما بلغني والله أعلم إذا وردت وكانت ترد غِبّاً وضعت رأسها في بئر في الحِجر يقال لها بئر الناقة، فيزعمون أنها منها كانت تشرب، إذا وردت تضع رأسها فيها، فما ترفعه حتى تشرب كلّ قطرة ماء في الوادي، ثم ترفع رأسها فتفسح يعني تفحّج لهم، فيحتلبون ما شاءوا من لبن، فيشربون ويدّخرون حتى يملأوا كلّ آنيتهم، ثم تصدر من غير الفجّ الذي منه وردت، لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها، فلا ترجع منه حتى إذا كان الغد كان يومهم، فيشربون ما شاءوا من الماء، ويدّخرون ما شاءوا ليوم الناقة، فهم من ذلك في سعة. وكانت الناقة فيما يذكرون تصِيف إذا كان الحرّ بظهر الوادي، فتهرب منها المواشي أغنامهم وأبقارهم وإبلهم، فتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجدبه وذلك أن المواشي تنفر منها إذا رأتها، وتشتو في بطن الوادي إذا كان الشتاء، فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البرد

(١) وهذه الأبيات أيضاً من التي يتناقلها الرواة، وينسبونها للقدماء، وكلها منحولة موضوعة.

والجدب، فأضرّ ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار. وكانت مراتعها فيما يزعمون الجِناب وحِسمى، كل ذلك ترعى مع وادي الحجر. فكبر ذلك عليهم، فعتوا عن أمر ربهم، وأجمعوا في عقر الناقة رأيهم. وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز، تكنى بأم غنم، وهي من بني عبيد بن المهل أخي دميل بن المهل، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو، وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان، وكانت ذات مال من إبل وبقر وغنم، وامرأةٌ أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بني عبيد وصاحب أوثانهم في الزمن الأوّل. وكان الوادي يقال له وادي المحيا، وهو المحيا الأكبر جد المحيا الأصغر أبي صدوف. وكانت صدوف من أحسن الناس، وكانت غنية ذات مال من إبل وغنم وبقر، وكانتا من أشدّ امرأتين في ثمود عداوة لصالح وأعظمهم به كفراً، وكانتا تحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرّت به من مواشيهما. وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بني هليل، فأسلم فحسن إسلامه، وكانت صدوف قد فوّضت إليه مالها، فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رقّ المال. فاطلعت على ذلك من إسلامه صدوف، فعاتبته على ذلك، فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله وإلى الإسلام، فأبت عليه، وسبَتْ ولده، فأخذت بنيه وبناته منه فغيبتهم في بني عبيد بطنها الذي هي منه. وكان صنتم زوجها من بني هليل، وكان ابن خالها، فقال لها: ردّي عليّ ولدي فقالت: حتى أنافرك إلى بني صنعان بن عبيد أو إلى بني جندع بن عبيد. فقال لها صنتم: بل أنا أقول إلى بني مرداس بن عبيد وذلك أن بني مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا في الإسلام وأبطأ عنه الآخرون، فقالت: لا أنافرك إلاّ إلى من دعوتك إليه فقال بنو مرداس: والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته إياهم. ثم إن صدوف وعنيزة تحيلا في عقر الناقة للشقاء الذي نزل، فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة، وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل، فأبى عليها. فدعت ابن عم لها يقال مصدع بن مهرج بن المحيا، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة، وكانت من أحسن الناس، وكانت غنية كثيرة المال، فأجابها إلى ذلك. ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلاً من أهل قرح، وكان قدار رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد، ولم يكن لأبيه سالف الذي يُدعى إليه ولكنه قد ولد على فراش سالف، وكان يدعى له ويُنسب إليه، فقالت: أعطيك أيّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه. فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج، فاستنفرا غواة من ثمود، فاتبعهما سبعة نفر، فكانوا تسعة نفر، أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له هويل بن ميلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لأبيها وأمها، وكان عزيزاً من أهل حجر، ودعير بن غنم بن داعر، وهو من بني حلاوة بن المهل، ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج، وخمسة لم

تحفظ لنا أسماؤهم. فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها. وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً، فأسفرت عنه لقدار وأرته إياه، ثم ذمرته، فشدّ على الناقة بالسيف، فكشف عرقوبها، فخرّت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها، ثم طعن في لبّتها فنحرها. وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً منيعاً، ثم أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صور فأتاهم صالح، فلما رأى الناقة قد عقرت، قال: انتهكتم حرمة الله، فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة، وفيهم مصدع بن مهرج، فرماه مصدع بسهم، فانتظم قلبه، ثم جرّ برجله فأنزله، ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه. فلما قال لهم صالح: أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزأون به: ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم: الأحد: أوّل، والاثنين: أهون، والثلاثاء: دبار، والأربعاء: جبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: العروبة، والسبت: شيار، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تصبحون غداة يوم مؤنس يعني يوم الخميس ووجوهكم مصفرّة. ثم تصبحون يوم العروبة يعني يوم الجمعة ووجوهكم محمرّة. ثم تصبحون يوم شيار يعني يوم السبت ووجوهكم مسودّة. ثم يصبحكم العذاب يوم الأوّل يعني يوم الأحد. فلما قال لهم صالح ذلك، قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلموا فلنقتل صالحاً إن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة. فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدَّخين قد رُضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم ثم هموا به، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبداً، فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضباً، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون. فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك، والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: **﴿وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ...﴾** إلى قوله: **﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** فأصبحوا من تلك الليلة التي انصرفوا فيها عن صالح وجوههم مصفرّة، فأيقنوا بالعذاب، وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه، وخرج صالح هارباً منها حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم، فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى بأبي هدب، وهو مشرك، فغيبه فلم يقدروا عليه. فغدوا على أصحاب صالح، فعذّبوهم ليدلّوهم عليه، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم: يا نبيّ الله إنهم ليعذّبوننا لندلهم عليك، أفندلهم عليك؟ قال: نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم، فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هدب فكلموه، فقال لهم: عندي صالح، وليس لكم إليه سبيل. فأعرضوا عنه وتركوه، وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه، فجعل بعضهم

يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس، وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرّة، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرّة، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة، حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام، فنزل رملة فلسطين، وتخلَّف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم، فنزل قرح وهي وادي القرى، وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً، فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم، وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك في قتلها، فقال له ميدع بن هرم: يا عمرو بن غنم، اخرج من هذا البلد، فإن صالحاً قال من أقام فيه هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو: ما شركت في عقرها، وما رضيت ما صُنع بها. فلما كانت صبيحة الأحد أخذتهم الصيحة، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك، إلا جارية مقعدة يقال لها الدريعة، وهي كليبة ابنة السلق، كانت كافرة شديدة العداوة لصالح، فأطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع، فخرجت كأسرع ما يرى شيء قطّ، حتى أتت حيّاً من الأحياء، فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه، ثم استسقت من الماء فسُقيت، فلما شربت ماتت.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: قال معمر: أخبرني من سمع الحسن يقول: لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلاًّ، فقال: يا ربّ أين أمي؟ ثم رغا رغوة، فنزلت الصيحة، فأخمدتهم.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن بنحوه، إلا أنه قال: أصعد تلاًّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: أن صالحاً قال لهم حين عقروا الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم: آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرّة، ثم تصبح اليوم الثاني محمرّة، ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة فأصبحت كذلك. فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم. قال قتادة: قال عاقر الناقة لهم: لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين. فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها، فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم والصبيّ، حتى رضوا أجمعين، فعقرها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: لما مرّ النبيّ ﷺ بالحجر، قال: «لا تَسْأَلُوا الآياتِ، فَقَدْ سَأَلَها قَوْمُ صَالِحٍ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجِّ وتَصْدُرُ مِنْ الفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا. وكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْماً ويَشْرَبُونَ لَبَنَها يَوْماً، فَعَقَرُوهَا فأخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ أهْمَدَ الله مَنْ تَحْتَ أدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إلاَّ رَجُلاً وَاحِداً كَانَ في حَرَمِ الله». قِيل: من هو؟ قال:

«أَبُو رِغَالٍ، فلمَّا خَرَجَ مِنَ الحَرَمِ أَصَابَهُ ما أَصَابَ قَوْمَهُ».

قال: عبد الرزاق، قال معمر: وأخبرني إسماعيل بن أمية: أن النبيّ ﷺ مرّ بقبر أبي رغال، فقال: «أَتَدْرُونَ ما هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا قَبْرُ أبي رِغَالٍ». قالوا فمن أبو رغال؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ ثَمُودَ كانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ عَذَابَ الله، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ ما أَصَابَ قَوْمَهُ، فَدُفِنَ هَهُنا، وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ». فَنَزَلَ القَوْمُ فابْتَدَرُوهُ بأسْيافِهِمْ، فَبَحَثُوا عَلَيْهِ فاسْتَخْرَجُوا الغُصْنَ.

قال عبد الرزاق: قال: معمر: قال الزهري: أبو رغال: أبو ثقيف.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن جابر، قال: مرّ النبيّ ﷺ بالحجر، ثم ذكر نحوه إلا أنه قال في حديثه: قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبُو رِغالٍ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة، قال: كان يقال إن أحمر ثمود الذي عقر الناقة، كان ولد زِنْية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، قال: قال أبو موسى: أتيت أرض ثمود، فذرعتُ مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، وأخبرني إسماعيل بن أمية بنحو هذا، يعني بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن جابر، قال: ومرّ النبيّ ﷺ بقبر أبي رغال، قالوا: ومن أبو رغال؟ قال: «أبُو ثَقِيفٍ، كَانَ في الحَرَمِ لما أهْلَكَ اللّهِ قَوْمَهُ، مَنَعَهُ حَرَمُ الله مِنْ عَذَابِ الله فلما خَرَجَ أصَابَهُ ما أصَابَ قَوْمَهُ فدُفِنَ هَهُنا ودُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ». قال: فابتدره القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن.

وقال الحسن: كان للناقة يوم ولهم يوم، فأضرّ بهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: لما مرّ النبيّ ﷺ بالحجر قال: «لا تَدْخُلُوا مَساكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ، إلاَّ أنْ تَكُونُوا باكِينَ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أصَابَهُمْ». ثم قال: «هَذَا وَادِي النَّفْرِ». ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حتى أجازَ الوَادِيَ.

وأما قوله: ﴿**وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ**﴾ فإنه يقول: ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر، ﴿**فيأخذَكُمْ عذابٌ أليمٌ**﴾ يعني موجع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه واعظاً لهم: ﴿**وَاذْكُرُوا**﴾ أيها القوم نعمة الله عليكم، ﴿**إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاء**﴾ يقول تخلفون عاداً في الأرض بعد هلاكها. وخلفاء: جمع خليفة، وإنما جمع خليفة خلفاء وفعلاء إنما هي جمع فعيل، كما الشركاء جمع شريك، والعلماء جمع عليم، والحلماء جمع حليم لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكأن واحدهم خليف، ثم جمع خلفاء. فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف، كما يقال: كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنها جمعت مرّة على لفظها، ومرّة على معناها.

وأما قوله: ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرْضِ**﴾ فإنه يقول: وأنزلكم في الأرض، وجعل لكم فيها مساكن وأزواجاً. ﴿**تَتَّخِذُونَ منْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتاً**﴾ ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن، كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وتَنْحِتون الجِبالِ بُيُوتاً**﴾ كانوا ينقبون في الجبال البيوت.

وقوله: ﴿**فاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ**﴾ يقول: فاذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم. ﴿**وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْض مُفْسِدِينَ**﴾ وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ يقول: لا تسيروا في الأرض مفسدين.

وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتّباع صالح والإيمان بالله وبه، ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ يعني: لأهل المسكنة من أتباع صالح والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم وأهل السؤدد منهم: أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه أرسله الله إلينا وإليكم؟ قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم: إنا بما أَرْسَلَ الله به صالحاً من الحقّ والهدى مؤمنون يقول: مصدّقون مقرّون أنه من عند الله وأن الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح إليه. قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح: ﴿إِنَّا﴾ أيها القوم ﴿بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يقول: صدّقتم به من نبوّة صالح، وأن الذي جاء به حقّ من عند الله ﴿كَافِرُونَ﴾ يقول: جاحدون منكرون، لا نصدّق به ولا نقرّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: تكبروا وتجبروا عن اتباع الله، واستعلَوْا عن الحقّ. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَعَتَوْا﴾ علوّاً عن الحقّ لا يبصرونه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: علوّاً في الباطل.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد في قوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال: عتوا في الباطل وتركوا الحقّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال: علوّاً في الباطل.

وهو من قولهم: جبار عات: إذا كان عالياً في تجبره. ﴿وَقَالُوا يا صَالِحُ ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا﴾ يقول: قالوا: جئنا يا صالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالاً منهم للعذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾ يقول: إن كنت لله رسولاً إلينا، فإن الله ينصر رسله على أعدائه. فعجل ذلك لهم كما استعجلوه، يقول جلّ ثناؤه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة، وهي الصيحة، والرجفة: الفَعْلة، من قول القائل: رجَف بفلان كذا يَرْجُف رَجْفاً، وذلك إذا حرّكه وزعزعه، كما قال الأخطل:

إمَّا تَرَيْنِي حنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ كالنَّسْرِ أرْجُفُ وَالإنْسانُ مَهْدُودُ[1]

وإنما عنى بالرجفة ههنا: الصيحة التي زعزعتهم وحرّكتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**الرجفة**﴾ قال: الصيحة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ وهي الصيحة.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، عن مجاهد: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ قال: الصيحة.

وقوله: ﴿**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ**﴾ يقول: فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في دارهم، يعني في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم ولذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول «في دورهم». وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور، ولكن وجه بالواحدة إلى الجمع، كما قيل: ﴿**وَالعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾.

وقوله: ﴿**جاثِمِينَ**﴾ يعني: سقوطاً صرعى لا يتحرّكون لأنهم لا أرواح فيهم قد هلكوا، والعرب تقول للبارك على الركبة: جاثم، ومنه قول جرير:

---

(١) البيت في ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١ من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية (ص ـ ١٤٦) وأرجف: اضطرب اضطراباً شديداً. ومهدود: من الهد: وهو نقض البناء بعد قوته، والمراد أن الإنسان يعود إلى الضعف بعد الشباب والقوة.

عَـرَفْـتُ الـمُـنْـتَـأى وعَـرَفْـتُ مِـنـهـا   مَـطـايـا الـقِـدْرِ كـالـحِـدَإِ الـجُـثُـوم[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ**﴾ قال: ميتين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجاً عن أرضهم من بين أظهرهم، لأن الله تعالى ذكره أوحى إليه: إني مهلكهم بعد ثلاثة. وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها، فأخبر الله جلّ ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: فتولّى عنهم صالح، وقال لقومه ثمود: لقد أبلغتكم رسالة ربي، وأدّيت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه، ونصحت لكم في أدائي رسالة الله إليكم في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان، ﴿**وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ لكم في الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادّين لكم عن شهوات أنفسكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا لوطاً. ولو قيل: معناه: واذكر لوطاً يا محمد إذ قال لقومه إذ لم يكن في الكلام صلة الرسالة كما كان في ذكر عاد وثمود كان مذهباً.

وقوله: ﴿**إِذْ قالَ لِقَوْمِه**﴾ يقول: حين قال لقومه من سدوم، وإليهم كان أرسل لوط:

---

(١) البيت لجرير (ديوانه ص ـ ٥٠٧ طبعة الصاوي). ومطايا القدر: هي الأثافي الثلاث، توضع عليها القدر، فكأنها لها مطية والحدأ: بكسر الحاء وفتح الدال جمع حدأة: وهي طائر معروف والجثوم الجوائم على الأرض.

﴿أَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ﴾، وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها: إتيان الذكور. ﴿ما سَبَقَكُمْ بها مِنْ أحَد مِنَ العالَمِينَ﴾ يقول: ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين. وذلك كالذي:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسماعيل بن علية، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار، قوله: ﴿ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ﴾ قال: ما رؤي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه، توبيخاً منه لهم على فعلهم: ﴿إنَّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿لَتأْتونَ الرِّجالَ﴾ في أدبارهم، ﴿شَهْوَةً﴾ منكم لذلك، ﴿مِنْ دُونِ﴾ الذي أباحه الله لكم وأحله من ﴿النِّساءِ بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ يقول: إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا، وذلك هو الإسراف في هذا الموضع. والشهوة: الفَعلة، وهي مصدر من قول القائل: شهيت هذا الشيء أشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر:

وأشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ ارْتَحِلِ ... إذَا ما النُّجُومُ أعْرَضَتْ واسْبَطَرَّتِ
فَقامَ يَجُرُّ البُرْدَ لَوْ أنَّ نَفْسَهُ ... يُقالُ لَهُ خُذْها بِكَفَّيْكَ خَرَّتِ[1]

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرّم الله عليهم من العمل الخبيث إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله ولذلك قيل: أخرجوهم، فجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره. وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى: أخرجوا لوطاً ومن كان على دينه من قريتكم، فاكتفى بذكر لوط في أوّل الكلام

(١) أورد البيت الأول من البيتين، صاحب «اللسان» في (شها) عن ابن بري. قال: شهيت الشيء بالكسر. قال ابن بري: ومنه قول الشاعر: وأشعث. . . . وفي آخر البيت كلمة «اسبكرت» في موضع «اسبطرت». ولم يورد البيت الثاني، ولم ينسب البيتين. ومعنى اسبطر: امتد. واسبكر: امتد أو انتصب أو اعتدل.

عن ذكر أتباعه، ثم جمع في آخر الكلام، كما قيل: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ﴾ وقد بيَّنا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿إنَّهُمْ أناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يقول: إن لوطاً ومن تبعه اناس يتنزّهون عما نفعله نحن من إتيان الرجال في الأدبار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هانىء بن سعيد النخعي، عن الحجاج، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد: ﴿إنَّهُمْ أناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن مجاهد: ﴿إنَّهُم أُناسٌ يَتطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن الحجاج، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: ﴿إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: يتطهرون من أدبار الرجال والنساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: من أدبار الرجال ومن أدبار النساء.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: يتحرّجون.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يقول: عابوهم بغير غيب، وذموهم بغير ذم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم، إلا التمادي في غيهم، أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به إلا امرأته فإنها كانت للوط خائنة وبالله كافرة.

وقوله: ﴿مِنَ الغابِرِينَ﴾ يقول: من الباقين. وقيل «من الغابرين» ولم يقل «الغابرات»، لأنه يريد أنها ممن بقي مع الرجال، فلما ضمّ ذكرها إلى ذكر الرجال قيل من الغابرين، والفعل منه: غَبَرَ يَغْبُرُ غُبُوراً وغَبْراً، وذلك إذا بقي كما قال الأعشى:

عَضٌّ بِمَا أبْقَى المَوَاسِي لَهُ ... مِنْ أمِّهِ فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ(١)

وكما قال الآخر:

وأبِي الَّذي فَتَحَ البِلادَ بِسَيْفِهِ ... فَأذَلَّها لِبَنِي أبانَ الغابِرِ(٢)

يعني: الباقي.

فإن قال قائل: فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذي هلك به قوم لوط؟ قيل: لا، بل كانت فيمن هلك. فإن قال: فكيف قيل: ﴿**إلاَّ امْرأتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ**﴾ وقد قلت إن معنى الغابر الباقي، فقد وجب أن تكون قد بقيت؟ قيل: إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه وإنما عنى بذلك: إلا مرأته كانت من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ومرّ بهم زمن كثير، حتى هرمت فيمن هرم من الناس، فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب. وقيل: معنى ذلك: من الباقين في عذاب الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**إلاَّ عَجُوزاً فِي الغابِرِينَ**﴾: في عذاب الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأمطرنا على قوم لوط الذين كذّبوا لوطاً ولم يؤمنوا به مطراً من حجارة من سجيل أهلكناهم به. ﴿**فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُجْرِمِينَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فانظر يا محمد إلى عاقبة هؤلاء الذين كذّبوا الله ورسوله من قوم لوط، فاجترموا معاصي الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرّم الله من أدبار الرجال، كيف كانت وإلى أي شيء صارت هل كانت إلا البوار والهلاك؟ فإن ذلك أو نظيره من العقوبة، عاقبة من كذّبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا، من قومك.

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ـ ١٤٥) من رائيته التي يهجو بها علقمة بن علاثة، والمواسي: جمع موسى الحديد. والغابر: الماضي، يريد أنه سيهجوه هجاء حين يبلغه يعض بظر أمه الذي أبقته المواسي بعدما أخذت منه، وهذا كناية عن أنه لا يستطيع أن يفعل بمن هجاه شيئاً بل يندم على إساءته إليه، فيعض بظر أمه.

(٢) لم أقف على قائل البيت، وهو شاهد على أن الغابر بمعنى: الباقي الآتي، وهو الأكثر في الاستعمال، وقد يكون الغابر في غير هذا الموضع بمعنى الماضي قليلاً، قاله في «**اللسان**».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين. ومدين: هم ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، فيما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

فإن كان الأمر كما قال: فمدين قبيلة كتميم. وزعم أيضاً ابن إسحاق أن شعيباً الذي ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا، وأنه شعيب بن ميكيل بن يشجر، قال: واسمه بالسريانية بثرون.

فتأويل الكلام على ما قاله ابن إسحاق: ولقد أرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل، يدعوهم إلى طاعة الله والانتهاء إلى أمره وترك السعي في الأرض بالفساد والصدّ عن سبيله، فقال لهم شعيب: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة غير الإله الذي خلقكم وبيده نفعكم وضرّكم. **﴿قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** يقول: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم إليه. **﴿فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ﴾** يقول: أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به وبالوزن الذي تزنون به. **﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ﴾** يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها. ومن ذلك قولهم: تحسبها حمقاء وهي باخسة، بمعنى ظالمة، ومنه قول الله: **﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾** يعني به: رديء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: **﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ﴾** يقول: لا تظلموا الناس أشياءهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ﴾**: قال: لا تظلموا الناس أشياءهم.

وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه، من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن. ﴿بَعْدَ إِصْلاحِها﴾ يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبيّ عليه السلام فيكم، ينهاكم عما لا يحلّ لكم وما يكرهه الله لكم. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يقول: هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد في الأرض، خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم مصدقيّ فيما أقول لكم وأؤدي إليكم عن الله من أمره ونهيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

يعني بقوله: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ﴾: ولا تجلسوا بكلّ طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل. وكانوا فيما ذكر يقعدوه على طريق من قصد شعيباً وأراده ليؤمن به، فيتوعدونه ويخوّفونه ويقولون: إنه كذّاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: كانوا يوعدون من أتى شعيباً وغشيه فأراد الإسلام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ﴾ والصراط: الطريق، يخوّفون الناس أن يأتوا شعيباً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ قال: كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون من أتى عليهم أن شعيباً عليه السلام كذّاب، فلا يفتنْكم عن دينكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ﴾: كلّ سبيل حقّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾** كانوا يقعدون على كلّ طريق يوعدون المؤمنين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن قيس، عن السديّ: **﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾** قال: العشّارون.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره، شكّ أبو جعفر الرازي قال: أتى النبيّ ﷺ ليلة أُسري به على خشبة على الطريق لا يمرّ بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته، قال: «ما هَذَا يا جبْريلُ؟» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا: **﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾**.

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة يدلّ على أن معناه كان عند أبي هريرة أن نبيّ الله شعيباً إنما نهى قومه بقوله: **﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾** عن قطع الطريق، وأنهم كانوا قطاع الطريق. وقيل: **﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ﴾** ولو قيل في غير القرآن: لا تقعدوا في كل صراط كان جائزاً فصيحاً في الكلام وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم، فجاز ذلك كما جاز أن يقال: قعد له بمكان كذا، وعلى مكان كذا، وفي مكان كذا. قال: **﴿تُوعِدونَ﴾** ولم يقل: «تعدون»، لأن العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد، تقول: «أوعدته» بالألف «وتقدّم مني إليه وعيد»، فإذا بينتْ عما أوعدت وأفصحت به، قالت: «وعدته خيراً، ووعدته شرّاً» بغير ألف، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿النَّارُ وَعَدَها اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا﴾**.

وأما قوله: **﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾** فإنه يقول: وتردّون عن طريق الله وهو الردّ عن الإيمان بالله والعمل بطاعته من آمن به، يقول: تردّون عن طريق الله من صدّق بالله ووحده. **﴿وتَبْغُونَها عِوَجاً﴾** يقول: وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته، عوجاً عن القصد والحقّ إلى الزّيغ والضلال. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾** قال: أهلها، **﴿وتَبْغُونَها عِوَجاً﴾** تلتمسون لها الزيغ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وتَبْغُونَها عِوَجاً**﴾ قال: تبغون السبيل عن الحقّ عوجاً.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ**﴾ عن الإسلام تبغون السبيل ﴿**عِوَجاً**﴾: هلاكاً.

وقوله: ﴿**وَاذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ**﴾ يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلاً عددهم، وأن رفعهم من الذلة والخساسة. يقول لهم: فاشكروا الله الذي أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة، واتقوا عقوبته بالطاعة، واحذروا نقمته بترك المعصية. ﴿**وَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ**﴾ يقول: وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه، ألم يهلك بعضهم غرقاً بالطوفان وبعضهم رجماً بالحجارة وبعضهم بالصيحة؟ والإفساد في هذا الموضع معناه: معصية الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿**وَإنْ كان طائِفَةٌ مِنْكُمْ**﴾ وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا، يقول: صدّقوا، ﴿**بالَّذِي أرْسِلْتُ بِهِ**﴾ من إخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتبعوني على ذلك. ﴿**وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا**﴾ يقول: وجماعة أخرى لم يصدّقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه. ﴿**فاصْبِرُوا حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنا**﴾ يقول: فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم. ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ**﴾ يقول: والله خير من يفصل وأعدل من يقضي، لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد، ولا محاباة لأحد والله أعلم.

تمّ الجزء الثامن من تفسير ابن جرير الطبريّ

ويليه الجزء التاسع

وأوّله: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾

محتوى الجزء الثامن من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١١	ولو أننا إليهم الملائكة	٥
١١٢	وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّا	٧
١١٣	ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون	١١
١١٤	أفغير الله أبتغي حكماً	١٣
١١٥	وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا	١٣
١١٦	وإن تطع أكثر من في الأرض	١٤
١١٧	إن ربك هو أعلم من يضلّ	١٥
١١٨	فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه	١٦
١١٩	وما لكم أن لا تأكلوا مما ذُكر	١٦
١٢٠	وذروا ظاهر الإثم وباطنه	١٩
١٢١	ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه	٢١
١٢٢	أو من كان ميتاً فأحييناه	٢٨
١٢٣	وكذلك جعلنا في كلّ قرية	٣١
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا	٣٢
١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه	٣٣
١٢٦	وهذا صراط ربك مستقيماً	٤٠
١٢٧	لهم دار السلام عند ربهم	٤١
١٢٨	ويوم يحشرهم جميعاً	٤١
١٢٩	وكذلك نولي بعض الظالمين	٤٣
١٣٠	يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم	٤٤
١٣١	ذلك أن لم يكن ربك مهلك	٤٦
١٣٢	ولكلّ درجات مما عملوا	٤٧
١٣٣	وربك الغنى ذو الرحمة	٤٧
١٣٤	إنما توعدون لآت	٤٨
١٣٥	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم	٤٨
١٣٦	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث	٤٩
١٣٧	وكذلك زين لكثير من المشركين	٥٢
١٣٨	وقالوا هذه أنعام وحرث	٥٤
١٣٩	وقالوا ما في بطون هذه الأنعام	٥٨
١٤٠	قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها	٦٢
١٤١	وهو الذي أنشأ جنات	٦٣
١٤٢	ومن الأنعام وحمولة وفرشا	٧٥
١٤٣	ثمانية أزواج من الضأن	٧٩
١٤٤	ومن الإبل اثنين	٨٢
١٤٥	قل لا أجد فيما أوحيَ إليّ	٨٣
١٤٦	وعلى الذين هادوا حرّمنا	٨٧
١٤٧	فإن كذّبوك فقل ربكم ذو رحمة	٩٣
١٤٨	سيقول الذين أشركوا	٩٤
١٤٩	قل فللّه الحجة البالغة	٩٦
١٥٠	قل هلمّ شهداءكم	٩٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥١	قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم	٩٨
١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم	١٠١
١٥٣	وأن هذا صراطى مستقيماً	١٠٥
١٥٤	ثم آتينا موسى الكتاب تماما	١٠٧
١٥٥	وهذا كتاب أنزلناه مبارك	١١١
١٥٦	أن تقولوا إنما أنزل الكتاب	١١١
١٥٧	أو تقولوا لو أنا أنزل علينا	١١٣
١٥٨	هل ينظرون إلا أن تأتيهم	١١٤
١٥٩	إن الذين فرّقوا دينهم	١٢٤
١٦٠	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	١٤٧
١٦١	قل إنني هداني ربي	١٣١
١٦٢	قل إنّ صلاتي ونسكي	١٣٢
١٦٣	لا شريك له وبذلك أمرت	١٣٢
١٦٤	قل أغير الله أبغي ربا	١٣٤
١٦٥	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض	١٣٥

الأعراف

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	المص	١٣٧
٢	كتاب أنزل إليك	١٣٨
٣	اتبعوا ما أنزل إليكم	١٣٩
٤	وكم من قرية أهلكناها	١٤٠
٥	فما كان دعواهم إذ جاءهم	١٤٢
٦	فلنسألن الذين أرسل إليهم	١٤٤
٧	فلنقصنّ عليهم بعلم	١٤٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	والوزن يومئذ الحقّ	١٤٥
٩	ومن خفَّت موازينه	١٤٨
١٠	ولقد مكّناكم في الأرض	١٤٨
١١	ولقد خلقناكم ثم صوّرنا	١٤٩
١٢	قال ما منعك ألا تسجد	١٥٣
١٣	قال فاهبط منها	١٥٦
١٤	قال أنظرني إلى يوم يبعثون	١٥٧
١٥	قال إنك من المنظرين	١٥٧
١٦	قال فبما أغويتني لأقعدن لهم	١٥٨
١٧	ثم لآتينهم من بين أيديهم	١٦١
١٨	قال أخرج منها مذءوما	١٦٤
١٩	ويا آدم اسكن أنت وزوجك	١٦٥
٢٠	فوسوس لهما الشيطان ليبدى	١٦٦
٢١	وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين	١٦٧
٢٢	فدلالهما بغررو فلما ذاقا	١٦٨
٢٣	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا	١٧١
٢٤	قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو	١٧٢
٢٥	قال فيها تحيون وفيها تموتون	١٧٣
٢٦	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم	١٧٣
٢٧	يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان	١٨٠
٢٨	وإذا فعلوا فاحشة قالوا	١٨٢
٢٩	قل أمر ربي بالقسط	١٨٣
٣٠	فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم	١٨٣
٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم	١٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٢	قل من حرّم زينة الله	١٩٣	٥٦	ولا تفسدوا في الأرض	٢٤٤
٣٣	قل إنما حرّم ربي الفواحش	١٩٦	٥٧	وهو الذي يرسل الرياح	٢٤٦
٣٤	ولكلّ أمة أجل	١٩٨	٥٨	والبلد الطيب يخرج نباته	٢٤٨
٣٥	يا بني آدم إما أتينكم رسل	١٩٨	٥٩	لقد أرسلنا نوحا إلى قومه	٢٥٠
٣٦	والذين كذّبوا بآياتنا	١٩٩	٦٠	قال الملأ من قومه	٢٥١
٣٧	فمن أظلم ممن افترى على الله	١٩٩	٦١	قال يا قوم ليس بي ضلالة	٢٥١
٣٨	قال ادخلوا في أمم قد خلت	٢٠٤	٦٢	أبلغكم رسالات ربي	٢٥٢
٣٩	وقالت أولاهم لأخراهم	٢٠٦	٦٣	أو عجبتم أن جاءكم ذكر	٢٥٢
٤٠	إن الذين كذّبوا بآياتنا	٢٠٧	٦٤	فكذّبوه فأنجيناه والذين معه	٢٥٢
٤١	لهم من جهنم مهاد	٢١٥	٦٥	وإلى عاد أخاهم هودا	٢٥٣
٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات ..	٢١٦	٦٦	قال الملأ الذين كفروا	٢٥٣
٤٣	ونزعنا ما في صدورهم من غل ...	٢١٦	٦٧	قال يا قوم ليس بي سفاهة	٢٥٣
٤٤	ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار	٢٢٠	٦٨	أبلغكم رسالات ربي	٢٥٤
٤٥	الذين يصدّون عن سبيل الله	٢٢٢	٦٩	أوعجبتم أن جاءكم ذكر	٢٥٤
٤٦	وبينهما حجاب وعلى الأعراف ...	٢٢٢	٧٠	قالوا أجئتنا لنعبد الله	٢٦١
٤٧	وإذا صرفت أبصارهم تلقاء	٢٣٣	٧١	قال قد وقع عليكم من ربكم رجس	٢٦١
٤٨	ونادى أصحاب الأعراف رجالا ...	٢٣٣	٧٢	فأنجيناه والذين معه	٢٦٢
٤٩	أهؤلاء الذين أقسمتم	٢٣٤	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحا	٢٦٣
٥٠	ونادى أصحاب النار	٢٣٧	٧٤	واذكروا إذ جعلكم خلفاء	٢٧١
٥١	الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً	٢٣٨	٧٥	قال الملأ الذين استكبروا	٢٧١
٥٢	ولقد جئناهم بكتاب فصلناه	٢٣٩	٧٦	قال الذين استكبروا	٢٧١
٥٣	هل ينصرون إلا تأويله	٢٣٩	٧٧	فعقروا الناقة وعتوا	٢٧٢
٥٤	إن ربكم الله الذي خلق	٢٤٢	٧٨	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا	٢٧٣
٥٥	ادعوا ربكم تضرّعا وخفية	٢٤٣	٧٩	فتولى عنهم وقال يا قوم	٢٧٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٠	ولوطا إذ قال لقومه	٢٧٤	٨٤	وأمطرنا عليهم مطراً	٢٧٧
٨١	إنكم لتأتون الرجال	٢٧٥	٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا	٢٧٨
٨٢	وما كان جواب قومه	٢٧٥	٨٦	ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون .	٢٧٩
٨٣	فأنجيناه وأهله إلا امرأته	٢٧٦	٨٧	وإن كان طائفة منكم آمنوا	٢٨١